

٧٣٣
٥١٤
٧٣٣

الجامعة الأردنية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها
الدراسات العليا

حركة الخطابة في قبيلة تميم
حتى نهاية القرن الأموي

إعداد الطالب
سالم مرعي حسين الهدوسي

إشراف الأستاذ الدكتور
هاشم باغسي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة
الأردنية سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

4

الإهداء

- إلى والديَّ الحبيبين ولختوتي وفاء بهمن حبي لهنـــــــــــــــــم .
- إلى رفيقة درب الحياة أم المصعب ثمره من شارعونها وصبرها .
- إلى صهتي الصغيرين المصعب وآلاء بهمن لوعتي عليكما في الفرية .
- إلى والدي الثانية وأبناء عموتي الذين رعوا طفلي بكل أسباب المحبة والحنان .
- إلى كل أزهار الدفلى التي عرفتني على ضفاف اليرموك
- وإلى كل ذرة من تراب وطني .

ثبت المحتويات

الصفحات	
١ - ح	المقدمة
٨٧ - ١	الفصل الأول : شخصية قبيلة تميم
٣٣ - ٢	أ - نسب تميم
٥٧ - ٣٤	ب - تحرك تميم في المكان
٨٧ - ٥٨	ج - مشاركة تميم في الأحداث
١٠٦ - ٨٨	الفصل الثاني : خلافة تميم في العصر الجاهلي واتجاهاتها البارزة .
٩٢ - ٨٩	أ - موقف النقاد والباحثين من الخطابة المربية في العصر الجاهلي
٩٣ - ٩٢	ب - وداعي ازدهار الخطابة في قبيلة تميم زمن الجاهلية
٩٧ - ٩٤	ج - ما وصلنا من خطابة تميم في الجاهلية
١٠٦ - ٩٧	د - الاتجاهات البارزة لخطابة تميم في الجاهلية
١٥٤ - ١٠٧	الفصل الثالث : خطابة تميم في عصر صدر الاسلام واتجاهاتها البارزة
١١١ - ١٠٨	أ - تطور خطابة تميم في صدر الاسلام ودواعي ازدهارها
١٣١ - ١١٢	ب - الاتجاه السياسي
١٤٣ - ١٣٢	ج - الاتجاه الحربي
١٥٢ - ١٤٤	د - الاتجاه الاجتماعي
٢١٣ - ١٥٣	الفصل الرابع : خطابة تميم زمن الامويين واتجاهاتها البارزة
١٥٨ - ١٥٤	أ - ازدهار خطابة تميم في هذا العصر ودواعي رقيها
١٨١ - ١٥٩	ب - الاتجاه السياسي
١٩١ - ١٨٢	ج - الاتجاه الحربي
٢٠٧ - ١٩٢	د - الاتجاه الاجتماعي
٢١٣ - ٢٠٨	هـ - الاتجاه الديني
٢٧٥ - ٢١٤	الفصل الخامس : وقفة عند أبرز خطباء تميم
٢٣١ - ٢١٥	أ - أكثم بن صيفي الاسدي
٢٤٣ - ٢٣٢	ب - شيبث بن ربيعة الرياحي
٢٥٠ - ٢٤٤	ج - ابو بلال مرداس بن أدية الخارجي
٢٧٥ - ٢٥١	د - خالد بن صفوان الاعشي
٤٢٢ - ٢٧٦	ملحق خاص بخدب قبيلة تميم حتى نهاية العصر الاموي
٤٢٦ - ٤٢٣	الخاتمة
٤٥١ - ٤٢٧	ثبت المصادر والمراجع

منذ حوالي ثلاث سنين عزمت على القيام بدراسة شاملة حول شخصية الفطيم المشهور الأعمى بن قيس التميمي ، حلیم العرب ، وبينما كنت أطوف المصادر الأولية أستقصي أخباره وأقواله ، استوقفني ما لاحظته الجاحظ من كثرة خطاباء تميم وشبهرتها الخطابية بين قبائل العرب عامة . قال : " ليس لأخذ في ذلك مثل الذي لبني تميم " . واستشهد على ذلك بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم حين سمع بعض خطباءهم : " ان من البيان لسحرا (١) " ويقول معاوية فيهم أيضا : " لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلم (٢) " .

ونبّه د . إحسان النص على هذه الظاهرة من خلال دراسته للخطابسة في العصر الأموي ودعا إلى دراستها دراسة متأنية إلا أنه لم يزد على أن ذكر نماذج من أسماء بعض من اشتهروا بالخطابة منهم (٣) ، وكذلك فعل غيره من الباحثين الذين تصرفوا لهذا الموضوع ، معتمدين على ما ذكره الجاحظ ، ومروا عليها مروراً عابراً (٤) .

وألحت هذه القضية على نفسي إلحاحاً شديداً فمضت على أستاذي الدكتور عاشم ياضي أن أدرس حركة الخطابة في قبيلة تميم حتى نهاية العصر الأموي ، وكان قد لفت نظرنا حين درسنا عليه الأدب الجاهلي إلى جمع شعر القبائل في فترة زمنية محددة ودراسته ، فطلب مني أن أرصد أعلام الخطابة في تميم وأن أتبع ما وصلنا من نصوصهم الخطابية ، وما طرحت هذه النصوص من القضايا فناقشت أبحث وأنقّب في المصادر حتى بلغت من ذلك أدنى الغاية ، وعرضت ما حصلته منها عليه ، فجلسست وأياه وناقشنا القضايا التي طرحتها هذه المادة . وبصرني ببعض الجوانب هذه الظاهرة التي غابت عني ، حتى إذا اطأنا إلى جدران هذا التراث بالدراسة ، بارك لي عزيمتي وأطلق لي العنان .

تميزت قبيلة تميم بمكانة بارزة بين القبائل العربية ، فهي من أكثرها

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ،

١٩٦١ : ٥٣/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٤/١ .

(٣) د . إحسان النمر ، الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، دار المعارف

١٩٦٣ : ٢٢ - ٢٣ ، ٢٧٠ - ٢٩٠ .

(٤) أنار ، جوان علي ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم

للاملايين ، ١٩٦٨ : ٧٨١/٨ .

عدداً وأشدّها بأساً وأعرقها بداوة ، وكانت تستحوذ على معظم الأحداث الجلييلة التي وقعت في شرق الجزيرة العربية قبيل الإسلام ، وكذلك تماظم أثرها فسي الأحداث بمعدّ ظهوره ، فترددت في الخضوع لسلطان المدينة في بدايته ، ثم لم تلبث أن أمدت بهوش الفتح الإسلامية بحفاف عناية من الرجال ، سجل لهم التاريخ مواقف مشهودة في العراق وبلاد فارس ، وكان لها نصيب وافر فسي إشمال الثورات والفتن زمن الأمويين في العراق وخراسان ، وكذلك كان لهم دور بارز في إخمادها أيضاً ، وهذا من أعجب مفارقات هذه القبيلة التي سنعرض لها في البحث .

وشكلت تميم ومن انضم تحت جناحها من القبائل الضاربة كتلة قبلية سياسية قوية مقابل تحالف الأزدي وبكر في العراق ، وخراسان ، وأصبحت قوة يحسب الخلفاء والأمراء لها حسابها ، واستمر الصراع الموجه من قبل الأمويين وولايتهم بين هاتين الكتلتين طوال العصر الأموي حتى عجل في نهاية عهدهم بزوال الأمر عنهم .

وأيضا في هذه الأحداث عشرات الخطباء البلقاء من زعماء تميم وشجعانها ، وكان لفصاحتهم شأن عظيم في تلك الأحداث ، ومن ناحية أخرى فإن تيممنا من أفصح القبائل العربية لغة ، وقد أمدت التراث العربي بمئات الفصحاء المصاقيع والشعراء الفحول ، وتركت لهجتها بصمات واضحة على نحو اللغة العربية صرفها ومجاصمها .

ولم يحظ النثر العربي في هذه الفترة بما حظي به الشعر من الاهتمام والدراسة فقد استحوذ الشعر على اهتمام الباحثين دون النثر ، وحتى أولئك الذين تعرضوا لدراسة النثر الخطابي في هذه الفترة تناولوه تناولاً عاماً سريعاً ، حيث اهتموا بخطب الخلفاء وبعض الأمراء البارزين ، وأعملوا غيرهم من الخطباء الذين لم تدن لهم حظوة سياسية ، ومروا عليهم مروراً عابراً ، فأغفلوا بذلك جزءاً هاماً من القضايا التي طالها خطباء العامة وعبروا من خلالها عن همومهم .

وتتيح لنا دراسة حركة الخطابة في قبيلة تميم حتى نهاية العصر الأموي تلخيص التغيرات السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على حياة الإنسان العربي البدوي قبيل الإسلام وبمعدّ ظهوره حتى سنة ١٣٢ هـ .

وتهدف هذه الدراسة أيضاً إلى تبين الدور الذي اضطلع به خطباء هذه القبيلة في التعبير عن هموم مجتمهم ومعالجة قضايا حياتهم المختلفة آنذاك ، وذلك من خلال ما وصلنا من خطبهم ، ومن الميسر تبين مثل هذه القضايا في خطب الخلفاء والأمراء ، لأنهم يمنون في معظم الأحيان بما يجب أن يكون لا بما هو واقع حقا ، كما نجد عند خطباء هذه القبيلة ومماناتهم

للقضايا التي طرحتها في خطبهم . ومن هذا المنطلق نستطيع أن نرصد مدى تأثير مواقفهم الخطابية في تفسير الأحداث وتفسيرها من ناحية ومدى تأثيرهم بتلك الأحداث من ناحية أخرى .

واعتقد أن الخطابة أعدق تعبيراً عن عموم الجماعة البشرية من البشر ، وتتيح لنا ما لا يتيحهم البشر في بعض الأحيان من تتبع تطور حياتها ، كما تتيح تلمس هذه التغيرات والتغيرات المؤثرات التي تؤثر في حياتها بين الفترة والأخرى فالشعراء غالباً ما يخرقون في عمومهم الفردية .

أما فن الخطابة فهو من أكثر الفنون الأدبية التزاماً بقضايا الجماعة ، والتعبير عن عمومهم ، وأكثرها تأثيراً في التعبير الاجتماعي والتأثير به ، وأسرعها تكيفاً مع التطورات الجديدة التي تطرأ على حياة الجماعة البشرية فهو أدب هادف ملتزم . ولم تكن المادة التي قدمت في هذا البحث سهلة المأخذ ولا يسيرة المنال ، فقد اهتم الرواة وأهل اللغة والأدب برواية الأشعار وجمعها وضبطها وتدوينها في دواوين خاصة يسهل على الدارسين تناولها ، وأما النصوص الخطابية فقصدها دفن النسيان شطراً كبيراً منها لصعوبة حفظها ، وخسفاً وصلنا منها لأمرجة الرواة وأهل الأخبار ، ثم اختار مصنفو كتب الأدب والتاريخ ما يوائم مذهب كل واحد منهم ويوافق هواه من الخطاب أو بعض أجزائها ، وذلك فسي خلال بعض الأعمار ، وظلت مبشرة في المصادر وهنا وهناك ، فجاءت الخطبة الواحدة في روايات مختلفة تذاً تكون كل رواية منها خطبة مستقلة عن الأخرى ، فكان التثبت من صحة النصوص الخطابية التي وصلتنا لخطباء تميم والتوثيق لها من أشق الأمور التي واجهتها الباحثة في هذه الدراسة ، وذلك لسهولة العبث والتعريف فيها وانتحال بعضها عليهم .

ويقوم المنهج المتبع في هذه الدراسة على استقصاء النصوص الخطابية لخطباء تميم من مصادر مختلفة وتحقيقها ، والاستقراء الداخلي لها ، واستخلاص النتائج منها ، وذلك في ضوء الظروف السياسية والعسكرية والاجتماعية والفكرية التي أثرت فيها أو تأثرت بها ، لذا فإن أي تحويم حول النصوص الخطابية لن يتعدى كونه وسيلة من الوسائل التفسير والتوضيح ، ومن ثم كان على الباحثة أن يلم بالظروف التي أنتجت هذه الخطب .

وجاءت هذه الدراسة مقسمة على خمسة فصول ومقدمة وخاتمة وملحق ختامي . فخصصت الفصل الأول لشخصية قبيلة تميم ، وتناولت فيه نسبها فتتبع بطونها وذكرت أشهر رجالها البارزين ، ثم تناولت تحركاتها المكاني في محاولة لرسم صورة واضحة للمجال العموي الذي تعركت فيه هذه القبيلة قبيل الإسلام ومعهده

فتتبعت مواطنيها في الجاهلية وحدودها مع مواطن القبائل الأخرى التي جاورتها ، ثم تتبعت تحركاتها إلى الموالي الجديدة في العراق وخراسان في حركة الفتوح بعد ظهور الإسلام ، ثم تعرضت لمشاركتها في أحداث تلك الفترة فبينت دورها في أحداث العصر الجاهلي من غلال أيامها مع القبائل الأخرى ، ثم تعرضت لدورها في أحداث عصر صدر الإسلام فبينت دورهم في الردة ومواقفهم المشيوبة في حركة الفتوح وبخاصة في العراق وبلاد فارس ، ثم تعرضت لمواقفهم من الفتنة بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - ثم أوضحت كيف تعاظم هذا الدور الذي قامت به تميم في أحداث العصر الأموي ، فقد شكلت تميم في العراق وخراسان كتلة مضرية يحسب حسابها مقابل تحالف بكر والأزد ، وكان لها نصيب وافر في الأحداث السياسية والثورات والصراع القبلي هناك ، وكان ذلك مسـبباً للأسباب التي عجلت في زوال الأمر عند بني أمية سنة ١٣٢ هـ .

وتناولت في الفصل الثاني خطابة تميم في العصر الجاهلي واتجاهاتها الباردة ، فوقفت على آراء النقاد من قضية وجود خطابة مزدوجة عند العرب قبل الإسلام ، ثم بينت دواعي ازدهارها في قبيلة تميم وما وصلنا من خبايا تهم ومدى الثقة بها ، ثم تعرضت لأبرز الاتجاهات التي تحركت فيها خطاباتهم آنذاك .

وعقدت الفصل الثالث لخطابة تميم في عصر صدر الإسلام واتجاهاتها الباردة ، فوقفت على أثر الثورة التي أحدثها الإسلام في مختلف جوانب الحياة العربية السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية ، وأثر ذلك في تطور خطاباتهم وازدهارها ، ثم تعرضت لأبرز الاتجاهات التي تحركت فيها خطاباتهم في هذه الفترة ، وعصرتها في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي : - الاتجاه السياسي - بينت من خلاله مواقف خطاباتهم من أهم القضايا السياسية التي برزت آنذاك مثل الردة ، والصراع على الخلافة بعد مقتل عثمان . والاتجاه الحربي ، بينا من خلاله مواقف الخطابية في إنكاء روح الجهاد والحماسة في نفوس العرب أثناء حركة الفتوح وفي الفتن الداخلية التي ذرت قرونها على الأمة بعد مقتل عثمان . والاتجاه الاجتماعي ، تعرضت من خلاله لمواقف خطاباتهم من قضايا حياتهم الاجتماعية كالخصومة القبلية والمنافرات والمفاخرات والوفادات على الخلفاء والوفاء وما إلى ذلك .

وأشرت في الفصل الرابع لخطابة تميم في العصر الأموي واتجاهاتها الباردة ، فتعرضت لدواعي ازدهار خطاباتهم ورقيها في هذا العصر ، ثم بينت أبرز الاتجاهات التي تحركت فيها خطاباتهم آنذاك . فتحركت في أربعة اتجاهات رئيسية هي :

الاتجاه السياسي ، والاتجاه الحربي ، والاتجاه الاجتماعي ، والاتجاه الديني .
تعرضت في الاتجاه السياسي لمواقفهم من الأحزاب المختلفة التي تصارعت على
السلطة في هذا العصر ، وأبرزها الحزب الأموي الحاكم والخوارج الذين كان معظم
زعائنهم البارزين من تميم ، والشيمة وبعض الثورات التي قامت على الأمويين
مثل ثورة الحسين بن علي وثورة ابن الزبير وثورة المختار وثورة ابن الأشعث
وثورة الحارث بن سريج التميمي ، وكذلك تعرضت لمواقفهم من بدعة ولاية العهد
وسياسة الخلفاء الأمويين وولايتهم في العراق وخراسان وما والاها .

وتعرضنا من خلال الاتجاه الحربي لمواقفهم من المعث على الصبر والشيث
وإذكاء الحماسة وروح الجهاد في نفوس الجند أثناء الفتوح والثورات التي قامت
على الأمويين ، وأثناء قتال الثائرين على سلطة الأمويين أيضا .

وفي الاتجاه الاجتماعي تعرضنا لأبرز القضايا الاجتماعية التي عالجتها خطاباتهم
آنذاك مثل المصراع القبلي بينهم وبين حلف الأزد وبكر الذي أخذ بعدا سياسيا
اجتماعيا في هذا العصر ، والمفاخرات والوفادات على الأمراء والخلفاء والتمزية
والتأيين وما إلى ذلك .

ومن خلال الاتجاه الديني تعرضنا لبعض القضايا الدينية التي طرحتها
خطاباتهم كالوحد والميث على التقوى والدعوة إلى الزهد في الدنيا ونيل ملذاتها
وما إلى ذلك ، وهذا الاتجاه يمثل رد الفعل عند بعض خطبائهم لتهالك
الناس على ملذات الدنيا ومتعتها بعد أن تدفقت عليهم الفنائم والسهي والخيرات
في الأعمار البعيدة ،

وفي الفصل الخامس وقفت وقفة متأنية عند أربعة من أبرز خطباء تميم المضامير
وهم : أكثم بن صيفي الأسدي ، وشيث بن ربيعة الرياحي ، وأبو بلال مرداس بن
أدكة الخارجي ، وغالد بن صفوان الأعتمي ، وبعد كل واحد من هؤلاء الخطباء
معلما واضحا من محال حركة الخطابة في قبيلة تميم ، كما يمثل كل واحد منهم
اتجاها خطابيا محددا من اتجاهات خطاباتهم عامة ومرحلة من مراحل حركة
الخطابة في تميم ، وهم موزعون على بطون تميم الثلاثة الرئيسية وهم : بنو عمرو بن
تميم وبنو منقلة وبنو سعد ، وتحدثنا في هذه الوقفة عن جوانب حياة كل واحد
منهم وأبرز مواقفهم الخطابية ، وبيننا مكانته من تطور حركة الخطابة في قبيلتهم
حتى نهاية العصر الأموي . والحقت بهذه الرسالة ملحقا خطابيا جمعت فيه
خطب بلخاء تميم وحققتها من المصادر التي وردت فيها - قدر استطاعتي -
وربيتها على حروف المعجم حسب أسماء الخطباء ، وكنت اعتمد أقدم روايات الخطبة
وأوثقها وأكملها ، وأقيس عليها الروايات الأخرى - إن وجدت - وأثبت الاختلافات
بينها .

وقد اختلفت إلى مصادر كثيرة متنوعة أتلصق فيها أخبار تميم وخطب رجالها ، فاعتمدت على كتب النسب في تحديد بطونها وتحقق نسب خطبائها ، وأبرزها مخطوط كتاب " جمهرة النسب " لابن الكلبي ويعتبر هذا الكتاب من أشمل كتب النسب وأوسعها ، وأكثرها قيمة ، كما عولت كثيرا على كتاب " الاشتقاق " لابن دريد فأقادتني في ضبط كثير من أسمائهم المشككة ، وأفادت من كتاب " نسب عدنان " وحقطان " المبرور ، وكتاب " المعارف " لابن قتيبة ، و " جمهرة أنساب العرب " لابن حزم .

وأفدت من كتب البلدان في تحديد تحرك قبيلة تميم المكناني قبيل الإسلام وبعده ، ومن أبرز هذه المصادر " معجم ما استمعتم " للبكري تناول فيه أوضاع القبائل وتنقلاتها ، إلى جانب جهوده في تحديد مواطنها وضبط أسماء هذه المواطن ، ويورد من خلال ذلك إشارات عابرة إلى أحداث تاريخية لها ارتباط بتلك الأماكن ، فاستعني ذلك في دراسة علاقة تميم بمن جاورها من القبائل الأخرى قبيل الإسلام ، وسار ياقوت الحموي في معجمه على نهج قريب من نهج البكري ، إلا أنه توسع في إشارات إلى الأحداث التاريخية وربما أورد بعض الخطب المتعلقة بتلك الأحداث ، وأورد ابن الفقيه في " مختصر كتاب البلدان " طائفة من خطب المحافل والمفاخر لخطباء تميميين في العصر الأموي والعصر العباسي الأول ، وربما انفرد بإيراد بعضها ، وعمل لفدة الأعفاني في كتابه " بلاد العرب " والمحدثاني في كتابه " حفة جزيرة العرب " على تحديد مواطن القبائل في الجزيرة العربية ، أفدت منها كثيرا في تحديد مواطن قبيلة تميم .

وزودت المصادر التاريخية بمادة ثرة من الأخبار والخطب ، ولعل " تاريخ الرسل والملوك " للطبري أهم مصدر اعتمدت عليه في دراستي ، فقد جمعت الطبري فيه أكبر قدر من الخطب الحربية والسياسية التي وصلتنا لخطباء تميم ، وانفرد بإيراد كثير منها ، وكان عليه مقولي الرئيس في دراسة تحرك تميم الزماني ، ووردها في أحداث عصر صدر الإسلام والعصر الأموي ، ونقل عنه ابن الأثير في تاريخه وربما لخص بعض الخطب ورواها بالمعنى عنه .

وأفدت من كتاب " فتوح البلدان " للبلاذري إفادة جلية في دراسة مشاركة تميم في حركة الفتوح وتحرك بطونها إلى الأمصار المفتوحة ، كما أورد البلاذري في كتاب " أنساب الأشراف " أخبارا قيمة عن مشاركة تميم في الفتنة بعد مقتل عثمان وأحداث العصر الأموي ، وانفرد بجمع طائفة من خطبهم الموجزة أو بعض أجزاء خطبهم الطويلة في الحرب والسياسة . وجمعهم عساكر في " تاريخ مدينة دمشق " طائفة عظيمة من أخبار خطبائها تميم الذين ترجم لهم وحاول أن يستقصى معظم ما وصله من خطبهم وأقوالهم من العصر العباسي الإسلامي والأموي ، إلا أنه انفرد برواية زيادات كثيرة في هذه الخطب

والأقوال ، لأننا نحتسرها في المصادر الأخرى التي وصلتنا ، وقد طال كثيراً من الخطب التي أوردناها للتصحيح وبحث النساخ ولم يحقق جمل هذا السفر بعد .

وهناك مصدران تاريخيان حويبا طائفة كبيرة من خطب رجال تميم في الصراع على الخلافة بين علي ومعاوية ، إلا أنهما أقل ثقة من المصادر السابقة وهما : كتاب "الإمامة والسياسة" لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري وكتاب "وقعة صفين" لنصر بن مزاحم ، فجاءت معظم الخطب التي نقلت في هذين المصدرين محرفة لتوائم الميول الشيعية . وتعد كتب الأدب والبلاغة من المصادر الخصبة لهذه الدراسة ، وقد أفدت من كتاب شرح "نقائص جرير والفرزدق" المنسوب لإبي عبيدة إفادة عظيمة إذ جفل هذا الكتاب بأخبار تميم وأيامها وأنسابها ومواطنها ويعد بحق تاريخ بني تميم .

ويأتي كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ في المرتبة الثانية بعد "تاريخ الطبري" من حيث كثرة عدد النصوص الخطابية التي أوردناها منها ما يعود إلى العصر الجاهلي ومنها إلى العصر الإسلامي ومنها إلى العصر الأموي ، وذلك في مجالات متعددة سياسية وعسكرية واجتماعية ودينية . وقد يتبع هذه النصوص ببعض الملاحظات النقدية أو بأخبار بعض الخطباء ، وأورد في ثنايا كتابه أكبر ثبت وصلنا لأسماء خطباء تميم ، وفي كثير من الأحيان لم يصلنا لهم غير ما ذكره مسن أسمائهم وبعض أخبارهم .

وجفل كتاب "الذائل" للمبرد بخطاب وافرة لخطباء الخوارج منهم وأفدت منه إفادة واسعة في تتبع دور تميم في نشوء هذا الحزب وقيادته وثوراته طوال العصر الأموي ، وأورد ابن قتيبة في كتاب "عيون الأخبار" بعض الخطب الموجزة لهم ونقلا من بعض خطبهم الطويلة ، وجفل بأخبارهم المتفرقة .

وجمع ابن عبد ربه في "المعقد" معظم ما وجدته من خطبهم وأخبارهم في "البيان والتبيين" و "الكامل" و "عيون الأخبار" وغيرها من المصادر التي سبقته ، وسلك المعصري مسلكه في كتاب "زهر الآداب" فجاءت الأخبار والخطب عندهما أكثر تفصيلاً من المصادر السابقة ولحققتها زيادات كثيرة وهناك مصادر أدبية أخرى حوت شيئاً من خطبهم وأخبارهم مثل "الأمال" للقالبي و "أجالي المرتضى" و "الأخبار الموفقيات" و "الأغانسي" .

وفي الفترات المتأخرة جمع ابن أبي الحديد في "شرح نهج البلاغة" طائفة كبيرة من خطبهم وأخبارهم ، وقد نقل معظم ما وجدته في كتاب "وقعة صفين" و "الإمامة والسياسة" و "تاريخ الطبري" و "أنساب الأشراف" و "الذائل" للمبرد وغيرها ، وجاءت معظم النصوص عنده طويلة نالها التحريف

في معظم الأحيان لتوائم الهوى الشيعي . ونقل النويري في " نهاية الأرب في فنون الأدب " ضائقة من خطبهم وأخبارهم عن " تاريخ الطبري " و " تاريخ ابن الأثير " وجمعت كتب الأمثال بعد خطبهم ذات الطابع الحكمي التي يعود معظمها إلى العصر الجاهلي ، منها كتاب " جمهرة الأمثال " لأبي هلال العسكري و " مجمع الأمثال " للحداداني .

وزودتنا كتب التراجم والرجال بمادة قيمة من الخطب وأخبار الخطباء ويعتبر كتاب " المحمدين والوصايا " لأبي حاتم السجستاني أحفل مصادر الدراسة بنصوص خطبهم الجاهلية، إلا أن معظم ما ورد فيه من الخطب يحتاج إلى التثبت والتحصيل ويلمح في كثير منها التبشير بظهور الإسلام والتصعيد له على لسان خطبائهم وحكائهم في الجاهلية ، وتنم بمض النصوص الأخرى عن نزعة شعووية، وهذه النزعة لم تنتفح في الأدب العربي قبل العصر العبّاسي الأول ، ما يشير الشك - حصول صحة هذه النصوص، ومن كتب الرجال الأخرى التي أفدنا منها كتاب " الإصاغة " لابن حيدر الحداداني .

وحقيق بي أن أتوجه بوافر التقدير وعميق الشكر والامتنان لأستاذي الدكتور هاشم ياغي ، الذي لم يأل جهداً في تصحيح عثراتي ، وتقديم التوجيه والمون لسي ، وأجله لما غرسه في نفسي من روح المثابرة وعزيمة البحث ، ولما عاناه معي ومسانعانيته منه في هذه الدراسة وكم تقبل جموعي عليه بابتسامة العالم القديسر الحريص على تنمية روح التفكير الحر المستقل عند تلاميذه ، وتوجيههم إلى غير السبل لطلب المعرفة .

وأشكر لأستاذي الدكتور نهاد الموسى مراجعته لهذا البحث وما سجله عليه من الملاحظات القيمة والتوجيهات السديدة التي أفدت منها في إخراجها ، وأشكر لأستاذي الدكتور عيسى عطوان لما أسداه لي من المشورة والنصح ، كما أشكر لكل ذي يسند علمي في هذا البحث يسده . وأرجو أن أكون قد حققت في هذا البحث ضرورة واضحة لمركة الخطابة في قبيلة تميم حتى نهايتها العصر الأموي ، يفيد منها المهتمون بهذا اللون من الأدب والتاريخ ، فإن أصبت فذلك غاية القصد، وإن قصرت أو عثرت فعذري أنني اجتهدت .

سالم مرعي الهديروسي

عمان ، ١٩٨١م / ١٤٠١هـ

الفصل الأول

شخصية تميم

أ - نسب تميم

ب - تحرك تميم في المكان

ج - مشاركة تميم في الأحداث

قبيلة تميم وموقفها بين الأنساب :

أثقف النسابون القدماء أن العرب ينحدرون من جذ من كبريين هما :
عدنان وقحطان .

وعدنان من ولد اسماعيل ، وقد اختلف النسابون في تسمية الآباء بينه وبين
اسماعيل وعددهم (١) .

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تكذيب للنسابين ودفع لهم (٢) ،
وأنه كان يقول إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان - وقيل إلى أرم (٣)
" من هنا كذب النسابون " . وروي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها
قالت : " ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان وما وراء قحطان
إلا تغرّصا " (٤) .

وأنجب عدنان ولدين : معدا والحارث وموعك (٥) .

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار الكتب ، القاهرة

١٩٦٠ : ٦٣ .

ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ،

١٩٦٢ : ٧ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة

١٩٢٧ : ١٤/١ .

(٣) المبرد ، نسب عدنان وقحطان ، تحقيق الميمني ، مطبعة لجنة الترجمة

والتأليف والنشر ، ١٩٥٦ : ١ .

(٤) المصدر نفسه : ١ ، أنساب الاشراف : ١٢/١ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا . ورفاقه ،

مطبعة الحلبي ، ١٩٥٥ : ٨/١ .

البكري ، معجم ما استمعتم ، تحقيق مصطفى السقا ،

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥ : ٥٤/١ .

ابن عبد البر ، الإنباه على قبائل الرواة ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ : ٤٦

جمهرة أنساب العرب : ٩

ولمعد أربعة أولاد : نزار وإياد وقنص والضحاك (١)، وتنتمي القبائل
المدنانية إلى نزار، وقد ورد اسم نزار في نقش النمارة الذي يرجع تاريخه
إلى ثمانية وعشرين وثلاثمائة بعد الميلاد (٢) .

أما ولد نزار : فمضر، وإياد، وربيعه، وأنمار (٣) .
ويعد النسابون مضر من أعظم شعوب عدنان، وقد أجمعوا أن مضر بن نزار
أنجب ولدَيْن : - قيس عيلان، واختلف النسابون فيه (٤)، وإلياس، ولا نجد
خلافاً في اسمه ولا في أنه ولد مضر لصلبه (٥) .

أما إلياس فقد تزوج خندف، وهي ابنة عُلوان بن عمران القضاعية (٦)،

- (١) جبهة أنساب العرب : ٩
- (٢) ولغسون، تاريخ اللغات السامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة
١٩٢٩ : ١٩٠ .
- (٣) المفضل الضبي، ديوان المفضليات مع شرح الانباري، تحقيق لايل
١٩٢٠ : ١٢ .
- مصعب الزبيري، نسب قريش، تحقيق بروفتسال، دار المعارف ١٩٥٣ : ٧ .
- أنساب الاشراف : ٢٣/١، جبهة أنساب العرب : ٩ .
- (٤) ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، مؤسسة الخانجي،
١٩٥٨ : ٢٦٥ .
- الإنهاء : ٨١-٨٢، جبهة أنساب العرب : ١٠ .
- أوردت هذه المصادر رواية أخرى تفيد أن اسمه قيس بن عيلان بن مضر .
- (٥) نسب عدنان وقحطان : ١
- (٦) الخندفة : ضرب من المشي، وسميت خندف لأنها خرجت في طلب ولدها
وزوجها، فلما رأته قالت لزوجها : "لم أزل أخندف في اشركم" فقال لها :
"أنت خندف" . انظر : اللسان : (خندف) .
- أبو عبيدة : النقائص، تحقيق بيقان، لندن ١٩٠٥ : ١/١٧٨ .
- أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني : ١٣٤/١ .
- وأظن أن هذه القصة وما شابهها هي محاولات ساذجة من صنع الرواة
واللفظيين وغيرهم لمحاولة تفسير بعض الاسماء .

فولدت له ثلاثة أبناء : طابخة ومدركة وقمصة وهم عمرو وطامر وعمير عليهم
الترتيب ، (١) وجميع ولد الياس من خندف ينسبون اليها من دون أبيهم -
وأصبح اسم خندف - فيما بعد - علما يطلق على القبائل المتفرعة من الياس
مقابل " قيس عيلان " (٢)

وولد طابخة أد ، ولم تذكر المصادر لطابخة ولداً غيره ، فانجب أد :
مرأ وعبد مائة وضية وعمر (وهم مزيّنة نسبوا إلى أسهم) وخميسا (٣) .

فمن بني مر بن أد : تميم ، وشماية (وهو ظاعته) وقد امتزجوا فسي
هاضرتهم مع بني عبد الله بن دارم من بني تميم (٤) ، وبكر بن مر ، وهم قليل دخلوا
في بني مقاعس من بني تميم (٥) ، ومخارب بن مر ومن ولده أنمار بن عوف بن مخارب ،
دخلوا في بني الهجيم من تميم ، فقالوا : أنمار بن الهجيم (٦) والقبوثن بن مر
(وهو صوفة) وكانوا يجيزون بالحاج ، ثم انقضوا عن آخرهم في الجاهلية ، فوث
ذلك آل صفوان بن شجنة من بني سعد بن زيد مائة ، ويخفر بن مر ،
لحقوا باليمن (٧) .

(١) وقصة هذه التسمية أن ابلا لياس انتشرت فأدركها عامر فسمي مدركسة ،
ولحقت به أمه تخندف في مشيها فسميت خندف ، فقصد عمرو يطبخ القدر
فسمي طابخة ، وانقمع عمير في البيت فسمي قمعة . انظر اللسان :

(خندف) ،
ابن الكلبي ، جهرة النسب ، صورة عن مخطوط المتحف البريطاني .
١/١ ، النفاض ١/١٧٨ ، انساب الأشراف : ٣١/١
، جهرة انساب العرب : ١٠ ، نسب عدنان وقحطان : ١

(٢) المختصر في أخبار البشر : ١/١٣٤ ، اللسان : (خندف) .

(٣) المعارف : ٧٤ ، نسب عدنان وقحطان : ٦

(٤) جهرة انساب العرب : ٢٠٧ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٠٦

(٦) المصدر نفسه : ٢٠٧

(٧) المصدر نفسه : ٢٠٦-٢٠٧ ، المعارف : ٧٥-٧٦ ، نهاية الأرب في فنون

الأرب : ٢/٣٤٤ .

نسب قبيلة تميم : (بطونها ورجالها البارزون) :

تنسب هذه القبيلة إلى جدها : تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (١) ، وقد ورد اسم تميم في النقوش العربية
القديمة الموزعة في القدم ، كالنقوش السودانية والصفوية ، وكذلك في النقوش
السبئية التي وجدت في (بئر حنينا) ، وفي نقوش قرية (الفاو) السبئية (٢)
ويزعم الإخباريون أن قبر تميم في موضع "مران" وقال جرير :

تمدو بنا الخيل طموح العقبان تحمي دمار جدد فبممران (٣)

ولا نستطيع في الوقت الحاضر أن نرتقي بتاريخ تميم عن القرن السادس للميلاد ،
ويروى الإخباريون خبر نشأتها في تفصيل تشوبه الأساطير والخرافات (٤) ، كالقصص
التي تروى عن إسلام تميم بن مر (٥) ، وميلاد ابنائه (٦) ، وزواج عمرو بن ربوع من
السميكة (٧) وتظهر تميم في القرن السادس الميلادي قبيلة بارزة مهيمنة
الجانب كثيرة العدد ، تنتشر في بطونها في نجد والعراق وأنحاء مختلفـة
من جزيرة العرب (٨) .

(١) المقد : ٣/٣٤٤ ، المجال : ٣١ ، الإنباه : ٧٦ صبح الأعشى : ١/٣٤٧
نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢/٣٣٤ ، تاريخ ابن خلدون : ٢/٦٣٠ ،
٦٥١ - ٦٥٣ ،

زيادات أبي موسى الأصبهاني على كتاب الأنساب المتفقة : ١٧٨ .
(٢) كتابات من قرية الفاو : ٣٣ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض : ١٩٧٤
معجم لهجة تميم : ١٥١-١٥٢ ، المورد ، المجلد الثالث : ١٩٧٨ .

(٣) معجم ما استمع : ١٢١٣ ، معجم البلدان ، (ط : طهران) : ٤/٤٧٩ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية : مادة (تميم) .

(٥) الإنباه : ٧٨ .

(٦) جوهرة ابن الكلبي : ١/٩٥ .

(٧) الاشتقاق : ٢٢٧ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون : ١/١٨٥ .

(٨) معجم لهجة تميم : ١٥٢ ،

دائرة المعارف الإسلامية : مادة (تميم) .

ووصفهم ابن حزم بقوله : " وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب " (١) وفهم كثرة (٢) فهي إحدى أرجاء العرب الست ، وسميت بهذا الاسم لفضل قوتها وعددها على سائر العرب ، ولأنها حمت دورها ومما لم يكن للعرب مثلها ، فدارت في دورها دور الرحي على أقطابها " (٣) - ولحدى جماجم العرب التسع (٤) ، وأحد غاري مقعد ، وهما تميم وبكر ، ويقال لهما الجفان أيضا ، لأن بكر بن وائل تعدل بالجاهلية بتميم ، قال الفرزدق :-

ومنا الذي أعطى يديه ربيعة لغاري مقعد يوم ضرب الجماجم (٥)
وسأل معاوية دغفلا النسابة : " ما تقول في بني تميم ؟ "
قال : حجر خشن إن صادفته آذاك وإن تركته أعفأك " (٦)
ويقال اسم تميم أحيانا مساويا لضمر مقابل قيس وربيعة ، وهي أقرب منزلا وأوثق ماضيا بقيس وربيعة منها بكنانة ، وهي التي توثق شجرة النسب المأثورة صلتها بتميم (٧) .
وينسب بعض الباحثين صفات جسمانية إلى أفراد هذه القبيلة ، يتميزون بها عن سائر العرب ، ولم يستندوا في زعمهم إلى أي دليل يدعمه (٨) .

-
- (١) جمهرة أنساب العرب : ٢٠٧ .
 - (٢) الأنساب المتفقة : ٢٤ .
 - (٣) عجالة المبتدى وفضالة المنتهي فسمي النسب ، تحقيق عبدالله كنون : ٥ .
 - (٤) النقائص : ٢ / ٧٢٠ ، المجالة : ٦ ، اللسان : (جفف)
 - (٥) جرجي زيدان ، : أنساب العرب القدماء ، مطبعة الهلال : ١٩٢١ : ٦٦ .
 - (٦) الكامل ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم : ١ / ١٦٨ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون : ٢ / ٨٠ ،
وأفرد ابن أبي الحديد في كتابه " شرح نهج البلاغة " : ١٥ / ١٢٦ - ١٣٦ فصلا خاصا في فضائل بني تميم ومكانتهم بين القبائل العربية في الجاهلية والإسلام ، وهو بعنوان (فصل في بني تميم وذكر بعض فضائلهم) نقله عن كتاب " التاج " لأبي عبيدة معمر بن المثنى .
 - (٧) دائرة المعارف الإسلامية : مادة (تميم) .
 - (٨) منير المجلاوي ، تاريخ البلاد السعودية : ١٧٨ .

- ٧ -

ويكاد يجمع التسابون أن لتميم ثلاثة أبناء من صلبه وهم : زيد مائة وعمره
والحارث (١) وأهم الورقا بنت ضبة (٢) .

بنو الحارث بن تميم :
ولد الحارث شقرة، واسمه معاوية بن الحارث بن تميم ، وإنما قيل له شقرة
لبيت قاله :

وقد أحمل الرمح الأسم كموه
به من دماء القوم كالشقرات (٣)

وبنو شقرة : عوف وجشم وكعب ، رهمط المسيب بن شريك ، وهم قليل ، خلفاء
في بني تهشل (٤) .

بنو عمرو بن تميم :-
ولد عمرو بن تميم : المنبر، والهجم ، وأسيد وأهم عمرة بنت سميد (٥)
ومالك والحارث - . وهم - - - - - الحبيط
ويقبال لولده الحبيطات - وكعب (٦) ، والقليب وأهم سلمى
بنت الشميرا (٧) .

- (١) جمهرة ابن الكلبي : ويضيف "يربوعا" : ٦١/١ ،
المعارف : ٨٦ ، نسب عدنان وقحطان : ٦ ، المقد : ٣٤٤/٣
- جمهرة : أنساب العرب : ٢٠٧ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٤/٢ .
- (٢) جمهرة ابن الكلبي : ٦١/١ .
- (٣) المعارف : ٧٦ ، نسب عدنان وقحطان : ٦ ، المقد : ٣٤٤/٣
- جمهرة أنساب العرب : ٢٠٧ ، المجال : ٧٨ ، الإنباه : ٨٠ ، ٧٦ ،
نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥/٢ ، المقتضب من جمهرة النسب
(خطوط) : ٣٥ .
- (٤) جمهرة ابن الكلبي : ٦٢/١ .
- (٥) المصدر نفسه : ٨٦-٨٧ .
- (٦) الاشتقاق : ٢٠١
- (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٨٧/١ ، المعارف : ٧٦
نسب عدنان وقحطان : ٧ ، الاشتقاق : ٢٠٦
جمهرة أنساب العرب : ٢٠٧ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥/٢ .

أما بنو كعب بن عمرو بن تميم فهم حلف في بني مازن وهم قليل (١) ، وولد كعب : ذؤيب وعوف ، وكان ذؤيب شاعرا قديما (٢) وولي كعب بن عمرو البيت قبل قريش (٣) ، ومن بني كعب : الشاعر عتيبة بن مرداس المعروف بابن قسوه (٤) ، ومن بطونهم بنو قهند (٥) .

وأما بنو القليب بن عمرو بن تميم فقد دخلوا في بني سعد بن زيد مناة (٦) . ويقال للمعبر بن عمرو بن تميم خضم (٧) ، وولده : جندب ومالك وكعب (٨) ، وعامر ، أمهم المفداة بنت سودة ، ودخل عامر في بني مالك بن المنبر (٩) ، وأعقب المنبر من ثلاثة أبناء : كعب وجندب ومالك (١٠) .

أما جندب فولده : عدي وكعب وعريج ، وأسهم ماوية بنت ربيعة ومالك وهنجدود وأمهما خريث بنت سعد ، وعزرو (١١) وسنان وقرد (١٢) .

وانجب عدي بن جندب : جهمة وعبدية والحارث ، فولد جهمة : الحارث والمندر وأمهما بيضاء بنت عبدة بن عدي بن جندب ويمصرفون بها (١٣) .

ومن رجالهم : سمرّة بن عمرو استخلفه خالد بن الوليد على اليمامة ، وولده غاضرة بن سمرّة بمكة النبي — صلى الله عليه وسلم — على الصدقة (١٤) . وقريظة بن الحر بن الحنيفة بن جهمونة فارس خراسان (١٥) .

- (١) الاشتقاق : ٢٠١ .
- (٢) جمهرة ابن الكلبي : ٩٠/١ .
- (٣) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥/٢ .
- (٤) جمهرة ابن الكلبي : ٩٠/١ .
- (٥) الاشتقاق : ٢٠٢ .
- (٦) جمهرة أنساب العرب : ٢٠٧ .
- (٧) معجم ما استمعجم : ٥٠٢ ، المجالة : ٩٥ .
- (٨) الاشتقاق : ٢١١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥/٢ .
- (٩) جمهرة ابن الكلبي : ٨٧/١ .
- (١٠) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥/٢ .
- (١١) جمهرة ابن الكلبي : ٨٧/١ .
- (١٢) جمهرة أنساب العرب : ٢٠٨ .
- (١٣) جمهرة ابن الكلبي : ٨٧/١ .
- (١٤) جمهرة أنساب العرب : ٢٠٨ .
- (١٥) جمهرة أنساب العرب : ٢٠٨ .

- وسَيَّار بن الكلب الشاعر (١)، وربيعة بن رقيع الذي نادى الرسول - صلى الله عليه وسلم - من وراء الحجرات (٢).
- أما بنو حُجُود بن جندب فيقال إنهم هاجروا من اليمن فادَّعَتْهم تميم (٣)، ومن رجالهم الهذيل بن قيس، غلب على أصبهان زمن الفتنة ثم وليها لمروان بن محمد (٤).
- ومن بني عمرو بن جندب : طريف بن عمرو الشاعر، فارس الأثر قتلته شيبان يوم مَبَاهِش (٥).
- ومن رجال بني كعب بن جندب : هند بن كُتَيْف كان شاعرا وفارسا، والبلّغ الشاعر (٦)، وطامر بن عبد الله الذي يقال له طامر بن عبد القيس، كان يطعن على سيدنا عثمان - رضي الله عنه - فسَّيره من البصرة إلى الشام وكان من خيار المسلمين، وله كلام في التوحيد (٧).
- ومن رجال بني مالك بن جندب : عمران بن مُتَّقِد، شهيد مع علي الجمل وصفين، وهو الذي اختط خطاة بني المنبر بالكوفة، والقشَّير بن يزيد، بمكة مصعب بن الزبير إلى البحرين (٨).
- أما كعب بن المنبر فولده : مُجَفَّر وهو (عشمير) (٩) وحارثة (١٠).

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي : ٩٠/١ .
- (٢) سيرة ابن هشام : ٢٦٩/٤، جمهرة أنساب العرب : ٢٠٨، الإمامة، مصورة عن مطبعة السعادة : ٥٠٧/١ .
- (٣) جمهرة ابن الكلبي : ٨٨/١ .
- (٤) الاشتقاق : ٢١٤، جمهرة أنساب العرب : ٢٠٨ .
- (٥) الاشتقاق : ٢١٤، المقد : ٣٤٥/٣ .
- (٦) جمهرة ابن الكلبي : ٩٠/١ .
- (٧) الاشتقاق : ٢١٣، المقد : ٣٤٥/٣، جمهرة أنساب العرب : ٢٠٨ .
- (٨) جمهرة ابن الكلبي : ٨٨/١ .
- (٩) الاشتقاق : ٢١٣ .
- (١٠) جمهرة ابن الكلبي : ٨٩/١ .

ومن بني مَجْفَر بن كعب : الخَشَخَاش بن مَجْفَر، أحد المؤلفين (١) ، وفد
هو وولده طالك على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسُمي ولده الخَشَخِيشة
وعقبه بالبصرة لهم الأقدار (٢) .

ومن فرسانهم : مَجَاهِل بن بَلَعَاء ، كان على خيل تميم يوم أبي فديسك (٣)
ومنهم قدامة بن عَثرة ، من نساك البصرة ، رفض الخروج على ابن زياد مع أبي بلال
مرداس ، والحسين بن الحرّ ولي ميسان أربعين سنة (٤) .

بنو الهجيم بن عمرو بن تميم :

ولده : عمرو وسعد وربيمة وعامر (٥) وأنصار (٦) ويُسرف بنو عمرو
ابن الهجيم بالحِبال (٧) .

ومن بني عمرو بن الهجيم : الهَمَلَع بن أَغَر الشاعر ، خطيب رايه الزبير بن
الموام فرده (٨) ، وأبو سُدرة الشاعر ، وواصل بن عَلِيٍّ ولي إصطخر لابي جعفر
المنصور وسهم بن غالب أول خارجي بعد النهر (٩) .

ومن بني أنمار بن الهجيم : جَزِيَّة واسمه كعب بن أوس كان شاعرا
فارسا (١٠) وقطيبة وكان شاعرا (١١) ، ومن بني سعد بن الهجيم : تَهْيَك بن
الترجمان ، ولي في زمن عمر بن الخطاب ، وكان والده مترجما لكسرى (١٢) ، والحكم
ابن تَهْيَك ولي كرمـان للحجاج (١٣) .

(١) كانت العرب إذا بلغت رابل أحد هم ألفا ففأ عين فعلها وجرمه .
جمهرة ابن الكلبي : ٨٩/١ ، الاشتقاق : ٢١٥ ، نهاية الأرب في فنون الأدب :
١٦١/٣ .

(٢) جمهرة ابن الكلبي : ٨٩/١ ، الاشتقاق : ٢١٥ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٠٩ .
(٣) الاشتقاق : ٢١٥ .

(٤) جمهرة ابن الكلبي : ٨٩/١ - ٩٠ .

(٥) المصدر نفسه : ٩٣/١ .

(٦) جمهرة أنساب العرب : ٢٠٩ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٦/٢ .

(٧) جمهرة ابن الكلبي : ٩٣/١ ، الاشتقاق : ٢٠٩ .

(٨) جمهرة ابن الكلبي : ٩٣/١ ، المرزباني ، معجم الشعراء ، (١) : ٤٦٦ ،

جمهرة أنساب العرب : ٢٠٩ ، الإصابة : ٦٢٠/٤ .

(٩) جمهرة ابن الكلبي : ٩٣/١ ، الاشتقاق : ٢٠٩ .

(١٠) جمهرة ابن الكلبي : ٩٣/١ .

(١١) الاشتقاق : ٢١١ .

(١٢) المصدر نفسه : ٢٠٩ .

(١٣) جمهرة ابن الكلبي : ٩٣/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٠٩ .

أما بنو أسيد بن عمرو بن تميم فهم أشرف بني تميم (٢) ومن ولد أسيد :
جروء ، ونمير ، وعمرو ، والحارث وعقيل (٣) .

وولد جروء بن أسيد : غسوي ، وكان يجبي الإتاوة من بني عامر بن صعصعة
(٤) ، ومنهم : أبو هالة هند بن زارة بن النباش بن وئدان زوج خديجة
قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - فولدت له هند بن هند ربيب الرسول -
صلى الله عليه وسلم - وقتل عند مع ابن الزبير في البصرة ، ولا عقب لهم (٥) .
ومن بني شريف بن أسيد : الحكيم المشهور أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث
ابن مخاشين بن معاوية بن شريف بن جروء . وحنظلة بن الربيع بن صيفي بن رياح
ابن أخي أكثم ، ويقال له حنظلة الكاتب صاحب كتب للرسول - صلى الله عليه وسلم -
وسلم (٦) ، ومن رجالهم في الجاهلية : أبو يكسوم بن عثامية ، كان شريفاً له
عقب بالكوفة (٧) ، ومن بني شريف بن جروء حسان بن سعد الذي بني منارة
بني أسيد بالبصرة ، وكان شريفاً ولي الأعمال ، ورمي بن كائن ، ومنهم حجير
ابن عيمر الشاعر ، والحكم بن زيد ، ولي لابن حميرة على كرمان ، قتله تميم بن عمرو
التميمي (٨) ، ومن بني نمير بن أسيد : أوس بن حجر الشاعر المشهور ، وأبو
حاضر الأسدي (٩) .

(١) أسيد : تصغير أسود في لغة تميم ، وسائر العرب تقول : (أسود)

الاشتقاق : ٢٠٦ .

(٢) جمهرة ابن الكلبي : ١/١٤ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٠ ، نهاية الأرب
في فنون الأدب : ٢/٣٤٦ .

(٣) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ٤٠ .

(٤) جمهرة ابن الكلبي : ١/١٤ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٠ .

(٥) جمهرة ابن الكلبي : ١/١٤ ، الاشتقاق : ٢٠٨ ، العقد : ٣/٣٤٤ ،

الأنباء : ٧٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٠ ، تاريخ ابن خلدون : ٢/٢٠٢ .

٢/٢٠٢-٦٥٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢/٣٤٦ .

(٦) جمهرة ابن الكلبي : ١/١٤-١٥ ، الاشتقاق : ٢٠٧ ، العقد : ٣/٣٤٤ ،

الأنباء : ٧٦ ، المجال : ١٤ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٠ ، تاريخ

ابن خلدون : ٢/٦٥٣-٦٥٤ .

(٧) الاشتقاق : ٢٠٨ .

(٨) جمهرة ابن الكلبي : ١/١٤-١٥ .

(٩) الاشتقاق : ٢٠٦-٢٠٧ .

بنو مالك بن عمرو بن تميم :
 وولد مالك : مازن وقيلان وأسلم وعسان (١) والجرماز (٢) .
 وقيلان بن مالك هو الذي ضرب رجل الحارث بن كعب بن « حد فسمي
 الحارث بالأعرج (٣) . وولده : عمرو وعوف وهم بطن قليل (٤) . ومن رجالهم :
 أبو الجرباء عاصم بن دلف قتل مع عائشة يوم الجمل (٥) .

وأما بنو الجرماز ففيهم ضعة (٦) ، واسم الجرماز الحارث (٧) ومن رجالهم
 سمرة بن يزيد كان من رجال البصرة في أول ما نزلها الناس (٨) ، ومنهم أعشى مازن ،
 قيل هو جرمازي نسب إلى أعمامه (٩) ، ومنهم الكذاب الراجز من بكر بن الجرماز (١٠)
 وعامتهم بالبصرة (١١) .

أما بنو مازن بن مالك بن عمرو ، فهم : حرقوص وخزاعي ، هلالان ، وأنصار ،
 قريظام (١٢) وأثانة وسلمه (١٣) .
 ومن ولد حرقوص بن مازن : معاوية وكابية (١٤) وعيشمير وعشيش
 وزيد مائة (١٥) .

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي : ١/٦٠ .
 - (٢) الاشتقاق : ٢٠٢ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١١ ، المقد : ٣/٣٤٥ .
 - المجال : ٤٨ .
 - (٣) جمهرة ابن الكلبي : ١/٦٠ .
 - (٤) جمهرة ابن الكلبي : ١/٩٣ ، الاشتقاق : ٢٠٣ .
 - (٥) جمهرة ابن الكلبي : ١/٩٣ ، الاشتقاق : ٢٠٣ ، المقد : ٣/٣٤٥ .
 - (٦) جمهرة أنساب العرب : ٢١٣ .
 - (٧) الاشتقاق : ٢٠٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢/٣٤٥ .
 - (٨) الاشتقاق : ٢٠٣ ، المقد : ٣/٣٤٥ .
 - (٩) المجال : ٤٨ .
 - (١٠) جمهرة ابن الكلبي : ١/٦٢ .
 - (١١) المجال : ٤٨ .
 - (١٢) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢/٣٤٥ .
 - (١٣) جمهرة ابن الكلبي : ١/٩١ ، الاشتقاق : ٢٠٣ .
 - (١٤) الاشتقاق : ٢٠٤ .
 - (١٥) جمهرة ابن الكلبي : ١/٩١ .

فمن بني كَافَّة : قَطْرِي بن الفَجَّاءة ، رئيس الأزارقة ، دُعي أمير المؤمنين
عشرين سنة ، وقتل بالرَّي في آخر أيام الحجاج ، وحمَّال بن أمّوز المازني ،
قاتل آل المهلب بقندا بيل ، وأخوه سلم بن أمّوز ، صاحب شرطة نصر بن سيار
بخراسان ، قتل يحيى بن زيد بن علي ، وقتل أيضا جهم بن صفوان صاحب الجهمية
بمرو ، وقتله قَحَّطبة بن شبيب بجرجان (١) ، ومنهم بغيض بن حبيب ، وفد على
النبي فسماه حبيبا (٢) ومنهم خفاف بن هبيرة بن مالك أشد فارس خرج ممن
خراسان في دعوة بني العباس ، قتله أبو جعفر حين خرج عليه مع عبد الله بن
علي (٣) .

ومنهم الشاعر الفاتك مالك بن الرِّيب ، صاحب سميد بن عثمان وإلى خراسان
ومات بها فرث نفسه (٤) ، ومنهم عمرو بن هذَّاب بن سميد بن مسعود ، ولي فارس
لمنصور بن زياد ، وولي جده سميد عمان لمدى بن أرطاة ، ولهم بالبصرة
رئاسة (٥) .

وأما بنو خُزاعي بن مازن ، فهم قليل (٦) ، ومن رجالهم : عباد بن علقمة
المعروف بمصاد بن الأخضر ، قتل أبا بلال الخارجي وأصحابه ، فقتلته
الخوارج بالبصرة ، ومنهم حاجب بن نبيان ويقال له حاجب الفيل من فرسان
خراسان (٧) .

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي : ٩١/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٢ ، الاشتقاق : ٢٠٤
المقد : ٣٤٥/٣ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٤/٢ .
- (٢) جمهرة ابن الكلبي : ٩١/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١١ .
- (٣) جمهرة ابن الكلبي : ٩١/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١١ .
- (٤) جمهرة ابن الكلبي : ٩١/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٢
المقد : ٣٤٥/٣ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٤/٢ .
- (٥) جمهرة أنساب العرب : ٢١٢ .
- (٦) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥/٢ .
- (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٩٢/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١١
المقد : ٣٤٥/٣ .

ومن بني رزام، سمد بن تاشب بن ممان ، من قُتاك بني تميم ، وكان
 بلال بن أبي بردة قد خدم دارة بالبصرة (١) ،
 ومن بني أنمار بن مازن : عُمير بن سنان بن عَرْفَطة شاعر فارسي ، غزا
 رتبيل مع عبد الرحمن بن سُمرة وضربه بالسيف ، وشَقِبة بن عثمان ، وجهه عبد الله
 ابن علي في طلب مروان ، وكان من فرسان خراسان ، وعقبة بن حَرْب كان قائدا
 في دعوة بني المصالح (٢) .
 أما بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، فيعرفون بالحَبَطَات ، وذلك لأن الحارث
 أكل طعاما فحَبَطَ - أي ورم بطنه - فلُقب بالحَبَطِ (٣) .
 ومن ولده : معاوية وكعب ونُضَيْلة (٤) ، وسمد (٥) .
 فمن بني سمد بن الحارث : عباد بن الحُسين ، أحد فرسان
 تميم في الإسلام ، وكان يعدل بالفارسي (٦) ، وابنه المسور بن عباد ، الذي
 قام بأمر بني تميم أيام فتنة يزيد بن الوليد ومروان بن محمد (٧) .

-
- (١) جمهرة أنساب العرب : ٢١٢ - ٢١٣ .
 - (٢) جمهرة ابن الكلبي : ٩٢/١ .
 - (٣) الاشتقاق : ٢٠٢ ، نسب عدنان وقحطان : ٧ .
 - جمهرة أنساب العرب : ٢١٣ ، المقد : ٣٤٥/٣ .
 - الإنباه : ٧٦ ، المجالة : ٤٦ .
 - (٤) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٦/٢ .
 - (٥) جمهرة ابن الكلبي : ٩٠/١ .
 - (٦) جمهرة ابن الكلبي : ٩٠/١ ، النقاظ : ٦٢٦/٢ - ٦٢٧ ،
 - نسب عدنان وقحطان : ٧ ،
 - الاشتقاق : ٢٠٢ ، المقد : ٣٤٥/٣ ،
 - تاريخ ابن خلدون : ٦٥٥/٢ .
 - (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٩٠/١ ،
 - جمهرة أنساب العرب : ٦١٣ .

- بنو زيد مائة بن تميم :
ولد زيد مائة : سعد ومالك وفيهما العدد ، وامرؤ القيس (١) وطاسر وعوف (٢) .
- أما عوف فهم في بني حنّان بن عبد الصمد بن كعب بن سعد (٣) .
وأما بنو عامر بن زيد مائة فهم قليل مع بني مجاشع بن دأرم (٤) .
ومن ولده خَصِيف (٥) ، ويزيد ، وهم بنو الصَّحَّاح بالكوفة (٦) .
والجزيرة وليس بالبصرة منهم أحد .
- وأما بنو امرئ القيس بن زيد مائة فهم في بني عوف بن سعد (٧) .
ومن ولده : مالك ، والحارث ، وعَصِيمة (٨) .
- ومن رجالهم : عدي بن زيد الشاعر (٩) ، ومقاتل بن حسان عا حاسب قصر مقاتل ، وصالح بن مسرح الخارجي ، رأس الصَّفَرِيَّة ، وكان منهم جماعة من وجوه دعاة بني المعبس ، مثل موسى بن كعب بن عتبة ، ثار ابنه عتبة بالسند ، فقتل بالقاسم بن مجاشع بن تميم بن حبيب ، قاضي دعاة بني المعبس ، ولاهر بن قريظ بن سريّ ، قتله أبو مسلم صبرا لأنه أنذر نصرته سيمار فهرب ، وغيرهم من وجوه دعاة بني المعبس (١٠) .

-
- (١) الاشتقاق : ٢١٧ .
(٢) المعارف : ٧٦ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥ / ٢ .
(٣) جمهرة ابن الكلبي : ٦٢ / ١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٣ .
(٤) جمهرة ابن الكلبي : ٦٢ / ١ ، المعارف : ٧٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٣ .
(٥) جمهرة ابن الكلبي : ٨٥ / ١ (حصين) .
(٦) المصدر نفسه : ٨٥ / ١ ، الاشتقاق : ٢٥٨ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٤ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥ / ٢ .
(٧) جمهرة ابن الكلبي : ٦٢ / ١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٣ .
(٨) جمهرة ابن الكلبي : ٨٥ / ١ ، المعارف : ٧٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٤ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥ / ٢ .
(٩) الاشتقاق : ٢١٧ ، المعارف : ٧٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ .
(١٠) جمهرة ابن الكلبي : ٨٥ / ١ ، الاشتقاق : ٢١٧-٢١٨ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٤ ، المجالة : ١١٢ .
تاريخ ابن خلدون : ٦٥٥ / ٢ ،
صبح الأعشى : ٣٤٧ / ١ .

وفيهما العدد والشرف (١) ، وأده : حنظلة ، وربيعة الجوع ، وقيسر ومعاوية وهما الكردوسان (٢) وهما في بني فقيم بن جرير بن دارم ، وأمههم النوار بنت عدي بن عبد مناة (٣) .

أما بنو ربيعة بن مالك فهم ربيعة الجوع (٤) ، ومن ولد ربيعة : كعب وعبيد (٥) والحارث (٦) .

فعبيد رباط علقمة بن عبدة الشاعر ، وأخوه شأس بن عبدة (٧) ، وأما كعب فهم رباط حميد الأرقط. التاجز (٨) ، ومن بني ربيعة علقمة بن سهيل الخصي وكان شاعرا إسلاميا (٩) ،

أما بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة ففيهم البيت والحدنو (١١) ، قال الجواهري : " هم أكبر قبيلة في تميم " ويقال لهم حنظلة الأكرمون (١١) . وولد حنظلة : مالك ، وأمه أسيدة بنت عمرو القضاية ومرة (وهو الظلم) وغالب وكلفة وقيسر ، ويرثون ربيعة ، وعمر و (١٢) .

ومن بطون حنظلة البراجم (١٣) ، وهم : عمرو ، والظلم وغالب ، وكلفة ، وقيسر. بنو حنظلة ، وسموا بذلك لأن عددهم كان قليلا ، فقالوا : " لنجتمع فنصير كبراجم الكف " (١٣) .

-
- (١) الاشتقاق : ٢١٧-٢١٨ .
 - (٢) سُميا بالكردوسين لانهما ينزلان معا : جوهرة ابن الكلبي : ٧٦/١ .
 - (٣) جوهرة ابن الكلبي : ٧٦/١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٤/٢ .
 - (٤) النقائض : ١٨٦/١ ، ٦٩٩/٢ ، المجالة : ٦٤ .
 - نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٤/٢ .
 - (٥) جوهرة أنساب العرب : ٢٢٢ (عبد) .
 - (٦) جوهرة ابن الكلبي : ٧٥-٧٦/١ .
 - (٧) جوهرة ابن الكلبي : ٧٥-٧٦/١ ، الاشتقاق : ٢١٨ ، المعارف : ٧٦ .
 - جوهرة أنساب العرب : ٢٢٢ ، الحقد : ٣٥٠/٣ .
 - (٨) جوهرة ابن الكلبي : ٧٦/١ ، الاشتقاق : ٢١٨ ، جوهرة أنساب العرب : ٢٢٢ .
 - (٩) الاشتقاق : ٢١٨ ، المعارف : ٧٦ .
 - (١٠) جوهرة أنساب العرب : ٢٢٢ ، الأنساب المتفقة : ٤٥ .
 - (١١) صبح الأعشى : ٣٤٧/١ .
 - (١٢) جوهرة ابن الكلبي : ٦٢-٦٣ .
 - (١٣) البراجم : رؤوس الأشاجع وهي أصول الأصابع ، ومفردهما " برجمة " ، النقائض : ١٨٦/١ ، القاموس : مادة (برم) .
 - (١٤) الاشتقاق : ٢١٨ ، المعارف : ٧٦ ، الانباه : ٧٧ ، المجالة : ٢٤ ، ١٠٧ نسب عدنان وقحطان : ٧ ، جوهرة أنساب العرب : ٢٢٢ ، الحقد : ٣٤٨/٣ .

ومنهم : قُتَابُ بْنُ الْبُرْجُمِيِّ ، مات في سجن عثمان - رضي الله عنه - وابنه عمير ابن ضامين وطاع على جنب عثمان ، ثم قتله الحجاج (١) .

أما بنو ربيعة بن حنظلة بن مالك فمنهم : أبو هلال ، مَوْتَانُ بْنُ مُحَدِّسٍ ، ويمرّف بابن أَدْنَةَ ، نسب إلى أمه ، وقد خرج علي ابن زياد ، وأخوه عروة بن أَدْنَةَ ، أول من حكم بعد صفين وقال : " لا حكم إلا لله " (٢) ومنهم أبو سهم حبيب بن سهم الخارجي (٣) ومنهم المصيرة وَجَعَزُ بْنُ أَحَبَّاءَ بن عمرو الشاعران ، وكان المصيرة شاعر تميم في عصره ، استشهد بخراسان (٤) .

وأما يربوع بن حنظلة فولده : -
ثَعْلَبَةُ ، والحارث ، وعمر ، وعَتْبَرٌ ، ويسمون الأحمال ، وكلّيب وفدانة والمنبر
ويسمون المُقَدَّاء لانهم تعاقدوا على بني رياح ، ورياح ، وعار الأحمال مع
بني رياح (٥) .

أما بنو ثعلبة بن يربوع فمنهم : عَتْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بن شهاب فارس تميم (٦) ،
وحبيب بن قَرَارٍ بن حبيب صحابي شهد بدرًا ، وقاقد بن عبد مائة بن قريش
قاتل ابن الحضرمي يوم نخلة ، ومالك بن نُويرة ، وأخوه مَتَمُّ الذي رثاه (٧) ،
وداود بن متم بن نويرة وكان شاعرا ، والكَلْبَةُ بْنُ مَبِيرَةَ الشاعر (٨) .

-
- (١) الاشتقاق : ٢١٨-٢١٩ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ ، المقد : ٢٤٨/٣
تاريخ ابن خلدون : ٦٥٧/٢ .
(٢) جمهرة ابن الكلبي : ٧٧/١ ، الاشتقاق : ٢١٨-٢١٩ ، جمهرة أنساب العرب :
٢٢٣ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٧/٢ .
(٣) جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ .
(٤) جمهرة ابن الكلبي : ٧٧/١ ، نسب عدنان وقحطان : ٨ ،
الاشتقاق : ٢٢٠ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ .
(٥) جمهرة ابن الكلبي : ٧٠-٧١ ، المعارف : ٧٧ ، الاشتقاق : ٢٢١ ، نسب
عدنان وقحطان : ٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٤ .
(٦) جمهرة ابن الكلبي : ٧٣/١ ، الاشتقاق : ٢٢٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ ،
المقد : ٢٤٢/٣ .
(٧) جمهرة ابن الكلبي : ٧٣/١ ، الإنباه : ٧٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ .
(٨) جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ ، ديوان الفضليات : ٢٠ .

وأما المنبر بن يربوع فولده : أسامة ومالك ، فولد أسامة : مالك ومالك وحق (١) ومن بني حق سجاح بنت أوس بن حق المتنبة ، وتكنى أم حادر (٢) ومن ولد أسامة سويد ، فولد سويد عققان ، وهم عبي بالكوفة (٣) .

وأما بنو مالك بن المنبر فلم يشرع وعدد بأصبهان (٤) .
وأما بنو صير بن يربوع فهم قليل جدا ، منهم الشا عرقلة بن أبي سلمى ابن صير (٥) .

وولد عمرو بن يربوع : عسل ومضم ، منهم ربيعة بن عسل ، كان مع عائشة يوم الجمل ، وولاه معاوية حمراة ، ولبن عسل خطبة بالبصرة (٦) .

وأما بنو كليب بن يربوع فولده : زيد ومعاوية ومثقل ، وعوف (٧) ، وصبرة (٨) منهم جرير بن عطية الشاعر (٩) ، والد كلبهم من فرسانهم بالسند (١٠) .

وولد الحارث بن يربوع سليط واسمه كعب (١١) ، ومن بني سليط : أسيد بن حنيفة بن حذيفة فارس بن تميم (١٢) ، ومنهم الزبير بن الماعل بن فوز وأخوته عثمان وعلي وعبد الله وعبد الله ، بنو بشير بن يزيد الطقب بالماجنوز ، كلهم أمراء الأزارقة من الخوارج (١٣) .

(١) جمهرة ابن الكلبي : ٧٤/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٧٤/١ ، المعارف : ٧٧ ، وفي تاريخ الدبري : ٢٦٩/٣ بنت الحارث بن عققان ، المقد : ٣٤٨/٣ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٦ ، وفي المقتب من جمهرة النسب (مخطوطة) : ٤٩٠ " بنت أوس بن حق ابن أسامة " .

(٣) جمهرة ابن الكلبي : ٧٤/١ ، النقائض : ٨٩٦/٢ ، نسب عدنان وقحطان : ٨ .

(٤) جمهرة ابن الكلبي : ٧٤/١ .

(٥) المصدر نفسه : ٧٥/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٥ .

(٦) جمهرة ابن الكلبي : ٧٦/١ ، الاشتقاق : ٢٢٧ ، الحيوان : ١٨٥/١ .

(٧) جمهرة ابن الكلبي : ٧٥/١ .

(٨) الاشتقاق : ٢٣١ .

(٩) جمهرة ابن الكلبي : ٧٥/١ ، المعارف : ٧٧ ، الاشتقاق : ٢٣١ ، المقد : ٣٤٨/٣ .

(١٠) الاشتقاق : ٢٣٢ .

(١١) جمهرة ابن الكلبي : ٧٤/١ ، المجال : ٧٣ .

(١٢) جمهرة أنساب العرب : ٢٢٥ .

(١٣) جمهرة أنساب العرب : ٢٢٥ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٧/٢ .

أما بنو غداة بن يربوع فمن رجالهم : وكيع بن حسان بن أبي سؤود
 قاتل قتيبة بن مسلم ، وكان فارساً شاعراً (١) ، ومنهم حارثة بن بدر بن حصين ، وهو
 شاعر فارس استعمله زياد على سرق وكان من خاصته (٢) .
 أما بنو رياح بن يربوع فقد كانت فيهم ردافة ملوك الحيرة (٣) ومن ولد رياح : حمام
 وحمير ، وحميري ومنفذ وزيد ، وأمه التجماء (٤) بنت معاوية وبها يعرفون (٥) ،
 ومن رجالهم : سحيم بن وثيل الرياحي الشاعر ، وصار بن ناجية بن ذروة ،
 غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث (٦) . ومنهم عتاب بن حمري وكان رديفاً لملوك
 الحيرة ، ومن ولده الأخوص بن عمرو بن عتاب الشاعر (٧) ، ومنهم الحر بن يزيد
 ابن ناجية بعثه ابن زياد ليشغل الحسين ، فقال إليه وقتل معه (٨) ، ومنهم
 عتاب بن ورقاء بن الحارث ، أمير أصبهان قتله شبيب الخارجي (٩) ، وشيث بن
 ريمي ، كان مع سجاح ثم أسلم ثم صار مع الخوارج (١٠) ومثقل بن قيس وفد لعمار
 ابن ياسر إلى عمر بفتح تستر ، وجهه علي لقتال بني ناجية ، وقتل المستورد بن
 علفه الخارجي ، فقتل كل منهما الآخر (١١) ، ومنهم سلمة بن ذؤيب (١٢) ، وجزء بن
 سعد ، وعظيم القدر في الجاهلية ، قاد بني يربوع كلها وأخذ المرباع

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي : ٧٤/١ المعارف : ٧٧ ، الاشتقاق : ٢٣٠ ، جمهرة
 أنساب العرب : ٢٢٦ ، المقد : ٣/٣٤٨ ، المجال : ٢٨ .
 (٢) جمهرة ابن الكلبي : ٧٤/١ ، الاشتقاق : ٢٢٨ ، المقد : ٣/٣٤٨ ، المجال : ٢٨ .
 (٣) النقائق : ٨٠٩/٢ ، أنساب العرب : ٨١ .
 (٤) في الاشتقاق : "المجفاء" : ٢٢٣ .
 (٥) جمهرة ابن الكلبي : ٧١/١ .
 (٦) جمهرة ابن الكلبي : ٧١/١ المعارف : ٧٧ ، الاشتقاق : ٢٢١ ، المقد : ٣/٣٤٨ .
 (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٧١/١ ، النقائق : ٨٠٩/٢ ، الاشتقاق : ٢٢١ .
 (٨) جمهرة ابن الكلبي : ٧٠/١ ، أنساب العرب : ٢٢٧ .
 (٩) جمهرة ابن الكلبي : ٧٢/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٧ ، الاشتقاق : ٢٢٣ .
 (١٠) جمهرة ابن الكلبي : ٧٢/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٧ .
 (١١) جمهرة ابن الكلبي : ٧١/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٨ ، المقد : ٣/٣٤٨ .
 (١٢) الاشتقاق : ٢٢٣ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٨ .

ولم يقدها احد قبله ولا بعده (١) .

بنو مالك بن حنظلة :-

كان مالك يلقب بالخرف (٢) ، ووالده : دارم وربيعة وأمه أسيدة بنت عمرو (٣) ، وكعب ، دخلوا في بني فقيم وهم بني الصخارية (٤) ، ورزاق ، دخلوا في بني نهشل ، وهو الأربعة يسمون الخشاب (٥) ، وزيد ، والصدي وتربوع ، وهو الأربعة بنو المدوية ، ينسبون إلى أمهم المدوية (٦) وهي فكيهة بنت مالك من بني عدي (٧) ، وأبو سؤد وعوف ، أمهما كهيبة بنت عشم بن سعد ، وبها يصفون (٨) ، وجشيش .

ويقال لبني كهيبة وبني المدوية الجمار ، وهم مع بني يربوع (١٠) .

(١) الاشتقاق : ٢٢٤ .

(٢) النقاظ : ٦٢٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٥٢/١ .

(٤) جهمرة ابن الكلبي : ٦٣/١ ، جهمرة أنساب العرب : ٢٢٨ .

(٥) جهمرة ابن الكلبي : ٦٣/١ ، النقاظ : ٤٣٤/١ ، لم يذكر دارم وكعب ،

جهمرة أنساب العرب : ٢٢٨ ، المقد : ٣٥٠/٣ ، يضيق جشيشا .

(٦) المعارف : ٧٧ ، المقد : ٣٤٩/٣ ، يضيق كعباً ولا يذكر صدي ،

الأنساب المتفكة : ١٠٨ .

(٧) جهمرة ابن الكلبي : ٦٣/١ ، يذكر أن اسمها حرام بنت غزيمة ،

النقاظ : ١٨٦/١ .

(٨) جهمرة ابن الكلبي : ٦٣/١ ، المعارف : ٧٧ ، يضيق جشيشا .

النقاظ : ٧٧٦/٢ ، والاشتقاق : ٢٣٣ ، يذكر أنهم : عدي ، وأبو سؤد

وجشيش . جهمرة أنساب العرب : ٢٢٨ ، المقد : ٣٤٩/٣ .

المجال : ٨٦ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٨/٢ .

(٩) جهمرة ابن الكلبي : ٦٣/١ ، جهمرة أنساب العرب : ٢٢٨ ،

المقد : ٣٥٠/٣ .

الاشتقاق : ٢٣٣ .

(١٠) جهمرة ابن الكلبي : ٦٣/١ ،

المقد : ٣٤٩/٣ .

فمن بني أبي سود بن مالك ، بنو شيطان بن زهير بن شهاب بن أبي سود ،
وهم حي بالكوفة (١) ، ومن فرسانهم : عامر بن حنيف بن عبد شمس ، أنقسط
حاجب بن زرارَة يوم جَبَلَة (٢) .

ومن بني جُشَيْش بن مالك : حُصَيْن بن نُمَيْر بن أسامة كان على شرطة
عبد الله بن زياد أيام قتل الحسين (٣) .

أما بنو ربيعة بن مالك بن حنظلة : فولده : الحُبَيْث (٤) ومالك ووهب (٥) ،
وبنو الحُبَيْث رُمط الحَنْتَف بن السَّجَّاف ، قاتل حُبَيْش بن دُلْجَة القيني يوم الرَبْذَة
أيام ابن الزبير (٦) .

وولد زيد بن مالك بن حنظلة : زيد وبكر (٧) ومنهم : الصحابي سُلي بن
القين ، ويصلي بن مُنَيَّة وهي أمه ، وأبوه أمية بن أبي عبيدة ، ويصلي حليص
نوفل بن عبد مائة (٨) .

بنو كَارِم بن حنظلة بن مالك :

يقال إن اسم كَارِم بحر (٩) ، وولده : عبد الله ومجاشع ونهشل وخَيْرِي
وجرير ، ومناف ، وأمان ، وسُدوس (١٠) ، وأبو سود (١١) والجَوَال وشيطان (١٢) .

(١) جمهرة ابن الكلبي : ٦٩/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٨ ، العقد : ٣٤٩/٣ .

(٢) جمهرة أنساب العرب : ٢٢٨ .

(٣) جمهرة ابن الكلبي : ٧٠/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٨ ، العقد : ٣٤٩/٣ .

(٤) جمهرة ابن الكلبي : ٧٦/١ ، الاشتقاق : ٢٣٣ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٨ .

(٥) جمهرة ابن الكلبي : ٧٥ ، ٧٠/١ .

(٦) بحث مروان حُبَيْش بن دُلْجَة لقتال أهل الحجاز فأرسل إليه ابن الزبير

الحَنْتَف فقتل حُبَيْشًا يوم الرَبْذَة ، انظر جمهرة ابن الكلبي : ٧٠/١ .

وجمهرة أنساب العرب : ٢٢٨ ، النقاء : ٦٩٩/٢ ، العقد : ٣٥٠/٣ .

(٧) جمهرة ابن الكلبي : ٧٠/١ .

(٨) المصدر نفسه : ٧٠/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٩ .

(٩) المجال : ٥٨ .

(١٠) جمهرة ابن الكلبي : ٦٣/١ ، المعارف : ٧٧ ، النقاء : ١٨٧/١ .

الاشتقاق : ٢٣٤ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٩ ، الإنباه : ٧٧ .

العقد : ٣٤٩/٣ .

(١١) جمهرة أنساب العرب : ٢٢٨ .

(١٢) جمهرة ابن الكلبي : ٦٣/١ .

أما بنو أتيان بن دارم فهم: مَرَّةٌ وسيفٌ وسعدٌ وعبد الله ومعتل وربيعة وسَيَّار (١) وهم مع بني فقيم، ومنهم سَرَّرة بن أْبَجَر بن نافع، قتلته أترك في سمرقند (٢)، وأما بنو سُد وسرفيصر فبنو بَشَّة، وهي أمهم وقد بادوا، وكذلك بنو خَيْبَرِي إلا بقيت لهم يسيرة في بني ربيعة بن مالك (٣).

وأُنجب جرير بن دارم قَقِيماً (٤)، وليس فيهم رجل يذكر (٥).

أما نَهْشَل بن دارم فولد: قَتَان، وزيد وعبد الله، وأمهم لبنى بنت مالك بن حنظلة، وجندل وصخر وجَرْوَل، وأمهم تماضر بنت بَشَّة، وأبيير (٦).

ومن رجالهم: سلمى بن جندل فارس يوم الحين، وهُوْدَّة بن جَرْوَل بن نَهْشَل الشاعر قتلته كلب (٧)، ومنهم ضُمرة بن ضُمرة بن جابر بن قَتَان بن نَهْشَل واسمه شَيْق، من رجال تبج في الجاهلية لساناً وشجاعة (٨)، ومنهم الكُشُود بن يَمْفَر الشاعر، وخازم بن خزيمة صاحب شرطة بني المصباس (٩)، وعصه شُحْبَة بن ظهير النَهْشَلِي أحد شجعانهم في خراسان (١٠).

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي: ٦٩/١.
- (٢) جمهرة ابن الكلبي: ٦٩/١، جمهرة أنساب العرب: ٢٢٩، العقد:
- ٣٦٤/٣.
- (٣) الاشتقاق: ٢٣٤، العقد: ٣٥٠/٣، (وسدوس بضم السين): ٣٦٤/٣.
- (٤) جمهرة ابن الكلبي: ٦٩/١، النقائض: ١٨٥/١،
- جمهرة أنساب العرب: ٢٢٩.
- (٥) الاشتقاق: ٢٤٤.
- (٦) جمهرة ابن الكلبي: ٦٨/١، جمهرة أنساب العرب: ٢٢٠.
- (٧) جمهرة ابن الكلبي: ٦٨/١، الاشتقاق: ٢٤٣.
- (٨) جمهرة ابن الكلبي: ٦٨/١، الاشتقاق: ٢٤٣.
- (٩) جمهرة ابن الكلبي: ٦٨/١، جمهرة أنساب العرب: ٢٣١.
- العقد: ٣٤٩/٣، المقتب من جمهرة النسب (مخطوطة): ٣٨.
- (١٠) وفي جمهرة ابن الكلبي: ٨٨/١، جعله ابن الكلبي في ذلك الموضع من رجال بني المنبر، وأشار إلى أنه عم خازم بن خزيمة النَهْشَلِي، وذكر خازم في رجال بني نَهْشَل، فيكون شُحْبَة من بني نَهْشَل لأن بني المنبر.

أما بنو مجاشع بن دارم فهم : سفيان وعامر ومروث (١) ، وكان مجاشع ذا لسان وبيان ، وله في ذلك قصة مع أخيه نهشل عند بعض ملوك العرب (٢) .
 وكان سفيان بن مجاشع من رجال تميم يوم الكلاب ، وقتل ابنه مرة يومئذ ، والشرف في بيت ابنه محمد بن سفيان ، ومن ولده : قُرط وسُوي أيضا (٣) .

ومن رجالهم : الأقرع بن حابس ، وكان من حكام العرب في الجاهلية ، والفرزدق الشاعر (٤) ، وعُقال بن شَبَّة الخطيب (٥) ، وأُعيْن بن ضَبَّة بن ناجية ، ولي البصرة لملي فقتله بنو سدد ، وصمصمة بن ناجية والد الفرزدق كان يشتري الموؤذات في الجاهلية (٦) ، وعلقمة بن ضبيعة من حُوي بن سفيان كان شاعرا خرج مع ابن الأشعث (٧) ، والحارث بن سريج صاحب الفتن في خراسان أيام نصر بن سيار ، والبُعَيْث وكان خطيبا شاعرا ، واسمه خِدَاش (٨) ، والمُتَمِّت بن يزيد ، أخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعنه وبين معاوية (٩) ، وهياض بن حمار بن عُقال ، صديق النبي - صلى الله عليه وسلم - وجرميه في الجاهلية (١٠) ، والأشعث بن ثباتة كان على شرطة على بالكوفة ، ومُترَم بن أبي أئمة فارس خراسان ، (١١) ، وعبد الله بن نَاشِرَة غلب على سجستان ، والخيار بن سُرَّة قتله زياد بن المهلب بعمان (١٢) .

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي : ٦٦/١ .
 (٢) الاشتقاق : ٢٣٨ .
 (٣) جمهرة ابن الكلبي : ٦٦/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٣١ ، الاشتقاق : ٢٣٨ .
 (٤) جمهرة ابن الكلبي : ٦٦/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٣٠ ، الاشتقاق : ٢٣٦ .
 المقد : ٣٤٩/٣ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٨/٢ .
 (٥) جمهرة ابن الكلبي : ٦٦/١ .
 (٦) المصدر نفسه : ٦٦/١ ، الاشتقاق : ٢٣٩ .
 جمهرة أنساب العرب : ٢٣٠-٢٣١ ، المقد : ٣٤٩/٣ .
 (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٦٦/١ .
 (٨) المصدر نفسه : ٦٦/١ ، الاشتقاق : ٢٤١ .
 جمهرة أنساب العرب : ٢٣١ ، المقد : ٣٤٩/٣ .
 (٩) الاشتقاق : ٢٤١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٣١ ، المقد : ٣٤٩/٣ .
 (١٠) الاشتقاق : ٢٤٠ ، وفي جمهرة أنساب العرب : ٢٣١ ، الحرمي : هو الذي كان له صديق من قريش يطوف بالكعبة في ثيابه ، ومن لم يكن له منهم صديق طاف عريانا " الإصابة : ٤٧/٣ .
 (١١) الاشتقاق : ٢٤٢-٢٤٣ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٣١ .
 (١٢) الاشتقاق : ٢٤١-٢٤٢ .

- ٢٤ -

- أما بنو عبدالله بن دارم فهم : زيد وأمه حفظة وأمه مصاوية وهـ
وعبد مائة ، وأمه من بني أسيد بن عمرو (١) ، والبيت والعدد في زيد (٢) .
- وولد زيد بن عبدالله بن دارم : عدس ، وجق ، ومرة ، ومارة ، وريمسة ،
وعبد الله (٣) ، ومالك ، وأمه فاطمة بنت نهشل بن دارم (٤) ، وجميع ولد زيد
بن عبدالله بن دارم يصرفون بالأحلاف غير عدس ، لأنهم تحالفوا على عدس ، أما
عدس فإنه يد مع أعمامه ولد عبدالله بن دارم (٥) .
- ويصرف ولد عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بالأسبتيين (٦) قدموا
المصرة في الإسلام مع عبد القيس . فسموا الهجريين (٧) ، وهم رهط المنذر بن
ساوى صاحب حجر ، كتب إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم (٨) .
- ومن بني ربيعة بن زيد بن عبدالله بن دارم : سويد بن ربيعة بن زيد ،
شج راس مالك بن المنذر ، فحرق أخوه الطك عمرو بن هند مئة من بني تميم .
وحرب سويد إلى مكة ، وحالف بني نوفل بن عبد مناف ، ومن ولده أبو هاشم بن عزيز ،
اشترك مع أبي لهب في سرقة غزال الكعبة (٩) .
- وولد عدس (١٠) بن زيد بن عبدالله بن دارم : عمرو ، ويثرب ، وزرارة (١١) ،
أما يثرب فقد قتلته عام يوم رحمان (١٢) .

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي : ٦٤/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٦٣١ .
- (٢) الاشتقاق : ٢٣٤ .
- (٣) المصدر نفسه : ٢٣٤ .
- (٤) جمهرة أنساب العرب : ٢٣٢ .
- (٥) جمهرة ابن الكلبي : ٦٤ .
- (٦) قيل لأنهم كانوا يعبدون فرسا ، وهو بالفارسية (أسب) زادوا فيه ذالا
للتعريب ، وقيل بل نسبة إلى قرية بهجر كانوا يسكنونها .
- انظر جمهرة ابن الكلبي : ٦٥/١ - ٦٦ ، وجمهرة أنساب العرب : ٢٣٤ .
- والمجال : ١٥ ، ومجمع البلدان : ٢٣٧/١ .
- (٧) الاشتقاق : ٢٣٤ .
- (٨) جمهرة ابن الكلبي : ٦٥/١ ، المجال : ١٥ .
- (٩) جمهرة أنساب العرب : ٢٣٣ .
- (١٠) يقول ابن الكلبي : "كل عدس في العرب بضم العين وفتح الدال إلا عدس
ابن زيد فإنه مضموم الدال" : ٦٤/١ .
- (١١) جمهرة ابن الكلبي : ٦٤/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٦٣٦ .
- (١٢) جمهرة أنساب العرب : ٢٣٢ .

أما عمرو بن عُدَس فولده : زيد ، قتل يوم جَبَلَة ، وعمرو بن عمرو فارس تميم في الجاهلية ، قتل يوم أقرن ، ومن ولد عمرو بن عمرو وكيع بن بشر بن عمرو سيد بني تميم ، رأسه عمرو بن الخطاب ، ثم رأس ابنه حملاً من بعده ، وقتل في سلال مع عائشة يوم الجمل (١) ومنهم الشاعر مسكين بن عامر الدارمي (٢) .

أما زرار بن عُدَس : فكان البيت فيه (٣) ، رأس على بني تميم يوم شُوَيْحَط (٤) وله من الولد : حاجب ، ولقيط ، ومعبد ، وخزيمة ، وعلقمة ، ولبيد ، وعمرو ، ومالك ، وعبد مائة والحارث (٥) .

رحم حاجب قومه لكسرى عن بني تميم (٦) ، وقتل لقيط يوم جَبَلَة (٧) ، أما علقمة فقد قتله بنو قيس بن ثعلبة ، وكان معبد سيد تميم وقائدهم ، أسرته بنو عامر يوم حرجان ، ومات في أيديهم (٨) ، ومنهم القمقاع بن معبد وقد أخذ المربع ، وكان يقال له تيار الفرات لسخائه ، وابنه نعيم بن القمقاع قتله بشر بن مروان ، وابن ابنه الهلقام بن نعيم ، قتله الحجاج لخروجه مع ابن الأشعث (٩) ، ومنهم عطار بن حاجب ، كان شريفاً وقد على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن ولده محمد بن عمير بن عطار ، سيد أهل الكوفة في زمانه ، وولي أذربيجان ، وكان صاحب ريع تميم وحمدان حتى مات (١٠) .

-
- (١) الاشتقاق : ٢٣٥ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٣٢ .
 - (٢) جمهرة أنساب العرب : ٢٣٢ .
 - (٣) المصدر نفسه : ٢٣٢ .
 - (٤) الاشتقاق : ٢٣٥ .
 - (٥) جمهرة ابن الكلبي : ٦٤/١ ، الاشتقاق : ٢٣٥ .
 - جمهرة أنساب العرب : ٢٣٢ .
 - (٦) الاشتقاق : ٢٣٧ ، العقد : ٣٤٩/٣ .
 - (٧) الاشتقاق : ٢٣٥ .
 - (٨) المصدر نفسه : ٢٣٥-٢٣٧ .
 - (٩) جمهرة ابن الكلبي : ٦٥/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٣٣ .
 - الاشتقاق : ٢٣٧ .
 - (١٠) جمهرة ابن الكلبي : ٦٤/١ ،
 - جمهرة أنساب العرب : ٢٣٣ .

بنو سعد بن زيد مناة بن تميم
ويلقب سعد بالفزّ (١) وأبناء سعد : كعب وفيه الحداد ، وعمرو ، وعوافسة
وجشم ، ومالك وعيشم (المقروع) (٢) وعوف (٣) وميمرة (٤) ونجدة (٥) ويقال
لبنّي سعد كلهم الأبناء (٦) غير كعب وعمرو فإنهم يدعون البطون (٧) .
وانجب مالك بن سعد : سعد ، فولد سعد بن مالك : ربيعة وملال وقنان
وحرام (٨) .
أما بنو حرام فقد سكنوا الكوفة بعد الإسلام ، ولهم فيها خدعة كبيرة وهم
من الأعراب (٩) .
ومن بني ربيعة بن سعد : الحجاج وابنه ربيعة (١٠) ، وعقبة بن ربيعة ، وكلهم
رجاز (١١) .
ومن ولد جشم بن سعد : كعب ، ومن رجالهم خالد بن غنم بن رجل بن
ذبيان بن كعب ، سيد بني سعد في زمانه (١٢) ، وبنو جشم قليل (١٣) .
أما عيشم بن سعد فولده : كعب ، وعوف ، وملايين وجشم ، وعمرو ،
وعيشم (١٤) .

-
- (١) انوار القصة في الاشتقاق : ٢٤٥ ، المعارف : ٧٨ ، النقاش : ٦٣٦/٢ +
 - (٢) جمهرة ابن الكلبي : ٧٧/١ ، المعارف : ٧٨ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٥ ،
الاشتقاق : ٢٤٥ ، المقادير : ٣٤٦/٣ .
 - (٣) الاشتقاق : ٢٤٥ .
 - (٤) المعارف : ٧٨ ، ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، مكتبة المثنى بغداد
٢٦/١ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ١٦٦ .
 - (٥) اللباب : ٢٦/١ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ١٦٦ .
 - (٦) اختلاف النسابة في الأبناء وعدد من سعد . انوار جمهرة ابن الكلبي : ٧٧/١ ،
المعارف : ٧٨ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٥ ، المقادير : ٣٤٦/٣ ،
اللباب : ٢٦/١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٤٤/٢ .
 - (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٧٧/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٥ .
 - (٨) جمهرة ابن الكلبي : ٨٤/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٥ .
 - (٩) المجالة : ٤٨ ، معجم البلدان : ٣٢٠/٢ .
 - (١٠) جمهرة ابن الكلبي : ٨٤/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٥ .
 - (١١) جمهرة أنساب العرب : ٢١٥ (١٢) جمهرة ابن الكلبي : ٨٣/١ - ٨٤ .
 - (١٣) المجالة : ٣٨ ، اللباب : ٢٨٠/١ .
 - (١٤) جمهرة ابن الكلبي : ٨٤/١ - ٨٥ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٥ .

ومن بني كعب بن عشمس : عبد الرحمن بن طارق بن جَمُوتَة ، كان على
شرطة الحجاج في الكوفة والبصرة ، ومحمد بن الحَوْثِرَة بن نعيم ، كان على عذاب
الحجاج (١) ، ومن بني مَلَد بن عشمس : ياس بن قَتَادَة ، حامل الديارات
زمن الأحنف في حرب الأزدي وتميم (٢) ، ومن بني عُيمِر بن عشمس : بنو الدَّوْسَرَان
رَهِط الشاعر عُبْدَة بن الطبيب (٣) .

ومن بطون عشمس : بنو ظالم وبنو شَرِيْط وبنو خَطَّاب وبنو المَثَاء ،
ولهم عدد بالبادية (٤) .

ومن ولد عواقة بن سعد : حُوَيّ بن ربيعة ، كان البيت فيه بعد بني
جَمَان (٥) .

أما بنو كعب بن سعد بن زيد مائة فففيهم العدد وهم : عوف وعمرو
وربيعة ، ومالك وجشم والحارث الأعرج ، وحرام ، وعبد الصّري ، وعشمس ، وولد
كعب بن سعد كلهم غير عمرو وعوف يقال لهم الأجارب (٦) ، ويقال لمالك
وعمر المزرعان لكثرة أموالهما (٧) .

(١) جمهرة ابن الكلبي : ٨٤/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٥/١ العقد : ٣٤٦/٣ .

(٣) الاشتقاق : ٢٦١ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٥/٢ .

(٤) الاشتقاق : ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٥) جمهرة ابن الكلبي : ٨٣/١ .

(٦) المصدر نفسه : ٨٣/١ ، نسب عدنان وتحطّان : ٩ .

جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ ، العقد : ٣٤٦/٣ .
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ١٦٣ ، ويقول البكري : «سُموا الأجارب
لأنهم لا يحاربون أحداً إلا أجربوه» ، أنار : معجم ما استمعجم : ٣٥٢/١ ،

المجال : ٤٦ ، وفي النقاظ : ٢/٤٧٠ :
«سُموا بالأجارب لأنهم غَسُوا أيديهم بدم جمل أجربدين تحالفوا» .

(٧) جمهرة ابن الكلبي : ٧٨/١ .

وفي الاشتقاق : ٢٥٣ ، لمدد هم .

أما بنو ربيعة بن كعب بن سعد فملقبون بالحَبَّاق (١) ، ومن ولد ربيعة جشم رعط عمرو بن جرموز قاتل الزبير (٢) ، وعمر بن ربيعة رعط تجارية بن قدامة المحرق ، وسمي محرقاً لأنه أحرق ابن الحضرمي بالبصرة ، وكان قدامة من أصحاب علي (٣) ، ومنهم الجشتون بن ربيعة ، واسمه عمرو ، شاعر معمر (٤) ، وشيخان بن عبد شمس، تنسب إليه مقبرة شيخان بالبصرة ، كان يقتل الخوارج زمن زياد فقتله الخوارج (٥) .

أما الحارث بن كعب فيصرف بالأعرج ، وذلك لأن غيلان بن مالك بن عمرو ابن تميم ضربه على رجليه في حرب بينهم وبين بني سعد ، فصرع منها (٦) . وولد الحارث : عمرو وكعب ، وجشم ، وعوف (٧) . ومن رجالهم : زهرة بن حوية بن عبد الله ، قتل الجالينوس يوم القادسية وأخذ سلبه ، قتله شبيب الخارجي يوم منوق حكمة (٨) .

ومن بني عبد المزى بن كعب بن سعد بنو حِثَّان وكان فيهم بيت تميم في القديم (٩) .

-
- (١) الاشتقاق : ٢٥٢ .
 - (٢) المصدر نفسه : ٢٥٣ ،
 - جمهرة أنساب العرب : ٢٢١ .
 - (٣) الاشتقاق : ٢٥٣ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢١ .
 - (٤) الاشتقاق : ٢٥٢ ، المعارف : ٧٨ ،
 - جمهرة أنساب العرب : ٢٢١ .
 - (٥) الاشتقاق : ٢٥٣ .
 - (٦) جمهرة ابن الكلبي : ٨٣/١ ،
 - الاشتقاق : ٢٥٣ .
 - (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٨٣/١ .
 - (٨) المصدر نفسه : ٨٣/١ ،
 - الاشتقاق : ٢٥٣ - ٢٥٤
 - نسب عدنان وقحطان : ٩ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٧/٢ .
 - (٩) جمهرة ابن الكلبي : ٨٢/١ ، الاشتقاق : ٢٤٦ ،
 - جمهرة أنساب العرب : ٢٢١ .

وأنجب عمرو بن كعب بن سعد مَقَاعِسا ، واسمه الحارث (١) ، فأنجب مَقَاعِسا ، صَرِيحا ، وعبيدا ، وعميرا (٢) ، وربيعا ، وأضرما (٣) وعمرا (٤) .

ومن رجال بني صريم بن مقاعس : عبد الله بن إباح الخارجي رئيس الإباحية ، وعبد الله بن صفار الخارجي رئيس الشُّفَرِيَّة (٥) ، والمُزَكَّ بن عبد الله الخارجي ، ضرب معاوية فجرحه ، ومنهم كَهْمَس بن الملق وأخوه عَبْس الحروريان (٦) ، وَجَيْر بن ورقاء الصريمي ، كان سيدا بخراسان ، قتل بكبير بن وشاح الطاردي ، وكانا يتنازعا الرئاسة في خراسان ، ثم قتل بشارة ، فانقسمت تعيم على أمرها في فتنة يطول خبرها (٨) .

ومن بني عمير بن مقاعس : السَّليْك بن السَّليْكَة من الشعراء الصالحين المداعين (٩) .

وأما عبيد بن مقاعس فولده : مَنَقَر ، وعوف ، وعبد عمرو ، ومُسرَّة ، وهامر ونَجْدَة (١٠) وسَنَّان (١١) .

(١) سُمي الحارث مقاعسا يوم الكلاب حين قاتلوا بني الحارث بن كعب ، فتنادوا : " يال حارث " فاشتبه الاسمان ، فقالوا : " يال مقاعس " .

انظر الاشتقاق : ٢٤٦ ، النقاغي : ١ / ٢٤٠ ، المجالة : ١١٥ .

(٢) جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ .

(٣) جمهرة ابن الكلبي : ٧٨ / ١ ، نسب عدنان وقحطان : ٩ ، النقاغي : ١ / ٢٤٦ .

الاشتقاق : ٢٤٦ .

(٤) الاشتقاق : ٢٤٦ .

(٥) جمهرة ابن الكلبي : ٨٠ / ١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٨ .

المقد : ٣ / ٣٤٦ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٦ / ٢ .

(٦) الاشتقاق : ٢٤٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٨ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٦ / ٢ .

(٧) جمهرة ابن الكلبي : ٨٠ / ١ ، نسب عدنان وقحطان : ٩ ، الاشتقاق : ٢٤٧ .

(٨) تاريخ الطبري : ٦ / ٣٣٣ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٨ .

(٩) نسب عدنان وقحطان : ٩ ، الاشتقاق : ٢٤٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٧ .

المقد : ٣ / ٣٤٦ ، المقتضب من جمهرة النسب (مخطوط) : ٤٢ .

(١٠) جمهرة ابن الكلبي : ٧٨ / ١ ، نسب عدنان وقحطان : ٩ .

(١١) جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ .

وولد مَنقَر بن عبيد بن مقاعس : جَرُول ، وَصَخْر ، وَجَنْدَل ، وَحَزْن ، ويسمون
الْأَحْجَار (١) ، وَخَالِد وَفَقِيم وَأَسْمَد وَعُوف ، وَأَمَهُم رَقَاش بنت عامر (٢) .

ومن رجالهم : قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ، وقد علي النبي — صلى الله
عليه وسلم — فولاه صدقات قومه (٣) وكان سيداً حليماً خطيباً ، ومن ولده شَمْلَة
ابن بُرْدَة بن مَقَاتِل ، شارح خرج بالبادية فقتله محمد بن سليمان بن علي ، وَعَصِيْمَة
الْأَنْجَزَم بن عاصم بن قيس ، قُطِعَت يده يوم وَقِيَ مع بكر بن وائل (٤) ومنهم عمرو بن
الْأَهَم بن سَمِي بن سَنَان بن خَالِد ، وقد علي النبي ، وكان خطيباً مَفُوهً ، ومنهم
شَيْب بن شَيْبَة بن عبد الله بن عمرو بن الْأَهَم وَخَالِد بن عَفْوَان ، كَلِمَ خُطْبَاء (٥) ،
وفهم خطباء معروفون يطول ذكرهم (٦) .

ومن فرسان سعد في الجاهلية ، فَذَكِي بن أَعْبَد (٧) ، وكان ابنه مَسْحَر في عسكر
علي ثم حكم (٨) ومحرز بن حمران وابنه جَهِيْهَان بن مُحَرَز (٩) ، ومنهم الْأَمْسِيْن
الشاعر واسمه مُنَازِل بن ربيعة (١٠) وَالْقَمْقَاع بن سُوَيْد ، كان شريفاً بالكوفة (١١)
ومن رجالهم زيد بن مَرْدَاس ، كان على وفد تميم حين وفدوا على عُمَرَ ،

(١) الاشتقاق : ٢٥٠ .

(٢) جمهرة ابن الكلبي : ٢٨/١-٢٩ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ .

(٣) جمهرة ابن الكلبي : ٢٨/١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ ، المقتضب
من جمهرة النسب (مخطوط) : ٤١ ، الإنباء : ٧٧ ، الصبالة : ١١٥ ،

تاريخ ابن خلدون : ٦٥٥/٢ .

(٤) جمهرة أنساب العرب : ٢١٦-٢١٧ .

(٥) جمهرة ابن الكلبي : ٢٨/١-٢٩ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ .

تاريخ ابن خلدون : ٦٥٥/٢ .

(٦) الاشتقاق : ٢٥١ .

(٧) الاشتقاق : ٢٥٠ ،

جمهرة أنساب العرب : ٢١٧ .

(٨) جمهرة أنساب العرب : ٢١٧ ،

وفي الاشتقاق : ٢١٥ ، من بني المنبر .

(٩) الاشتقاق : ٢٥٠ ،

(١٠) المصدر نفسه : ٢٥١ .

(١١) جمهرة ابن الكلبي : ٢٨/١-٢٩ .

وهَمَّيَان بن قحافة الراجز، وعامر بن أُبَيْر، كان من ساداتهم وفرسانهم فسي
الجاهلية (١) .

أما بنو مُرَّة بن عُبَيْد بن مُقَاعِس فمن بطونهم بنو النَّزَال (٢) ، رَهْط الأَحْنَف
ابن قَيْس بن مَعاوية الخطيب الحلبي المعروف (٣) ، وعمه جَزْء بن مَعاوية بن سِن
حَصِين وله وفادة (٤) ، والأَسود بن سريع له صحبة (٥) ، وهِكرَاش بن ذُو عَيْسَب
له عرصة أيضا ، شهد الجمل مع عائشة (٦) .

ومن بني عبد عمرو بن عبيد : سلامة بن جندل الشاعر الحكيم (٧) ، ومن
بني عامر بن عبيد : زيد بن جَبَلَة كان شريفا ذا مروءة (٨) ، ومن بني ربيعة
ابن مقاعس ، ابن عرادة ، الشاعر (٩) .

- (١) الاشتقاق : ٢٤٥ ، ٢٤٨ .
- (٢) المصدر نفسه : ٢٤٩ .
- (٣) جمهرة ابن الكلبي : ٧٩ - ٨٠ ، نسب عدنان وقحطان : ٩ ،
الاشتقاق : ٢٤٩ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٧ ،
الإنباء : ٧٧ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٦ / ٢ .
- (٤) جمهرة ابن الكلبي : ٨٠ / ١ ، الاشتقاق : ٢٤٩ .
- جمهرة أنساب العرب : ٢١٧ .
- (٥) الاشتقاق : ٢٤٩ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٧ ،
الإنباء : ٧٧ ، الإسماعية : ٤٤ / ١ .
- (٦) الاشتقاق : ٢٤٩ ،
جمهرة أنساب العرب : ٢١٧ .
- (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٨٠ / ١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٧ ،
نسب عدنان وقحطان : ٩ .
- (٨) قال الأحنف : " كنا نخرق النحال في باب المروءة من بيت زبيد " ،
نسب عدنان وقحطان : ٩ .
- (٩) نسب عدنان وقحطان : ٩ ،
الخرزاة : ٣٦٥ / ٢ ،
ذيل الأمالي : ٣١ .

وأما ولد عوف بن كعب بن سعد فهم : عطار ، وبندلة وبجشم ، وبرئيق ،
وأصم السقفاء من باهلة (١) ويقال لهم الأجداع (٢) وقريش وعلباء (٣) .
ومن ولد بندلة بن عوف : خلف وحبه وعبد مناة وعامر ، وبرة ويقال لهم
مرة السيل ، لسيل جرفهم (٤) وأحيمر وعبيدة وأصم من بني عدي بن عبد
مناة (٥) .

ومن رجالهم الزبرقان بن بدر ، كان شاعرا وخطيبا ، وفد على النبي
— صلى الله عليه وسلم — وله عقب بالكوفة (٦) وعامر بن أحيمر بن خلف بن بندلة
صاحب بؤدي محرق ، ويعرف ببذي البردين (٧) .

ومن بني عطار بن عوف : كعب بن صفوان بن شجنة الذي كان يجيز
بالناس من عرفات إلى المزدلفة في الجاهلية (٨) ، وعوير بن شجنة الذي أجاز
قطين امرئ القيس عند انقضاء ملك كندة (٩) ، ومنهم بكير بن وشاح ولبي
خراسان بعد مقتل عبد الله بن خازم زمن عبد الملك ، ثم قتل فلمحق ابنه
محمد بن بكير بالترك ، وكانت سائر بني كعب بن سعد مع بكير بن ورقاء على
بكير (١٠) .

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي : ٨٠ / ١ ، الاشتقاق : ٢٥٤ .
 - (٢) المقد : ٣٤٧ / ٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٤٥ / ٢ .
 - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ١٦٣ .
 - (٣) جمهرة أنساب العرب : ٢١٨ .
 - (٤) جمهرة ابن الكلبي : ٨٠ / ١ .
 - (٥) المصدر نفسه : ٨٠ - ٨١ .
 - (٦) الاشتقاق : ٢٥٥ - ٢٥٦ .
 - جمهرة أنساب العرب : ٢١٩ ، الصحابة : ٢٩ .
 - تاريخ ابن خلدون : ٦٥٦ / ٢ .
 - (٧) النقائض : ٧١٣ / ٢ .
 - (٨) المعارف : ٧٩ ، النقائض : ٤٥٠ / ١ ، المقد : ٣٤٧ / ٣ .
 - جمهرة أنساب العرب : ٢١٩ ، تاريخ ابن خلدون : ٦٥٦ / ٢ .
 - (٩) الاشتقاق : ٢٥٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٩ .
 - (١٠) جمهرة أنساب العرب : ٢١٩ .

وأما قُريَع بن عوف بن كعب فولده : جعفر ، وهو أنف الناقصة - لقب بذلك لأن أباه ذبح ناقه فقسمها بين نسائه واعطى جعفرا رأسها ، فأقسمت بأنفها فقبل له ما هذا ؟ فقال : أنف الناقدة - وكان ولده يفضيئون منه إلى أن مدحهم الحطيئة به فقال :

توم هم الأنف والأذناب غيرهم

ومن يساوى بأنف الناقدة الذئب

فصاروا يفتخرون به (١) .

ومن ولد قُريَع أيضا حُددان بن قريع وعبدالله (٢) والأضبط بن قُريَع الشاعر رئيس تميم يوم مَيْط (٣) .

ومن رجال بني قُريَع : السَّخِيل الشاعر واسمه ربيعة بن عوف بن قُتَال ابن أنف الناقدة (٤) . وأوس بن مَخْرَاء الشاعر (٥) وأبو كَلْب الرَّاجِز (٦) . وبلاحظ أن كلمة تميم لم تعد تمني في العصر الأموي من ينتسب إلى قبيلة تميم وعدها ، وإنما أصبحت تضم قبائل أخرى شارك تيمم في أصل نسبها ، وتوالت معها حلفا واحدا كضبة ومزينة والرباب (٧) كما تطلق أحيانا أخرى لتشمل مضر في العراق وخراسان مقابل ربيعة والأزد (٨) .

(١) جمهرة ابن الكلبي : ٨١/١ - ٨٢ ، الاشتقاق : ٢٥٥ .

جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ ، المقد : ٣٤٧/٣ .

(٢) جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ .

(٣) جمهرة ابن الكلبي : ٨٢/١ ، المعارف : ٧٩ ، المقد : ٣٤٧/٣ .

(٤) الاشتقاق : ٢٥٦ - ٢٥٧ جمهرة أنساب العرب : ٢٢٠ .

(٥) الاشتقاق : ٢٥٥ ، المقد : ٣٤٧/٣ .

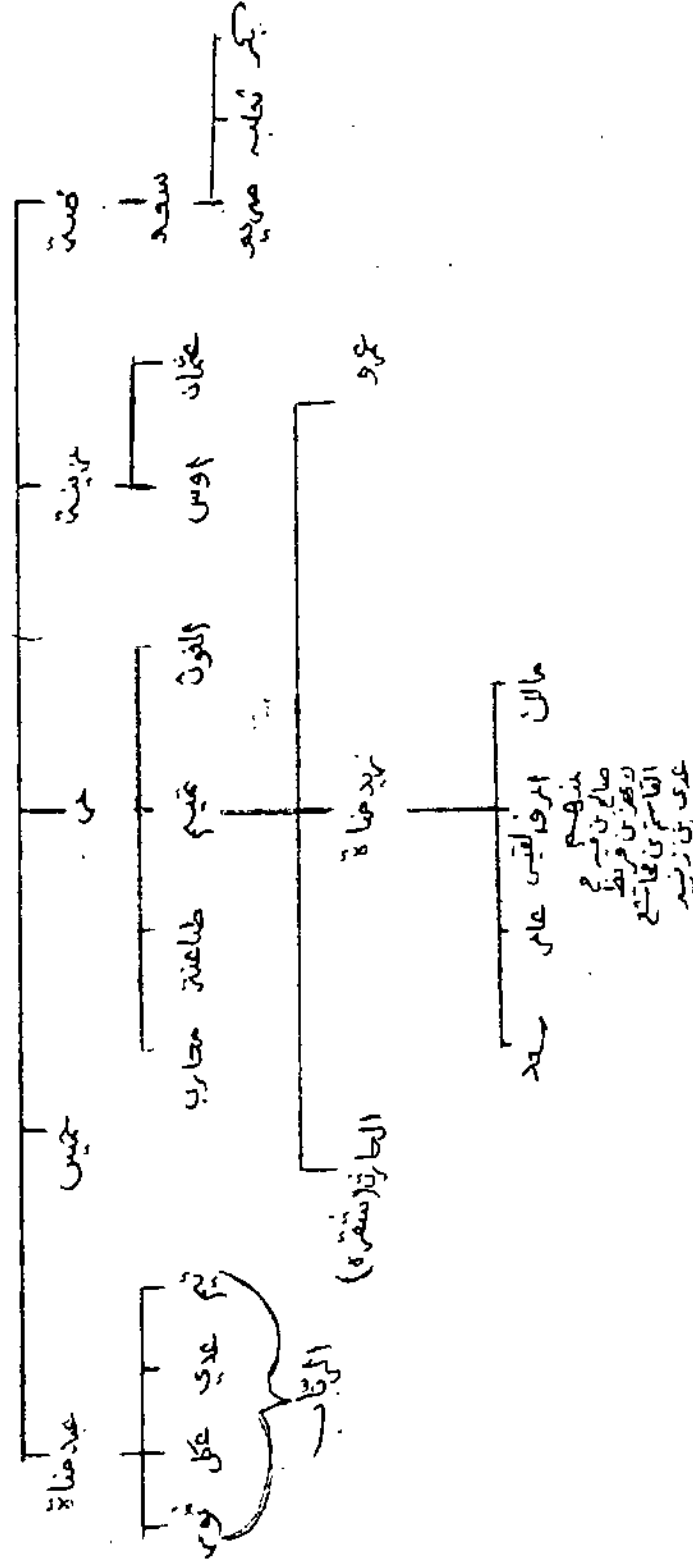
(٦) الاشتقاق : ٢٥٥ .

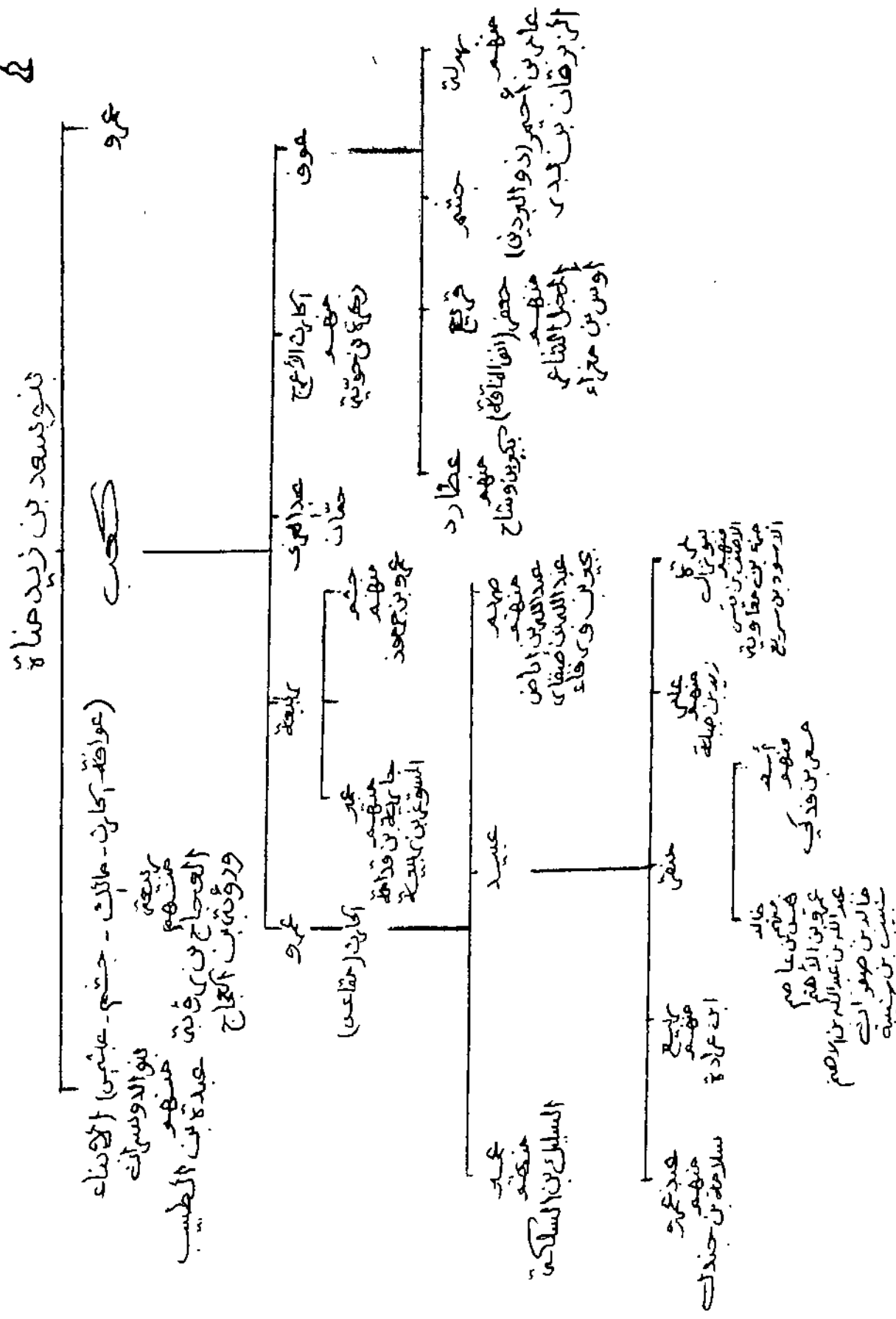
(٧) المصيبة القبلية : ٢٣٢ .

(٨) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٥٢٦/٥ .

نصار
عضو
أبياس
طابختا
أد

انسان تميم
وبطونها الكبرى





لما ظهر الإسلام كانت تميم تنزل جانبها كبرا من الساحل الشرقي لبلاد
المرب ، أي أنها نزلت بلاد نجد بأسرها تقريبا ، وجزءاً من البحرين ، وقسماً
من اليمامة ، فانتشرت منازلهم إلى البصرة واليمامة ، وإلى الحديب من أرض الكوفة ،
وامتدت جنوباً حتى فيافي الدهناء (١) وعمان (٢) .
وجاورهم في الشمال بنو أسد ، وفي الجنوب الغربي بادية غطفان ، وامتزجت
بمنازلهم بطون من عبد القيس وحنيفة وخاصة على الساحل الشرقي
والجنوبي ، كما امتزجت بمنازل بكر وتغلب في الشمال أيضاً (٣) .
والحد بينهم وبين عبس جبل زُرُود الرطلي (٤) ، وبينهم وبين قيس وادي التَّشِيرِ
أوله لَفْنِي وشرقيهم لَتَمِيم (٥) ، وبينهم وبين غطفان سَاجِر (٦) وتلتقي منازلهم
بمنازل بني أسد في مَتَالِيعٍ وَقَرِيٍّ (٧) والحد بينهم وبين بكر مَطَار (٨) ، وبينهم
وبين قشير وادي التَّروُت (٩)
وأعظم المنازل التي سكنتها بطون تميم هي : الدَّهْنَاءُ ، والحَزْنُ ، وبَيْرَيْنُ ،
والدَّقْرُ ، والسَّمَّانُ ، وفَلَجُ ، والسَّيْدَانُ ، والوَشْمُ (١٠) ، وبحضر نواحي اليمامة ،
وفيما يلي ديار بطون تميم في هذه المنازل :

-
- (١) معجم لهجة تميم : ١٥٢ ، تميم : تحركها وسياستها في الحراق والخليج
العربي في العصر الجاهلي : ١٢٠ ، حواشي كلية الانسانيات ، جامعة قطر ،
١٩٨٠ ، تاريخ ابن خلدون : ٢/٦٥٢ ، صبح الأعشى : ١/٣٤٧ .
(٢) معجم ما استمعج : ٨٧-٩٠ .
(٣) دائرة المعارف الإسلامية : مادة (تميم) ، معجم قبائل العرب : ١/١٢٦ ،
جرير ، حياته وشعره : ٨١-٨٢ .
(٤) معجم ما استمعج : ٦٩٦ .
(٥) المصدر نفسه : ٨٧٣ ، أبو علي الهجري وابحائه في تحديد المواقع : ٢٦٩ .
(٦) معجم ما استمعج : ٧١٢ .
(٧) مفة جزيرة العرب (ط ليدن) : ١٧٧ .
(٨) معجم ما استمعج : ١٢٦ .
(٩) بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر : ٢٧٤ - ٢٧٦ .
(١٠) معجم ما استمعج : ٦٦٧ ، ٦٥٥ ، ٦٩٥ ،
معجم البلدان : ٤/٧٠ ، ٢/٦٠٦ ،
٤/٩٢٧ ، ١/١٢٠ .

— منازل بني سعد بن زيد مناة :

- تمتد منازلهم من سَفَوَان إلى يَبْرِين وذلك أكثر من مسيرة شهر، وتمتد
عرضاً من البحر إلى الدُّهْناء مسيرة عشرين ليل تقريباً (١) .
ومن منازلهم : يَبْرِين : رمال لهم تمتد من اليمامة حتى تشرع في البحر
عند حضرموت (٢) ، وهي دون البحرين عن يمينها (٣) ، بينها وبين الأحساء
وهجر مرحلتان، وبينها وبين قلج ثلاث مراحل (٤) ، وفيها نخيل وعيون وأمواه (٥) ،
ينزلها منهم بنو عوف بن سعد وناس من بني عوف بن كعب وغيرهم (٦) .
والقاعة : وهي بجانب الستار نيل يَبْرِين (٧) ، فيها مياه كثيرة منها : العتيد
والطريفة لبني مالك بن سعد (٨) ، وفي القاعة أغار الحوْزَان على بني سعد
يوم جَدُود (٩) .
والستار : فيه أكثر من مئة قرية لأفناء سعد وأمرئ القيس بن زيد مناة ، ومن
هذه القرى : تَاج وُلُج ونِطَاع (١٠) .
والأحساء : تقع على ميلين من هجر ينزلها أخلاطهم (١١) ، وكان سوقها على
كثيب يسمى الجَرعاء تتابع عليه العرب (١٢) .
وبنو عوف عمان : قرب الأحساء ، فيها قرى ومياه يسكنها بنو عيشم بن سعد ،
وبنو مالك بن سعد ، وبنو عوف بن سعد (١٣) .

- (١) بلاد العرب : ٣٥ .
(٢) معجم ما استمع : ١٣٨٦ - ١٣٨٧ .
(٣) صفة جزيرة العرب : ١٣٧ ، أبو علي الهجري : ٣٨٩ .
(٤) معجم البلدان : ١٠٠٦/٤ .
(٥) بلاد العرب : ٣٤٣ .
(٦) صفة جزيرة العرب : ١٣٨ ، صحيح الأخبار : ١٨٤/٢ .
(٧) معجم البلدان : ١٧/٤ .
(٨) بلاد العرب : ٣٤٥ .
(٩) معجم ما استمع : ١٠٤٤ - ١٠٤٥ .
(١٠) بلاد العرب : ٣٤٦ - ٣٤٥ .
(١١) المصدر نفسه : ٣٤٣ .
(١٢) صفة جزيرة العرب : ١٣٧ .
(١٣) معجم ما استمع : ٨٢ ، بلاد العرب : ٣٤٤ .

ومن مواضعهم : يَتَرَبَّ، بالسُّود تَبِين اليمامة والوَشْم (١) ، وَرَشِي وَهِي خَبْرَاءُ فِي
أَعَالِي الصَّمَان (٢) وَهَمِير (٣) ، وَجَبِيهِمْ (٤) وَأَدَمَى وَالرَّوْمَان (٥) ، وَالسُّخَال
وهي من الحالية (٦) ، وَمُنْشِد (٧) وَمُحْبِل قَرَب اليمامة (٨) وَقَصْوَان (٩) وَالْقَذَاف
وَتَوَّان (١٠) وَالْبَلَاثِق (١١) ، وَالرَّمَانَتَان ، وَبَنَاءُ كَانَتَا لَعِيد الْقَيْسِ دُونَ كَمَجَر
شَم غَلَبَتْ عَلَيْهِمَا سَعْد (١٢) وَأَثَال مَالِك قَرِيَةِ لَهُم بِالْقَاعَةِ (١٣) وَبَيْنُونَةُ بِيْسَن
عَمَان وَالْبَحْرَيْن (١٤) وَبَنِيَان قَرِيَةِ بِاليمامة (١٥) ، وَحَامِر وَابِ فَرَاءَ بَحْرَيْن (١٦) ،
وَحَزُون (١٧) وَالْهَدَار قَرِيَةِ لِمَسِيلَةِ الْكَذَاب ، أَسْكَنَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
بَنِي الْأَعْرَج (١٨) ، وَالسَّبِيلَةُ لَبْنِي حِمَان (١٩) . وَالْجَهْرَاءُ لَبْنِي عَطَارِد (٢٠)
وَالسَّلَاحُ قَرِيَةِ بِالْبَحْرَيْن لَبْنِي عَطَارِد أَيْضًا (٢١) وَلَهُمْ خَصْرَاءُ قَرِيَةِ بِاليمامة (٢٢) .

(١) معجم ما استعجم : ١٣٨٨ ، معجم البلدان : ١٠٠٨/٤

(٢) معجم ما استعجم : ٦٧٩

(٣) المصدر نفسه : ٤٥٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٢٨

(٥) المصدر نفسه : ١٢٧ ، معجم البلدان : ٨٢٩/٢

(٦) معجم ما استعجم : ١٣٧١ .

(٧) معجم البلدان : ٦٦٢/٤

(٨) المصدر نفسه : ٤٢٢/٤

(٩) المصدر نفسه : ١٢٥/٤

(١٠) المصدر نفسه : ٤٣/٤

(١١) المصدر نفسه : ٧٠٧/١

(١٢) المصدر نفسه : ٨١٤/٢

(١٣) المصدر نفسه : ١١٦/١

(١٤) المصدر نفسه : ٨٠٢/١

(١٥) المصدر نفسه : ٧٤٩/١

(١٦) المصدر نفسه : ١٨٨/٢

(١٧) صفحـة جزيرة الحرب : ١٦٢-١٦٣

(١٨) معجم البلدان : ٩٥٥/٤

(١٩) المصدر نفسه : ٣٧/٣

(٢٠) المصدر نفسه : ٣٦/٢

(٢١) المصدر نفسه : ١٢٦/٣

(٢٢) المصدر نفسه : ٤٥١/٢ .

ومن مياه بني سعد :

الحَسَجَرِيَّة (١) ، وَسَلْحَة ، وكَاظِمَة وَالْوَفْرَاء ، من أمواه المصحاب أسفل مسن الدَّوْ ، والسَّيْدَانِ ابني عمرو بن كعب وبني الحِمْيَار (٢) ، والثَّرْمَلِيَّة ، ماء لبني عطار باليمامة (٣) والفَرَزِير قرب اليمامة في ثقف عند القَرْكَة لبني عطار (٤) ، وتِيَّاس نانت فيه حُرب بين سعد وعمر بن تميم (٥) ، والدَّخْرُوسِ وَوَسِيح ، ويقال لهم الدَّخْرُوسَانِ ماءً ان عظيمَان وراء الدَّهْنَاء لبني مالك بن سعد (٦) ، والْمُصَيِّم (٧) والْتَدَاعِ ماء لبني الأعرج في الحرمة على يسار الجَرْبَاء (٨) ، والْمُفْطَرِير ماء بالدَّهْنَاء عليه نخيلات لهم (٩) ، والأَصْهَبِ ماء قرب المَرْوَت لبني عَمَان (١٠) ، ووادي بَنِيَان ينهل من الدَّهْنَاء باليمامة في رِيَّاس ، يقال لها السَّلْي (١١) ووادي شَبْرْمَان لبني كعب بن سعد (١٢) ، والخَيْلَانَة ماء لهم بالحرمة (١٣) ، وحَضْر سعد ماء لهم وراء الدَّهْنَاء بهذا الحرمة (١٤) ، وطَوْبَلَع ، ماء عليه قباب يقع بين حجر والبصرة ، وله أفواه بعضها لسعد وبعضها لقيس وبعضها لنبهة (١٥) ولهم بَدَان وادي المَتَكَة (١٦) ، ووجدود (١٧) ، وعين الحَنْدِ عَظِيمَا نخيل

-
- (١) معجم البلدان : ٦٧٢/٣ .
 - (٢) بلاد العرب : ٣٥٠ .
 - (٣) معجم البلدان : ٩٢٢/١ .
 - (٤) معجم البلدان : ٨٠٠/٣ ، بلاد العرب : ٣٦٣ ، صحيح الأخبار : ٢٣/٥ .
 - (٥) معجم ما استعجم : ٣٢٨ .
 - (٦) معجم ما استعجم : ٥٤٤ ، معجم البلدان : ٥٥٦/٢ ، بلاد العرب : ٣٤٨ .
 - (٧) معجم البلدان : ٨١٨/٣ ، بلاد العرب : ٣٢٨ .
 - (٨) معجم البلدان : ٧٧٢/٢ ، بلاد العرب : ٣٠٦ .
 - (٩) معجم البلدان : ٢٩٦/٤ .
 - (١٠) معجم البلدان : ٣٠٣/١ ، بلاد العرب : ٣٦٤ .
 - (١١) معجم البلدان : ٧٤٢/١ ، بلاد العرب : ٣٠٣ .
 - (١٢) معجم ما استعجم : ٧٧٨ .
 - (١٣) بلاد العرب : ٣٠٦ .
 - (١٤) بلاد العرب : ٣٠٨ ، معجم البلدان : ٢٩٤/٢ .
 - (١٥) بلاد العرب : ٣١٤ .
 - (١٦) بلاد العرب : ٣٢٨ .
 - (١٧) صحيح الأخبار : ١٠٩/٥ .
 - (١٨) معجم ما استعجم : ٣٧٢ .

بوادي السّتار (١) ، وما حَمَامَة بِالْحَرَمَة (٢) ، وَتَرَمْدَاء ماء في وادي السّتار (٣) ،
والفُرُوق بين هجر ونجد ، كان فيه يوم لعيس علي سمد (٤) ، وما كُنْهَمِل بِهَدَان
غِسْرٌ وقع عليه يوم من أيامهم (٥) والتّنجاج وتَيْتَل ماء ان بالبحرين ناحية دُوَيْلَع ،
لبنّي مالك بن سمد (٦) والتّدي (٧) .

ومن رمالهم : - بَوَزَع (٨) ، ورمل مُحَفَق ، أسفل الدّهْناء (٩) ، وَتَرْنَى (١٠) ،
والخريف ، والخزاف (١١) ، ورمال الدّهْناء (١٢) ورمال بَهرَيْن (١٣) والحَرَمَلِيّة (١٤) .
ومن جبالهم : عَطّالَة ، جبل منيف بالسّودة (١٥) وجبل مُنِيع بالدّهْناء (١٦) ،
وجبل بُسَيّان (١٧) وَأَنَاخَة والأَشْيَمَان جميعها بالدّهْناء (١٨) .

منازل امرئ القيس بن زيد صاة : -

انتشرت منازلهم بالشّوّم والسّتار وبعض نواحي اليمامة .
ومن منازلهم بالشّوّم : الشّقْرَاء وأشْيَقَر ، ورمال الرّغَام ويقع شرقي الشّوّم
به قرى كثيرة لهم (١٩) والقَصَبِيّة بهذا الرّمادة ، وبها يوم للمرو بن هند وهو يوم
أَوَارَة (٢٠) . ومراة قريبة بالشّوّم

-
- (١) معجم البلدان : ٣٥٠ / ٣ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٣٠ / ٣ .
(٣) المصدر نفسه : ١ / ٨٤٣ ، ٩٢٢ .
(٤) المصدر نفسه : ٣ / ٨٨٦ .
(٥) بلاد الحرب : ٣٤٤ .
(٦) معجم ما استعجم : ١٢٦١ ، بلاد الحرب : ٣٤٨ ، وصحيح الأخبار : ١٣٣ / ٥ .
(٧) معجم ما استعجم : ٢٣٣ .
(٨) المصدر نفسه : ٣١٠ ، ٢٨٤ ، معجم البلدان : ٧٥٦ / ١ .
(٩) معجم البلدان : ٤٤٣ / ٤ .
(١٠) معجم ما استعجم : ٣١٠ .
(١١) المصدر نفسه : ٩٤٢ .
(١٢) بلاد الحرب : ٢٧٧ .
(١٣) معجم ما استعجم : ٤١٤ .
(١٤) معجم البلدان : ٦٨٥ / ٣ .
(١٥) المصدر نفسه : ٦٨٥ / ٣ .
(١٦) المصدر نفسه : ٦٧٢ / ٤ .
(١٧) معجم ما استعجم : ٢٥٠ .
(١٨) معجم البلدان : ٢٨٧ ، ٣٦٧ / ١ .
(١٩) بلاد الحرب : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
(٢٠) معجم ما استعجم : ١٠٧٨ ، معجم البلدان : ١٢٦ / ٤ ، بلاد الحرب : ٢٧٤ ، صفة جزيرة الحرب : ١٨١ .

نواحي اليمامة بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النَّبَّاح ، وهي من قسرى
مسيلة ، سبى خالد أهلها في حروب الردة فغلب عليها بنو امرئ القيس (١)
ابن زيد مائة (١) وجعل الوشم لبني امرئ القيس (٢) .

ومن منازلهم بالستار ، ناحية البحرين ما يزيد على مئة قرية لهم ولأقناء سمد ،
ولهم وادي الأجدلان (٣) ووقع في الستار يوم بين بكر وتميم (٤) .

ومن منازلهم نواحي اليمامة : الخبراء (٥) والرمادة وقرماء ، قرى ذات نخيل (٦)
وماء تمسح (٧) ومنخفض الهزيم فيه نخيل وقرى لهم (٨) وجوف بهمداء (٩) ، وماء
قرقرى (١٠) .

أما منازل ربيعة الجوع بن مالك فهي بالوشم . ومن مواضعهم رماح جهوار
عازب من ديار يشكر (١١) ، وشعب سحنان لهم فيه نخل (١٢) وحفر موسى (١٣)
وماء الأمسليح (١٤) .

منازل بني عمرو بن تميم :

من المواضع التي سكنها بنو الهجيم بن عمرو بن تميم : السميئة بين البصرة
والنَّبَّاح (١٥) وذو أضم قرب السميئة ، والحناطيل (١٦) ،
أما منازل بني أسيد بن عمرو فمنها الصريف وتقع من النبساس

-
- (١) معجم البلدان : ٤/٤٨١ حقة جزيرة العرب : ١٨١ ، بلاد العرب : ٢٧٣
 - (٢) بلاد العرب : ٢٧٣ .
 - (٣) معجم البلدان : ١/١٣٣ .
 - (٤) المصدر نفسه : ٣/٣٨
 - (٥) المصدر نفسه : ٤/١٧٨
 - (٦) معجم البلدان : ٢/٨١٣ ، بلاد العرب : ٢٧٤
 - (٧) معجم البلدان : ٤/١٧٨
 - (٨) المصدر نفسه : ٤/٩٧٤
 - (٩) المصدر نفسه : ٢/١٥٧
 - (١٠) المصدر نفسه : ١/٧٦٦
 - (١١) معجم ما استعجم : ٦٧١ ، ٦٧٢ .
 - (١٢) معجم البلدان : ٣/١٤٠
 - (١٣) المصدر نفسه : ٤/٦٨١
 - (١٤) المصدر نفسه : ١/٣٦٦
 - (١٥) معجم البلدان : ٤/١٥٣ ، بلاد العرب : ٢٦٧
 - (١٦) بلاد العرب : ٣٥٥ .

على عشرة أميال (١) ، ومن مياههم ماء الشقيق والجُملة وهي مياه عظيمة من النّجّاج ، وماء المَوْسَجَة والجَلِيل والسَّفَط (٢) ، والدَّيْرَان " بمفجر وادي الرّمة من من التّنعيم عن يسار طريق الحاج المصعد " (٣) .

وأما ديار بني المنبرين عمرو فأبرزها وادي الققي ، في طريق عارض اليمامة نزله بنو المنبر بمد حرب المرتدين لأنّه خلا من أهله أصحاب مسيلمة ، ولهم به ماء مَوْشُوم وادي الققيّ كثير النخل والآبار (٤) ، وجانب هذا الوادي تمتد قنارة بني المنبر ، وهي مجهلة على عينة أكمة جبل منقطع ، في رأسه بئر على مئة بوع ، وحواليها الضياع والنخيل (٥) .

ومن منازل بني عدي من جندب وادي فلج ، يمتد من عصى ضريبة حتى قرب البصرة ، يفرق بين الحزن والصّمان ويصرف باسم وادي الباطن (٦) . وروقة فلج وهي خبّاء من سدر على بطن فلج حيث يصب نوح (٧) فمنازلهم منتشرة بين الدوّ والصّمان (٨) ، وتلتقي منازلهم بالصّمان مع منازل بني دارم وضبة (٩) .

ومن مياه بني المنبر :-
الأسيلة (١٠) والصّمان لبني كعب بن المنبر (١١) وتبرك (١٢) والخرايق (١٣) والموجدة (١٤) ، وماوية بطن فلج (١٥) ، وحفر بني المنبر (١٦) ، ولهم باليمامة معال ترغشة (١٧) والخل (١٨) ، والأعرسة (١٩) .

-
- (١) معجم البلدان : ٢٨٤ / ٢
 - (٢) بلاد العرب : ٣٥٦ - ٣٥٧
 - (٣) معجم البلدان : ٦٣٩ / ٢
 - (٤) المصدر نفسه : ٦٨٢ / ٤ ، ٩٠٦ / ٣
 - (٥) معجم البلدان : ٩٠٦ / ٣
 - (٦) معجم البلدان : ١١٠ / ٣ ، بلاد العرب : ٢٤٢
 - (٧) معجم ما استعجم : ٨٩٣
 - (٨) بلاد العرب : ٢٤٨ .
 - (٩) المصدر نفسه : ٢٩٦
 - (١٠) معجم البلدان : ٢٧٢ / ١
 - (١١) بلاد العرب : ٢٥٢
 - (١٢) معجم البلدان : ٨٢٠ / ١
 - (١٣) المصدر نفسه : ٤١٦ / ٢
 - (١٤) بلاد العرب : ٢٥٠
 - (١٥) معجم ما استعجم : ٨٩٥
 - (١٦) بلاد العرب : ٣٣٩
 - (١٧) معجم البلدان : ٥٣٠ / ٣
 - (١٨) المصدر نفسه : ٤٦٤ / ٢
 - (١٩) المصدر نفسه : ٣١٥ / ١

أما بنو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم فمن مواضعهم : المَيْكَمَان (١) ،
وفلج ، ويتبع قريبا من الأحقار (٢) .

ومن مياههم : الرِّبْرَة بطن الحَمَادَة (٣) ، وسَفَار منهل بين البصرة والمدينة
قبل ذي طار ، وفيه يوم من أيامهم (٤) ووادي ذي عُشْر بين البصرة ومكة من نواحي
نجدة (٥) ، وماء سَقَوَان بين ديار بني شيبان وبني مازن قريب من البصرة ، غلبت
عليه بني تميم وأهم فيه يوم (٦) .

وماء التَوَيْقِي ولهم به وقائع مع بكر (٧) ، وثَمَد الكلب وثَمَد الفارسي لبني الحُرْمَاز
ابن مالك بن عمرو (٨) .

منارل بني حنظلة :

تنتشر منازل بني حنظلة في الصَّحَاء والدَّهْنَاء والحَزْن (٩) .
أما الصَّحَاء فأرض بها غلظ وارتفاع وقيمان واسمة وخبارى تثبت السُّدُر، ورياض
كثيرة ، وإذا أخضبت رُيِّمَت العرب بهيما ، والصَّحَاء مناخم للدَّهْنَاء (١٠) .
أما الدَّهْنَاء فهي رمال واسمة في طريق اليمامة إلى مكة لا يُحَرَف طولها ،
وأما عرضها فثلاث ليال ، وهي على أربعة أميال من حجر ويقال في المثل
: "أوسع من الدَّهْنَاء" (١١) .
وكان الصَّحَاء في قديم الدهر لبني حنظلة والحَزْن لبني يربوع والدَّهْنَاء
لجماعتهم (١٢) .

ومن بلادهم الجَوَاف ، أرض واسمة يشتركون بها مع بني أسد (١٣) وتشترك
القبيلتان برملة الشَّيْخَة أيضا (١٤) .

-
(١) معجم البلدان : ٣٥٩/٤ .	(١٣) معجم ما استعجم : ٣٨٦ .
(٢) المصدر نفسه : ٩١٦/٣ .	(١٤) معجم البلدان : ٣٤٨/٣ .
(٣) المصدر نفسه : ٥١٤/٤ .	
(٤) معجم ما استعجم : ٧٣٩ ، معجم البلدان : ٩٥/٣ .	
(٥) معجم البلدان : ٦٧٩/١ .	
(٦) معجم ما استعجم : ٧٤٠/٣ .	
(٧) معجم البلدان : ٩٣٤/٤ .	
(٨) بلاد العرب : ٣١٩ - ٣٢٠ .	
(٩) معجم البلدان : ٤١٦/٣ - ٤١٧ .	
(١٠) المصدر نفسه : ٤١٦/٣ .	
(١١) معجم ما استعجم : ٥٥٩ .	
(١٢) معجم البلدان : ٤١٧/٣ .	

ومن مياههم : وادي الحرق (١) ، والواهي والمقدحة (٢) ، والقرآن وذومخ (٣) .
 أما بنو يربوع فتنتشر منازلهم بالحزن المعروف بحزن بني يربوع، وشوق غليظ مسيرة
 ثلاث ليال في مثلها يمتد بين الكوفة وفيد (٤) وهو من أجل مراح الحرب،
 ومن منازلهم بالحزن : الأملحان لبني سليط (٥) ، والحديقة في ثلة الحزن لبني
 حميري بن رياح (٦) والجلاميد (٧) وأول وبه يوم عن أيامهم (٨) ، وخوق (٩) ،
 والأجقر انتزعت منهم جذيمة في أول الإسلام (١٠) ، والمجازة وهي بأسفل الشيفة
 عن يسار الحزن من بلدان فلج لبني رياح (١١) ، والصمد لهم به يوم على بكر (١٢) ،
 والأفاقة قرب الحمصي من الحزن لهم به يوم على بكر أيضا (١٣) ، والبجاج قاتل فيها
 خالد بن الوليد أهل الردة من تميم وأسد (١٤) ، وذو كرب (١٥) ، والنفذة ببطن
 ذي ألو (١٦) وفردوس الإيا ، وقبيل الفرث وس باليمامة ، لهم فيه يوم على بكر (١٧)
 والجوفاء فيها أماكن ومياه لبني سليط حوالي اليمامة (١٨) ، وأثيبة قرية لبني كليب
 بالوشم من أرض اليمامة (١٩) .
 ومن مياههم : زنباب والقوارة (٢٠) ، والزياء (٢١) ، والبغعاء والجوفاء ، جميعها
 لبني سليط (٢٢) ، والجوف (٢٣) ، والثبانية بأرض اليمامة ، لبني كليب بن يربوع (٢٤) ،
 والأقحوانة (٢٥) .

-
- (١) معجم البلدان : ٣/٦٥١ ، ٨١٨
 (٢) معجم ما استعجم : ١١٦٥ ، ١٢٥١ .
 (٣) ذيل الأملح : ٧٣ .
 (٤) معجم ما استعجم : ١٣ معجم البلدان :
 (٥) معجم ما استعجم : ١٩٥ .
 (٦) معجم البلدان : ٢/٢٢٦
 (٧) المصدر نفسه : ٢/٢٧٢
 (٨) المصدر نفسه : ١/٣٦٨ .
 (٩) بلاد العرب : ٥٨ .
 (١٠) معجم ما استعجم : ٨٤١
 (١١) معجم ما استعجم : ٢٥٦
 (١٢) معجم البلدان : ١/٦٦١ .
 (١٣) معجم ما استعجم : ٨٩٣ .
 (١٤) المصدر نفسه : ٢/١٥٦
 (١٥) معجم البلدان : ٢/٢٥٢
 (١٦) معجم البلدان : ٢/١١١
 (١٧) معجم ما استعجم : ٤٠٥
 (١٨) المصدر نفسه : ١/٣٣٣ ، بلاد العرب : ٢٩٩ .
 (١٩) معجم البلدان : ٣/٢٩٢ ، ٧٧٤
 (٢٠) بلاد العرب : ٢٧٤
 (٢١) بلاد العرب : ٢٦٨
 (٢٢) المصدر نفسه : ١/٧٠٠
 (٢٣) معجم البلدان : ٢/٧٤٨
 (٢٤) معجم ما استعجم : ٢٩٩ .
 (٢٥) المصدر نفسه : ١/٣٣٣ ، بلاد العرب : ٢٩٩ .

وماء أعشاش بالحزن ، كان فيه يوم لتعيم على بكر (١) وماء إرأب كانت به وقعة
لتغلب على بني رياح بالحزن (٢) ، وماء حائل في بطن المروء (٣) وأبار النباريس (٤) .

أما بنو طهية ، فمن منازلهم النقة (٥) والبوضة بين نجفة المروء ورملة
جراد (٦) .

ومن مياههم : حثين بطن الخال (٧) ، وماء ماسيط بالسرا (٨) ، ومن منازل بني
الحيدوية ، الطارقة (٩) ، وجنب بأرض اليمامة (١٠) ووادي أشي ولهم منازل في بطن وادي
الزومة (١١) .

منازل بني دارم

من مواضعهم أشبد ، قرية بالبحرين ، سكنها بنو عبد الله بن دارم فنهوا إليها (١٢)
وسرا (١٣) ، ورامة ، منزل بينه وبين الرمادة ليلة على طريق البصرة ، وهي آخر بلاد
بني تميم (١٤) ، وبرقة شهد (١٥) ، وقاع الشرا لبني نهشل (١٦) .
ومن جبالهم : المقر ، جبل بكاظمة (١٧) ، وجبل ستام بين البصرة واليمامة (١٨)
وجبل أتان بين فيد والنهبانية لبني مناف بن دارم (١٩) .

-
- (١) معجم ما استمع : ١٧١ ، معجم البلدان : ١ / ٣١٥ ، بلاد الحرب : ٢٨٣ .
 - (٢) معجم ما استمع : ١٣٣ ، معجم البلدان : ١ / ١٨٠ .
 - (٣) معجم البلدان : ٢ / ١٩١ .
 - (٤) المصدر نفسه : ٤ / ٧٣٧ .
 - (٥) بلاد الحرب : ٢٦٦ .
 - (٦) أبو علي الهجري : ٢٨١ .
 - (٧) معجم البلدان : ٢ / ٣٠٠ .
 - (٨) المصدر نفسه : ٤ / ٣٩٤ .
 - (٩) المصدر نفسه : ٣ / ٥٣٦ .
 - (١٠) المصدر نفسه : ٢ / ١٢٥ .
 - (١١) معجم ما استمع : ١٦٠ ، معجم البلدان : ١ / ٢٨٧ ، بلاد الحرب : ٢٦٠ .
 - (١٢) معجم البلدان : ١ / ٢٣٧ .
 - (١٣) المصدر نفسه : ٣ / ٨٨ .
 - (١٤) المصدر نفسه : ٢ / ٧٣٨ .
 - (١٥) المصدر نفسه : ١ / ٢٨٩ .
 - (١٦) معجم ما استمع : ٨٧٣ ، أبو علي الهجري : ٢٦٩ .
 - (١٧) معجم البلدان : ٤ / ٦٠٥ .
 - (١٨) المصدر نفسه : ١ / ٢٨٩ .
 - (١٩) المصدر نفسه : ١ / ٧٥ .

ومن مياههم : الجرباء قريبة من كويلج (١) وقنور بين كويلج والرمادة لبني مناف بن دارم (٢) وشجرة قريب من الشيطين ، وقع فيه يوم لكر على تميم (٣) ، والرمادة ، مسا عظيم ناعية الدؤ (٤) ، والورل لبني عبدالله بن دارم (٥) ، وحائل ماء لبني أبان بن دارم من دون بطن الرمة يحاذي شجراً من قدامه وعن يمينه (٦) ، والوقيظ وزرود لبني مجاشع بالبادية غيرهما ، كانت فيهما حرب بين بكر وتميم (٧) ، والقرعاء ، أسفل الصمان بينه وبين الدؤ ، لبني عبدالله بن دارم ، بها بركة لبني غداة بن يربوع أيضاً ، وكان بها يوم بين دارم وبربوع (٨) ، ولهم صنعة الخمر بالصمان (٩) ، ولصاف ، جنب القرعاء ما يلي الفلج لبني نهشل (١٠) ، وماء التميمية لبني مجاشع بها يوم من أيامهم (١١) والشيطان ، واديان لبني دارم أحدها كويلج .
لبني دارم نصف ماء ، وقع فيهما يوم من أيام الحرب مشهور (١٢) .

-
- (١) بلاد الحرب : ٣٥٤ ، وهي غير الجرباء ، التي بالحرمة لبني سعد ،
 - (٢) المصدر نفسه : ٣٥٤ ، التاج : مادة (قنور)
 - (٣) معجم البلدان : ١١٦/١ ، بلاد الحرب : ٣٥٤ .
 - (٤) بلاد الحرب : ٣٥٤ - ٣٥٥ .
 - (٥) معجم البلدان : ٤٠٠/١
 - (٦) المصدر نفسه : ٥٨٦/٣ ، معجم ما استمع : ١١٣
 - (٧) معجم ما استمع : ١٣٨٢ ، معجم البلدان : ١٣٧/٤ (الوقيظ)
 - (٨) بلاد الحرب : ٣٥١ .
 - (٩) المصدر نفسه : ٣٥١ ، ٢٦٦
 - (١٠) بلاد الحرب : ٣٥٣ ،
 - معجم البلدان : ٣٥٣/٤ .
 - (١١) معجم ما استمع : ١١٦٥
 - (١٢) معجم البلدان : ٣٥٦/٣ .

ما كادت الدولة الإسلامية تفرغ من حرب المرتدين ، حتى وجهت همتها إلى فتح الأقطار المجاورة ، تلبية لداعي الجهاد ، ونشر الإسلام ، واستثمارا لطاقة القبائل الكامنة التي استثمرت بالغزو والحروب في الجاهلية ، فأخذت الجماعات القبلية تضاد منازلها الأولى ، لتتخذ لها مواطن جديدة في البلاد المفتوحة ، وقد وجدت القبائل في هذه البلاد أقصى ما تتمناه من حيث الخصب وتوافر الأمواه والخيرات (١) فسارعوا اليها " بين محتسب ونامع " (٢) .

وقد عبر خالد بن الوليد عن وفرة الخيرات في البلاد المفتوحة في خطبة له بالعراق بعد هزيمة الفرس يوم الولاية قال : " ألا ترون إلى الطامام كرفخ التراب ، وبالله لو لم يلزما الجهاد في سبيل الله ، والدعاء إلى الله عز وجل ، ولم يكن إلا المماشر ، لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولي الجوع والإتلال من تولاه من أثقل عما أنتم عليه " (٣) ، لذا أثر الناصر إقامة في البلاد المفتوحة ، وتوافدت اليها جماعاتهم ، وأنشأوا الأمصار الجديدة كالمصرة والكوفة وغيرهما ، فانتقلت مراكز الاحتكاك القبلي من الجزيرة العربية إلى مواطن جديدة ولا سيما العراق وخراسان والشام ، وتفرقت بطون القبائل في أرجاء الدولة الإسلامية الواسعة لتتجمع من جديد في إطار روابط النسب الواسعة كالحمدانية والقحطانية والمضرية والربيعية وغير ذلك (٤) .

ومن الحسیر أن نتبع خطى قبيلة تميم منذ بدأت حركة الفتح إلى أن استقرت في مواطنها الجديدة ، فليس لدينا من الأخبار الدقيقة ما يبيننا على ذلك ، كما أن تاريخ القبيلة مرتبط أشد الارتباط بالقبائل الأخرى بالمصر الواحد

(١) د . إحسان النمر ، الحصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ،

دار الميقاتة العربية ، بيروت ، ١٩٦٣ : ٢١١ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ليدن ١٩٦٨ : ١٠٧ .

(٣) تاريخ الطبري : ٣/٣٥٤ ،

وانظر تاريخ ابن الأثير : ٢/٤٨٨ .

(٤) الحصبية القبلية : ٢١٢ .

وبسياسة الدولة الأموية وتحيّزها لقبيلة ما على حساب الأخرى، أي أن الحديث عن تحرك تميم يقتضي الإلمام بتحركات غيرها، حتى تتضح علاقتها بخيرها من القبائل عند التفرّص لدور تميم في أحداث المضر.

وقد انتشرت بطون تميم في العراق وخراسان وما والاها، وساهمت في معظم أحداث المصميين الإسلامي والأموي هناك، وليس من السهل إعطاء صورة دقيقة لبطون تميم التي استقرت في الأمصار الجديدة أو عدد أفرادها، لأن تحريك القبيلة لم يخضع لجدلة دقيقة تحدّد خط سيرها ومواطن نزولها، وبالمثل ما تستقر هذه القبائل بالمصر الذي اشتركت في فتحه، ثم تندب لفتح مناطق أخرى فتستقر جماعات منهم هناك بعد الفتح وهكذا، ويفسر لنا ذلك نزول بطون القبيلة الواحدة في مواطن شتى (١).

ويلاحظ أن بعض القبائل كانت ترغب في الهجرة إلى بعض المواطن دون غيرها لأسباب قبلية وأخرى بغيضة، ولوحظ بصورة عامة أن أهل اليمن كانوا ينزعون إلى الشام ومواطن أسلافهم، وكانت مضر تنزع إلى العراق، لما كان لها من تجسس عارب سابقة في قتال الفرس (٢).

وليس من شأن هذا البحث تفصي كل مكان وجدت فيه بطون تميم بل سيكتفي بتتبع تميم في الأماكن التي نشطت فيها، والتي كان لها أثر بارز في اجتواء الأحداث إبان صدر الإسلام والمصر الأموي وهي: البصرة والكوفة وخراسان.

(١) حركة المضر في قبيلة قيس: ٢١٣.

(٢) فتوح البلدان: ٢٥٣.

وتاريخ الطبري: ٤٤٤/٣.

كان تصميم الكوفة في السنة السابعة عشرة على الأرجح (١) لتكون معسكرا ثانيا قريبا من ميدان القتال مع البصرة، فبعد أن فرغ سعد بن أبي وقاص من فتح المدائن بحث إليه عمر يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيراونا ومقر لجهاد (٢) فاختر سعد المدائن، فاستوواها المسلمون، فكتب عمر إلى سعد :

" إن الحرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل، فأرتد لهم موضعنا عدنا ولا تجعل بيني وبينهم بحرا" (٣) فتحول سعد إلى الكوفة واختطها (٤) .

وكان المسجد أول ما اختط فيها، ورأى سعد أن يتخذ منه نقابة البدء، ففرع من المسجد خمسة عشر منهاجا (٥)، ووجد أن عليه أن يرضي الحد ثانية واليمينية كليهما عند التوزيع، لأن المنطقة الجنوبية الغربية من الفرات أفضل من المنطقة الغربية المجاورة للصحراء، فافتقر بينهما فخرج الجانب الأيسر من المسجد في سهم أهل اليمن وصارت خلطهم في الجانب الشرقي وصارت خلطهم في الجانب الغربي (٦) وتوزع الناس على الخطوط وفق قبائلهم (٧)، بكل قبيلة تنزل في حـيـي معين لا يشاركها فيه إلا حلفاؤها وأفرادها الجدد الذين يغدون من الصحراء (٨)، فأقامت الأنصار، ومزينة وتيم ومحارب وأسد وعامر شرقي المسجد، وبجيلة وبجيلة وجديلة وبجيلة واخلاط غربي المسجد، وسليم وثقيف وهمدان وبجيلة وتيم اللات وتغلب شمالي المسجد، والنخع وكندة والأزد جنوبي المسجد (٩) .

(١) فتوح البلدان : ٢٢٥، معجم البلدان : ٤ / ٣٢٣ .

(٢) فتوح البلدان : ٢٧٥، تاريخ الطبري : ٤ / ٤٢ .

(٣) فتوح البلدان : ٢٧٦، تاريخ الطبري : ٤ / ٤١ .

(٤) فتوح البلدان : ٢٧٥ .

(٥) فتوح البلدان : ٢٧٦، معجم البلدان : ٤ / ٣٢٣ .

(٦) فتوح البلدان : ٢٧٦، معجم البلدان : ٤ / ٣٢٣، خطط الكوفة : ٢٧ .

تيم : تمركزها وسياستها في العراق والخليج العربي في العصر الجاهلي

: ١٢٦ .

(٧) اليمقوي، البلدان، (ط. ليدن) : ٣١٠، فتوح البلدان : ٢٧٦ .

(٨) انظر ابن سعد، الطبقات الكبير (ط. ليدن) ١٩٠٩ : ١٠ / ١٣٤-١٦، ٢٥ .

وحياة الشمر في الكوفة : ٣٢ .

(٩) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٤ .

خطط الكوفة : ١٠، ١١ .

وقسم جند الكوفة أول الأمر إلى أعشار وروعي فيها المبدأ القبلي ، ولا نجد ذكراً لأسماء القبائل التي تألفت منها الأعشار وإنما جاء في الطبري : " أن أعشار الكوفة رجح بعضهم بعضاً رجحانا كثيراً " (١) فكتب سعد إلى عمر في تعديلهم فوافقه على ذلك ، واستعان سعد بقوم من نسابي العرب وذوي رأيهم وعقلانهم ، فعدّ لوهم على الأسباع (٢) ، على أساس من النسب والحلف ، فكانت الأسباع على النحو التالي :-

- ١- كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم ، وجديلة وكانوا يصرفون بأهل المالية .
- ٢- قضاعة وفسان وجيلية وخثعم وكندة وحضرموت والأزد .
- ٣- مذحج ، وحمير وهمدان ، وحلفاؤهم .
- ٤- تميم وسائر الرّباب وهوازن
- ٥- أسد وخطافان ومحارب والنمر وشبيعة وتغلب .
- ٦- رايان وعكّ وعبد القيس وأهل هجر والحمراء (٣) .

أما السبع الأخير فقد أغفلته المصادر ، واستنتج ما سنبين (٤) أنه سبع طي ، معتمداً على وجود سهم لها في الخنائم والفيء منذ البداية ، وأنها كانت تشكل فيلقاً مستقلاً في صفين ، ولم يطمئن إحسان النعمان (٥) إلى هذا الاستنتاج ، ولا حظ أن قبيلة بكر قد أحمل ذكرها وأنها أصبحت واختهها تغلب سيما مستقلاً ، كما أن علياً - رضي الله عنه - حين قدم الكوفة بحصد الجمل سنة ٣٦ هـ أحدث تعديلاً في توزيع قبائل الأسباع ، وبذلك أصبحت قريش وكنانة وأسد وطي وضمّة والرّباب سيما مستقلاً (٦) .

-
- (١) تاريخ الطبري : ١٦٦/٤ ، ٣٢٩/٥ ، المصيبة القبلية : ٢١٩ .
 - (٢) تاريخ الطبري : ٤٨/٤ .
 - (٣) تاريخ الطبري : ٤٨/٤ ، خطط الكوفة : ١٧ .
 - (٤) خطط الكوفة : ١١ .
 - (٥) المصيبة القبلية : ٢٢٠ .
 - (٦) وقعة صفين : ١٣٢ ، تاريخ الطبري : ٥٠٠/٤ .
 - خطط الكوفة : ١١ ، المصيبة القبلية : ٢٢١ .
 - العرب والأرض في العراق : ١٣٨-١٤٩ .

وظل نظام الأسباع متبعاً في الكوفة وحتى وليها زياد سنة ٥٠ هـ فبجملتها أرباعاً على النحو التالي :-

- ١- تميم وهمدان
 - ٢- مذحج وأسد
 - ٣- ربيعة وكندة
 - ٤- أهل المدينة وقريش وكنانة .
- والأزد وخثعم وقيس ومزينة (١) .

ويلاحظ أن زياداً تصمد المزج في هذه الأرباع بين المجموعتين القبليتين الأساسيتين البنيوية والنزارية ، فسمى بذلك إلى التخفيف من حدة العصبيية القبلية (٢) ، ويلاحظ أن هذا التصنيف أغفل ذكر بعض القبائل التي ورد ذكرها في الأسباع، وهذا ينبئ أن زياداً ألحق القبائل القليلة العدد بالكوفة بالقبائل الكبيرة التي تتصل بها في النسب (٣) .

والأرجح أن نظام الأرباع ظل قائماً في الكوفة طوال العصر الأموي .
وأما عدد أفراد كل قبيلة فليس واضحاً ، ونُقل عن الشعبي أن أهل اليمن كانوا اثني عشر ألفاً حين مُسّرت الكوفة في حين كانت نزار ثمانية آلاف (٤) ويظهر أن القبائل والبطون النزارية آثرت النزول في البصرة وغيرها من مدن العراق ولذلك أصبحت الغلبة العددية على الكوفة لأهل اليمن (٥) .

وقد نزل الكوفة جماعة من الذيل استأمنوا سعداً يوم القادسية واعتنقوا الإسلام ، واشترطوا أن ينزلوا حيث أحبوا ، وحالفوا من شاءوا من القبائل العربية ، ويفرض لهم بالمطاء ، فنزلوا الكوفة . وحالفوا زهرة بن حوية السعدي (٦) التميمي ، ولعلهم جاوروا في محالفتهم بني تميم إغوانهم الأساورة في البصرة (٧) .

(١) تاريخ الطبري : ٤/١٩٩ ، ٥/٣٢٩ ، خطط الكوفة : ١٦ .

(٢) حياة الشمر في الكوفة : ٣١/٣٢ ، حركة الشمر في قبيلة قيس : ٤٣ .

(٣) العصبة القبلية : ٢٢٣ ، حركة الشمر في قبيلة قيس : ٤٣ .

(٤) فتوح البلدان : ٢٧٦ .

(٥) العصبة القبلية : ٢١٨ .

(٦) فتوح البلدان : ٢٨٠ .

(٧) العصبة القبلية : ٢١٨-٢١٦ .

وقد تضاعف عدد سكان الكوفة، ففي سنة ٢٤ هـ كان بالكوفة أربعون ألف مقاتل، وبلغوا قبيل وقعة صفين سبعة وخمسين ألف مقاتل من الحرب وشمائسة آلاف من الموالى، وينبغي أن نقف موقف الحذر من هذه الأرقام، ولا يصح الاعتماد عليها، لأن مجتمع الكوفة لم يكن مستقرا، فقد ينقر، وقد يزيد تبعا لظروف البلد العسكرية والاجتماعية (١).

ومن بطون تميم التي استقرت في الكوفة، بطون من عمرو بن تميم وحنظلة وسعد (٢)، كما استقر فيها بنو زارة بن عدس من البيوت الحريقة الشرف في تميم، وكان فيهم رئاسة تميم الكوفة (٣).

تميم في البصرة :

تذكر الأخبار أن البصرة خلطت قبل الكوفة وكان ذلك سنة أربع عشرة للهجرة على الأرجح (٤)، وأن عمر وجه عتبة بن غزوان المازني في بضع مئات من المقاتلة ناحية البصرة ليشغل من هناك أهل فارس والأهواز وميسان عن إمداد إخوانهم، فاتاهما سنة ١٤ هـ، وانضم إليه سويد بن قحطبة فيمن معه من تميم ويكر بن وائل (٥). ولم يستقر أهل البصرة فيها إلا بعد ثلاث نزلات قبلها، كانوا ينزلونها ثم يرتحلون بصيدا عن شاطئ دجلة، وكانت البصرة في بداية أمرها محسرا لصدد غارات الفرس (٦)، ثم بنى المسلمون فيها سبع دساكر، اثنتين بالخربيصة، واثنتين في موضع الأزد، وواحدة في الزابوقة واثنتين في موضع تميم (٧).

-
- (١) المصيبة القبلية: ٢١٨-٢١٩.
 - (٢) وقعة صفين: ٢٣٢، يطلق عليهم "تميم الكوفة".
 - (٣) المدة: ١٨٣/٢، الأغاني: ١٠٥/١٧.
 - (٤) فتوح البلدان: ٣٤٦.
 - تاريخ الطبري: ٥٩٠/٣.
 - (٥) فتوح البلدان: ٣٤٦، تاريخ الطبري: ٥٩١/٣.
 - معجم البلدان: ٦٣٨/١.
 - (٦) تاريخ الطبري: ٥٩٢/٣.
 - (٧) فتوح البلدان: ٣٥٠.
 - ومعجم البلدان: ٦٣٩/١.

واتبع في البصرة نظام الأُخماس ، وظل هذا النظام قائماً فيها طوال
العصر الأموي دون أن يطرأ عليه أو على توزيع القبائل أي تعديل ، ويرجع
أن استقرار التوزيع القبلي فيها مرده إلى قلة تنوع القبائل التي استقرت فيها ،
على نقيض الكوفة ، وإلى أن القبائل البارزة فيها وهي تميم والأزد وربيعة
ظلت لها الغلبة العددية طوال عصر بني أمية (١) . وكانت أخماس البصرة تضم القبائل
التالية :-

- ١- تميم وضبة
- ٢- عبد القيس
- ٣- بكر بن وائل
- ٤- الأزد
- ٥- أهل الحامية وهم : غريش وكنانة وقيس وهيلان والأنصار وغواف ومن
قبائل أخرى (٢) .

وقد حقق ماسنيون مواقع أخماس البصرة بالنظر إلى الدوائر السبع
القديمة التي قامت عليها البصرة (٣) ورأى أن الأُخماس كانت موزعة على الشكل
التالي :-

- ١- خمس تميم في الجنوب الغربي من البصرة ، وتمتد رقعتهم إلى نهر الأُسيرة
جنوباً ، حيث الزل والسباحة وحلافهم ، وإلى المربد غرباً حيث جبانسة
بني مازن من تميم (٤) .
- (٢) خمس بكر في الشمال والشمال الغربي من البصرة .
- (٣) خمس عبد القيس شرقي البصرة عند نهر معقل ونهر الرزق .
- (٤) خمس أهل الحامية ، وهم المولفون وأصحاب المناصب من قيس وقريش
وغيرهما ، وكانت منازلهم ممتدة إلى الجنوبي الشرقي من البصرة .
- (٥) خمس الأزد وقد وفدوا إلى البصرة متأخرين في الجزء الجنوبي الغربي
من البلد قرب وادي الحقيق (٥) .

(١) المصيبة القبلية : ٢٢٦ .

(٢) وقعة صفين : ١٣١ ،

تاريخ الأبري : ٥١٢/٦ .

صالح الحلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ،

دار الطليعة ، ١٩٦٥ : ٥٣ .

(٣) خطط الكوفة : ٣٨

(٤) النقائص : ١/٧٢٠ .

(٥) خطط الكوفة : ٣٨ ،

الحياة الأدبية في البصرة : ٧٦ .

وتكاد تخيب عنا أخبار القبائل التي نزلت البصرة عند تصيرها، إلا أن عدد سكانها تزايد تزايداً سريعاً بسبب نزوح القبائل التي كانت مواطنها قريبة منها في الجاهلية إليها^(١) ويستدل من بعض الأخبار أن ذليحة من نزلها أول الأمر كانوا من تميم وربيعة والأزد^(٢) وسرعان ما نافست الكوفة في عدد نازليها، بحيث أصبح عدد مقاتليها سنة ٣٧ هـ ستين ألفاً غير أبناءهم وعبدانهم ومواليهم^(٣) وكانت الخلبة العددية في البصرة لتيمة والمضرية لذا سارت ربيعة إلى مخالفة الأزد حين نزحت موجة جديدة منهم إلى البصرة في مطلع عهد يزيد بن معاوية^(٤) فقد كانت البصرة تيمية مضرية^(٥)، ويرى شارل بيلا أن لقبيلة تيمم الشأن الأول بين قبائل البصرة فهم مؤسسوها الحقيقيون، ويستدل من طبقات ابن سعد أن الفئة الفكرية والسياسية والدينية في القرن الأول للهجرة في غالبيتها من تيمم، فأعطت تيمم للبصرة اسمها السني^(٦).

وانضم إلى تيمم في البصرة جماعات من الأساورة والزط والسيابجة فصارت الأساورة في بني سعد والزط والسيابجة في حنظلة واستعانت بهم تيمم في قتال الأزد وربيعة يوم مسعود^(٧)، كما دخل في حلف تيمم بنو الحزم^(٨)، ويذكر المبرد أن عدد تيمم مع حلفائهم من الأساورة والزط والسيابجة قد بلغ زهاء سبعمائة ألفاً زمن فتنة مسعود^(٩).

-
- (١) التذائبات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة : ٤٠ .
 - (٢) فتوح البلدان : ٣٧٣ .
 - (٣) تاريخ الطبري : ٨٠/٥ ، وانظر فتوح البلدان : ٣٥٠ .
 - (٤) تاريخ الطبري : ٥٤٦/٥ .
 - (٥) الحياة الأدبية في البصرة : ٢٢٣ .
 - (٦) الجاحظ ، ترجمة الكيلاني ، دمشق ١٩٦١ : ٥٣ .
 - (٧) معجم البلدان : ٣٧٤/١ .
 - (٨) الأغاني : ٢٥٧/٣ ، يقال إن أصلهم من الأهواز نزحوا إلى البصرة ببني تيمم في أيام عمر ، فأسلموا وغزوا مع المسلمين .
 - (٩) الكامل : ١٤٢/١ .

ومن بـلـون تـعـيـم فـي البـصـرة :-

بنو سعد ويدخل في عدادهم بنو قليب (١) ، ثم بنو المنبر ومالك بن المنبر
وفي عدادهم عامر بن المنبر (٢) ، ثم بنو مجاشع وفي عدادهم بنو الشَّحِيحَاء
وبنو عامر بن زيد مائة (٣) ، ثم بنو نهشل وفي عدادهم كعب بن شَقِيرة وربيعة
الجوع (٤) ثم بنو الهجيم وفي عدادهم أنمار بن عوف بن أد ، والحبال (٥)
ثم بنو يربوع وبنو عُبَيْر ، وبنو عُرَيْم ، وبنو قُرَيْع ، وبنو جَشَم وبنو فُقَيْم ، وفسي
عدادهم بنو أتيان بن دارم ، والكَرْدُوسَان (٦) وبنو مازن وفي عدادهم
بنو حميس بن أد ، وطلاعة بن مَرْ (٧) ثم بنو عبد الله بن دارم وفي عدادهم
البراجم (٨) ثم بنو مقاعس وبنو العدوية (٩) . وبنو رياح (١٠) والهجريون
وبنو عَسَل (١١) ،

-
- (١) جمهرة ابن الكلبي : ٨٧/١ .
 - (٢) الطبقات الكبير : ٥٥/٢/٧ ، وجمهرة ابن الكلبي : ٨٧/١ .
 - (٣) جمهرة ابن الكلبي : ٦٢/١ .
 - (٤) المصدر نفسه : ٧٢/١ .
 - (٥) المصدر نفسه : ٦١/١ .
 - السمعاني ، الأنساب ، نشر مرجليوث : ٥٨٨ .
 - (٦) جمهرة ابن الكلبي : ٦١/١ .
 - (٧) المعارف : ٣٤ .
 - (٨) جمهرة ابن الكلبي : ٦٣/١ .
 - (٩) النقائش : ٩٠٨/٢ .
 - جمهرة ابن الكلبي : ٦٠/١ .
 - (١٠) معجم البلدان : ٨٨١/٢ .
 - (١١) انظر : الحياة الأدبية في البصرة : ٧٩ ، ٧٨ ،
والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة :
٣٢٠ - ٣٢٢ ،
المغرب والأرض في العراق : ١٣٠ - ١٣٧ .

تعيم في خراسان :

بدأت فتوح خراسان في أواخر عهد عمر ، وفي زمن عثمان ثبت المسلمون أقدامهم فيها بعد حملات متتالية إبان ولاية عبد الله بن عامر على البصرة (١) ، وقد استعان ابن عامر في هذه الفتوح بعدد من رؤساء قبائل البصرة البارزين وعلى رأسهم الأحنف بن قيس ، وعبد الله بن أبي خازم السلمي ، وكان مسع الأحنف حوالي عشرة آلاف مقاتل أغلبهم من أهل البصرة (٢) ، أي أن فتح خراسان قد تم أكثره على يد قبائل البصرة ، وشاركت الكوفة في بعض الفتوح وكانت مدينة بلخ من فتوحهم (٣) .

ويبدو أن النواة الأولى لسكان خراسان كانت من مقاتلة أهل البصرة ، إذ " لم يزل أهل البصرة يفضون من لم يكن صالح من أهل خراسان فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف جذعة " (٤) وكان هذا رأيهم حتى مقتل عثمان .

ومهما يكن من أمر فإن مجموع العرب الذين كانوا بخراسان بعد فتحها مجهول ، ولا تجد ذكرا لنزول العرب خراسان واستقرارهم فيها حتى سنة خمس وأربعين حين ولي زياد البصرة ، وقد أدى فتح خراسان على يد قبائل البصرة إلى اعتبارها تابعة لهذا المصر ، فبمث زياد عطاله على خراسان ، فولس أمير بن أحمر اليشكري مرو الشاهجان فكان أمير بن أحمر أول من أسكن العرب بمرو الشاهجان حاضرة خراسان (٥) ، ولا يذكر البلاذري شيئاً عن طبيعة هؤلاء العرب أو عددهم ، كما أن المصادر الأخرى تسكت عن هذا الاستيطان (٦) ، ويبدو أن زياد أراد إضفاء قوة المعارضة للحكم الأموي في البصرة والكوفة (٧) ، ففي سنة إحدى وخمسين للهجرة عين زياد الربيع بن زياد الحارثي على خراسان ، وحول معه خمسين ألفاً بعيالهم

-
- (١) تاريخ الطبري : ٣٠١/٤ ، تاريخ ابن الأثير : ٣٤/٣ .
 - (٢) تاريخ الطبري : ٩٤/٤ ، تاريخ ابن الأثير : ١٢٤/٣ ، فتوح البلدان : ٤٠٣ .
 - (٣) تاريخ الطبري : ٢٦٢/٤ .
 - (٤) المصدر نفسه : ٣١٦/٤ .
 - (٥) فتوح البلدان : ٤٠٦ .
 - (٦) انظر تاريخ الطبري : ٢٢٦/٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٤٥٦/٣ .
 - (٧) تاريخ ابن الأثير : ١٦٨/٥ ،
الخصبة القبلية : ٢٣٠ ،
الشعر العربي بخراسان : ٥٦ .

من أهل البصرة والكوفة فاسكنهم دون النهر (١) وتختلف الروايات في من حول من كل مصر ، ولكن يعتقد أن أهل الكوفة أقل بكثير من أهل البصرة (٢) .

• واستمرت الهجرات والنجدات على خراسان طوال العصر الأموي (٣) .
ويستدل من احصائية ذكرها البلاذري في فتنة قتيبة بن مسلم سنة ست وتسعين أن جل من كان بخراسان هم من قبائل البصرة ، فقد بلغ عدد مقاتلة البصرة فيها أربعين ألفاً ، ومن الكوفة سبعة آلاف ونحوهم من الموالي (٤) .

وكان البصريون موزعين على القبائل التالية :-

- ١- تميم عشرة آلاف
- ٢- الأزد عشرة آلاف .
- ٣- أهل المالبة تسعة آلاف
- ٤- بكر بن وائل سبعة آلاف .
- ٥- عبد القيس أربعة آلاف (٥) .

واستدل فلها وزن بهذه الأرقام على أن جملة العرب في خراسان لم تكـمـد تتجاوز مئتي ألف (٦) ، أما الدكتور حسين عطوان فقد ناقش القضية واستقصى جوانبها ورجح أن جملة العرب في خراسان قد قاربت نصف مليون نفس (٧) .

ويستدل من بعض الأخبار أن تيمم كانت أكبر القبائل الحربية في خراسان طوال العصر الأموي (٨) ففي سنة خمس وستين كان مع الحريش التميمي وهو يقاتل عبدالله بن خازم اثنا عشر ألفاً من بني تميم (٩) ، ويذكر أبو عبيدة أن مقاتلة تميم كانوا أربعة وعشرين ألفاً في فتنة قتيبة بن مسلم (١٠) .

وبسبب هذا التفوق العددي لتيمم والحزبية اضطرت بكر إلى مخالفة الأزد في خراسان شأنها في البصرة ، بغية إقامة التوازن بينهما (١١) .

-
- (١) فتوح البلدان : ٤١٠ ، تاريخ الطبري : ٢٢٦/٤ ، تاريخ ابن الأثير : ٤٨٦ ، ٤٥٢/٣ .
 - (٢) صالح المصلي ، استيطان العرب بخراسان : ٣٨ ، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد .
 - العدد الأول ، ١٩٥٩ ، الشعر العربي بخراسان : ٥٥ .
 - (٣) انظر تاريخ الطبري : ٣٠٥/٥ ، ٤٧٢ ، تاريخ ابن الأثير : ٩٦/٤ .
 - (٤) فتوح البلدان : ٤٢٣ (٥) تاريخ الطبري : ٥١٢/٦ ، تاريخ ابن الأثير : ١٥/٥ .
 - (٦) تاريخ الدولة العربية ، ترجمة ابوريدة ، القاهرة ، ١٩٥٨ : ٤٠٧ .
 - (٧) الشعر العربي بخراسان : ٦٤ .
 - (٨) المصيبة القبطية : ٢٣٢ ، الشعر العربي بخراسان : ٦٢ .
 - (٩) تاريخ الطبري : ٦٢٥/٥ تاريخ ابن الأثير : ٢٠٩/٤ .
 - (١٠) النقائش : ٣٦٨/١ .
 - (١١) الشعر العربي بخراسان : ٦٢ .

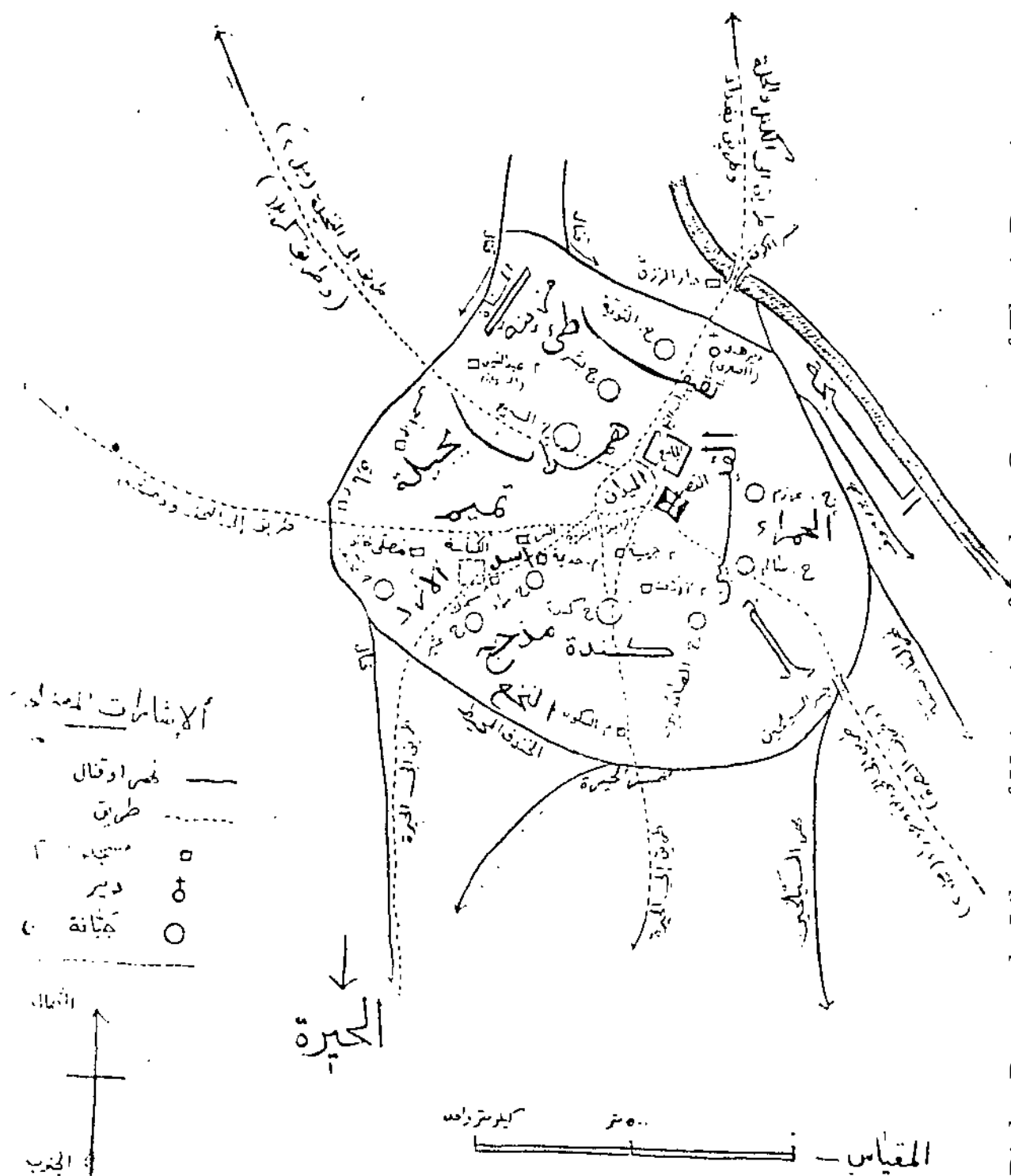
واتبع في خراسان نظام الأخماس الذي كان متبعاً في البصرة ، لأنها كانت من فتوحها وأكثر سكانها من البصرة وتبعها إدارياً (١) .

وأقام العرب في خراسان داخل المدن المفتوحة أحياناً (٢) وعلى مشارفها أحياناً أخرى (٣) ، ونزلت تميم مع بكر والأزد في مرو الشاهجان حاضرة خراسان ، وهدم الكرمانى دور تميم فيها حين غلب عليها (٤) واستقر بعض العرب في القرى المحيطة بمرو الشاهجان ، وامتلك ساداتهم وأشرفهم معظم أراضيها منها قرية لبني المنبر وغيرهم (٥) .

وأقامت معظم تميم في شرقي خراسان مع بكر وكانت أراضي القبيلتين متداخلة فتنازعتا على بعض الأماكن وأدعت كل منهما أنها احتلتها قبل الأخرى (٦) واقتسمت تميم قرية خلم مع الأزد وقسم (٧) ، وفي شرقي خراسان أقامت عشائر من تميم وبكر والأزد بالبروتان وذلك في أوائل القرن الثاني ، ثم حول أسد بن عبد الله القسري المقاتلة منها إلى بلخ ، التي تجمعت فيها فرسخين (٨) ، ولما فتح قتيبة بخارى للمرة الرابعة قسمها بين العرب والعجم فأعطى ربيعة ومضر من باب النون إلى باب المطارين والباقي لأهل اليمن (٩) .

وقد انتشرت بعض بطون تميم فيما وراء النهر ، ومن أشهر المدن التي سكنها العرب هناك سمرقند التي فتحها قتيبة سنة ثلاث وتسعين (١٠) .
ويذكر اليعقوبي (٢٨٤هـ) أن : " في جميع مدن خراسان قوماً من العرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن " (١١) .

-
- (١) تاريخ الطبري : ٥١٢/٦ ، استيطان العرب بخراسان : ٤٦ .
 - (٢) فتوح البلدان : ٤٠٥ ، تاريخ الطبري : ٥٦٨/٦ ، الخرشبي ، تاريخ بخارى ، ترجمة أمين عبد المجيد بدوي : ٨٤ ، ٧٣ .
 - (٣) الشعر العربي بخراسان : ٦٤ .
 - (٤) تاريخ الطبري : ٣٤٢/٧ ، البلدان : ٢٧٦ .
 - (٥) تاريخ الطبري : ١٠٣/٧ .
 - (٦) تاريخ الدولة المربية : ٣٩٥ .
 - (٧) معجم البلدان : ٤٦٥/٢ .
 - (٨) تاريخ الطبري : ٣٠/٧ ، ١١٠ .
 - (٩) تاريخ بخارى : ٨٠ .
 - (١٠) فتوح البلدان : ٤٢٢ ، تاريخ الطبري : ٥٦٨/٦ .
 - (١١) البلدان : ٢٩٤ .



الخريطة رقم (١)
الكوفة القديمة

من قبيلة تميم الى الكوفة في خاتمة الدهر لا يروى
ركته الخطاة في قبيلة تميم
عن كتاب خطط الكوفة لثاسنيون

ج - مشاركة تميم في الأحداث

- ١ - موقف تميم من أحداث المصير الجاملي
- ٢ - موقف تميم من أحداث صدر الإسلام
- ٣ - موقف تميم من أحداث المصير الأموي •

١- موقف تميم من أحداث العصر الجاهلي :

عرفت الحروب والمناوشات التي وقعت بين قبائل العرب في الجاهلية بعضها مع بعض ، أو بينها وبين الدول المجاورة بـ (أيام الحرب) (١) ، ويلاحظ أن الدافع وراء معظم هذه الأيام الحاجة إلى العرى والماء فكان الفوز من أهم موارد الرزق عند الأعراب ، وبخاصة في سني القحط ، وقد يقع الفوز طمعا في الغنمة أو طمعا لثأر الدم والكرامة (٢) ، ومع أن الفوز حصيلة ظروف طبيعية واقتصادية واجتماعية ألتمت بالأعراب وأجبرتهم على ذلك ، إلا أن الدافع الاقتصادي يظل أقوى هذه الدوافع التي حددت العلاقة بين القبائل العربية بعضها ببعض وبينها وبين غيرها (٣) .

وتؤكد الأيام التي وقعت بين القبائل المدنانية الجزء الأكبر من هذه الأيام ، لأنها كانت غارقة في البداوة والأعرابية ، وكان لتميم أثر خطير في هذه الأيام (٤) .

امتدت منازل تميم على رقعة مكانية واسعة ، جلتها صحراء ، شملت جانبها كبيرا من الساحل الشرقي لبلاد العرب ، فامتدت من فيافي الدهناء جنوبا ، إلى ضفاف الفرات شمالا وشرقا ، فامتزجوا في منازلهم بعيد القيمر وحنيفة على الشاطئ الشرقي والجنوبي ، وجاورهم بنو أسد في الشمال ، وفي الجنوب الغربي باهلة وغلطان ، وامتزجوا ب بكر وتغلب في الشمال أيضا ، فاحتكت تميم بهذه القبائل وتصادمت معها لتخافظ على مجالها الحيوي ، أو طمعا في توسيع هذا المجال (٥) ، فكانت مصداق إياها مع هذه القبائل ، كما أتاح لها موقعها السيطرة على طرق القوافل بين فارس واليمن ، فلم يتوانوا عن الإشارة على هذه القوافل حين يتلاعب الفرس أو ولائهم بالجمالة التي جعلوها لهم لقاء مرور هذه القوافل من منازلهم ، كما أنهم اعتادوا بنفوذ المناذرة في بعض الأحيان ، فجعل المناذرة لهم بعض الامتيازات كالردافة استرضاء لهم .

(١) اللسان : مادة (يوم) .

(٢) انظر الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٣٣٣/٥ - ٣٤١ .

دائرة المعارف الإسلامية : مادة (تميم) .

(٣) الردة : ٦٣ ، نعمان طه ، جريد حياته وشعره ، ط ١ دار المعارف :

٤٧ - ٤٨ .

(٤) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٣٥٥/٥ ، ٣٤٤ ، جريد حياته وشعره :

٨٣ - ٨٨ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية : مادة (تميم) .

ولحسن الحظ فقد حفظ لنا المصادر من أيام تميم وأخبارها في الجاهلية، أكثر من أي قبيلة أخرى، وقد تعود ذلك إلى كثرة الشعراء الذين نبغوا من هذه القبيلة، وأصبحت أشعارهم نواة تجمعت حولها الروايات، ويحمي الفضل في معظم ما وصلنا عن أيام تميم إلى أبي عبيدة، ويعد كتاب "شرح نقاش جريسر والفرزدق" من أعظم الكتب قيمة في أخبار تميم وأيامها (١).

ومن الميسر أن يرتب الباحث هذه الأيام ترتيباً زمنياً في ضوء هذا الحشد من الروايات المضطربة، والتفاصيل المشوشة، التي تزودنا بها الروايات (٢)، لذا سنرتب هذه الأيام حسب أطراف النزاع مع تميم وسنراعي التسلسل الزمني للأحداث، ما استدعينا إلى ذلك سبيلاً.

وكانت أكثر أيام تميم عدداً، وأشدّها ضراوة مع قبيلة بكر بن وائل وذلك لتداخل منازل القبيلتين الفارقتين في الأعرابية، وطمع كل واحدة منهما بمراعي الأخرى، وغنائمها، وبخاصة سني الجذب، وكان المناذرة يستخدمون إحدى القبيلتين لكبح جماح الأخرى أو ليستطغفونهم عليها (٣)، وكان بنو يربوع من تميم وبنو شيبان من بكر أكثر فروع القبيلتين حركة في هذه الحروب، وقد استمر هذا الصراع بين القبيلتين حتى بعد الإسلام، وانتقل معهما إلى المواطن الجديدة كما سنرى.

ومن أشهر أيام بكر وتمرير يوم مباحذ وفيه أغارت بناتون من بني عمرو وبني حنابلة وبني سعد على بني مرة بن ذهل من بكر، وكان البكر على تمرير ولم تصب تمرير بمثل أهرميتها في هذا اليوم (٤). وفي يوم النجاج ويوم شيتل أغار جماعة من منقر والأجارب على أهل النجاج وشيتل (٥) وغنموا منهم (٦).

-
- (١) دائرة المعارف الإسلامية: مادة (تميم) : ١٤٧
 - (٢) دائرة المعارف الإسلامية: مادة (تميم)، العصبية القبلية: ١٤٧.
 - (٣) دائرة المعارف الإسلامية: مادة (تميم) جريسر، حياته وشعره: ٨٨-٩٦
 - (٤) الاشتقاق: ١٣١، المعتمد: ٥/٢٠٨، معجم ما استمعهم: ١١٧٩
 - جريسر، حياته وشعره: ٥٠، معجم ما استمعهم: ٧١/١
 - اللسان: مادة (خضم)، نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٥/٣٩٤
 - (٥) النجاج وشيتل: موضعان للهازم من بكر، معجم ما استمعهم: ١٢٩٢
 - (٦) النقاش: ١٠٢٣، المعتمد: ٥/١٨٥، الأغاني: ١٤/٨٠، تاريخ ابن الأثير: ١/٦٥٠، معجم البلدان: ٤/٥٣٢، ٧٣٦
 - نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٥/٣٨١.

وفي يوم الوقيعة أغارت اللهازم من بكر على بني مالك بن عنظلة ، فغنموا منهم وأسروا سيدهم ضرار بن القعقاع (١) ، وفي يوم جدود أغارت بكر على جماعة من بني يربوع فأوثقوا بهم ولكن قيس بن عاصم لحق بهم في بني يثقر وخلص ما أخذوه منهم (٢) . وفي يوم الإباد من الأيام المهمة بينهم ، فقد أغار بنو شيبان من بكر وكانوا تحت يد الفرس على بني يربوع بالحزن ، فصدتهم بنو يربوع وقتلوا منهم مقتلة عظيمة (٣) وفي يوم ذي طلح تعاضد بنو شيبان واللهازم من بكر ، وأغاروا على بني يربوع ذي طلح فبذروا بهم ، وهزمت بكر هزيمة نكراء ، وأسروا ساوهم ومظم ويشهم (٤) كما نكل بنو يربوع بجموع شيبان بقبيلة المذحرج وأسروا قائدهم بسطام بن قيس ، وعليهم مالك بن نويرة (٥) ، واكسن بسطام بن قيس استعاع إن يستاق إبل يربوع يوم قشاوة وقتل جماعة منهم (٦) .

-
- (١) النقائض : ٣٠٥/١ - ٣١٣ ، العقد : ١٨٢/٥ ، الحمدة : ٢١٥/٢ ، الأملاني : ٦/١ ، معجم البلدان : ٩٣٧/٤ ، المزهر (ط. صبيح) : ٣٣٦/١ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٢٨/١ نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٧٩/١٥ ، مرصد الإبل : ١٤٤٣/٣ ، أيام العرب : ١٧٠ .
- (٢) النقائض : ١٤٤/١ ، العقد : ٣٢٦ ، الأملاني : ٧٨/١٤ ، ديوان الفضليات : ٧٤٠ معجم ما استعجم : ١١٤٤ ، معجم البلدان : ٤٠/٢ ، تاريخ ابن الأثير : ٦١٠/١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٨٦/١٥ ، سبائك الذهب : ١١٥ .
- (٣) النقائض : ٧٥-٧٧ ، ٥٨٠/٢ ، ٨٥٠ ، نقائض جرير والأخطل : ٢٣١ ، العقد : ١٩٢/٥ ، الحمدة : ٢٠٢/٢ ، معجم ما استعجم : ١٢٦٠ ، معجم البلدان : ٦٨٦/٣ ، تاريخ ابن الأثير : ٦١٢/١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٨٦/١٥ ، شعراء النمرانية : ٢٥٩ .
- (٤) النقائض : ٤٧/١ ، ٧٣ ، ٢٨٥ ، العقد : ١٨٨/٥ ، معجم ما استعجم : ٨٩٣ ، معجم البلدان : ١٤٣/١ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٣٧/١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٨٣/١٥ .
- (٥) النقائض : ٣١٣/١ ، ١٠٦٨/٢ ، العقد : ١٩٦/٥ ، الحمدة : ٣١١/٢ ، معجم ما استعجم : ١٠٢٨ ، تاريخ ابن الأثير : ٥٦٨/١ ، سبائك الذهب : ١١٤ .
- (٦) النقائض : ١٩/١ ، الحمدة : ١٩١/٢ ، معجم ما استعجم : ١٠٧٥ ، معجم البلدان : ١٠٢/٤ .

ويوم الزورين (١) من أشد الأيام التي وقعت بينهما في التنافس على المراعي فقد طمعت بكر في انتجاع أرض تميم وقد أصابهم الجذب ، راجحوا يستاقون كل ما يجدونه أمامهم حتى عظام الشر بينهما ، وحشدت كل قبيلة للأخرى واقتتلوا أشد ما يكون القتال ، وانهزمت تميم وساق البكريون أموالهم ونساءهم (٢) ، وفي سقوان استطاع بنو مازن إجلاء بني شيبان من بكر عن ماء سقوان والاستيلاء عليه (٣) .

وآخر أيام تميم وبكر في الجاهلية كان يوم الشيطانين ، وفيه استرد البكريون مراعي الشيطانين من تميم ، وكانت تميم قد استولت عليها لرحيل بكر عنها السبي السواد لجذب أصابها ، فلما أغضب باغتوا تميما فيها لاستعدادتها ، فهزموا تميما ودخلوا بمدية الإسلام (٤) ، وهناك أيام أخرى كثيرة وقعت بينهما اقتتل أهمية من هذه الأيام (٥) .

ولتميم أيام أخرى مع قبيلة تغلب الربيعة أيضا مثل يوم أراب (٦) ويوم زرود الثاني (٧) وهما لتميم على تغلب .

- (١) الزور : الإله ، وسمي اليوم بذلك لأن تميما جاءت ببعيرين مجالين وقيد وهما بين الصفين وقالوا : " هذان زورانان لنفرحتي بفرأ " .
- (٢) المقد : ٢٠٤/٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٣٦٨/١ ، اللسان : مادة : (زور) أيام العرب : ٢١٢ .
- (٣) المقد : ٢٠١/٥ ، معجم ما استعجم : ٧٤٠ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٩٠/١٥ .
- (٤) النقائق : ١٠٢٠/٢ ، المقد : ٢٠٦/٥ ، الأغاني : ٢٥٥/١٧ ، معجم ما استعجم : ١١٥٦ ، معجم البلدان : ٣٥٦/٣ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٥٤/١ .
- (٥) انظر : المقد : ١٩٠/٥ - ٢٤١ .
- (٦) النقائق : ٤٧٣/١ ، ٧٠٣/٢ ، ٨٨٢ ، ١٠٨٨ ، الاشتقاق : ٢٠٣ ، المقد : ٢٤٠/٥ ، الصدة : ٢٠٠/٢ ، معجم الأمثال : ٣٥٩/٢ ، معجم ما استعجم : ١٣٣ ، معجم البلدان : ١٨٠/١ .
- (٧) ديوان الحفائيات : ٢٠ ، معجم ما استعجم : ٦٦٦ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٨٣/١٥ ، رغبة الأمل : ١٧/١ ، المفردات في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٣٦٦/٥ .

وتعد القبائل القيسية الخصم اللدود الثاني لتيمن بعد بكر في الجاهلية (١) وأكثر القبائل القيسية دورا في ذلك الصراع هم بنو عامر بن صعصعة وأحلافهم بنو عيسر، وذلك لتداخل منازل هاتين القبيلتين بمنازل بني سعد وبني دارم من تميم، وكان الصراع بين بني دارم وبني عامر بن صعصعة قويا وطويلا، وتمدد بعض أيامهما من أعظم أيام الحرب قاطبة، ومن هذه الأيام يوم زحرخان وكان سببه إجارة بني دارم الحارث بن ظالم المزني الفطافني على بني عامر، وذلك بعد أن قتل زعيمهم خالد بن جهمر الكلابي عند النعمان بن المنذر، فأغار عليهم بنو عامر بزحرخان فانهزم بنو دارم وعليهم حاجب بن زارة وأسر أخوه محب بن زارة، وطلبوا دية ملك فدائه وهي ألف بصر، فرفض أخوه لقيط ذلك، فمات أسيرا عند عم (٢). فنقم لقيط بن زارة وبنو دارم عليهم وعلموا بتحالف عامر وعيسر، فحالفوا عليهم النعمان بن المنذر والجرن الكلابي ملك هجر وبعض بني كندة، والحليفين أسد وذيبيان، فاجتمع إليهم جيش من أعظم الجيوش التي اجتمعت في الجاهلية، ولكن بني عامر استطاعوا أن يستدرجوا ذلك الجيش إلى شعب جيلة، وأوقعوا بهم هزيمة عظيمة، ووقع مصلم رؤساء ذلك الجيش بين قتيل وأسير وقتل في هذا اليوم لقيط بن زارة وأسر أخوه حاجب ففدى نفسه، ويذكر ابن الأثير سببا آخر لهذا اليمسوم، وهو أنه كان لبني تميم على قيس إثاوة، فامتنت قيس من دفعها فقاتلتهم تميم، وكان هذا اليوم بعد يوم زحرخان بحام وقبل الإسلام بأربعمس سنة، أي حوالي سنة ٥٧٠ م، وهو من أعظم أيام الحرب قبل الإسلام (٣).

-
- (١) جرير، حياته وشعره: ١٠٣-٩٦.
 (٢) النقاظ: ٢٢٦/١، ١٠٦٠/٢، المقد: ١١٣/٥، الحمدة: ٢٠٩/٢، الأغاني: ١٢٤/١١، معجم ما استمع: ٦٣٣، معجم البلدان: ٧٦٧/٢، مجمع الأمثال: ٣٥٢/٢، تاريخ ابن الأثير: ٥٥٦/١، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣٤٩/١٥، أبو علي الهجري: ٢٤٠، الحرب قبل الإسلام: ٢٦٧، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٥٨/٥، سرقة الشعر في قبيلة غني: ٩٤.

- (٣) النقاظ: ٦٥٤/٢، المقد: ١٤١/٥، الحمدة: ٢٠٤/٢، الأغاني: ١٣١/١١، معجم ما استمع: ٣٦٥، التنبيه والإشراف: ١٧٥، مجمع الأمثال: ٣٥٨/٢، معجم البلدان: ٢٤/٢، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣٥٠/١٥، سبائك الذهب: ١١٠، الحرب قبل الإسلام: ٣٧١/٥، بلوغ الأرب: ٧١/٢، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٧١/٥.

وازداد بنو عامر بعد يوم شغب جيلة جرارة على تميم وأطمعوا حسسان
ابن كبشة الكندي أحد ملوك اليمن بغنائم بني يربوع، فسار معهم وتصدى
لهم بنو يربوع وأوقعوا بهم بعد أن قتلوا حسان بن كبشة، وعمر بن
الأحوص رئيس عامر، ويعرف هذا اليوم بيوم ذي نجيب (١).

واستأاع بنو يربوع أن يهزموا بني كلاب في يوم الرغام وساقوا إليهم (٢)،
كما استأاع بنو يربوع أيضا أن يدحروا غارة لبني قشير على بني المنبر ويستردوا
أموال بني المنبر وسببهم وذلك في يوم القروث (٣).

وحاول بنو عامر وأحلافهم بنو عيسر أن يروعوا إليهم في ديار تميم بمسد
جذب أعابهم، فقاتلتهم تميم بالسوءيان وهزمتهم (٤).

ومع هذا المداء الشديد بين عامر وبين بطون جيلة وبني عمرو من
تميم، فقد كانت تربطهم ببني سعد علاقة ود قوية، فيروى أنهم أبوا أن يحينوا
عليهم بني دارم يوم شغب جيلة وأنذروهم، فكان ذلك سبب نجاتهم من
الهلاك، وكانوا يسمحون لهم بانتجاع مراعيهم، فأذى ذلك بني ضبة والرباب وهم
أخوة تميم من خندف وحلفاؤهم، وكانوا يقيمون بينهم ووقع بينهم الشر فحالف
بنو سعد الحاميين عليهم فاستمد بنو ضبة والرباب أسدا وطيفا وفافسان
من أعداء عامر فأمدوهم والتقى الجمعان بالنسار، فهرب بنو سعد واستحضر
القتل ببني عامر يومها (٥)، واجتمع الفريقان مرة أخرى بعد عام بالبحار
فهربت عامر وعظم القتل في تميم (٦) وكان يوم النسار ويوم البهار قبل
مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بسبع وعشرين سنة (٧).

(١) النقاظ: ٣٠١/٨، ٣٨٨، ٥٨٧، ٩٣٧، ١٠٧٦، الحمدة: ٢٠١/٢،

الأغاني: ١٣٦/١١، معجم ما استعجم: ١٦٩٧، معجم البلدان: x

٧٤٤/٤، تاريخ ابن الأثير: ٥٩/١، أيام العرب: ٣٦٥.

(٢) النقاظ: ٤١٠/١، الأغاني: ٣٤٥/١٥، معجم ما استعجم: ٥١٩،

(٣) النقاظ: ٧٠/١، العقد: ١٧٦/٥، الحمدة: ١٢٢/٢، معجم

ما استعجم: ١٢١٣، معجم البلدان: ٤/٥٠٤، تاريخ ابن الأثير

: ٦٣١/١، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣٧٧/١٥.

(٤) النقاظ: ٣٨٥/١، العقد: ١٧٧/٥، الحمدة: ٢١٢/٢، معجم ما استعجم:

٧٠٩، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣٧٥/١٥.

(٥) النقاظ: ٢٣٨/١، شرح المفاهات: ٣٦٣، العقد: ٢٤٨/٥، الحمدة: ١٩٩/٢،

معجم الأمثال: ٣٥٠/٢، معجم ما استعجم: ١٣٠٦، معجم البلدان: ٧٧٨/٤،

تاريخ ابن الأثير: ٦١٨/١، اللسان: مادة (نسر) التاج مادة (نسر)

(٦) النقاظ: ٢٣٨، العقد: ٢٤٨/٥، الحمدة: ٩٢/٢، معجم ما استعجم: ١٣٠٦،

معجم البلدان: ٧٧٨/٤، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٤٦١/١٥.

(٧) النقاظ: ٧٦/٢، الحمدة: ٢٠٠/٢.

ومن أيام تميم مع بني عيسر يوم ذات الجرف وهو اليربوع على عيسر (١) ،
ويوم القروق لعيسر على بني سعد (٢) .
ولهم بعض الأيام مع بني أسد وهم من خندف ، منها يوم ذات الشقوق
لبني نهشل على أسد (٣) ، ويوم خوّ ، وكان لأسد على بني يربوع (٤) .
وأقوى أيام تميم بعد يوم شيب جيلة كان يوم الكلاب الثاني ، وهو -
من أعوام أيام الحرب أيضا ، فقد طامع أهل اليمن من مذحج وهمدان وكندة
في تميم ، بعد أن وقع بهم الفرس في يوم المشقر فلجأوا إلى وادي الكلاب ،
والتقوا بجموع اليمن على ما الكلاب ، فقتل أهل اليمن يومها مقتلة عظيمة -
وأسر أحد رؤسائهم وهو عبد يغوش بن صلاء الحارثي ، وكان على تميم يومها
أكثم بن صيفي وقيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وغيرهم (٥) .
وتصدى التميميون غير مرة لأطامع الفرس والمناذرة في السيادة على طرق
التجارة التي تمر من العراق إلى اليمن عبر ديار تميم على الساحل الشرقي ،
واضطرب الفرس أن يدفعوا لهم جمالة لقاء حماية القوافل في ديارهم ، ولم
يتوانوا عن نهيب واحد من هذه القوافل حينما تلاعب عاملهم على البحرين بجمالة
تميم ، فلجأ المكمبر عامل كسرى على البحرين إلى الحيلة للانتقام منهم ، فدعاهم
إلى الميرة في حصن المشقر من أرض البحرين ، وقتل جميع من جاءهم منهم بعد
أن أغلق عليهم الحصن ، ويعرف هذا اليوم بيوم الصفقة أو يوم المشقر ،
وكان هذا اليوم بعد مبعث النبي بمكة وقبل هجرته (٦) .

-
- (١) النقائض: ٢٤٧/١ ، الممددة: ٢١٠/٢ ، معجم البلدان: ٦٣/٢ .
(٢) النقائض: ١٩٠/١ ، ١٩٠/٢ ، معجم ما استمع: ١٠٦٤ .
معجم البلدان: ٨٨٦/٣ .
(٣) النقائض: ١٠٦٤/١ ، المعقد: ٢٤٨/٥ ، الممددة: ٩٩/٢ ، معجم ما
استمع: ١٣٠٦ ، معجم البلدان: ٧٧٨/٤ ، نهاية الأرب في فنون
الأدب: ٤٢١/١٥ .
(٤) المعقد: ٢٤٩/٥ ، معجم البلدان: ٥٠١/٢ ، نهاية الأرب في فنون الأدب:
٤٢٢/١٥ .
(٥) النقائض: ١٤٩/١ ، ١٤٩/٢ ، المعقد: ٢٦٥/٥ ، الممددة: ٢٠٦/٢ ،
الأغاني: ٣٢٨/٢٠ ، مجمع الأمثال: ٣٥٣/٢ ، نيل الأمان: ١٣٢ ،
معجم البلدان: ٢٩٥/٤ ، تاريخ ابن الأثير: ٦٢٠/١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب:
٤٠٧/١٥ ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٥٢/٥ ، شعراء النصرانية:
٧٥/١ ، (٦) المعارف: ٩٧ ، الأغاني: ٣٢٩/٢٠ ، المعقد: ٢٢٤/٥ ،
الممددة: ٢١٧/٢ ، معجم ما استمع: ١٠٥٥ ، معجم البلدان: ٤٠١/٣ ،
تاريخ ابن الأثير: ٦٢٠/١ ، آثار البلاد وأخبار العباد: ١١٠ ، مراد
الإصلاح: ١٣٧٦/٣ .

وأما علاقتهم بالمناذرة فقد تراوحت بين المداراة ومنح الامتيازات وبين القوة والحرب ، فقد كانت ديار تميم على أطراف املاك الحميرة ، فحرص المناذرة على كسب ولائهم وتعاونهم ، فاعطوا امتياز (الرزاق) (١) لروءساء بني يربوع لأنهم كانوا أكثر بناوون تميم غارة على أملاكهم ، فانتفوا بذلك شرهم ، ولما عظم نفوذ بني دارم في بلادهم ، أرادوا تحويل الرزاق إليهم ، فثار عليهم — يربوع ، وحاول المنذر بن ماء السماء اخضاعهم بالقوة ، ففتكوا بجيشه في يوم طخفة واجبروه على رد الرزاق إليهم (٢) وبعد ذلك قرب عمرو بن هند رءساء بني دارم ووكل إلى زارة بن عذس بترية ابنه - أو اخيه في رواية أخرى - في قبيلته فاغتاله أحد بني دارم ، فأغار عليهم عمرو بن هند في يوم وأرة الثاني وشرق منهم مئة رجل (٣) .

وذكر ابن عسب أن ثيماء كانت من القبائل المستقلة عن سلطان الحميرة (٤) غير أن بعض بناوونهم كان يضطر لدفع الإتاوة للمناذرة حتى يتمكن من الرعي في جوار الحميرة أو اليامة من أملاكهم ، ولكنهم حين يفادرون أملاكهم يربحون في حل من طاعتهم ودفع الإتاوة لهم (٥) ، وربما قتلوا بعض عمالهم على جمع الإتاوة إذا لحقوا بهم ، كما فعل بنو أسيد قبيل يوم الحاجر (٦) وحاول النعمان بن المنذر إخضاع بطون بني عمرو وبني سعد غير مرة مستعيناً ببني بكر ، إلا أن محظهم محاولاته فشلت في إخضاعهم (٧) .

هذه عجالة سريعة لأهم الأحداث التي شاركت فيها تميم زمن الجاهلية نتبين من خلالها علاقة تميم بالقبائل العربية والدول المجاورة لها حتى ظهور الإسلام ، كما توضح الدور البارز لها في تلك الأحداث .

(١) كان الردف يجلس عن يمين الملك ويركب معه إذا ركب ، وله ربع غنمه - الملك في كل غزوة ، ويتسلم بعض الهبات من رعايا الملك . اللسان : مادة (ردف) .

(٢) النقائض : ٦٦٨ ، ٨٥ ، ٢٤٨ ، الأغاني : ١٧٦ / ٣ ، الحمدة : ٢٠١ / ٢ ، المحق : ٢٣٤ / ٥ ، معجم ما استمع : ٨٨٨ ، معجم البلدان : ٢٢١ / ٢ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٤٩ / ١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٤١٣ / ١٥ .
(٣) النقائض : ٦٥٢ ، الأغاني : ٤٨ / ١١ ، الحمدة : ٢١٦ / ٢ ، تاريخ المصنف : ١٨١ / ١ ، ذيل الأمالي : ٢٤ ، معجم الأمثال : ١١ / ١ ، ٣٥٨ / ٢ ، تاريخ ابن الأثير : ٥٥٢ / ١ ، اللسان : مادة (حرق) نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٨ / ٣ ، تاريخ ابن خلدون : ٥٦٦ / ٢٠ .

(٤) المحبر : ٢٥٣ (٥) المناقب المزيدي : ٩٩ ش
(٦) المحق : ٢١١ / ٥ ، معجم ما استمع : ٤١٦ ، سطر اللالي : ٤٧٦ ، ٢٨٦
شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١١٢ / ٢ .
(٧) انظر المحبر : ٣٥٤ ، المناقب المزيدي : ١٢٦ ، معجم الشعراء : ٢١١ ،

٢- موقف تميم من أحداث صدر الإسلام :-

- كانت لتميم علاقات متينة بأهل مكة قبل الإسلام (١) وكان لذلك أثر عظيم في دعم قريش اقتصاديا وسياسيا (٢) واتساع نفوذ تميم في مكة اقتصاديا ودينيا (٣) .
- فقد وفرت تميم الحماية لتجارة مكة المتجهة إلى سوق المشقر في البحرين (٤) وإلى دومة الجندل عبر أراضيها أو أرض أحلافها (٥) ، كما كانت أوائف من بني عمرو ابن تميم وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة تعمل السلاح في أشهر الحرم لحماية أسواق مكة من القبائل المجلة ، وكانوا يدعون (المصريين الذاذة) (٦) .
- ولذا فإن قريشا قلدت تميما وظائف كبري الأهمية في دينهم وحياتهم الاقتصادية هما : الحكومة في سوق عكاظ من أشهر أسواق العرب ، والإفاضة بأهل الموسم في الحج ، فكان ذلك حقا لهم يتوارثونه جيلا بعد جيل ، حتى جاء الإسلام وكان على الموسم كرب بن عوفان وعلى عكاظ الأقرع بن حابس (٧) وقامت علاقة ماهرة واسعة بين الأسر التميمية والأسر المكية ، كما أتاحت هذه العلاقة لبعض الأسر التميمية أن تقيم في مكة وتحتل مكانة مرموقة فيها مثل بني النخاش من بني أسيد وغيرهم (٨) .
- وقد أثرت هذه الناحية في علاقة تميم بالدعوة الإسلامية ، فكانت معدودة ببعض الأفراد في بادئ الأمر ، مثل الحنات بن يزيد المجاشعي ، وهيب بن خراش بن حبيب (٩) ، وسفيان بن المذيل وابنه (١٠) ، بالإضافة

(١) انظر M.J. Kister, Macca and Tamim, p. 121-129

Journal of the Economic and Social History of the-orient, Vol. 8. Part.2. 1965. Leiden .

(٢) انظر Macca and Tamim, P.113

(٣) Macca and Tamim, P. 146- 153.

(٤) المحبر : ٢٦٥ ، الحيرة ومكة : ٥٨

(٥) المحبر : ٢٦٤-٢٦٥ ، الأزمنة والأمكنة (ط حيدر أباد) : ١٦٦/٢

(٦) انظر : تاريخ اليمقوي : ٢٢١/١ ، الحيرة ومكة : ٧٣ ، الأزمنة والأمكنة : ١٦٦/٢

(٧) انظر : النقائش : ٤٣/٨ ، المحبر : ٢٧ ، أنساب الأشراف (مخطوط) : ١٠٤٤

الأزمنة والأمكنة : ١٦٧/٢ .

(٨) الحيرة ومكة : ٨٩ - ٩٣ .

(٩) جمهرة أنساب العرب : ٢٣١ ، ٢٢٤ .

(١٠) الطبقات الكبير : ٤١/٢/١ .

إلى مجموعة أخرى من المؤلفات قلوبهم ، أمثال الأقرع بن حابس بن عقيل (١) و ذو
الخويصرة التميمي (٢) .

وكان سقوط مكة إيذانا بالقضاء على نفوذ تميم فيها ، وأحسّت تميم بتقلص
نفوذها وازدياد الخطر عليها بانتشار الإسلام بين القبائل المجاورة لها ، فحاولت
جماعة من بني النضير منع خزاعة من دفع الصدقات لجامعها من المسلمين (٣) ،
فأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم حملة بقيادة عبيدة بن حصن وذلك
في شهر محرم سنة تسع للهجرة ، فأغار عليهم فأخذوا منهم أحد عشر رجلاً و إحدى
عشرة امرأة وثلاثين صبياً ، فجلبهم إلى المدينة (٤) .

ثم قدم وفد تميم إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - في شهر رمضان
سنة تسع للهجرة ، وضم حوالي ثمانين رجلاً من شرفائهم منهم : عطار بن
حاجب بن زارة والأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ، وعمر بن الأهتم ، وقيس بن
ابن عامر والحفلات بن يزيد وغيرهم ، فنادوا الرسول صلى الله عليه وسلم - من
وراء الحجار في المدينة قائداً ذلك فنزل فيهم قوله تعالى : " إن الذين
ينادونك من وراء الحجار أكثرهم لا يعقلون " (٥) فلما خرج إليهم سألوهم مفاداة
عيالهم ، ففادى نصفهم وأعتق نصفهم الآخر (٦) ، وفي رواية أخرى أنهم طلبوا
مفاخرته ، فأذن لهم بذلك فقام خطيبهم عطار بن حاجب ، فذكر مفاخر قومه
وفضلهم ، فرد عليهم ثابت بن قيس خطيب الرسول ، ثم قام الزبرقان بن بدر ،
وافتحى بمآثر قومه شعراء ، فرد عليه حسان بن ثابت ، فلم يـــــــ

(١) مخازي الواقدي : ١٤٦/٣ (ط. لندن) ، ١٩٦٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساکر :
٨٩/٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٤٩/٣ .

(٣) الطبقات الكبير : ٤٠/٢/١ .

(٤) تاريخ الطبري : ١٥٧/٣ ، الطبقات الكبير : ٤٠/٢/١ مخازي الواقدي :

٩٧٥-٩٧٩ ، تاريخ اليعقوبي : ٦٣/٢ ، الشامي : السيرة النبوية

(مختلطة) : ١٠-١٢ ، النقائض : ٧٤٧/٢ ، ٦٩٦ .

(٥) سورة الحجار آية ، انظر تاريخ خليفة بن خياط ، بتحقيق الحمري : ٥٧/١ .

(٦) الطبقات الكبير : ٤٠/٢/١ ، النيسابوري تفسير غرائب القرآن ، طبع بها مشر

تفسير الطبري ، (ط. بولاق) : ٧٧/٢٦ ، البغوي ، معالم التنزيل ، طبع بها مشر

تفسير ابن كثير ، مصر ، ١٣٤٧ : ٨/٨ - ٩ .

مجمع القبائل العربية : ١٢٩/١ ، الردة : ١١٩ .

(١) انظار : النقائص : ٢/٧٤٧ ، الطبقات الكبير : ١/٢/٤٠ ، سيرة بن هشام : ٣/٨٦ ، تاريخ الطبري : ٣/١١٥ ، تهذيب تاريخ ابن عساکر : ٣/٨٦ ، معالم التنزيل : ٨/١٠ ، تفسير غرائب القرآن : ٢٦/٧٧ ، الإصابة : ١/٥٨ ، الحيرة ومكة : ٧٩ ، وانظر : W. Arafat, An interpretation of the different accounts of the visit of the Tamim delegation to the Prophet A.H. 9, BSCAS. 1955, P. 414- 425 .

(٢) الطبقات الكبير : ١/٢/٤١ .

(٣) تفسير غرائب القرآن : ٢٦/٧٨ ، علي القاري ، مرآة المفاتيح : ١١/٢٦٢ .

(٤) تاريخ الطبري : ٣/٢٦٧ ، تاريخ خليفة بن خياط : ١/٦٣ .

(٥) تاريخ الطبري : ٣/٢٦٨ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٦ .

(٦) تاريخ الطبري : ٣/٢٦٨ .

(٧) مرآة المفاتيح : ١١/٢٦٢ .

ولما وقع الخبر بوفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة (١١ هـ)، امتنعت
تميم عن دفع الزكاة واعتبروها إتاوة عليهم لقريش تأبأها نفوسهم (١)، واتخذوا
من ذلك ذريعة للانفصال عن المدينة والخروج على الخليفة، وتردد بنو سمد
وبنو عمرو من تميم في أداء الصدقات في بداية الأمر، ثم أدوها بعد ذلك إلى
المدينة، وأما رؤساء بني حنظلة ومنهم مالك بن نويرة، فقد وزعوا ما في أيديهم
من الصدقات على قومهم (٢)، ثم انضموا إلى جموع المتنبئة سجاح بنت أوس التميمية
وحالفوها على غزو المدينة، على أن يبذروا قبل ذلك باليمامة، غدا الحهم مسيلمة
على نصف غلاتها (٣).

وأمر أبو بكر خالد بن الوليد بالتوجه إلى بني حنظلة بالبحاج واختلف
الرواة في أمر مالك بن نويرة وقومه من يربوع اختلافا شديدا، فقد وقعوا فسي
الأسر ثم قتل مالك وأصحابه في غاروف عامضة وهم في أسر خالد (٤).

وتذكر الروايات أن من زعماء تميم الذين تبعوا سجاح، مالك بن نويرة
ووكيع بن مالك، والزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب، وعمرو بن الأشعث، وشيث
ابن رهمي وكان مؤذنها (٥).

ولما وجه أبو بكر همه إلى فتح الأقطار المجاورة لتلبية الداعي الجهاد،
واستثمار الطاقة القبائل الكامنة التي استثمرت بالفزو والمرب في الجاهلية،
وفي الردة. أمر ألا يفزو في جيش الفتوح مرتد (٦) فلم يشارك في تلك
الفتوح زمنه غير بني عمرو وبني بدار بن سمد ممن ثبتوا على الإسلام،
وكان عليهم في جيش خالد بن الوليد في المراق القحطاع بن عسـسـرو

-
- (١) الردة: ١٥٤، الطريق إلى المدائن: ١٥٨.
- (٢) النقائص: ٧١٥/٢، كتب الفتوح لابن أعثم: ٢١/١، فتوح البلدان: ٩٨،
تاريخ الطبري: ٢٦٣/٣، تاريخ ابن مسكويه: ٢٩٦/١، تاريخ ابن خلدون:
٨٧٣/٢.
- (٣) فتوح البلدان: ٩٩، الأغاني: ٢٤٠/١٥، الأوائل: ٣١٩، تاريخ الطبري:
٢٧١/٣-٢٧٥، التنبيه والإشراف: ٢٤٨، البدء والتاريخ: ١٦٤/٥،
المختصر في أخبار البشر: ١٥٧/١، تاريخ ابن الأثير: ٣٥٤/٢،
تاريخ ابن الوردي: ٨٧٣/٢.
- (٤) تاريخ الطبري: ٣٥٨/٣، تاريخ ابن الأثير: ٣٥٨/٢، شرح نهج
البلاغه: ٢٠٥/١٧.
- (٥) تاريخ الطبري: ٢٧٤/٣، التنبيه والإشراف: ٢٤٨، البدء والتاريخ:
١٦٤/٥ (٦) تاريخ الطبري: ٣٤٧/٣.

وأخوه عاصم والأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر (١) ، وفي وقعة دومة الحندل
 حال بنو تميم بين خالد بن الوليد وبين أسرى كلب وجموعهم من القيسية
 فاستهجن منهم خالد أن يحفظوا حلف الجاهلية مع بني كلب ويأمنوا أمر
 الإسلام (٢) . وتوجهت بعض بطون تميم مع خالد إلى اليرموك وعليهم القمعاق
 وبقي الآخرون وعليهم عاصم بن عمرو مع المشي في العراق (٣) .

وكانت فارس أبغض الوجوه إلى العرب وأثقلها عليهم ، لشدة شوكة
 الفرس ، وكان بنو تميم وقبائل ربيعة من أجراء العرب على الفرس (٤) ، فلما ندب
 عمر الناس إلى العراق من أهل الردة ، أتيت الفرصة لبني حنظلة للمشاركة
 في الفتوح ، وهم من أشد قبائل العرب بأسا في الحروب ، فجاءت جموع تميم
 إلى عمر ، فوجه الحصين بن معبد بن زرة على ألف منهم إلى العراق ، وأمر
 ربيعة بن حصين على بني حنظلة وأسر ولده شهاب بن معبد ، وأمر ربيعة بن
 عامر على بني عمرو ووجههم جميعا إلى العراق (٥) وقبل القادسية نزلت معظمتهم
 جنود سعد بن أبي وقاص على أمواه تميم وأسود قريبا من جموع الفرس ، فانتخب سعد
 من تميم وأحلافهم ثلاثة آلاف مقاتل ، وأنزلهم على حدود أرضهم مع الفرس ، وانضت
 بطون أخرى إلى الجيش من تميم في هذه الأثناء (٦) وليس لدينا ما يبيننا على
 معرفة عدد التميميين الذين اشتركوا في القادسية وما تلاها ، وكان لبني تميم
 بأس شديد في تلك الوقائع ، فقد استعمل سعد زهرة بن عبد الله بن عوف
 السعدي على مقدمة جيشه وجعله أسيرا على تعبيته (٧) وجعل عاصم بن عمرو
 الحميري على الساقة - كتبة المؤخرة - وسواد بن مالك التميمي على الطلائع
 وكان على بني سعد جزء من معاوية وعلى بني عمرو الحصين بن نزار وعليهم
 حنظلة الحصين بن معبد (٨) .

-
- (١) تاريخ الطبري : ٣/٣٠٥ - ٣٠٧ ، ٢٧٣ ، ٢٤٨ ،
 (٢) المصدر نفسه : ٣/٣٧٨ - ٣٧٩ .
 (٣) تاريخ الطبري : ٣/٤١٣ .
 (٤) فتوح البلدان : ٢٥٣ ، تاريخ الطبري : ٣/٤٤٤ .
 (٥) الأخبار الطوال : ١١٤ ، تاريخ الطبري : ٣/٤٦٤ ، الطريق إلى المدائن : ٤٢٢ .
 (٦) تاريخ الطبري : ٣/٤٨٦ .
 (٧) المصدر نفسه : ٣/٤٨٨ ، ٥١٥ .
 (٨) المصدر نفسه : ٣/٤٨٩ ، ٥٠٢ - ٥٠٣ .

وكان في وفد سعد بن أبي وقاص إلى يزيد جرد عدد من رؤساء تميم وخطباءهم منهم : حنظلة بن الربيع ، والمغيرة بن زوزارة بن النباش الأسدي ، وعطار بن حاجب ، وعاصم بن عمرو (١) ثم أوفد زهرة بن كوية وبرقي بن عامر إلى رستم بعد ذلك ، وكان هؤلاء الخطباء من ذوي الرأي واللباس (٢) وقد استعان بهم سعد في القادسية لحضر الجند على الصبر فكان لهم أثر عظيم (٣) ولما اشتد بأس الفيلة على المسلمين في أول أيام القادسية استعان سعد ببني تميم عابها ، فاختر عاصم بن عمرو جماعة من قومه كفوا المسلمين شرها (٤) ، وكان لقدوم القمقاع من الشام في اليوم الثاني من القادسية أثر بالغ في حفزهم المسلمين على القتال ، وتمكنت تميم في اليوم الثالث وعليها القمقاع وأخوه عاصم من حسم المعركة ، حيث تدبروا أمر الفيلة وشدوا على الفرسان وإن سعد ، فلما علم بذلك قال : " اللهم أغفرها له وأمنه " وظل يقول : " واتمها " طوال الليل ، فتمكنت جموع تميم وحلفائهم الرباب من الوصول إلى سرير رستم فقتلوه رجل منهم ، كما تمكن زهرة بن كوية وعاصم بن عمرو من مطاردة الجالينوس وقتله (٥) وسمع أهل البصرة مجتازا يشدد بعد المعركة :

وجدنا الأكثرين بني تميم غداة الروح أصبرهم رجالا
هم ساروا بأرعن مكفهم إلى لجب فزرتهم رجالا
بحور الأكراس من رجال كاسد الفاب تحسبهم رجالا
تركن لهم بقاد من عز فخر والغيثين أيا ما السوالا (٦)

وكان لتميم نصيب وافر من الفتوحات بعد القادسية ، ففي فتح المدائن سنة ١٥ هـ تمكن زهرة بن كوية من تطهير فلول الفرس حولها ، وكانت الكتيبة الفرساء بزعامة القمقاع وكتيبة الأحوال بزعامة أخيه عاصم أول من دخل المدائن من جيش سعد ، وجعل هاتين الكتيبتين من تميم (٧) ، وكان لهم بلاء عظيم في فتح جلولاء ، وعليهم القمقاع (٨) وتوجهت بمشروعاتهم بزعامة الأخنف وعاصم بن عمرو في جيش عتبة بن غزوان لإيقاد جيش الملاء بن الحارثي في فارس (٩) .

-
- (١) تاريخ الطبري : ٤٦٦/٣ .
 (٢) المصدر نفسه : ٥١٧/٣ - ٥٢١ .
 (٣) المصدر نفسه : ٥٣٢/٣ .
 (٤) تاريخ الطبري : ٥٤٠/٣ .
 (٥) المصدر نفسه : ٥٦١/٣ - ٥٦٥ ، تاريخ خليفه بن خياط : ١٠٢/١ .
 (٦) تاريخ الطبري : ٥٨٢/٣ .
 (٧) المصدر نفسه : ٩/٤ .
 (٨) المصدر نفسه : ٢٧/٤ .
 (٩) المصدر نفسه : ٧٢/٤ .

وفي سنة ١٧ هـ شاركت جموع تميم وعليهم سُلي بن القين وعمرطة بن مريطة وحرْقُوص بن زهير وجزء بن معاوية في فتح منازل ونهر تيرى وسوق الأهواز ثم شاركوا في فتح تَسْتَر (١) ، فلما أسرا الهرمزان أرسله أبو موسى الأشعري مع الأحنف بن قيس ، إلى عمر ، فأشار الأحنف على عمر أن يأذن للمسلمين بالانسياح في بلاد فارس ليقتضوا على ملكهم ، فأخذ برأيه (٢) ، وعقد لذلك سبعة ألوية ، دفع بلواء سجستان إلى عاصم بن عمرو فافتتحها صلحا (٣) ، ودفع بلواء غراسان إلى الأحنف وسار معه ربيعة بن عامر ، فتمكن من فتحها بعد قتال مرير وأرسل بالفتح إلى عمر فقال فيه : " هو سيد أهل المشرق المسمى بشير اسمه " (٤) ، وكان ذلك إذانا بانتقال بطون كثيرة من تميم لتستقر في الحراق وفارس .

ودعمت تميم فتوحاتها في سجستان وغراسان زمن عثمان حتى بلغت قوات الأحنف إلى خوارزم (٥) .

وكان عامر بن عبد القيس المنبيري من أشد تميم الكوفة احتجاجا على سياسة عثمان المالية وانحراف ولائه ، وتكلم عنده بذلك فنقاه عثمان إلى الشام (٦) ، وكان حرْقُوص بن زهير السعدي رأس الناقمين على عثمان من أهل البصرة ، فهاصر عثمان وحرّض على قتله (٧) ، ومال زعماء تميميون آخرون إلى التريث مع عدم رضاهم على سياسة عثمان ، ومن هؤلاء القمقاع (٨) .

ولما انتقل أوار الفتنة إلى الحراق مالت تميم الكوفة إلى علي ، وانضموا إلى جيشه وعليهم محقل بن قيس الرياحي والأعور بن نباته المنقري ، ومالك بن حبيب وكان على شرطة علي القمقاع بن عمرو ، وكان القمقاع كارها لهذه الفتنة

- (١) تاريخ الطبري : ٧٦/٤ - ٨٤ .
- (٢) المصدر نفسه : ٨٦/٤ .
- (٣) المصدر نفسه : ٩٤/٤ .
- (٤) المصدر نفسه : ١٦٧/٤ - ١٧١ ، تاريخ ابن الأثير : ٣٣/٣ .
- (٥) فتوح البلدان : ٤٠٣ ، الأخبار الطوال : ١٣٩ ، تاريخ خليفة بن خياط : ١٣٩/١ .
- (٦) الكامل : ٩٧/١ ، أنساب الأشراف : ٥٧/٥ ، كتاب الفتوح لابن أئثم : ١٨٣/٢ .
- (٧) تاريخ الطبري : ٣٥٢/٤ .
- (٨) المصدر نفسه : ٣٥٢/٤ .

فصرفهم إلى إصلاح ذات بين المسلمين، وأرسله علي إلى طاحلة والزبير للإصلاح وحقق الدماء، وكان أن ينجح (١) وأما تميم البصرة فقد آثر زعيمها الأحنف بن قيس أن يعتزل بقومه عن ذلك الصراع، فدعاهم إلى التقصير، فأجابته بنو سعد، فاعتزل بهم إلى راد السباع، ومال بنو عمرو وعليهم أبو الجرباء وبنو حنظلة وعليهم هلال بن وكيع بن مالك إلى نصره عائشة، فقاتلوا معها (٢) وقتل في وقعة الجمل من تميم خمسمائة رجل من أصحاب علي وعائشة (٣).

وكان الأحنف وبنو سعد أول من بايع علي بعد الجمل من أهل البصرة (٤)، وفي سنة ٣٦ هـ قدم جماعة من رؤساء تميم البصرة وفيهم الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة، وحاتمة بن بدر على علي بالكوفة، وأعلنوا له عن استعدادهم لنصرته على معاوية (٥)، وسارت معظم بطون تميم في المصيرين البصرة والكوفة مع علي إلى صفين، وكان على تميم البصرة الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة وأعين بن غبيمة، وعلى تميم الكوفة محفل بن قيس ومحمد بن عمير، وشيث بن ربيعة (٦). وكان لبني تميم على أهل الشام بأس لم ينسده معاوية طيلة حياته، فكان يقول للأحنف: "والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حمزة في قلبي إلى يوم القيامة" (٧).

وكان رؤساء تميم أشد الناس معارضة لاختيار أبي موسى للتحكيم (٨)، فلما كتبت صحيفة التحكيم كان أول الرافضين للتحكيم من تميم، فتشكلت بذلك نواة حزب الخوارج، فانشق عن جيش علي اثنا عشر ألفاً معظمهم من أغارب تميم وبكر، بزعامة شيث بن ربيعة التميمي (٩). وكان من زعمائهم يوم النهروان حُرْقُوص بن زهير السعدي، ومُسْتَقَر بن قَدَكِي (١٠).

-
- (١) تاريخ الطبري: ٤٨٩/٤ - ٤٩٦، وقعة صفين: ١٣٦.
 - (٢) تاريخ الطبري: ٤٩٧/٤ - ٥٠٤، تاريخ خليفة ابن خياط: ١٦٦/١.
 - الإمامة والسياسة: ٧٤.
 - (٣) تاريخ الطبري: ٥٣٦/٤.
 - (٤) تاريخ الطبري: ٥٤١/٤.
 - (٥) وقعة صفين: ٢٨-٣٠، الإمامة والسياسة: ٩٠.
 - (٦) وقعة صفين: ١٣٠، تاريخ الطبري: ٩٧٤/٤، تاريخ خليفة ابن خياط: ١٧٧/١.
 - (٧) وفیات الأعيان: ٥٠٠/٢، شذرات الذهب: ٧٨/١.
 - (٨) وقعة صفين: ٥٧٤-٦١٤، الأخبار الطوال: ١٩٣، الإمامة والسياسة: ١٣٦.
 - تاريخ الطبري: ٥٢/٥.
 - (٩) الكامل: ١٧٦/٣، وقعة صفين: ٥٨٧، تاريخ الطبري: ٥٥/٥-٦٦.
 - (١٠) الكامل: ١٨٠/٣، تاريخ خليفة ابن خياط: ١٨١/١، العقد:
- ٤٠٣/٢.

- وفي سنة ٣٨ هـ أجارت تميم البصرة ابن الحضرمي حين قدمها داعياً إلى معاوية ، وكانت تشب الحرب بينهم وبين الأزد الذين ظالموا علي ولائهم لعلي ، فوجه إليهم علي جارية بن قدامة السعدي في خمسمائة من تميم ، فاضرم النار على ابن الحضرمي وبعض أصحابه في دار من دور تميم (١) .
- وأسهم بنو تميم وعليهم معقل بن قيس في القضاء على عصيان الخوارج ابن راشد ، وسبى قومه بني ناجية حين خرجوا على علي - رضي الله عنه - (٢) .
- وفي سنة ٤٠ هـ قتل علي - رضي الله عنه - وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية ، قال الأمر إلى بني أمية (٣) .

-
- (١) النقايش : ١٢٥ / ١ ، تاريخ خليفة بن خياط : ١٨٠ / ١ ، تاريخ الطبري : ١١٠ / ٥ .
- (٢) تاريخ الطبري : ١١٣ / ٥ .
- (٣) تاريخ المعقوبي : ٢٠٤ / ٥ - ٢٠٥ .

٣ - موقف تميم من أحداث العصر الأموي :

لما انتهى الأمر إلى معاوية دخلت تميم في بيعته شأن باقي قبائل العرب في العراق ، وكانت تميم البصرة أسرع إلى الولاية لمعاوية من تميم الكوفة فروي أنهم كانوا من الحشانية ، وكانت تميم الكوفة أميل منهم إلى علي وشيعته (١) ، فكانت تميم في هذه الفترة بين موال للأمويين ، وبين باق ، علي ولا علي وبين خارج معارض للاتجاهين مما (٢) .

واستغل المفيرة بن شعبة المداء بين الشيعة والخوارج ، فأرسل معقل بن قيس الرياحي في جند الكوفة وفيهم تميم لقمع ثورة المستبرد التميمي ، فصبرت له تميم ، وقتل معقل بن قيس يومها (٣) .

وفي سنة ٥١ هـ اشتركت تميم الكوفة في القبض على حنظل بن عدي وأصحابه حين ثار على ابن زياد ، وشهد عليه جماعة من رؤسائهم (٤) . وقتل ابن زياد عروة بن أدية أحد كبار الخوارج من تميم سنة ٥٨ هـ بعد أن ظن أنه يهدد للخروج عليه (٥) .

ولما وفد ابن زياد على معاوية سنة ٦٠ هـ في أشرف البصرة أوصاه بالأحنف غيرا لكسب ود بني تميم (٦) . واشتركت تميم سنة ٦٠ هـ في القضاء على ثورة الحسين ، وكان بنو دارم من أشد الناصر فتكا بجماعة الحسين ، وكان على بني تميم يومها شيث بن ربحي ، وزوي أنه كره قتال الحسين فلم يقدم على قتاله ، وخرج معهم الحر بن يزيد الرياحي ، فمال إلى الحسين وقتل معه (٧) .

وفي سنة ٦١ هـ ثار أبو بلال مرداس بن أدية على ابن زياد فجرد عليه ابن زياد حملتين ، وقتل أبو بلال وجميع أصحابه بتوَّج (٨) .

-
- (١) المققد : ٢٤٨/٦ .
 - (٢) تاريخ الطبري : ٢٢١/٥ ، النوادر : ١٨٥ .
 - (٣) النقااضي : ٢٥٤/١ ، الكامل : ٢٣٧/٣ ، تاريخ خليفة بن خياط : ١٨١/١ .
 - (٤) تاريخ الطبري : ١٨٤/٥ .
 - (٥) تاريخ الطبري : ٢٥٣/٥ .
 - (٦) الكامل : ١٨٠/٣ ، المققد : ٢٧١/١ ، تاريخ الطبري : ٣١٦/٥ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ .
 - (٧) تاريخ الطبري : ٣٥٣/٥ ، تاريخ بن الأثير : ٥٩٢/٣ .
 - (٨) تاريخ الطبري : ٣٧٠/٥ - ٤٤٦ ، تاريخ ابن الأثير : ٤٦/٤ - ٦٩ .
 - (٩) الكامل : ٢٤٨/٣ ، تاريخ خليفة بن خياط : ٢٥١/١ ، تاريخ الطبري : ٤٧٠ ، ٣١٣/٥ ، المققد : ١٧٤/١ ، ٢٥٤ ، ٣٩٢/٢ ، تاريخ ابن الأثير : ٥١٨/٣ .

وفي سنة ٦٤ هـ عرض ابن زياد على أهل البصرة مبايعته ليقوم بأمرهم حتى يرتضي الناس إماما بعد وفاة يزيد ، فثار عليه سلمه بن ذؤيب اليربوعي ودعا الناس إلى ابن الزبير ففشأ أمره بين الناس فتحول ابن زياد ببیت المال إلى الأزد ، وقبل مسعود بن عمرو إجارته كارهة خشية محاداة بني تميم (١) ، ومنعت الأزد ابن زياد حتى رحل إلى الشام ، واستخلف ابن زياد مسعودا على البصرة وكان البكريون قد وعدوا وحلفهم مع الأزد حين قدموا البصرة ليتقوا بهم على تميم (٢) ، فسارت الأزد وبكر مع مسعود حتى دخلوا المسجد وبجعل مسعود يبايع الناس على المنبر ، وفي تلك الأثناء خرج مالك بن مسع في بكر وقصدوا دور بني الحنظلية من تميم ، فحرقوها واستعرضوا الناس ونهبوا النساء (٣) وذلك انتقاما لبكر خراسان ، وكانت تميم قد أعانت عبد الله بن خازم عابهم (٤) واستنفضت تميم الأحف فترثت حتى يستوثق من الأخبار ، فاندفع خمسمائة من شباب تميم عليهم سلمه بن ذؤيب إلى البكرين ، ثم لحق بهم الأحف في جموع تميم وحلفائهم من الأساورة ، فاجلوا الأزد ورهبته عن المسجد ، واستنزلوا مسعودا عن المنبر وقتلوه (٥) وفي رواية أخرى أن الأزقة من تميم عم الذين قتلوه نصرة لقومهم من تميم (٦) .

ووقع الشر بين الفريقين واقتتلوا زمانا بالمرء ، وسعى جماعة بالصلح بينهما ، فأثر الأحف الحكمة والحلم علي الحرب ، فقبل بالصلح علي أن تهدر تميم قتلاها وتدي قتل الأزد ورهبته ، وأن يدوا مسعودا عشر ديات لأنهم مثلوا به (٧) .

وبعد هذه الفتنة بايحت تميم لابن الزبير في البصرة والكوفة ، وفي سنة ٦٥ هـ لقي الحنف بن السجف التميمي في أهل البصرة ، وفيهم تميم جيش بن كلفة بالربذة ، وكان مروان بن الحكم قد بعثه لقتال ابن الزبير

(١) النقاظ: ٧٢٢/٢ ، ٧٢٤ ، تاريخ خليفة بن خياط: ٢٥٣/١ ، أنساب الأشراف

: ١٠٢/٢/٤ ، الإمامة والسياسة: ٢٥١ ، تاريخ الطبري: ٥٠٩/٥ .

(٢) النقاظ: ٧٢٩/٢ ، تاريخ الطبري: ٥١٦/٥ .

(٣) النقاظ: ١١٢/١ - ١١٣ ، ٧٢٦/٢ - ٧٣١ ، تاريخ خليفة بن خياط: ٢٥٢ .

أنساب الأشراف: ١٠١/٢/٤ - ١٠٧ ، تاريخ الطبري: ٥١٧/٥ .

(٤) النقاظ: ٧٢٧/٢ - ٧٢٨ ، أنساب الأشراف: ١٠٥/٢/٤ ، تاريخ الطبري

: ٥١٣/٥ .

(٥) النقاظ: ٧٣٠/٢ - ٧٣٣ ، تاريخ خليفة بن خياط: ٢٥٤/١ ، أنساب

الأشراف: ١٠٧/٢/٤ - ١٠٨ ، تاريخ الطبري: ٥١٨/٥ - ٥٢٠ .

(٦) النقاظ: ١١٢/١ ، الكامل: ٢٨٣/٣ ، ٣٠٦ ، أنساب الأشراف: ١٠٦/٢/٤ .

١١٢ (٧) النقاظ: ١١٧/١ - ٧٣٧/١ - ٧٤٢ ، أنساب الأشراف: ١١٢/٢/٤ .

الكامل: ١٤٠/١ .

في الحجاز فقتل حبيشا وهزم جيشه (١) .

وكانت تميم من أشد أهل الكوفة معارضة لثورة المختار وتزعّم رئيسهم شيبث بن ربعي حركة احتجاج أشراف الكوفة على المختار ، لأنه أدّى مواليتهم إليه ، وجعل لهم نصيباً في فيئتهم ، وتآملت تميم المختار بالكثافة ووافقهم شيبث بن ربعي ومحمد بن عمير بن عطار ، فلما هزمهم المختار جاءوا إلى البصرة يستنصرون مصعب بن الزبير عليه ، وسارت تميم البصرة مع مصعب في سنة ٦٧ هـ لقتال المختار ، وكان عليهم الأحنف بن قيس الذي توفي بالكوفة بعد ذلك بقليل فجزع عليه مصعب جزعاً شديداً (٢) .

وفي سنة ٧١ هـ قدم أشراف تميم مع مصعب بن الزبير في أشراف الحراق على أخيه فبقاهم ولم يكرمهم ، فكاتبوا بعدها عبد الملك بن مروان وقدروا بأخيه في مسكن ، ومن كاتّب عبد الملك من زعمائهم محمد بن عمير بن عطار وعتّاب بن ورقاء ، وكان الأحنف بن قيس قد حذّره من ذلك قبل وفاته (٣) .

ونشأت حركة الخوارج بعد موت يزيد نشاطاً كبيراً وكان لتيّهم مكان بارز في حركتهم ، كما كان لها المكان نفسه في قمع هذه الحركة أيضاً ، وهذه الظاهرة من أعجب مفارقات هذه القبيلة .

ومن زعماء الخوارج الذين شاركوا ابن الزبير في الدفاع عن الكعبة زمن يزيد ، عبد الله بن صفار المري ، وعبد الله بن إياض المري ، وحنظلة ابن بيهسر ، وبنو الماحوز : عبد الله ، وعبد الله ، والزبير ، من بني سليل بن يربوع (٤) وخرج الماحوز في البصرة مع ابن الأزرق في طائفة أخرى من الخوارج التميميين (٥) وخرجت إليهم تميم مع أهل البصرة بدولاب ، وعلى البشير ربيعة بن الأجدم القُداني من تميم فقتلته الخوارج يومئذ ، وتولى الأمر من بعده حارثة بن بدر القُداني ، واستحرّ القتل في بني تميم من أهل البصرة والخوارج أيضاً ، فرأس منهم عبد الله بن الماحوز على الخوارج فقتل ،

(١) أنساب الأشراف : ١٥٠/٥ ، تاريخ الطبري : ٦١١/٥ ، مصبرة أنساب

المرب : ٢٢٨ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٦١/١ ، تاريخ الطبري : ٦٠٠-٢٦١/١ .

(٣) النقائض : ٧٤٦/٢ ، الكامل : ١٠٩/١ ، تاريخ خليفة بن خياط : ٢٦٦/١ ،

المقد : ٢٧٠/٦ ، أنساب الأشراف : ٢٦٤/٥ ، تاريخ الطبري : ١٥٣/٦ ،

معجم البلدان : ٩٣/٢ .

(٤) أنساب الأشراف : ١٠٢/٢/٤ .

(٥) النقائض : ١١٨/١ ، الكامل : ٣٠٦ ، ٢٨٣/٣ .

ثم رأس أخوه الزبير من بعده فهزم أهل البصرة، وفرع أهل البصرة إلى الأحنف
زعيم أكبر القبائل فيها، بالإضافة إلى أن معظم الخوارج من قومه أيضا يهاب
الخوارج، فأشار عليهم بالمهلب (١) وندب قومه معه وعليهم الحرير بن هلال
السعدي، فالتقوا بالخوارج بسولاف، وعلى الخوارج الزبير بن الماحوز،
وفيهما عبيد الله بن الماحوز والزبير بن علي السليطي وكلهم تميمي، فشدوا على
جند البصرة، فكشفوهم واستحرقوا القتل في تميم، فقال رجل من بني منقر في المهلب:

بسولاف أضمت دما قومي وطرت على مواشكة زبير (٢)

فلما كره أهل البصرة على الخوارج في سلقى وسليطي كره بنو المدينة مسن
تميم قتالهم، وكان معظم الخوارج من بني يربوع قبيلتهم، فقال لهم المهلب
: "يا بني تميم أمركم فتصونوني؟" (٣) إلا أن بني الهجيم بن عمرو بن تميم
كانوا أشد الناس على الخوارج يومها، وقال فيهم المهلب : "ما وقعت في أمر ضيق
من الحرب إلا رأيت أمامي رجلا من بني الهجيم بن عمرو بن تميم يجادلون،
وكان لحاهم أناب الحقائق" (٤) .

وقتل في هذه الواقعة عبيد الله بن الماحوز قائد الخوارج فبايعوا الزبير بن
علي السليطي، وكلاهما من تميم (٥) .

وحاصر الزبير بن علي ومعه قاري بن الفجاءة عتاب بن ورقاء الرياحي
التميمي في أصبهان، فأرسل إليه عتاب : "أنا ابن عمك، ولست أراك تقصد في
انصرافك من كل حرب غيري" فبعث إليه الزبير : "إن أدنى الفاسقين وأبعدهم
في الحق سواء" (٦) فلما طال الحصار على عتاب خرج إليهم في فوارس من
تميم وهم غارون فهزمهم، وقتل يومها الزبير بن علي، قتله الحارث بن عتبة
الهمداني، فغضب عتاب منه وكره قتل الزبير لأنه من قومه (٧) .

-
- (١) النقائص: ١١٨/١، الكامل: ٢٩٣/٣-٣٠٦، تاريخ خليفة بن خياط: ٢٥١/١
تاريخ الطبري: ٦٢١/٥، الأغاني: ١٤٣/٦ .
(٢) الكامل: ٣١٦/٣-٣١٦، تاريخ الطبري: ٦١٨/٥ .
(٣) الكامل: ٣٢٤/٣-٣٢٥، شرح نهج البلاغة: ١٥٢/٤-١٥٤ .
(٤) تاريخ الطبري: ٦١٩/٥ .
(٥) الكامل: ٣٣٩/٣، تاريخ الطبري: ١٢٠/٦-١٢١ .
(٦) الكامل: ٣٤٧/٣-٣٥١، شرح نهج البلاغة: ١٦٨/٤ .

وأُنزلت الخوارج بقيادة قطاري بن الفجاءة ضربات مؤلمة بجند أهل البصرة زمن عبد الملك ، فقد هزموا عبد الميزب بن عبد الله بن أسيد هزيمة نكراء وأصبحت تميم معه بشر عظيم (١) ، ثم أمر عبد الملك خالد بن عبد الله أن يولي المهلب قتال الأزارقة ، فأمدّه خالد بالفي جندى تميمي من أهل الكوفة (٢) .

ولما ولي الحجاج العراق سنة ٧٥ هـ أمر المهلب أن يسرع في مناجزة الخوارج وينتهي من أمرهم ، وكانت تميم أشد الناصر لهذا على القتال ، سواء في جيش المهلب أم في جماعة الخوارج ، فيروى أن المهلب حين جاء البراء بن قبيصة من عند الحجاج يستحثه في مناجزة الخوارج أمر أصحابه أن يهيجوا الخوارج ، فخرج فرسان من أصحابه ، فخرج إليهم من الخوارج جمع فاقتتلوا إلى الليل ، فقال لهم الخوارج : " ويلكم أما تظنون ؟ " فقالوا : " لا حتى تملوا " ، قالوا : " فمن أنتم ؟ " قالوا : " تميم " ، قالت الخوارج : " ونحن تميم " وفي اليوم التالي فعلوا مثل ذلك حتى المساء فقال لهم الخوارج : " ويلكم من أنتم ؟ قالوا تميم " ، قالوا : " ونحن تميم " فقال البراء للحجاج حين رجع إليه " رايت قوما لا يمين عليهم إلا الله " (٣) .

وفي سنة ٧٦ هـ خرج صالح بن مسرح التميمي في جماعة من الفريسة في الجزيرة ، ثم انحاز إلى العراق ، وقتل صالح بجوخا فبايع المشركون شبيباً من بعده ، فسير إليه الحجاج عتاب بن ورقاء الرياحي ومعه زُهره بن حوية السعدي ، فالتقى الجانبان بسوق حكمة ، ففرق أهل الكوفة عن عتاب وزُهره ، ولم يبق حوله غير قلة من تميم ، فقتل عتاب بن ورقاء وقتل معه زُهره (٤) .

وفي سنة ٧٧ هـ قُتل قطاري بن الفجاءة بالتميمي في طبرستان وشارك سؤرة بن أبجر التميمي في قتله (٥) .

وكان لتمييم اثر خطير في أحداث خراسان التي تلت موت يزيد فقد حالت تميم عبد الله بن خازم على ربيعة هناك ، لأسباب سياسية واقتصادية وقبلية ، فلما تنكر لهم قنوه عليه ، ثم أدت ملامع زعماء تميم إلى انقسام هذه القبيلة على نفسها ، ونشب الصراع بين بطونها ، فأوشك ذلك الصراع أن يقضي على وجود العرب في خراسان .

(١) الكامل : ٣/٣٥٣ ، ذيل الأماي : ٣٢ ، شرح نهج البلاغة : ١٧٦/٤ .

(٢) الكامل : ٣/٣٦٢ - ٣٦٥ .

(٣) الكامل : ٣/٣٧٣ تاريخ الطبري : ٦/٣٠٢ ، شرح نهج البلاغة : ١٩٠/٤ .

(٤) الكامل : ٣/٣٨٠ ، تاريخ خليفة بن خياط : ١/٢٧٢ ، تاريخ الطبري

٦/٢٢٣ - ٢٣٠ .

(٥) الكامل : ٣/٣٦٢ ، تاريخ الطبري : ٦/٣٠٨ ، تاريخ اليعقوبي

٣/٢٨ .

ففي سنة ٦٤هـ سيطر ابن خازم على خراسان بعد خروج سلم بن زياد عنها (١)، وثار بكر عليه ومنعوه من دخول الطالقان، فحالف بني تميم، فأبواه التميميون طمعاً في الاستئثار بالسلطة هناك وانهزمت بكر إلى حمارة ثم أجمعوا أمرهم على إخراج مضر من خراسان كلها، وسارت إليهم تميم بهرة واقتتلوا أكثر من سنة، ثم عرضت عليهم تميم الصلح فأبوا إلا أن تخرج مضر عن خراسان أو ينزلوا لهم عن كل ما يملكون من مال ومنافع وسلاح، ولكن تميماً تمكنت من دحرهم وإبائهم عن حمارة (٢).

ولما استتب الأمر لابن خازم في خراسان حلفا بني تميم ومنعهم من دخول حمارة، فثاروا عليه وقتلوا ابنه محمداً، واجتمع أمرهم على قتال ابن خازم وولوا عليهم الحريش بن هلال القريمي، واجتمع عليه من فرسان تميم المشهورين: شماس بن دثار، وبجير بن ورقاء، وشعبة بن ظهير النهشلي، والحجاج بن ناشب المدوي وغيرهم (٣) وكان الواحد منهم بكنية، فقاتلوا ابن خازم نحو سنتين ثم ملوا القتال وتفرقوا في أرجاء خراسان، فمضت جماعة منهم إلى أبرشهر وأخسري إلى قصر فرتنا وأخرى إلى ناحية مرو، وأخرى إلى سجستان (٤)، وانتهز ابن خازم تفرق جماعة تميم، فأتى قصر فرتنا وحصر به ثمانين فارساً منهم سنة ٦٦هـ، وكان فيهم زهير بن ذؤيب والحجاج بن ناشب رقيصة ابن الحر، فلما اشتد عليهم الحصار سألوهم الصلح فأبوا إلا الغزول على حكمه فصرق زهير بن ذؤيب أنه الموت، وأشار عليهم أن يخرجوا إليه بسيوفهم فأما أن يموتوا إكراماً وإما أن ينجو بعضهم، فأبوا عليه، فقتلهم ابن خازم جميعاً (٥).

وفي سنة ٧٢هـ عزم ابن خازم على التوجه إلى قتال جماعة أخرى من تميم بأبرشهر وعليهم بجير بن ورقاء، ولكن بكر بن وشاخ التميمي خليفته على مرو، دعا إلى عبد الملك (٦)، فخشي ابن خازم أن تجتمع عليه تميم مرو وأبرشهر فهرب إلى الترمذ فلاحق به بجير بن ورقاء في فرسان تميم.

- (١) النقائض: ٣٣٢/١، تاريخ الطبري: ٥٤٧/٥.
- (٢) فتوح البلدان: ٤١٤-٤١٥، تاريخ الطبري: ٥٤٩/٥-٥٥١.
- (٣) النقائض: ٣٧٢/١، فتوح البلدان: ٤١٥، تاريخ الطبري: ٦٦٣/٥-٦٦٤.
- ذيل الأمالي: ٣١-٣٢.
- (٤) تاريخ الطبري: ٦٢٥/٥.
- (٥) فتوح البلدان: ٤١٥، تاريخ الطبري: ٧٨/٦.
- تاريخ ابن الأثير: ٢٥٤/٤.
- (٦) النقائض: ٣٧٢/١، تاريخ خليفة بن خياط: ٢٦٦/١، فتوح البلدان: ٤١٥، تاريخ اليعقوبي: ١٧/٣، تاريخ الطبري: ١٧٦/٦.

فتحكن وكعب بن عميرة القريني (ابن الد ورقية) من قتله (١) فبعث بجير بذل الملك إلى عبد الملك ، ولم يبعث برأس ابن خازم ، فلما لحق بهم بكير بعثهم بجيرا وبعث بالرأس إلى عبد الملك وأدعى قتله ، فانقسمت تميم على أمرهم فمالت مقاعسر والبيان إلى بجير ومالت عوف والأبناء إلى بكير ، ونشبت بينهم المربية فخشي أهل خراسان من فتنة جديدة ، فبعثوا إلى عبد الملك ليرسل إليهم واليا من قريش ، فولى عليها أمية بن عبد الله بن خالد وعزل بكيرا (٢) فلما قدم أمية خراسان ولي بجيرا على شراة وحذر من بكير ، فلما خرج أمية إلى غزو بخاري ثار عليه بكير في جماعة من تميم بسمرو ولكن أمية صالحه وأمنه ، فراح بجير ينقر على بكير عند أمية وشهد عليه في جماعة من تميم أنه يريد خلعه ، فقهر عليه أمية ودفع به إلى بجير فقتله (٣) ، وتماقد جماعة من بني عوف بن كعب على الدالب بدم بكير ، وألوا يترصدون ببجير حتى تمكن أحدهم من اغتياله في مجلس المصلي ، فوثبت مقاعسر والبيان على الرجل فقتلوه ، فثار له بنو عوف والأبناء ، فخاف الناس أن يهتلم الشر فساروا بينهم بالصلح ، فودت البطون الصوفي تميم ، وجعلوا دم بجير بوا بدم بكير وانتهت هذه الفتنة سنة ٨١ هـ (٤) .

وانضم بعض زعماء تميم إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حين ثار على الحجاج سنة ٨١ هـ ، وكان على مقدمة جيشه عطية بن عمرو العبدي وعيسى شراة العبدي عبد المؤمن بن شيب بن ريمي ، وكان عبد المؤمن خطيبا بليغا ، وش الناصر على بيعة بن الأشعث (٥) ، ولما دخل ابن الأشعث البصرة بايعته تميم مع سائر القبائل على خلع الحجاج وحرب عبد الملك ، وقاتلوا معه يوم الزاوية ، وكان عليهم الكرش بن هلال السعدي فقتل يومها (٦) . وفي أثناء ذلك غلب مطر بن ناجية التميمي على قصر الإمارة بالكوفة ، وبايع ابن الأشعث في بني تميم حين دخلها سنة ٨٢ هـ (٧) .

-
- (١) الذامل : ٢٤١/١ ، تاريخ خليفة بن خياط : ٧٦/٢ ، عيون الأخبار : ١٧٤/١ ، فتوح البلدان : ٤١٦ .
 (٢) فتوح البلدان : ٤١٦ ، تاريخ الطبري : ١٧٧/٦ ، ٣٣٣ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٨ .
 (٣) فتوح البلدان : ٤١٦-٤١٧ ، تاريخ الطبري : ٣١٣-٣١٧ ، تاريخ الخلفاء : ١٨/٣ .
 (٤) تاريخ الطبري : ٣٣٢-٣٣٤ .
 (٥) تاريخ الطبري : ٣٣٦/٦ ، معجم البلدان : ٢٤/٢ .
 (٦) تاريخ الطبري : ٣٤٣/٦ .
 (٧) النقاش : ١١٨/١ ، تاريخ خليفة بن خياط : ٢٨١/١ ، عيون الأخبار : ٢٥٩/٢ .

وكان لتميم بلاء عظيم في فتح بخارى سنة ٥٠ هـ مع جيش قتيبة وكان عليهم
وكيع بن أبي سود الخداني (١) .

واستغلف قتيبة حين خرج الى بخارى عبدالله بن عبدالله بن الأهمس
على مرو، فطامع في ولاية خراسان، فراح يبحث بعينيه الى الحجاج، ويؤسب
الناس عليه، فعلم قتيبة بذلك، ففر ابن الأهمس من وجهه، فأخذ قتيبة كل من
وجهه من آل الأهمس وقتلهم، فقدم عليه وكيع بن أبي سود الخداني زعيم تميم في
خراسان، فصرله قتيبة عن رئاستهم فزادت ثقته عليه (٢)، فلما ولي سليمان
الخليفة سنة ٩٦ هـ، دعا قتيبة القبائل الى خلعه فخلوه، فخطب فيهم
ونال من جميع القبائل فقال في بني تميم: "يا أهل الخور والقصف والخذر،
كنتم تسمون الخدر في الجاهلية كيسان" (٣) وعزمت الأزد وربيعة على الوثوب
به، فخشوا أن تصينه تميم للمصيبة، وكانت تميم قد بايحت وكيعا على خلعه
قتيبة وكان بخراسان يومئذ عشرة آلاف مقاتل من تميم البصرة وحدها (٤)،
فانضمت إليهم الأزد وربيعة، وأرأسوا عليهم وكيعا فثاروا بقتيبة وقتلوه، وقسم
وكيع بولاية خراسان عشرة أشهر بعد ذلك (٥) .

وعارضت تميم في البصرة يزيد بن المهلب حين ثار على يزيد بن عبيد
الملك سنة ١٠١ هـ، فثاروا عليه وقتلوه بالمريد وجبانه يشكر، فتغلب عليهم يزيد
بمحنة الأزد وربيعة، فهرب رؤساء تميم البصرة بعدها الى الكوفة والشام
ثم انضموا الى جيش مسleme بن عبد الملك، وكان عليهم سويد بن القيساس
في ميمنة الجيش (٦) .

ولما فرغ مسleme من أمر آل المهلب بالبراق وجه هلال بن أحوال الطائفة
بجيش كليل من تميم لبلاسة فلول جيش ابن المهلب فوقع بهم بقتاداهل، وكان
لتميم ضراوة شديدة في قتال آل المهلب للمصيبة بين مضر والأزد وأحلافهم
ربيعة فقتلوا شأن مضر في البراق وخراسان (٧) يومها .

-
- (١) تاريخ الطبري: ٤٤٣/٦ .
 - (٢) النقائص: ٣٤٩/١ - ٣٥١ فتوح البلدان: ٤٢٥، تاريخ الطبري: ٥١٢/٦ .
 - الأغاني: ٢٩٣/١٤ .
 - (٣) النقائص: ٣٥١/١، تاريخ الطبري: ٥٠٩/٦ - ٥١١ .
 - (٤) النقائص: ٣٦٨/١، تاريخ الطبري: ٥١٢/٦، فتوح البلدان: ٤٢٢ .
 - (٥) النقائص: ٣٦٠/١ - ٣٦٣، تاريخ خليفة بن خياط: ٢٠٠/١، فتوح
البلدان: ٤٢٣ - ٤٢٥، تاريخ الطبري: ٥١٦/٦ - ٥١٨ .
 - (٦) تاريخ الطبري: ٥٨١/٦ - ٥٩١ .
 - (٧) تاريخ خليفة بن خياط: ٣٣٤/١، الكامل: ٢٢٤/٣، الحقد: ٤٤٢/٤ .

- ٤٤ -

وفي سنة ١٠١ هـ تمكن فرسان تميم بخراسان وعليهم شعبة بن الحميز

النهشلي من دحر الترك عن قصر الباهلي وانقاذ من به من الحرب (١) .

وخرجوا سنة ١٠٢ هـ مع سعيد بن خزيمة لغزو الصفد ، فوقعتم غياهم في

كمين للصفد فقتل منهم حوالي خمسين فارساً ثم صبروا للصفد حتى كشفوهم (٢) .

وفي سنة ١٠٦ هـ اشتملت الفتنة بين مضر من ناحية وبين بكر والأزد من

ناحية أخرى ، وكان سببها امتناع الأزد وربيعة بالبروقان من أرض بلغ عن الخروج

للغزو مع مسلم بن سعيد والي خراسان ، فأرسل إليهم نصر بن سيار في فرسان

تميم ليخرجهم ، فامتنعوا عليه ، فانضمت تميم إلى نصر بن سيار وخرجت الأزد

وربيعة مع عمرو بن مسلم الباهلي فاقتتلوا بالبروقان فانهزمت الأزد وربيعة (٣) .

ولما ولي خالد القسري أخاه أسداً على خراسان اضطلع بالضريرة

هناك ، وسجن عدداً من وجوههم وجلدهم بالسياط ومنهم : نصر بن سيار

وسورة بن الحر الدارمي ، وعامر بن مالك الجعاني ، فهتت تميم بالوثوب على اليمانية

فكفهم نصر عن ذلك ، فخشي هشام أن يفسد أسد الناس بالمصيبة فأمر بحزله (٤) .

وفي سنة ١١٢ هـ حاصرت الترك سورة بن الحر التميمي بسمرقند ، فسار

بنو تميم مع الجنيد لنجدة ، فأوقع بهم الترك بالباريق ، فقتل عدد كبير من

خيرة فرسان تميم ، فبعث الجنيد إلى سورة أن يقدم عليه بأهل سمرقند ومعظمهم

من تميم أيضاً ، فتصرف له الترك وقذوا على معظم جيشه ، فعز عن عليه هشام حزناً

شديداً (٥) .

وفي سنة ١١٦ هـ ثار الحارث بن سرج التميمي بالنخذ ، وكان على رأي

المرجئة ، ودعا إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا ، فلقبت دعوته رواجاً كبيراً

في خراسان (٦) وانضم إليه نحو ستين ألفاً من فرسان تميم والأزد ومسلمي

الطالقان والفا رباب والجوزجان ومرو ، وسيطروا على معظم أنحاء خراسان (٧) ،

(١) تاريخ الطبري : ٦٠٧/٦ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ٣٣٥/١ ، تاريخ الطبري : ٦١٣/٦ .

(٣) تاريخ الطبري : ٣٠/٧ .

(٤) عيون الأخبار : ١١٢/٣ ، تاريخ الطبري : ٤٨/٧ .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط : ٣٥٨/٢ ، تاريخ الطبري : ٧٣/٧ .

(٦) السيادة الصربية : ٦٠-٦٣ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط : ٣٦٠/٢ ، تاريخ الطبري : ٩٦/٧ ، تاريخ ابن خلدون :

فلما علم هشام بأمره ولى أسد بن عبد الله على خراسان مرة ثانية خلفا لحاصم بن عبد الله البهلولي ، واستطاع أسد أن يهزم أصحاب الحارث إلى طخارستان ، فعاد الحارث فاقان وطلوك الصفد والشاش والأشكند والختل ، الذين رأوا في حركته فرصة لأعصيان ومنع الجزية (١) ، وظال مترددا في بلاد الترك حتى خلافة يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ ، فاشتد الصراع بين اليمانية والمضرية في خراسان ، وتمرد جديع الكرمانى ، ودعا اليمانية إلى خلع نصر بن سيار ، فأرسل نصر إلى الحارث يصرفه عليه أن يطلب له الأمان من الخليفة ، فقبل الحارث وعاد إلى مرو بعد اثنتي عشرة سنة في أرض الترك (٢) ، ولما آلت الخلافة إلى مروان بن محمد ، خشي الحارث ألا يجيز أمان يزيد له ، فتمرد مرة أخرى وانضم إليه ثلاثة آلاف من تميم وحاول بمفرده ساء تميم أن يشوه عن ذلك فذكروه بفضل نصر عليه وعلى تميم عامة ، وحذروه من أن يفرق جماعة تميم ، فأبى إلا الخروج طيباً ودخل مرو ونهبها فقاتله نصر وأخبره عنها (٣) ، فخالف الحارث يديع الكرمانى على قتال نصر فتغلها عليه وعلى أصحابه من المضرية ، وفتكت اليمانية من أصحاب الكرمانى بهم وهدموا دورهم بمرو ونهبوا أموالهم فنقم أصحاب الحارث من المضرية عليه لمعالفته الكرمانى على قومه ، فخرج خمسة آلاف مضري عن عسكر الكرمانى من أصحاب الحارث ، فام يلبث الحارث أن لحق بهم ، وقاتلوا اليمانية داخل مرو ، فقتل الحارث وانهزمت المضرية ، وصفت مرو لليمانية ، فقال فيه نصر بن سيار :

يامدخل الذل على قومه	بعدا وسحقا لك من مالك
شوئك أردى مضرا كلها	وغض من قومك بالحدادك
ما كانت الأزد وأشياعها	تطمع في عمرو ولا مالك
ولا بني سعد اذا أجموا	كل طمرلونه حالسك (٤)

وكان لثورة الحارث بن سريج أثر بالغ في التصجيل بزوال الأمر عن بني أمية (٥) وقد استفصل أبو مسلم ذلك الصراع بين المضرية وبين ربيعة واليمن في خراسان

(١) تاريخ خليفة بن خياط : ٣٦٢/٢ ، تاريخ الطبري : ١٢١/٧ ، السيادة المضرية

٦٤ :

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ٤٠٩/٢ ، تاريخ الطبري : ٢٩١/٧ - ٢٩٤ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ٤٠٤/٢ ، تاريخ الطبري : ٣٠٠/٧ - ٣٣٥ .

(٤) تاريخ خليفة بن خياط : ٤٠٥/٢ ، تاريخ الطبري : ٣٣٦/٧ - ٣٤٢ .

(٥) السيادة المضرية : ٦٠-٦٣ .

وأما هذه الدعوة لبني الحباس سنة ١٢٠ هـ (١) وكان بنو أمية القيس من تميم من أول الباطون التميمية التي دخلت في أمر بني الحباس، فقد اختار محمد بن علي منهم أربعة نقباء من بين اثني عشر نقيباً، للدعوة في خراسان سنة ١٠٤ هـ وهم: أبو عبيدة موسى بن كعب، ولاهر بن قريظ، والقاسم بن مجاشع قاضي دعوتهم، وأسلم بن سلام (٢)، وكان خازم بن خزيمة التميمي من أشهر قادتهم عند ظهور الدعوة، وهو الذي أظهر أمرهم في مرو التوند (٣).

ولما شعر نصر بأمر أبي مسلم احتال على الكرمانى ودعاه إلى السلاج فلما رأى منه غرة وجهاً إليه حاتم بن الحارث بن سريج في ثلاثمائة فارس من تميم، فقتل الكرمانى، فعالف ابن الكرمانى أبا مسلم في ربيعة واليمن (٤)، وبعث أبو مسلم لاهز بن قريظ التميمي إلى نصر في جماعة يدعوه إلى البيعة فخشى لاهز على نصر من غدر أبي مسلم، فاولماً لراه أن يهرب للمصيبة العارضة ففصل، فقتل أبو مسلم لاهزاً (٥).

ولما دخل خازم بن خزيمة التميمي حرب عاملها حبيب بن بديل النهملي، وكان معادماً أهلها من تميم وقيس، فهربوا إلى الكوفة، فأخذ أبو مسلم أموالهم وأملأهم (٦).

ولما انضمت الأزد وربيعة إلى أبي مسلم صارت تميم من أشد القبائل مقاومة لدعوة بني الحباس في خراسان والبصرة، وذلك بسبب الصراع القبلي الذي استعصم بين هاتين الكتلتين، فتعرضت تميم لمذابح عنيفة في بعض نواحي خراسان وجرجان فقد قتل منهم أبو مسلم ثلاثين ألفاً في جرجان وحدها سنة ١٣٠ هـ (٧).

فلما أرسل أبو سلمة الخلا، سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب إلى البصرة ليظهر بها دعوة بني الحباس سنة ١٣٢ هـ، امتنع عليه بنو تميم

-
- (١) تاريخ خليفة بن خياط: ٤٠٩/٢.
 - (٢) تاريخ الطبري: ١٠٧/٧، جمهرة أنساب العرب: ٢١٤، تاريخ ابن الأثير: ٣٩٧/٥.
 - (٣) تاريخ الطبري: ٣٥٦/٧ - ٣٦٠.
 - (٤) تاريخ خليفة بن خياط: ٤٠٩/٢، الأخبار الباقية: ٣٦٢، تاريخ الطبري: ٣٧٠/٧، تاريخ ابن الأثير: ٣٦٥/٥.
 - (٥) تاريخ خليفة بن خياط: ٤١٢/٢، تاريخ الطبري: ٣٧٨/٧.
 - (٦) تاريخ الطبري: ٤٠٤/٧.
 - (٧) تاريخ خليفة بن خياط: ٤١٣/٢، تاريخ الطبري: ٤٢٠/٧، التنبيه والإشراف: ٢١٣.

ونصرته الأزد وربيعة ، فالتقى الجانبان بالمربد ، فتغلبت تميم على الأزد وربيعة بعد قتال عنيف ، ثم هدموا دورهم وسبوا نساءهم ، وقتلوا سفيان بن معاوية (١) وفي أثناء ذلك استسلم يزيد بن عمر بن هبيرة آخر ولاية بني أمية على الحسراق بواسطاً فيمن معه من مضر على الأمان فغدر به أبو الحبلاء فقتله وقتل مصطلم من معه من تميم وقيس . وكان ذلك بعد هزيمة مروان بن محمد في وقعة الزاب سنة ١٣٢ هـ (٢) ، وانتهى بذلك سلطان الأمويين في المشرق .

حاولنا في هذه المجالة السريعة أن نرسم صورة واضحة لموقف تميم من الأحداث في الجزيرة العربية والحراق وبلاذ فارس حتى سنة ١٣٢ هـ ، ويتضح من هذا العرض ما كان لهذه القبيلة من الأثر العظيم في تلك الأحداث والتأثر بها ، وكان معظم رجال تميم الذين تولوا قيادتها في تلك الأحداث أو برزوا فيها من الخطباء المصاقع ، مما كان له شأن عظيم في تأور خطاباتهم وتحركها بتحريك هذه القبيلة في تلك الأحداث والتفخيرات التي منسوبة بها في تلك الفترة .

-
- (١) تاريخ الطبري : ٢٠٧/٤٢٠ ، تاريخ ابن الأثير : ٥/٤٠٦ .
 (٢) تاريخ الطبري : ٢٠٧/٤٥٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٥/٤٤١ .

الفصل الثاني

خطابة تميم في العصر الجاهلي واتجاهاتها البارزة

- أ - موقف النقاد والباحثين من الخطابة المرمية في العصر الجاهلي .
- ب - دواعي ازدهار الخطابة في قبيلة تميم زمن الجاهلية .
- ج - ما وصلنا من خطابة تميم في الجاهلية .
- د - الاتجاهات البارزة لخطابة تميم في الجاهلية .

خطابة تميم في العصر الجاهلي واتجاهاتها البارزة :

١- موقف النقاد والباحثين من الخطابة العربية في العصر الجاهلي :

لا بد للباحث الذي يتصدى لدراسة الخطابة العربية في الجاهلية أن يتعرض لقضية أساسية تتعلق بتقدير وجود هذا الفن لديهم في تلك الفترة ، وتركز المشكلة في هذا التساؤل : هل كان للعرب خطابة في الجاهلية ؟ وما المستوى الذي بلغته ؟ ثم ما مدى صحة تلك النصوص التي وصلتنا منها شواهد يمكن الاعتماد عليها في دراسة حركة الخطابة عندهم ذلك الوقت ؟ وتشكل الإجابة عن هذه التساؤلات قاعدة ضرورية يفتلق منها البحث إلى دراسة حركة الخطابة في قبيلة تميم واتجاهاتها البارزة زمن الجاهلية .

وقد اضطرب الباحثون الذين درسوا الخطابة الجاهلية اضطراباً شديداً في تقدير وجودها ، والحكم على نصوصها ، ولم يصلوا في هذه القضية إلى نتيجة ثابتة أو رأي موحد يمكن الاطمئنان إليه (١) .

ويمكن تقسيم اتجاهات الباحثين المحدثين في هذه القضية إلى ثلاثة اتجاهات

رئيسية :-

الاتجاه الأول ويمثله د. طه حسين وذهب إلى أن العرب لم تكن لهم خطابة ذات فناء قبل الإسلام ، لأن الخطابة تحتاج إلى الاستقرار والثبات والاطمئنان إلى الحياة المدنية المعقدة ، ويرى أن أهل البادية كانوا في حرب وغزو وخصومات ، وهذا يدعو إلى الحوار والجدل ، ولكنه لا يدعو إلى الخطابة ، ثم يخلص إلى أن الخطابة فن إسلامي خالص (٢) .

وتابعه على ذلك الدكتور شكري فيصل واعتبر الخطابة فناً إسلامياً النشأة ، ومطلبل ذلك بمخالفة النشر الجاهلي الباهت ، في كثير من الأحيان ، ولا يكاد يخرج عن الفقرات القصيرة والنظرات الحكيمة ، وكأنه لم يقصد إلى ما يقصد إليه الشعر من إمتاع وبهاء (٣) . وقد نحا التهانوي في تحديد مصطلح الخطبة في موسوعته هذا المنحن أيضاً (٤) .

(١) انظر الفني وأثر الجاهلية فيه : ٢

(٢) في الأدب الجاهلي : ٣٣١ .

(٣) المجتمعات الإسلامية في القرن الأول للهجرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٢ :

٣٥١ - ٣٥٣ .

(٤) موسوعة مصطلحات العلوم الإسلامية : ٤٠٥/٢ .

ولذا رأى أصحاب هذا الاتجاه أن جل ما نسب إلى العصر الجاهلي من الخطب والوصايا إنما نحل في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وذلك للأسباب التي دعت إلى نحل الشعر من سياسة ودين وقصص وشمونية وتكثر في الرواية (١) . ومع أن د. زكي مبارك يرى أن للمرب خطابة مزدوجة قبل الإسلام، أصيلة تتناسب مع صفاء أذهانهم وسلامة دأبعهم (٢) إلا أنه يوافق أصحاب هذا الاتجاه في موقفه من الغصوص، فيرى أن جميع ما نسب إلى ذلك العصر من الخطب منحولة عليه في العصر الأموي وبداية العباسي، لأغراض دينية وسياسية، فهي إذاً لا تفيدنا في معرفة خصائص الخطابة الجاهلية، وإنما تدل على ذوق واضعيتها ومذاهبهم السياسية والاجتماعية (٣)، فقد ضاعت جميع خطب الجاهليين لشيوع الأمية، فلم يدونها في ذلك الوقت، كما قام المسلمون بغير شطر كبير منها لتعارفه مع التعاليم الإسلامية، ويخلص إلى أن القرآن الكريم هو النص الوحيد الذي يميننا على دراسة النثر الجاهلي (٤) .

ويقابل هذا الاتجاه اتجاه متطرف آخر في الجهة الأخرى، يرى أن الخطابة فن من أقدم الفنون الأدبية عند الإنسان، فهي بالنسبة للمرب قديمة قدم لغتهم وذلك لدواعي ازدهارها عندهم، لذا فهم يؤكدون أن المرب كان لهم خطابة مزدوجة، عالجت مختلف قضايا حياتهم آنذاك (٥) .

وقد حاولوا أن يثبتوا قدر جهدهم، وبكل ما أوتوا من قوة الحجة والبيان أن جل ما وصلنا من نصوصهم صحيحة يمكن الاطمئنان إليها في دراسة خباياهم وحتى ما زعم أنه منحوّل منها فإنه يمكن استخدامه شواهد عليها، لأن واضعه تعمد أن يهاكي الأصل الجاهلي أسلوباً وموضوعاً، فهي إذاً صورة من الأصل أو تكاد تكون الأصل نفسه (٦) .

-
- (١) في الأدب الجاهلي : ٣٢٩ - ٣٣٠ .
 - (٢) النثر الفني : ٣٤ / ١ ، ٥٣ .
 - (٣) الصدر نفسه : ٣٥ / ١ ، وانظر : ناليو، تاريخ الآداب العربية : ٩٥ - ٩٦ والخطابة وفن الإلقاء : ١٤ - ١٥ .
 - (٤) النثر الفني : ٣٤ / ١ ، ٥٤ ، ٤١ - ٤٣ .
 - (٥) أحمد الربيعي : شعر بن ساعدة الإيادي : ١٧ - ٢٥ .
 - النثر الفني وأثر الجاحظ فيه : ٨ - ١٦ ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي : ١٦١ .
 - (٦) النثر الفني وأثر الجاحظ فيه : ١٧ ، الخطابة في صدر الإسلام : ٥٨ / ١ - ٥٩ .
 - الفنون الأدبية وأثرها في الحياة (فن الخطابة) : ٣٩ / ١ - ٤٥ .
 - القيم الخلقية في الخطابة العربية : ١٥ .

وقد تآلف أصحاب الاتجاهين كليهما فيما ذهبوا إليه ، وتجهّوا به على الخطابة الجاهلية ، فنزعة الشك التي ذهبت بأصحاب الاتجاه الأول إلى التهوين من قدر خطابة القوم في الجاهلية وإنكار نصوصها مفعالية إلى حد الإفراط ، فإن الأشعار التي رويست عن الخطباء المصاحف في افتخارهم بخطابهم وخطبائهم ، وفيما كتبه الجاهلون والأقدمون عن خطابة القوم وخطبائهم دليل كاف على وجود الخطابة لديهم ، وصحة بعض النصوص التي وصلتنا منها ، كما أن إسراف أصحاب الاتجاه الثاني في التصصب للخطابة الجاهلية وصحة جميع ما وصلنا منها مفعالية تنافي منهج البحث العلمي ، وتؤدي إلى إعطاء صورة واضحة الزيف للخطابة الجاهلية ، ويتضح ذلك في تعنت بعضهم في الدفاع عن نصوص خطابية في حكم الموضوعة ، مكلفين أنفسهم عنا البحث عن حجج واضحة لا سند لها ، فإنافة الزائف يتساوى مع إنكار الصحيح (١) .

ويقف أصحاب الاتجاه الثالث من هذه القضايا موقفاً أقرب إلى الصواب من مواقف الاتجاهين السابقين ، فقد أثبتوا أنه كان للمرب في الجاهلية خطابة مزدهرة بلضمت حداً ما من الرقي والجمود ، وقد عالج كثير من القضايا التي طرحتها حياتهم فسي تلك الفترة .

أما موقفهم من النصوص ، فيرى أصحاب هذا الاتجاه أن معظم الغلب التي قيلت في الجاهلية قد فقدت ، وذلك لتفشي الأمية وعدم التدوين ، وأن نسبة كبيرة من النصوص التي نسبت إلى ذلك العصر قد افتعلت في الإسلام لأسباب سياسية ودينية ، وممنع ذلك فإن الرواة قد تمكنوا من جمع أجزاء ليست بالقليلة من تلك الخطب ، إلا أنهم زادوا على بعضها أو حرقوها ، فملينا أن نتناولها بحذر (٢) ويؤكد هذا الرأي أن الباحث على كثرة ما روى في " البيان والتبيين " من الخطب فإنه لم يستطع الاستشهاد للجاهليين بخطابة كاملة ، وإنما يستشهد لهم بأجزاء متباعدة من خطابهم .

وقد أجاز أصحاب هذا الاتجاه الوقوف على كثير من خصائص الخطابة الجاهلية ، بالرجوع إلى تلك الغلب التي تنسب إليهم ، فقد رجحوا أن جزءاً منها صحيح ، وأما ما انتحل منها أو زيد أو حرق ، فإن من افتعلوا ذلك قد راعوا محاكاة صورة الخطابة

(١) قر. بن ساعدة : ٨٢ - ٨٢ .

(٢) الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٧-٨ تاريخ الآداب العربية : ٩٥-٩٨ .

الخطابة لأبي زهرة : ٢٥/٢ - ٢٨ ، أمراء البيان : ٩/١ .

فن الخطابة وتطوره عند العرب : ٥٣ الخطابة في صدر الإسلام : ٥٩/١ .

الفن ومذاهبه : ٣٤ ، النشر الفني وأثر الجاهل فيه : ١٥ .

وختصاصها في العصر الجاهلي (١) .

إلا أننا سنأخذ هذا الرأي الأخير لأصحاب هذا الاتجاه بحذر شديد جداً ،
ومع ذلك فإن هذا الاتجاه قريب من المنهج العلمي للبحث ، ويجاري المنطق
السليم .

ب - دواعي ازدهار الخطابة في قبيلة تميم زمن الجاهلية :

خلفت حياة هذه القبيلة بمواقف كثيرة متنوعة ، دعت إلى نشوء خطابة قوية فيها ،
لتعالج هذه المواقف ولتتأثر بها ، فقد امتلأت حياتهم البدوية بالمنازعات والحروب ،
بل ربما كانت هذه القبيلة من أكثر قبائل العرب ألياما في الجاهلية ، وكان رؤساؤها
وقادتها في هذه الحروب من الخطباء المصاقم ، لما تتطلبه مواقف الحرب من تحرير
على القتال ، أو حث على أخذ الثار ، أو ترغيب في الغنمة ، أو دعوة إلى الصلح
وحمل الديات ، فيستدعي رئيس القبيلة بالخطابة أن يؤثر في قومه تأثير السحر (٢) ،
لما كانت تتلذذ به نفس البدوي من سرعة التأثير والانفعال (٣) ، ويكثر هذا اللون من
الخطب عند قيس بن عاصم (٤) وأكثم بن صفي (٥) ، وكانا من قادة تميم ورؤسائها .

وقد استدعت حياتهم الاجتماعية ضرباً آخرى متنوعة من الخطابة ، حيث كان فهم
يهيئون من أعز بيوت العرب كافة وأصلعها ، مثل بني زُرارة وبني بهدلة (٦) وغيرهم ،
وقد أوليت هذه البيوت بالفاخرات والمناظرات للحفاظ على هيبتها في القبيلة
وبين العرب ، وإن حياتهم الخاصة اقتضت اجتماعهم من حين إلى حين للمشاورة أو
لاستماع موعظة أو وصية ، كما كان يفعل أكثم بن صفي ، فقد كان دائم الحث على
مكارم الأخلاق ، وقام خطبائهم في مناسبات الزواج والتعزية وإصلاح ذات البين
وغير ذلك من قضايا الحياة الاجتماعية عندهم آنذاك (٧) .

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ١٤ ، الفن ومذاهبه : ٣٤

الخطابة في صدر الإسلام : ٥٨/١

النثر الفني وأثر الجاهل : ١٧

علي الجندبي : صور البديع ، دار الفكر العربي ، ١٩٥١ : ٤٦/١

القيم الخلقية في الخطابة العربية : ١٣ - ١٥

(٢) انظر صبح الأعشى : ٢١٠/١ ، لهجة تميم : ١١ - ١٦

(٣) فن الخطابة وتداوله عند العرب : ٩

(٤) النقائض : ١٠٢٣/٢ ، المقدم : ١٨٦/٥

(٥) النقائض : ١٤٩/١ ، المقدم : ١١٣/١

(٦) الكامل : ٥٦/١ ، صبح الأعشى : ٣٨٠/١

(٧) انظر : المقدم : ٣٠٧/٣ ، ذيل الأمالي : ٢١ - ٢٢

عيون الأخبار : ١٧/٤ ، الخطابة لنقولا فياض : ١٢١ - ١٢٣

وكان لحالات تميم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالحيرة ومكة والقبائل العربية عامة متسع كبير لخطابة خصبة قوية، فقد حظوا بمكانة مرموقة لدى ملوك الحيرة فجعلوا لهم حق رد اقتهم يتوارثونه بينهم (١)، فتعددت وفادات زعماء تميم عليهم فقاموا هناك راجين ومحزين ومفاخرين، كما أتاح لهم علاقتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بتقريب امتيازات جليلة لم تكن لغيرهم في أسواق العرب ومواسمهم، فكان لهم حق الحكومة بحفاظ يتوارثونه جيلا بعد جيل، حيث يلتقي فيها أكثر أشرف العرب للمتاجرة، وفدا الأسرى والتحكيم في الخصومات والمفاخرة والمنافرة إلى غير ذلك، فكان الناس يحتكمون إليهم فيما ينشأ بينهم من المنازعات والمفاخرات (٢) وكان جميع هؤلاء الحكام التميميين من الخطباء البلغاء، ويذكر الجاحظ أن بعضهم مثل شمرة بن ذمرة والأقرع بن حابس كانوا يحكمون بالأسجاع (٣) كما كان لهم حق الإجازة بأهل الموسم أيضا، وتذكر المصادر أسماء عدد من خطاباتهم اجتمعت لهم الحكومة والإجازة (٤)، ومن أشهر حكام تميم الذين وصل إلينا شيء من خطابهم أكنم ابن صيفي، ووزارة بن عدس، والأقرع بن حابس وهو آخر حكمهم قبل الإسلام.

وقد لقيت الدعوة الإسلامية قبل انتشار الإسلام بعض الصدى في خطابة تميم (٥) فقد دعت هذه الأسباب إلى نشوء خطابة مزدهرة عندهم عالجت قضايا حياتهم المهمة، فقام بها علميتهم من الروضاء والأشراف، وأصبحت من لوازم ساداتهم الذين يتكلمون باسمهم في المواسم والمعافل العظام، لذا فقد عظم منزلتهم فوق منزلة الشجر لديهم (٦)، فأصبحت من المآثر التي يفخر بها شعراء القبيلة، قال قيس بن عاصم الميموني:

إني امرؤ لا يحترى خلقي
دنس يفنده ولا أفــــــسن
من مَنقر في بيت مكرمــــة
والأصل ينبت حوله الخُصــــن
خطباء عيين يقوم قائلهم
بعض الوجوه مصاقع لُســــن (٧)

- (١) انظر: النقائش: ١/٦٦، ٩٩/٢، ٨٠٩/٢، أنساب الأشراف (مخطوط): ٦٦٦.
- اللسان: مادة "ردف"، تاريخ ابن الأثير: ١/٦٤٩، الأغاني: ٣/١٧٦.
- (٢) لهجة تميم: ٢٠.
- (٣) البيان والتبيين: ١/٢٩٠.
- (٤) النقائش: ١/٤٣٨، المحرر: ٢٧، البيان والتبيين: ١/٣٦٥.
- أنساب الأشراف (مخطوط): ١٠٤٤، الأزمنة والأمكنة: ٢/١٦٧-١٦٨.
- (٥) سرح الصيون: ٣٦، زهر الآداب: ٣/٦٦٢.
- (٦) البيان والتبيين: ١/٢٤١، ٤/٨٣، صبح الأعشى: ١/٢١٠-٢١١.
- فن الخطابة: ٢٢٩-٢٣٣، الخطابة لنقولا فياض: ١٢١-١٢٣.
- (٧) البيان والتبيين: ١/٢١٩.

يذكر الجاحظ أنه لم تشتهر قبيلة من العرب بالخطابة كما اشتهرت إيانا وتميم (١)، كما ذكرت المصادر أسماء عدد ليس بالقليل من خطباء تميم ومن بينهم : ضُفْرَة بن ضُفْرَة (٢)، وأَكْثَم بن صَيْفِي حَكِيم العرب وزعيم خطابتها (٣)، وقَيْس بن عَاصِم (٤)، وعُطَارِد بن سَلَمَة حاجِب بن زُرْأَة خطيب وفد تميم بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - (٥)، وعُرو بن الأَهمَم المِثْقَرِي، ولم يكن في بادية العرب أغداب منه (٦)، والأقرع بن حابس (٧) وغيرهم كثير، ما يدل دلالة واضحة على ما كانت عليه خطابتهم من الرقي والازدهار.

ولازم هذا الثبوت الطويل من الخطباء يعني الباحث نفسه بصيد وافر من الخطباء، وما أن يجد في البحث حتى يجد أن معظم هؤلاء الخطباء لم يبقَ لهم غير أسماءهم ووصفهم بأنهم خطباء مصاقع، وعلى الرغم من ضآلة ما وصلنا من خطب هذه القبيلة فهي أوفر حظاً من القبائل الأخرى.

ويمضو الباحثون قلة ما وصلنا من خطابة القوم إلى عدة أسباب منها، شيوع الأمية فيهم، فتأخروا في تدوين أدبهم حتى القرن الثاني للهجرة، واعتمدوا في حفظه على الذاكرة، وحفظ الشعر أسهل عليهم من حفظ الخطب لفلوها من الوزن والموسيقى، وكان يخلب على خطبهم الارتجال والتأثير بمقتنيات الأحوال، فربما عجز الخطيب نفسه عن تذكر أكثر ما قال (٨).

وقد أدرك القدماء هذه الظاهرة في الخطابة الجاهلية وحاولوا تعويضها، ومن ذلك ما قاله عبد الصمد الرقاشي " . . . وما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما سالت تذلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنشور عشرة ولا ضاع من الموزون عشرة " (٩).

- (١) البيان والتبيين : ٥٣/١ .
- (٢) أبو غلال المسكري : جهرة الأمثال، طبع على هامش مجمع الأمثال : ١٨٦/١ .
- (٣) البيان والتبيين : ٣٦٥/١، الأغاني : (ط ساسي) : ٧٠/١٥ .
- (٤) البيان والتبيين : ٥٣/١ .
- (٥) سيرة ابن هشام : ٢٠٦/٤ - ٢١٣ .
- (٦) البيان والتبيين : ٣٥٥/١ .
- (٧) البيان والتبيين : ٢٩٠/١ .
- (٨) الخطابة لأبي زهرة : ٢٦/٢ - ٢٨، صور البديع : ٨٠/١ .
- أمراء البيان : ٩/١ - ١٠، تاريخ الأديب العربية : ٩٥ - ٩٦ .
- النثر الفني : ٣٣٠/١، الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٧ .
- الخطابة في صدر الإسلام : ٥٧/١ .
- (٩) البيان والتبيين : ٢٨٧/١ .

وتنسب القلقشندی هذه الرواية إلى صاحب "الريحان والريحان" وزاد عليها فسي تحايل ذلك : " لأن الخائب إنما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه في مشافهة الطولك أو الحملات أو الإصلاح بين العشائر أو خطبة النكاح ، فإذا انقضى المقام حفظه من حفظه ونسبه من نسبه ، بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد " وعقب القلقشندی على ذلك بقوله : " وليس ما أشار إليه صاحب "الريحان والريحان" لرفض التأثير عندهم وقلة اعتنائهم به ، بل لسهولة حفظ الشعر وشيوعه في حاضرهم وبأديبهم ، وبغالبهم وعامهم ، بخلاف الخطابة ، فإنه لم يتعاطاها منهم إلا القليل النادر من الفصحاء المحققين ، فلذلك عز حفظها ، وقل عنهم نقلها ، وقد كانت تقوم بها في الأهلوية سادات العرب برؤسائهم ، ممن فاز بقدر الفضل ، وسبق إلى ذرا المجد ، ويغدقون ذلك بالمواقف الكرام ، والشاهد العظام ، والمجالس الكريمة والمجامع الحفلية . . . " (١) وموعدى قول عبد الصمد أنه قد حفظ لنا جزءً صحيح من نثر الجاهليين وإن كان لا يساوي عشر ما كان لهم ، مما دفع زكي مبارك إلى القول : - " إن الثقافة التي ظهر أثرها في خطبهم " الحرب في عهد النبوة كانت تشهد بوجود مجموعات كثيرة جيدة من الشعر والنثر والخطب والأمثال " (٢) .

لذا فإننا لا نستطيع الاطمئنان إلى أن ما جاءنا من خطبهم قد نقل بنصه كما قيل ، فالصقول أنهم قد وعوا جانباً مما سمعوا من تلك الخطب لتأثر خاص به ، أو لخصوصية ذاتية فيه ، فحفظوه بمهارات تؤدي المعنى قريبة من العبارات الأصلية ، وربما زاد بعض الرواة عليها من خيالهم أو حرفوا فيها ، فجهدوا في محاكاة النصوص الأصلية ما استطاعوا (٣) ، فعلى الباحث أن يتلقى هذه النصوص باحتراس شديد .

وسئل على خطباء تميم نصوص كثيرة في العصر الإسلامي لأسباب سياسية واجتماعية ودينية ، ومن ذلك ما أثبتته ابن عبد ربه في عقده عن ابن الكلبي من الخطب المليخة بالكتم بن صفسي وحاجب بن زرارة وقيس بن عاصم في وفود العرب بين يدي كسرى (٤) ، وأغلب الظن أنها من وضع ابن الكلبي في العصر العباسي ، حيث نشطت حركة التلمذة المشعورية ، فأراد : واضمها الدفاع عن أسلافه العرب أمام قدح الفرس وشعوبيتهم ، فصور منحتهم وقوة قبائلهم ، كما تتمد إظهار قوة سلطان المناذرة وعزهم أمام كسرى ، فهم قادرون على مقاومته والثورة على سلطانه ، ومما يؤكد زعمنا أن الكلام الذي تُسرب

(١) صبح الأعشى : ٢١٠/١ - ٢١١ .

(٢) النثر الغني : ٣٣٠/١ .

(٣) تاريخ الآداب العربية : ٩٦-٩٥ ، أمراء البيان : ٩/١ ،

صور البديع : ٤٦/١ الفن ومذاهبه : ٣٤ ،

الخطابة لأبي زهرة : ٢٧/٢ ، الخطابة في صدر الإسلام : ٥٨-٥٩ .

(٤) المقد : ٤/٢ - ١٢ ، صبح الأعشى : ٣٧٨/١ ، بلوغ الأرب : ١٤٧/١ - ١٥٣ .

إلى كسرى، قد وضع في لغة تماثل تمام المماثلة لغة أولئك الخطباء (١)، كما لا يخفى
زكي مبارك أن لغة هذه الخطب تشابه اللغة التي كتبت بها مشاورة المهدي لأهل
بيتته في بغداد سنة ١٧٠ هـ، من حيث الألفاظ والتعابير والأسلوب (٢)، وقد
أسرف بعض الباحثين في محاولة إثبات صحة هذه الخطب، إلا أنهم لم يستطيعوا
أن يأتوا بأية حجة مقبولة تدعم زعمهم (٣).

وشبهه بذلك خطبة أكتم التي أوردها السجستاني في قيام خطباء العرب
بين يدي (هرقل) عند الحارث بن أبي شمر الفسائي (٤).

ونُسبت إليهم خطب أخرى لأسباب دينية في العصر الإسلامي، وذلك لتأييدهم
الدعوة الإسلامية فجدلوا بعض خطباء تميم يتبنون بمقتضى الرسول صلى الله عليه
عليه وسلم ويدعون قومهم إلى اعتناق الدين الذي سيأتي به، فنسب إلى زارة بن
عديس قوله: - "يا بني، قد أدركت سفيان بن مجاشع بن دارم شيخا كبيرا محبوا،
فأخبرني أنه قد حان خروج نبي بحكمة من مصر، يقال له أحمد، يدعو إلى عبادة الله،
فإن أدركتموه فاتبعوه" (٥).

وقد دفعت العصبية القبلية إلى وضع خطب أخرى على أكتم بن صفي، فسنراه
يوزع وصايا على بني طيء (٦) وجثيمة و مزينة وغزاة (٧)، وأحيانا يبعثها إلى
أهل حجر (٨) أو إلى الفسائية (٩) أو المناذرة (١٠)، ويبدو أن بني تميم قد وضعوا
هذه الخطب على خطبائهم، ليفخروا على العرب في هذا المجال.

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ٢٨، الفن ومذاهبه: ٣٤، في الأدب

الجاهلي: ٣٢٩، النشر الفني: ٣٦/١، الخطب والمواظ: ٥٨.

(٢) النشر الفني: ٣٦/١.

(٣) قس بن ساعدة: ٨٢-٨٧.

وانظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان: ١٥٧/١.

(٤) المصرون والوصايا: ٢٣-٢٤.

(٥) المصدر نفسه: ١٢٠-١٢١، وانظر سرح الميرون: ٣٢-٣٣.

(٦) مجمع الأمثال: ٨٧/٢.

(٧) المصرون والوصايا: ١٨.

(٨) المصدر نفسه: ٢٢.

(٩) المصدر نفسه: ٢٠، ٢٤.

(١٠) جمهرة الأمثال: ٣٢٠/١.

ونرجح أن معانم ما انفرد السجستاني بروايته من الخطاب في "المحمرين والوصايا" منعول بقصد التزييد بالرواية، ليشته أعمار هؤلاء الخطباء الخيالية، كما أن معظم ما أورده كتب الأمثال نعل بقصد خلق القصر لهذه الأمثال (١) .

ومع ذلك فإننا لا نعدم وجود بعض النصوص التي نستطيع منحها شيئاً من الثقة، فنستأنس بها في دراسة خطابة تميم في الجاهلية، كذلك الخطاب القريبة العهد من الإسلام، مثل خطبة عطار بن حاجب عند النبي - صلى الله عليه وسلم -، أو تلك التي لا نتوهم منها انحلالاً بسبب غاية سياسية أو دينية أو اجتماعية أو ثقافية - في العهد الإسلامي فيما لو احتلنا أنها جاهلية . وخاصة إذا ما دعت بقراءات من أكيدة من الشعر أو القرآن أو الحديث الشريف، أو قرائن أخرى من واقع حياتهم (٢)

د - الاتجاهات البارزة لخطابة تميم في الجاهلية :

تميزت خطابة تميم في الجاهلية باتجاهات محددة اقتضتها حياتهم القبلية آنذاك، في المجالات العقلية والسياسية والاجتماعية، ولكننا نرى أن الاتجاه الاجتماعي قد غلب على خطابتهم .

وهذه وثقة عند أبرز اتجاهاتها :-

١ - خطاب الحرب :-

يفترض أن يكون هذا اللون من أوسع ألوان الخطاب عند هم لكثرة حروبهم وفزواتهم، ولكن لم يملنا إلا نزر يسير، وربما يعود ذلك إلى أن الناس في شغل عن حفظهم شيئاً أثناء الحرب، وأشهر خطاب تميم في هذا المجال خطبة أكرم بن صيفي يوم الذلاب الثاني، فقد طمعت مذحج وقبائل اليمن في النيل من تميم، بعد أن أوقفهم بهم الفرس يوم الصفقة، فلما علمت بطون تميم بمسيرهم فزعوا إلى حكيمهم أكرم بن صيفي يشيرونها في أمرهم، وفيهم من الزعماء: قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وغيرهم فقال لهم :- "اقلوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يصبر لا محالة، تثبتوا فإن أحزم الفريقين التركيين، ورب عجلة تهب ريثاً، وتزروا للحرب، وأدعوا الليل فإنه أخفى اللويل، ولا جماعة لمن اختلف" (٣) وهكذا وضع

(١) Nicholson, Aliterary History of the Arabs, 1966, P.31.

الفن ومذاهبه : (٢١) .

(٢) الفنون الأدبية وأثرها في الحياة (فن الخطابة) : ١/٤٦ - ٥٤ .

(٣) النقائض : ١/١٥٠، المحمرين والوصايا : ١٦ /

عيون الأخبار : ١/١٠٨، الأغاني : ٢٠/٣٢٩ ،

المقد : ١/١١٣، ٥/٢٢٤ ،

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٦/٨٠ .

لهم أكثر في هذه الخطبة الموجزة لأسباب النصر على أعدائهم .
وكانت الغنيمة من أهم الأسباب المحركة لهذه الحروب (١) ، وأجزل هبته
الغنائم أن يأسر أحدهم سيداً أو شريفاً من القبيلة الأخرى ، فكلما علا قدر الأسير
فلا فداؤه ، وكان بنو زارة من أوجه بيوتات العرب كافة خشية زارة بن عدس أن تصاح
العرب في أخذ بنيهم ، طمعا في أخذ دية الملوك منهم ، فأوصاهم ألا يزيلوا في فدائهم
على مثلي بصير وقال : " لا تؤكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل
من قومكم ، فيذوب بكم ذوبان العرب " (٢) وأدى تمسك لقيط بوصية أبيه إلى مسوت
أبيه محبداً أسيراً في بني عامر .

٢- خطب الوفود

كانت علاقات تميم السياسية والاقتصادية مع الحيرة وفارس ومكة داعياً لكثير من
وفادات زعمائها ، وقد حفظت المصادر طائفة منها ، وهذه الوفادات على نمطين : نمط
فردى لأغراض شخصية ، ونمط جماعي لأغراض تهمة القبيلة عامة ، ومن النمط الثاني ، وفادة
حاجب بن زارة على كسرى ليمسح لقبيلته برعي السواد ورمي كسرى قوسه ، فاشتبه
بذلك (٣) ، وفادة أكثر بن صفي على النعمان بن المنذر في أسارى أخذهم من قومه (٤) ،
وأشهر هذه الوفادات وأوثقها ، وفادتهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - في المدينة
سنة ثمان للهجرة ، قدم عليه عمار بن حاجب بن زارة وقيس بن عاصم والزريقان بن بدر
وعمر بن الأهمم والأقرع بن حابس في حوالي ثمانين رجلاً من أشرفهم (٥) ، وتذكر
الروايات أنهم لما بلغوا المسجد نادوا على الرسول - صلى الله عليه وسلم - :
يا محمد جئناك لنفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا " فأذن لهم ، فقام إليه عطاء بن
ابن حاجب وهو خطيبهم فقال : " الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهل المشرق
وجعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عظيمة نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق
وأكثره عدداً ، وأيسره عدداً ، فمن يفاخرنا فليمدد مثل ما عددنا وأولنا لسمو

- (١) الهبة تميم : ١١-١٦ ، القيم الخلقية في الخطابة العربية : ٢٥-٣١ .
- (٢) النقائض : ١/٢٢٧ ، الكامل : ٨٠/٢ ، المقد : ١٤٠/٥ .
- (٣) النقائض : ١/٤٦٢ - ٤٦٤ ، المقد : ٢٠/٢ ، بلوغ الأرب : ٣١١/١ - ٣١٥ .
- (٤) المصمرون والوصايا : ٢٠-٢٢ .
- (٥) انظر خبر الوفد في : النقائض : ٧٤٧/٤ ، الطبقات الكبير : ٤٠/٢/١ ،
سيرة ابن هشام : ٢٠٦/٤ ، تاريخ الطبري : ١١٥/٣ ،
معالم التنزيل : ١٠/٨ ، تفسير غرائب القرآن : ٧٧/٢٦ .
وانظر بعض الملاحظات على هذا الوفد : W. Arafat, P. 416-425

نشاء لاكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الاكثر فيما اعدنا ، وانا نعرف ، أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا " (١) ثم جلس .

وأجابه ثابت بن قيس ، خطيب النبي - صلى الله عليه وسلم - بخطبة تآثل خطبته من حيث المعاني والعبارة والأسلوب ، وقد عزا بعض الباحثين ذلك إلى أن المنافرات في الخطابة تأخذ مأخذ النقائص في الشعر (٢) ، واختلف المؤرخون في سبب قدوم الوفد ، فذكر بعضهم أنهم قدموا لفق أسرى بني المنبر ، وذكر آخرون أنهم قدموا للدخول في الإسلام ، ومهما يكن السبب فإننا لا نجد إشارة في الخطبة لأبيها ، وكل ما نجده هو افتخار عطارده بحسب قبيلته ومكانتها بين القبائل وكثرة رجالهم ومنعتهم ووفسرة أموالهم ، يعرض ذلك في أسلوب ملوّه الأنفة والكبر ، ويتضح أن مقدمة الخطابة قد حُرّفت أو زيدت بعد الإسلام لأنها مقدمة إسلامية خالصة (٣) .

ونحن أمام مفاخرة عكاظية شكلا ومضمونا ، طرفاها تيمم بمثلة بخطيبها عطارده ، والمسامون يمثلهم ثابت بن قيس ، أما الحكم فهو حكم عكاظ فعلا الأقرع بن هابس من التميمي ، فقام خطيبها لينقر المسلمين على قومه وقال : " إن هذا الرجل لموثي لمتي ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا " (٤) ويصلح قول الأقرع هذا نموذجا لخطب الحكام .

والرواية الوحيدة التي وصلتنا بها خطب الوفد أخذت عن ابن اسحاق بروايته ضعيفة ، ويبدو أنها حُرّفت لتتناسب وتفسر قوله تعالى : " إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون " (٥) وقد نزلت في وفدهم هذا .

ومن أمثلة الوفادات الفردية وفادة ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر ، وكان دميما فازدراه النعمان ، وقال : " تسمع بالمعدي لأن تراه " فقال ضمرة : " أيها الطاك ... إنما المرء بأصفره قلبه ولسانه ، إذا نطق ببيبان ، وإذا قاتل قاتل بجنان " (٦) ففي قوله نظرة عميقة لتقييم الإنسان تتناسب وعصره ،

(١) سيرة ابن هشام : ٢٠٦/٤ - ٢١٣ ، تاريخ الطبري : ١١٦/٣

تاريخ ابن الأثير : ١٣٢/٢ ، صبح الأعشى : ٣٧٢/١ - ٣٧٥

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٣/١٨ .

(٢) قس بن ساعدة : ٢٠ .

(٣) انظر ملاحظات : W. Arafat, p. 416-425 .

(٤) تاريخ الطبري : ١١٩/٣ ، سيرة ابن هشام : ٢٠٦/٤ - ٢١٣ وذكرها البغوي في معالم التنزيل : ١٠/٨ مع اختلاف في اللفظ .

(٥) سورة الحجرات ، آية : ٤ .

(٦) جمهرة الأمثال : ١٨٦/١ ، الممتد : ٢٨٧/٢ ،

مجمع الأمثال : ١١٦/١ ، زهر الآداب : ١٠٨٧/٢

فإن لسان ليس بمظهر بل هو قلب يحوي جوهره ويوجه فمالة ، والشجاعة اسم من صفاته التي تنبعث من قلبه ، ولسان يعبر عن هذا القلب .

٣- المناقرات والمفاخرات :-

ومعناها المباحاة في الجمع المحتشد بفضائل الأصل ورفضه النسب وخطام
السيوف و عزة النفس ، ثم بحامد الفعال ، كالشجاعة والكرم ، فيذكر المتنافران ، ماثرهما
ثم ماثر رجال قبيلتهما (١) ، وربما سُمي سوتهم الأكبر عكاظا لكثرة ما كان يقع به من
المفاخرة ، فالمحاكاة هي المفاخرة على سبيل التحدي (٢) ، وكانوا يحتكمون إلى أحد
الحكام ليفصل بينهم ، وكان أكثر الحكام يتحاشى الفصل بين المتنافرين ، أما فسي
تتغير أحدهما على الآخر من الشر المستطير ، فقد تجرّ المفاخرة إلى حرب بين بني
المتفاهمين ، لأن ذلك يؤثر على هيبة القبيلة ومكانتها ، فحين ثأف القمقاع بن صبيد
ابن زارة وخالد بن مالك النيشلي إلى أكرم بن صيفي على أيهما أكرم وأقرب إلى
السيوف ، وجملا بينهما مئة من الإبل ، خشي أكرم أن يقع الشر والخصام في قومه
إن هو نفر أحدهما على الآخر ، فحاول إقناعهما في العدول عن ذلك ، وسطا له
لهما : " سفيهان يريدان الشر ، أرجما ، فإن أبيهما فاني لست مفضلا أحدا من قومي
على أحد ، كلهم إلي شرع سواء " (٣) فلما أبيا الرجوع ، بحث بهما إلى ربيعة بن مسند
الأودي ، ليفصل بينهما ، فطلب ربيعة إليهما أن يحدد كل منهما مفاخره ، فقام خالد
مفتخرا بكرمه وشجاعته في الحرب وقال : " أعطيت يوما من سأل ، وأطعمت عولا من
أكل ، وأطعت فارسا طامنة شككت فخذيه بجانب الفرس " . . .

أما القمقاع فقد اكتفى بالفخر بفعل أبيه ، فأخرج نعلين وقال : " ربح عليهما
أبي أربعين مربعا لم تتكلم فيهن تيممة ولدا " (٤) .
وفي رواية أخرى أنه أخرج قوسه حاجب وقال : " هذه قوس عني رهنيها عن الحرب ،
ويدي زارة أجار ثلاثة أملاك بعضهم من يمني " (٥) ، فنفر ربيعة القمقاع على
خالد .

(١) بلوغ الأرب : ٢٨٧/١ ، الخطب والمواعظ : ٥٦ .

الخطابة لأبي زهرة : ٩/٢ قس بن ساعدة : ٣٦ .

(٢) اللسان : مادة (عكظ) ، القيم الخلقية في الخطابة المربية : ٣٩ .

(٣) المعمرن والوصايا : ١٨ .

(٤) البيان والتبيين : ٢٧٢/٢ - ٢٧٣ .

(٥) مجمع الأمثال : ٢٠١/٢ ، بلوغ الأرب : ٣٠٦/١ - ٣٠٧ .

وتذكر بعض الروايات أن ملوك الحيرة كانوا يعتمدون إلى المفاخرة بين زعمائها القبائل في مجالسهم ، فيقال إن النعمان بن المنذر أخرج في أحد مجالسهم بردي صحرى - عمرو بن هند - ودعا أعز جلسائه قبيلة ليلسهما ، فلبسهما عامر بن أضمير ابن خلف بن بهدلة ، فلما سئل عن ذلك افتخر برفعة نسبه وعزته من بهدلة إلى ممد ، وتعدى من ينكر عليه ذلك أن يفاخره ، ثم قال في عشيرته ونفسه : " أنا أبو عشرة وهم عشرة وأخو عشرة وخال عشرة ، تمني الأضاغر على الأكبر ، والأكبر على الأضاغر وشاهد الحز شاهدهي " فوضع رجله على الأرض وقال " من أزالها من الأرض فليس به مئة من الإبل " (١) فلم ينافسه أحد ، فقال الفرزدق يفتخر ببني بهدلة :

لهم وهب النعمان بردي صحرى بمجد ممدّ والعديد المحمّل (٢)

وكانت حياة تميم البدوية تحملهم على مثل هذه المواقف ، لتظهر هيبتها وتعاضد على ما انتخبها أمام غيرها .
خطب الإمام علي بن أبي طالب في مجلس من مجالس الخوارج في الجبل :

وهذه الخطب وجه آخر من خطاب الحرب يقابل خطاب الحضر على القتال ، وقالها ما يقوم بها حكماء القوم ، وبخاصة إذا كانت الحرب بين بطون القبيلة نفسها ، فيأبى الخطاب إلى التنفير من الحرب التهنيل من ويلاتها ، ثم يستعين بكل ما من شأنه أن يهدئ النفوس ويؤلف القلوب ، ومثال ذلك ما وقع يوم ضريبة بين بطون تميم ، حيث تداول بنو حنظلة وبنو عمرو وعليهم ناحية بن عقال لقتال سعد والرباب وخايبهم قيس بن عاصم ، فخشي سقر بن خفاف وسنان بن سمي الأيم من استفحال الشر في قبيلتهم فتقنبي نفسها ، فسماها بالصلح بين الجانبين وذكراهما صلة الرحم ، بأسلوب مؤثر يبحث روح الحمية لنصرة ذوي القربى عن طريق الحوار ، فقال سقر ابني سعد : " من لي بالعمرو وحنظلة ، إن قتلتم مقاتلتهم ؟ " فقالوا : " نحن " قال : " فمن لي بالكم إن قتلوا مقاتلتكم ؟ " قالوا : " هم " قال : " فدعوهم لي بالهم ولا يدعوكم لي بالكم " وتكلم الأهم بمثل كلامه (٣) ، فأجابها الطرفان إلى الصلح .

(١) النقاظر : ٢/ ٧١٣ - ٧١٤ ، العقد : ٢/ ١٩٢ - ١٩٤ .

و ٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣ ، بلوغ الأرب : ١/ ٧٦ .

(٢) العقد : ٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٣) النقاظر : ١/ ٢٥٨ .

الصدرة : ٢/ ٢٠٩ .

عمل الديات من القضايا المكلمة لإصلاح ذات البين في العرب ، فحين يبتلع
 البائسان إلى الصلح تحصى القتلى ، فيحمل كل قتيل بنده من القبيلة الأخرى ، وما
 زاد يعمل على مالهم بدفع الدية ، ولا بد من أن يتمهد رئيس القبيلة أو أحد أشرفها
 بذلك فيحيط بهم رهنًا إلى أجل مسمى لدفعها ، فيحمل هذه الديات على مالهم
 فإن لم يف بها استعان بقبيلته عليها ، فإن لم تعنه استعان عليها بمن يأكل من القبائل
 الأخرى ، وذلك كمنهج أبي جهيل عبد القيس بن خفاف البرجمي ، فقد ذهب إلى عاتم
 الأثري يستعين به على حمل دماء حملها عن قومه فاسلموه فيها ، وعجز عنها ، فأخبره
 بما أسأله عليه للاستعانة على ما حمله فقال له : " إني حملت دماء عولت فيها علس
 مالي ومالي ، فأما مالي فقدّمته ، وكنت أكبر مالي " ثم يحاول هزأ ريحته بألسلوب
 مؤثر بعيد عن التكلف المبتذل أو الاستعطاف الذليل ، على ما نمده عند الشعراء ،
 فخطبنا زعيم من زعماء قومه ، ساقه ظرف قد يسوق أي زعيم آخر مثله إلى هذا الموقف ،
 إلا أنه يبقى ذلك الزعيم الذي يخاطب حاتما مخاطبة الندّ للند ، ولكن بألسلوب
 الكرام الذين يقدرّون المعروف ويحفظون الجميل ، فيقول له : " فإن تحملها فكسب
 من حق قضيت ، وهم كفت ، وإن حال دون ذلك حائل لم أنم يومك ، ولم آيسد من
 من فذك " (١) فقدّر له حاتم منزلته وقال : " وإن كنت لأحب أن يأتيني مثلك مسسمن
 قومك " (٢) .

وحمل الديات من القضايا التي تبعت من ظروف حياتهم القبلية ورافقتهم فسي
 حياتهم الحربية حتى بعد الإسلام .

٦- خطب التمرية :

ومن جيد هذه الخطب خطبة أكثم بن صيفي ، التي عزي بها عمرو بن هند
 عن أخيه ، فحاول أن يخفف عنه مصابه ، وأن يصبره ويسليه أمام أعزائه ، فيبين له أن
 الموت حتم على الإنسان لا راد له ، وسيفجع جميع الناس بما فجعه فقال : " قسست
 أنك ما ليس بمرود عندك ، وارتحل عندك ما ليس برافع إليك ، وأقام معك من سيظعن عندك
 ويدعك . . . " ثم يستمر في الحديث عن زوال الدنيا وارتحالها ، فيذكره بصير من
 سبقه من أمثوله : " وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها " .
 ثم يحاول الانتقال بأفكاره القربة إلى آفاق تدنو من الفكر التجريدي ، ولكن من

(١) ثم يتبعها بأبيات شمرية في الموضوع نفسه .

(٢) الأغاني : ١٤٥/٧ وفيه أن اسمه أبو جهيل قيس بن خفاف /

ذيل الإمالي : ٢١-٢٢ ،

زهر الاداب : ١١٧/٢ .

بفلسفة بسيطة ثلاثية بيئته وعصره ، فيقول في نظارته إلى الدنيا : " وأعلم أن الدنيا ثلاثية أيام : فأمر عتلة ، وشاهد عدل ، فجمعك بنفسه ، وأبقى لك عايه عنكم منكم ، واليوم غنيمه وصديق ، أتاك ولم تأت طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته ، وغدا لا تدري من أمله ، وسأنتيك إن وجدك " (١) وتلق هذه النظرة مسخرة تشاؤمية حزينة ، تنبع من إحساس أكنم بالمجزأ أمام الموت ، فتوزع بين ما فيه وحاضره وما فيه مستقبله المجهول .

والخطية عميقة المعاني رصينة التركيب ، قوية الماطفة إلا أنها لم تسلم من التعريف والحبث كما يبدو ، فزاد عليها بعض الرواة في الإسلام قوله : " إن أمله هذه الدار سفر لا يحلون عقد الرجال إلا في غيرها " وفيه إشارة إلى الحياة الآخرة (٢) وقوله : " فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم للقادر " ويبقى النمر مع ذلك في مجمله من أعق البندوص الجاهلية معنى وأصدقها تعبيراً وأكثرها تنسيقاً .

٧- النصيح والإرشاد :-

وهذه الخطاب شبيهة بخطاب الوعظ عند المسلمين ، كان يقوم بها من له منزلة الحكيم الناصح في قومه ، وأشهر من خطب في هذا اللون أكنم بن صيفي حكيم العرب المشهور ، فأكثر من الدعوة إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ونبد الرذائل والمعادنات غير الحميدة ، ومن كلامه يوصي قومه : " يا بني تميم لا يفوتكم وعظي إن فاتكم الدهسر بنفسي . . . الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مطلقة ، والهمس زم معقول ، والنفس مهملة ، والرؤية مقيدة ، ولكن يعدم المشاور مرشداً ، والمستبهد برأيه موقوف على مداحض الزلل . . . يا بني تميم الصبر على جرع العلم أعذب من جني ثمر الندامة ، ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم . . . " (٣) وتستمر الخطبة على هذه الوتيرة من إيراد الحكم والأمثال التي تدعو إلى الفضيلة وتنبذ الرذيلة ، بجمل قصيرة وفواصل مقطعة ، لا يربط بينها رابط غير واو العطف ، ولما كان هذا أسلوبها ، فقد سهل الوضع عليها ، كما جعل هذا الأسلوب من الصسير طبعاً

(١) العقد : ٣٠٧/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦٧/٥

جمهرة خطب العرب : ٣١/١ .

(٢) الخطابة وتطورها في عصر الخلفاء الراشدين : ٢١ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٨٨/٥ ،

شرح العيون : ٣٣ ، بلوغ الأرب : ١٧٢/٣ .

الباحث تمييز الأجزاء الخشونة منها ، بالإضافة إلى أن كثيرا من القيم التي دأرت عوامها هذه الخطب، مشتركة بين الجاهلية والإسلام ، بل وبين العرب وغيرهم من الأمم ، فامتزجت حكم أكتثم بن صيفي بحكم بزر جمهر الفارسي عند ابن عبد ربه فسمى "الحقد" (١) وقد نسبت عدة أجزاء من خطب أكتثم في هذا الموضوع إلى غير ربه من خطباء الجاهلية (٢) .

وتدخل معظم خطب الوصايا في هذا الباب ، وهي في الغالب موجهة من الخطيب إلى آل أو عشيرته عند إحساسه بدنو الموت ، فيرشدهم في أمور حياتهم المختلفة ، وتنبع هذه الخطب من تجربة الخطيب وحكمته ، ومنها وصية أسيد بن أوس التميمي إلى بني بني : "يا بني لاني رأيت مطلعا تزايلت حجارته ، وقد رأيت أطلعا ليس فيه مدح ، ورأيت الدهر فلان الصغور ، فليقترب بعضكم من بعض في المودة ، ولا تتكلموا على القرابة ، فإن التريب من قرب نفسه بالأمور بدوات" (٣) .

ويورد السجستاني طائفة كبيرة من خطب الوصايا لبني تميم ، لم يسلم معظمها من مظنة الوضع والانتحال .

وخطب هذا الاتجاه أكثر ما وصلنا من خطابة تميم في الجاهلية وربما كان ذلك إلى كثرة ما وضع فيه .

٨- خطب الدعوة إلى الإسلام :

نأصبت تميم الإسلام المداء في بداية أمره ، شأن غيرها من القبائل العربية ، ولما استطاع المسلمون أن يوصلوا دعوتهم إلى جميع أرجاء الجزيرة العربية ، وافقت هذه الدعوة ببعض القبول عند جماعة من حكماء تميم وساداتهم ، مثل أكتثم بن صيفي والأحنف بن قيس ، ولم تكن قناعتهم بهذا الدين تتمدى إلا عجاب بما يدعو إليه من مكارم الأخلاق ، فدعوا قومهم إلى الدخول فيه .

أما أكتثم بن صيفي فتذكر الروايات أنه لما سمع بظهور النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - أرسل إليه جماعة يسألونه عن نفسه ودينه ، فعادوا إليه وأخبروه بما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلقى عنده قبولا حسنا ، فجمع قومه وأعلن إسلامه ، ودعاهم إلى الإسلام فقال في خطبته - على ما ذكره ابن كثير - : "يا بني أراه بأمر مكارم الأخلاق ، وينهي عن ملامعها ، فكونوا في هذا الأمر رؤوسا ولا تكونوا فيمسه أنابا" (٤) .

(١) المقد : ٧٦/٣ - ٨٠ ، جمهرة خطب العرب : ٣٠٦/١

(٢) المصرون والوصايا : ١٤ - ١٥ ، ٧٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٧٤

(٤) تفسير ابن كثير : ٥٨٣/٢ ، وانظر الإصابة : ١١١/١ .

وفي رواية أخرى عن المدائني - يذكرها المصنفان وابن نباته المصري وابن حجر
المسقلاني - أنه بحث ولده حُبَيْشاً إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلصق
إياه بنويرة جمع قومه وخطبهم خطابة طويلة يدعوهم فيها إلى الإسلام منها : " يا بني تميم
... إن ابني قد شاهد هذا الرجل الذي ظهر بمكة وشافهه ، وهو يأمر بمداستين
الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله - عز وجل - وخلع الأوثان ... فكونوا في أموره
أولاً ولا تكونوا آخراً ، وأتوه طاعمين قبل أن تأتوه كارهين ، والله إن هذا الذي يدعو
إليه لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق العرب حسناً " فقال أكتُم : " ويل لأشجي من الخليلي ،
لهفي على أمر لم أدركه ولم يسبقني " ثم رحل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر
فدأت في الطريق ، وبصت بإسلامه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - . وذكر
ابن عباس أن قوله تعالى : " ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم
يذكره الموت فقد وقع أجره على الله (٢) ، قد نزل في أكتُم وأصحابه (٣) .

ويبدو أن هذا النص الطويل الذي أوردته المصادر قد ناله كثير من
التدريغ والزيادة ، فيرجح أن القسم الذي يتعلق بتنبؤ أسقف نجران وسفيان بن
مجاهد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من وضع الرواة بعد الإسلام لأغراض
دينية ، كما أن الكلام الذي نسب إلى مالك بن نويرة نحل عليه بعد الإسلام التشويه صورته
بسبب دوره في الردة .
وقد وقع اضطراب آخر في بداية الخاتمة ، حيث يروي كاتم أكتُم أن هذه الخاتمة
وقعت قبل الهجرة ، وأستبعد كثيراً أن يفعل أكتُم بن صفي الحكيم المشهور مثل
ذلك ، متحدثاً بإرادة قريش ، ومضحياً بمصالح تميم الاقتصادية المثبتة معهم (٤) .

(١) مجمع الأمثال : ٢٩٢/٢ ،

الإصابة : ١١١/١ أورد الجزء المتعلق بأسقف نجران وسفيان بن مجاهد
كما أورد كلامه لمالك بن نويرة بنصر آخر حيث قال : " والله ما عليك بأس ولكن
على العامة " .

شرح العميون : ٣٢-٣٣ .

بلوغ الأرب : ٣٠٨/١ - ٣٠٩ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٠٠ .

(٣) الإصابة : ١١١/١ ، شرح العميون : ٣٣ .

(٤) تذكر إحدى الروايات التي أوردها ابن حجر أن أكتُم مات قرب المدينة وهو متوجه
إليها ، ثم تبعه وفد تميم فيها بعد ، فقدّر أحمد الريحاني وفاته سنة ٦٥ هـ ،

انظر الإصابة : ١١٢/١ ، قس بن ساعدة : ٦٠-٦١ .

أما الأحنف فإنه قال لقومه حين بعث النبي إليهم رجلاً يدعوهم إلى الإسلام :
" إنه يدعوكم إلى خير ، ولا أسمع إلا حسناً " فكانت بتصديقه يدعو قومه إلى الدخول
في الإسلام ، ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : " اللهم اغفر للأحنف " (١).
وتمثل هذه المواقف في خطابة تميم زمن الجاهلية مرحلة الانتقال في حركة خطا بتعبير
بين الجاهلية والإسلام ، وبخاصة من الناحية الفكرية .

(١) الطبقات الكبير : ٦٦ / ٧ ، زهر الآداب : ٦٦٢ / ٣ - ٦٦٣
الإصابة : ١٠٠ / ١ ابن المديم ، بغية الطلب (مخطوط) : ١٦٧ / ٢
وقد شك الدكتور إحسان النص بصحة هذه الرواية لأنه افترض أن الأحنف
يومها كان طفلاً ، الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٣٧٦ .

الفصل الثالث:

خطابة تميم في عصر صدر الإسلام
واتجاهاتها البارزة

أ- تطور خطابة تميم في صدر الإسلام
ودواعي ازدهارها.

ب- الاتجاه السياسي

ج- الاتجاه الحربي

د- الاتجاه الاجتماعي

٩- تطاور خطابة تميم في صدر الإسلام ودواعي ازدهارها :

أحدث ظهور الإسلام وانتشاره ثورة في الحياة العربية ، شملت جوانبها السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية ، وتطورت تطورا بعيد المدى .

وقد كانت قبيلة تميم مثل معظم القبائل العربية تدن بالوثنية ، ينظرون إلى الوجود نظرة مادية غامضة ، وعاشوا في فوضى فكرية ونفسية أنمكست في حياتهم الاجتماعية بالفساد والقسوة والتفكك (١) ، فلما جاء الإسلام وحّد القبائل العربية على عبادة إله واحد ومثله لهم تمثيلا معنويا مجردا ، ووحدته في قوة واحدة بعد أن كان متعدد ، وساعد ذلك على رقي العقل العربي وقدرته على تجريد الأفكار وتمثيلها تمثيلا تأمليا ، وغيّر نظرهم إلى الكون والإنسان والحياة .

ومن الناحية الاجتماعية عمل الإسلام على صهر القبائل العربية في مجتمع جديد تضبطه الروح الإسلامية فاغتلطت تميم بغيرها من القبائل في جيوش الفتوح ، كما اختلطوا بالأعاجم في الأمصار المفتوحة ، واتصلوا بحضارتهم ، فكان له أثره في حياتهم الحضارية الجديدة ، وأثر فسي حياتهم كثرة ما أصابوا من السبي والفنائم في الفتوحات ، فأسهم ذلك في تغيير نمط حياتهم وتهذيب طبائعهم وعاداتهم .

وشدّ الإسلام على نبذ الفواحش والمنكرات ، ونهى عن المصيبة القبلية ، واستنزل الخلفاء الطاقة القتالية الكامنة في الجهاد ، فشغلوا بذلك عن خصوماتهم القديمة بعد أن صهروا في وحدة دينية ، وتغيرت حياتهم السياسية تغيرا جذريا ، فقد جمّمع الإسلام أشقات القبائل العربية في ظل دولة واحدة ، يحكمها الخليفة بتعاليم الإسلام ، فأوشك النظام القبلي الذي كان أهم مظهر من مظاهر حياتهم السياسية في الجاهلية أن يزول وينتهي ، ووقّر الإسلام لكل فرد حرية التعبير عن الرأي .

ورافق هذا التحول في حياة هذه القبيلة والمرب عامة أحداث عظيمة وصراعات عنيفة بين الدعوة الجديدة والمعتقدات القديمة . وبذلك توافر للخطابة في هذا العصر من دواعي الرقي والازدهار ما لم يتوافر لها مثله في العصر الجاهلي ، لأن الدعوات الجديدة تحتاج إلى نشر مبادئها بين الجماهير ، والخطابة تكاد تكون الوسيلة المثلى للاتصال بالجماهير والتأثير فيهم واستمالتهم إلى الأفكار الجديدة ،

(١) انظر : المحرّر : ٣١٦ ، الأصنام : ١٨ ، تاريخ المحقوبي : ٢٥٦/١

المستقصى في أمثال العرب : ٢١٧/١ ، البحر المحيّر

: ٣٥٩/٦ ، لهجة تميم : ١١ - ٢١ .

وكانت الخطابة أسرع من الشعر استجابة لدواعي التطور والتأثر بالتغيرات الجديدة (١) .
 وتمثل خطبة أكثم بن صيفي التي دعا فيها قومه إلى الإسلام ، وخطبة عطار بن
 حاجب في وفد تميم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - المرحلة الانتقالية
 لغزائهم من الجاهلية إلى الإسلام ، إذ يظهر فيهما تردد زعماء هذه القبيلة
 بين الخضوع إلى الدولة الإسلامية الفتية التي ازداد خطرهما وبين المحافظة
 على مركز قبيلتهم ومكانتها بين القبائل . ومقاومة الدعوة الجديدة ، ويبدو أن كثيرًا
 منهم دخلوا الإسلام على غير قناعة أو إيمان ، فما أن سمعوا بموت النبي - صلى الله
 عليه وسلم - حتى قام بعض خطبائهم يدعون إلى التمرد ومنع الزكاة ، ويعرضون على
 غزو المدينة لاستعادة امتيازاتهم القديمة ، ومن هؤلاء مالك بن نويرة وسجاح بنت
 أوس السدسنة ، وظهر خطبائهم آخرون في حروب الردة مثل قيس بن عاصم الذي دعا
 إلى التريث .

وكان لمشاركة تميم في أحداث مصر الجلييلة أثر فعال في ازدهار حركة الخطابة
 عندهم ، ومن هذه الأحداث الفتوح ، فقد كان لخطبائهم مواقف مشهودة في وقائع
 الحراق وفارس ، وبخاصة في القادسية وجلولاء ونهاوند وفتح خراسان ، فقاموا بين
 الصفوف يحرضون على الجهاد ويرغبون في الشهادة ويحذرون من عار الهزيمة ، وكان
 معظم هؤلاء الخطباء من قادة الجيوش الإسلامية ، أو من فرسانها المشهورين
 كالقمقاع بن عمرو وأخيه عاصم بن عمرو ، وزهرة بن حوية السعدي ، وريح بن عامر ،
 والأحنف بن قيس ، والربيع بن الهلال السعدي ، وحنظلة بن الربيع ، والمخيرة بن
 زارة بن النباش ، وخليد بن المنذر بن ساوى ، وعطار بن حاجب وغيرهم .
 وكان لخطب القمقاع في القادسية وجلولاء ، وخطبة خليد بن المنذر بن
 ساوى في اصطخر ، وخطبة الأحنف بن قيس في خراسان أثر عظيم في انقياد
 المسلمين في هذه المواقع الحاسمة .

وتزداد خطبائهم ازدهاراً عظيماً في فتنة عثمان - رضي الله عنه - ولجسار
 الخلافة علي حين انقسم المسلمون مذاهب وأحزاباً ، كل منها يريد الخلافة لنفسه ،
 وكان كل خطيب يدعو إلى تأييد حربه ونصرته ، ومجاهدة خصومه ، وفي هذه الحقبة
 ظهر عدد كبير من خطباء تميم المفوهين ، مثل عامر بن عبد القيس الذي وفد على

(١) القيم الخلقية في الخطابة العربية : ٥٢ .

عثمان عن أهل الكوفة يظهر له ما أحدث ، وفي وقعة الجمل انضم خطبها تميم الكوفة وعلى رأسهم القعقاع ومقل بن قيس إلى علي ، وأثر خطبها بني سعد الأعستريال في البصرة ، وانضم خطبها بني حنظلة وبني عمرو بن تميم إلى عائشة وعليهم هلال ابن وكيع ، وحنظلة بن الربيع .

وأما في صراع علي مع معاوية فقد انضم معظم خطبها تميم إلى علي في عافسين وناصوه ماعدا حنظلة بن الربيع الذي اعتزل القتال ، ومن أشهر خطبائهم في صفين الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة السعدي ، وشيث بن رهمي ، ومقل بن قيس ، ومحمد بن عمار بن عطار د وغيرهم كثير ، إلا أن جماعة منهم كانوا من الخارجيين عليه بعد التحكيم ، ومن خرج عليه : شيث بن رهمي وسمر بن قذكي وخرقصوص ابن زهير ، وعروة بن أدية وأخوه أبو بلال مرداس ، وكلهم من الخطباء المصاحقين المشهورين في الخوارج ماعدا شيثا عاد ثانياً إلى علي قبل النهروان .

ومع أن معظم ما وصلنا من خطب هذا العصر في موضوع الجهاد والفتن السياسية الداخلية ، إلا أن المصادر حفظت لنا عدداً آخر من خطبهم الاجتماعية ، كخطب الوفادات ، والمحافل ، والأحنف من أشهر الوافدين على عمر في هذا العصر ، وخطب الوصايا وأشهرها وصايا قيس بن عاصم ، وبعض الصائفات والمفاخرات والأغراض الأخرى . ويعد ظهور الإسلام سبباً في ظهور الاتجاه السياسي والديني في خطابه تميم والخطابة المرمية عامة في هذا العصر ، كما أدى إلى تطور الاتجاه الاجتماعي في خطبهم أيضاً (١) .

وقد حارب الإسلام بعض أنواع الخطابة المتصلة بطبيعة الحياة الجاهلية القائمة على روح العصبية القبلية كالمفاخرات والصائفات ، إلا أنها لم تنقرض تماماً (٢) فقد حفظت لنا المصادر بعد مفاخراتهم ، كالمفاخرة التي جرت بين الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهم في حضرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومفاخرة أخرى قيل أنها

- (١) في الأدب الجاهلي ، ٣٣١ ، فن الخطابة : ٢٣١ ،
الفنون الأدبية وأثرها في الحياة (فن الخطابة) : ٦٩/١ - ٧٤ .
المجتمعات الإسلامية في القرن الأول : ٣٥٢ .
(٢) الخطابة لنقولا فياض ١٢٣ ،
الفنون الأدبية وأثرها في الحياة (فن الخطابة) : ٦٧/١ - ٨٧ .
القيم الخلقية في الخطابة المرمية : ٥٣ .

جرت بين الأحنف وعزرو بن الأهمتم عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وقسمت
ظهير في هذا العصر ضرب من السجع في خطابتهم ، قصد به محاكاة القســرآن
الكريم ، جرى على لسان المتنبي سجع بنت أوس التميمية ، وهو قريب من سجع
الكهان في الجاهلية .

أما مواقف خطابتهم فنتمركز لها من خلال تقسيم خطابتهم إلى ثلاثـة
اتجاهات بارزة : الاتجاه السياسي ، والاتجاه الحربي ، والاتجاه الاجتماعي .

- موقف تميم في الردة :

أدت الخلافة بعد وفاة النبي - ص - إلى غريش قومه ، بعد أن نافسهم عليها الأنصار في بداية الأمر ، وكانت قبيلة تميم قريبة العهد بالإسلام ، فبمسند و أنهم أنفوا من الخضوع لسلطان قريش ، فطمع بعض زعمائها إلى استرداد نفوذ قبيلتهم السابق في المنطقة الشمالية الشرقية والشرقية من الجزيرة العربية ، ومن ثم التوسع في هذا النفوذ ، ولم يخف زعماءها تطلعاتهم إلى الملك والزعامة ، فقد تحالف من أجل ذلك مالك بن نويرة زعيم بني يربوع من تميم وهو أقوى زعماء الردة مع المتنبئة التميمية سجاح ، وكانت ترى غزو حاضرة الخلافة آنذاك المدينة ، والقضاء على سلطان أبي بكر فيها ، إلا أن بعض عشائر بني تميم كانت مترددة في أمر الخروج على سلطان الخليفة والدخول في تمرد مالك بن نويرة ، فأشار عليها أن يبدأ باخضاع قومهم بني تميم وأحلافهم ضبة والرباب ، فتوافق لهم عندئذ القوة الكافية لغزو اليمامة أقوى منافس لهم على السلطة ثم المدينة ، فقالت سجاح : " نعم فشأنك بحن رأيت ، وإنما أنا امرأة من بني يربوع ، وإن كان ملك فهو ملككم " (١) .

وإذا كان مالك وسجاح يطمحان إلى ملك العرب ، فإن بعض زعمائهم الآخرين الذين شكوا في قدرتهما على ذلك ، وقصوا في حيرة من أمرهم بين قبيلتهم الماثرة التي تريد منع الزكاة وقد اعتبرتها إتاوة تدفعها تعبيرا لخضوعها إلى سلطان قريش ، وبين دفع الزكاة إلى أبي بكر فتغضب عليهم قبيلتهم ، ف وقعت المنافسة بين زعمائهم ، ومن ذلك ما وقع بين قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر ، وكانا يتنافسان على زعامة بني سعد ، فقال قيس بن عاصم وكان ينتظر لينظر ما يصنع الزبرقان في أمر أموال الصدقة ليغالفه : " وا ويلنا من ابن المكلية ، والله لقيس لقسر مرقبني فما أدرى ما أصنع ، لئن أنا ناهمت أبا بكر وأتيت بالصدق قسمة لندرتها في بني سعد ، فليسودني فيهم ، ولئن نحرته في بني سعد لياتين أبا بكر فليسودني عنده " (٢) فأتى الزبرقان أبا بكر بصددقات قومه نكيسة بقيس بن عاصم .

وأما أقوى المتمردين من تميم وأسرعهم إلى المصحيات ، فمالك بن نويرة الذي ما أن

(١) الأغاني : ٢٩٩/١٥ ، تاريخ الطبري : ٢٦٩/٣ .

(٢) تاريخ الطبري : ٢٦٨/٣ .

موقفهم من سياسة عثمان - رضي الله عنه - :

أثارت سياسة سيدنا عثمان - رضي الله عنه - سخط الكثيرين عليه ، ونقصوا عليه إيثاره إقاربه بالمال والمناصب ، فاجتمع بعض أهل الكوفة وفيهم ناس من بني تميم ، وتذكروا ما أحدث من أعمال بعدد سلفه ، فاجتمع رأيهم على أن يرسلوا إليه عامر بن عبد الله المنبري التميمي لجرأته ومنعة قبيلته، لينهاه عن المنكرات ويأمره بالمعروف ، وكان من القراء الزهاد ، فأثابه وقام عنده فأخبره أن المسلمين ينكرون عليه ما أحدثه من الأمور المظيمة . وأمره بتقوى الله والتوبة عن هذه الأعمال إلى الله وقال : " إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك ، فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما ، فاتق الله عز وجل ، ونب إليه ، وانزع عنها " فغضب سيدنا عثمان منه على عادته حين كان ينتقد أحد سياسته ، فرد عليه في انفعال شديد بقرعته ويحاول تحقير رأيه والطمع عليه في علمه وزحمته فقال : " انظروا إلى هذا ، فإن الناس يزعمون أنه قارى ، ثم هو يجي فيكلمني في المحقرات ، فوالله ما يدرى أين الله " فما كان من عامر إلا أن رد عليه بكلام كان أشد على عثمان من كلامه الأول فأسكنه ، قال له : " أنا لا أدرى أين الله ؟ بلى والله إني لأدرى ، إن الله لي بالمرصاد لك " وقد اقتبس جوابه من قوله تعالى : " إن ربك لي بالمرصاد " (١) وقد جاءت تمقيها على ذكر قوم عاد وشعوب وفرعون وما أحدثوه من الطغيان والفساد ، فجمع في جوابه سيدنا عثمان معهم ، وكأنه يحذره من أن يحل به ما حاق بهم من العذاب إذا أصر على ما أحدثه ، فما كان من سيدنا عثمان إلا أن نفاه إلى محاولة في الشام (٢) .

ولما حوضر عثمان - رضي الله عنه - في داره ، كان محمد بن أبي بكر فيمن ثار عليه ، فدعته طائفة - رضي الله عنها - لمرافقتها إلى مكة فأبى عليها ، فجاءه حنظلة الكاتب بن الربيع التميمي ، فقال يؤتته على عصيان أمراء غاشية ، وينكر عليه مشاركته ذو وهان الصرب في الثورة على عثمان : " يا محمد تستبصك أم المؤمنين فلا تتبصها ، وتدعوك ذو وهان الصرب إلى ما لا يحل فتتبصهم " (٣) ، فحنظلة من المؤيدين لسياسة عثمان ، وقد أنكر على المحتجين خروجهم عليه ، ويبدو أنه أحس أن الأمر أعظم من مسألة احتجاج ، وأن هناك صراعا سياسيا على السلطة بدأ يظهر بين العائلات القرشية ، وذلك بعد أن رأوا غلبة بني عبد مناف

(١) سورة الفجر ، آية : ١٤ .

(٢) الكامل : ٩٧/١ ، تاريخ الطبري : ٣٣٧/٤ .

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٤٦٧/١٩ .

(٣) تاريخ الطبري : ٣٨٦/٤ .

على أمور الدولة ، وتقدر أن أحد الطامعين في الأمر محمد بن أبي بكر ، فقال له يحذره سوء العاقبة على الأمة إذا ما قضى على عثمان ، لأن بني عبد مناف سيخذلون ذلك ذريعة للاستبداد بالأمة وإذلال الناس : " يا ابن الخثعمية ، إن هذا الأمران صار إلى الثغالب غلبتك عليه بشوعبد مناف ، وانصرف وهو يقول : -

عجبت لما يخوض الناس فيه يرمون الخلافة أن تزلوا
ولو زالت لزال الخير عنهم ولاقوا بعدها أن ذليلاً
وكانوا كاليهود أو النصاري سواء كلهم ضلوا السبيلاً (١)

ثم لحق بالكوفة فكان ما توقع .

— موقف خطباء تميم من الصراع على الخلافة : —

— الصراع في وقعة الجمل : —

— موقفهم من خروج عائشة : —

لقد أنكر معظم خطباء تميم البصرة وزعمائها على السيدة عائشة - رضي الله عنها - خروجها مع طلحة والزبير في الفتنة ، بحجة أخذ النار لعثمان ، وأنها جارية بن قدامة السعدي أحد زعمائهم في البصرة ، وقد انتهت هي ومن معها إلى المبرد ، وخرج إليهم عثمان بن حنيف ليمنعهم من دخول البصرة ، فقام جارية بن قدامة عندها خطيباً ، وأخبرها أنها عرضت نفسها للسلاح ، ومن يرى قتالها فإنه يبيع دمه ، فقد هتكت بخروجها سترها وأباح حرمها ، وأن مقتل عثمان أهون على الأمة من خروجها في تلك الفتنة ، قال لها : " يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الطمسون عرضة للسلاح ، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة ، فهتكت سترك ، وأباح حرمك ، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك " ثم يشير عليها بترك هذا الأمر والعودة إلى منزلها ، فقال : " وإن كنت أتيتنا طائفة فارجمي إلى منزلك ، وإن كنت

(١) تاريخ الطبري : ٣٨٦/٤

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١١/٥ - ١٢

أتيتها مستكرهة فاستعيني بالناس" (١) وقد كان معظم زعماء بني سعد في البصرة على رأي جارية ومنهم الأحنف .

— موقفهم من أخذ الثأر للخليفة المقتول : —

اعتمد معظم خطباء تميم الذين رأوا نصرة عائشة وطلحة والزبير على حجة أخذ الثأر للخليفة المقتول ، وأخذ قتلته من تميم وغيرها ، واعتقدوا أن في ذلك صلاحاً لأمر الأمة عامة ، فحين أرادت عائشة ومن معها دخول البصرة ، حاول عثمان بن حنيف منعه ، وكان أهل البصرة ليرى موقفهم من عائشة ومن معها ، فأمر قيس بن الحنفية الحميري من قيس ، فقام في الناس ، وقال : " إن هؤلاء القوم الذين يبنون بناؤكم إن كانوا جاءواكم خائفين ، فقد جاءوا من المكان الذي يأمن فيه الطيبر وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان ، الطيموني في هؤلاء القوم فرد وهم من حيث جاءوا " .

فقام إليه الأسود بن سريح السعدي ، وكان يرى نصرة عائشة وهو أحد القصاص الذين كانوا يقصون في مسجد البصرة (٢) ، فرد عليه كلامه ودحض حججه ، لأن من حق عائشة وطلحة والزبير ومن معهم المطالبة بدم عثمان ، والاستعانة بالناس طس ذلك كما يزعم ، وليس لأحد الحق في منعه ، فقال يرد عليه : " أو زعموا أنا قتل عثمان — رضي الله عنه — فأنما فزعوا إلينا يستعينون بنا على قتل عثمان منا ومن غيرنا ، فإن كان القوم أخرجوا من ديارهم كما زعمت ، فمن منعه من إخراجهم الرجال أو البلدان " (٣) .

أما خطباء تميم الكوفة فقد رأى معظمهم نصرة علي — رضي الله عنه — إلا أننا نجد أصوات بعض زعمائهم مثل شبيب بن رهمي تدعو إلى تأييد عائشة فيمما خرجت إليه ، بحجة أنها خرجت لإصلاح ذات بين الناس ، وكانت السيدة عائشة — رضي الله عنها — قد كتبت إلى زعماء قبائل الكوفة تستنفرهم على قتل عثمان وتشبطهم من علي — رضي الله عنه — ، كما أرسل علي ابنه الحسن وعمار بن ياسر ليستنفر الناس في الخروج إليه ، فاجتمع الناس في مسجد الكوفة ليرؤ رأيهم ، فقام أبو موسى وقال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم — يقول : " إنها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي بخير

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٦٥ .

(٢) الطبقات الكبير : ٧ / ١ / ٣١٧ .

(٣) تاريخ الطبري : ٤ / ٤٦٣ .

من الراكب " (١) ، فغضب عمار لهذا التشبیط وقال لأبي موسى : "يا أيها الناس ، إنما قال له خاصة : "أنت فيها قاعدا خير منك قائما" . فقام إليه رجل من تميم أغفلت المصادر اسمه ، وقد غضب من جوابه لأبي موسى فرد عليه بكلام جاف ينم عن خشونته الأعرابية ، فقال : " أسكت أيتها المبد ، أنت أسمر مع الفوغاء ، واليوم شافه أميرنا " فثار لذلك زيد بن صوحان المبدى وطبقته ، فسكن أبو موسى الناس ووقف زيد بن صوحان يقرأ كتابي عائشة إليه وإلى أهل الكوفة ، فلما فرغ قال : " أمرت بأمر وأمرنا بأمر ، أمرت أن تقرر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أميرت به وركبت ما أمرنا به " فأغضب كلامه شعث بن ربيعة وهو من زعماء تميم الكوفية ، وأمره غريب ، فقد مال إلى عائشة ثم عاد إلى علي ثم خرج عليه بعد التعكيم ، فيها هو في بداية أمره ينافع عن عائشة أشد المنافحة فيقوم لزيد بن صوحان يبعثه ويشتمه بأسلوبه البدوي الجلف النابي ، وكاننا أمام منافرة جاهلية فيقول له : - " يا عما نسي - وزيد من عبد القيس عمان - سرقت بجلولا " فقطمك الله ، وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله ما أمرت إلا بما أمر الله عز وجل به ، بالإصلاح بين الناس (٢) فهو يرى نصرتها لأنها خرجت من أجل الإصلاح بين الناس ، ونحن أمام مجلس للشورى يبحث فيه أهل الكوفة موقفهم من أهم أحداث العصر السياسية آنذاك ، وقام في هذا المجلس ثلاثة خطباء من تميم ، منهم شعث بن ربيعة الذي أجاب عمارا ، ثم القمقاع بن عمرو الذي دعا إلى نصرة علي وحسم خلافهم . وكانت خطابهم في أسلوبها أقرب إلى أسلوب المنافرات الجاهلية باستثناء كلام القمقاع ، فلم يتورعوا عن الشتائم وذكر الصور في ردهم على خطباء القبائل الأخرى ، وهم فيها بعيدون عن الروح الإسلامية وأقرب إلى الروح الأعرابية الجاهلية .

(١) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٤٨/٥ يذكر الحديث كاملا

(٢) تاريخ الطبري : ٤٨٣/٤ ، شرح نهج البلاغة : ١٩/١٤ .

إنَّ من عارض خروج طلحة والزبير على علي من خطبائه تميم أخذ عليها أمرين هما : نكثهما ببيعة علي ، وإخراجهما عائشة معها ، فهتكا حرمتها ، وعرضاهما للقتل ، فشكوا في سلامة نواياهما فيما خرجا إليه ، فقد أتى عبدالله بن حكيم التميمي طلحة والزبير بكتب كانا كتباهما إليه ، فبدأ بطلحة وذكره بما كان كتبه إليه من الدعوة إلى خلع عثمان - رضي الله عنهما - فقاما إذاً يأتينهم نائرا بدمه فانكر عليه غروجه لأنَّ عثمان وهو الذي حرَّض على قتله ، موثَّق له أنَّه ما خرج إلا طامعا في الدنيا يريد السلطان لنفسه ، فقال له : " يا أبا محمد ، أما هذا كتبك إلينا ؟ " قال : " بلى " ، قال : " فكتبته أسر تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا نائرا بدمه ، فلمصرى ما هذا رأيك ، لا تريد إلا هدف الدنيا " (١) ، ثم يبرهن له على صحة زعمه فيه بأنَّه نكث ببيعتة لعلي بعد أن بايعه راضيا وجاء ليدخلهم في هذه الفتنة التي أشعلها لعرب في نفسه فقال : " مهلا ، إذا كان هذا رأيك ، فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة ، فبايعته طائعا راضيا ، ثم نكثت ببيعتك ، ثم جئت لتدخلنا في فتنك " (٢) ويظهر ما في الخطبة من إحكام الحجج والدليل المقنع ، والتنسيق في تسلسل المقدمات واستخلاص النتائج . فأتخذ من نكث البيعة دليلا قويا لكشف سريرتهم .

واختار خطيب آخر - لم تذكر المصادر اسمه - واكتفت بالإشارة إلى أنَّه غلام من بني سعد - الطمأن على طلحة والزبير من طريق أخرى ، وهي إخراجهما عائشة أم المؤمنين ، واستغلال ذلك لكسب عطف المسلمين في العراق وتأييدهم بحجة الثأر من قتلة عثمان . فقام هذا الشاب السعدي خطيبا في جماعة عائشة وخاطب طلحة والزبير بتسلسل فكري رائع وتدرج في استخلاص النتائج من الأسباب ، فقال يذكر ما أثر كل منهما في الإسلام مصدا بذلك لبیان فداحة ما ارتكبا في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - والإسلام بحيث أخرجوا زوجه ، وكشفوا سترها وصانوا نساءها : " أما أنت يا زبير فحواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهل وأنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديك وأرى أمكما معكما ، فهل جئتما بنسائكما ؟ " فقالا : " لا " قال : " فما أنا منكما في شيء " وقال

(١) شرح نهج البلاغة : ٣١٨ / ٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣١٩ / ٩ .

صنتم حلائلكم وقد تم أمكم
أمرت بجرّ نولها في بيتها
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها
هتكت بطلحة والزهرستورها
هذا لعمرك قلة الإنصاف
فهوت تشق اليد بالإجفاف
بالنبل والخطي والأسياف
هذا المخبر عنهم والكافسي (١)

موقفهم من علي وضرورة إقامة الخلافة :

أشرنا إلى خبر اجتماع أهل الكوفة للشورى في بداية الفتنة ، وكيف تضاربست
أراؤهم بين داعٍ إلى اعتزال الفتنة مثل أبي موسى الأشعري ، وبين داعٍ إلى
نصرة عائشة مثل شبيب بن ريمي ، وبين داعٍ إلى نصرة علي وقتال عائشة ومن معها
وحماية قتلة عثمان مثل زيد بن صوحان ، فوقع الناس في بلهلة عظيمة ، وعند هذا
قام القمقاع بن عمرو التميمي الفارس المشهور ، يريد أن ينصح الناس كي يرشدوا
إلى أصوب الآراء ، فتعرض لأراء من سبقوه من الخطباء بالنقد والتقييم وخس بذلك
رأي أبي موسى الأشعري ورأي زيد بن صوحان ، فصوب أبا موسى ولكنه رأى أن
الوقت قد فات للأخذ به ، وطعن في رأي زيد بن صوحان للمشاركة في الفتنة ،
لأنه ممن شاركوا في الفتنة من أولها في التحريض على الخليفة المقتول ، فقال :
"إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن ترشدوا ، ولأقول لكم قولاً هو الحق ، أما ما
قال الأمير - يعني أبا موسى - فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد ،
فزيد في الأمر ، فلا تستنصحوه ، فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها وجهسرى
إليها " .

ولكنه رأى أن لا بد من وجود خلافة تحمي حقوق الناس ، وتنصف المظلوم
من الظالم ، والخلافة من حق علي بعد أن أعطيت له البيعة ، فهو خليفة المسلمين
الشرعي الوحيد الذي يجب أن يسموا له ويطيعوه ، وقد كان محققاً حين استنفرهم
إليه ليحسم الموقف ويقضي على الفتنة من أولها ، كي لا يتجرأ الناس مرة أخرى
على الخليفة ، وإن أمر بمعاينة قتلة عثمان ومحاسبتهم من حقه هو ، لأنه صاحب
السلطان ، فحثهم على النفير إليه ليكونوا من الأمر على رأي ومسمع ، فقال لهم :
"والقول الذي هو الحق أنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم ، وتحمي
المظلوم ، وهذا علي يلي بها ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى
الإصلاح ، فأنفروا وكونوا من هذا الأمر برأي ومسمع" (٢) .

(١) تاريخ الطبري : ٤/٤٦٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٣/٢١٣ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤/٤٨٤ ، تاريخ ابن الأثير : ٣/٢٢٩ .

وقد استجاب لكلام القمقاع معظم قومه في الكوفة فهبوا لنصرة علي ، إلا أن بعض خطبائهم بقي في أنفسهم شي من التردد لقتال أهل البصرة وهم على الإسلام مثلهم ، ولم يكن لذلك سابقة في تاريخ الإسلام ، بالإضافة إلى أن معظم أهل البصرة من قبيلتهم تميم ، فقام إلى علي غير خديب منهم يستشيريه في هذا الأمر ، منهم مالك بن حبيب الذي قال لعلي : " ما أنت مانع إذا لقيت هؤلاء القوم ؟ " فقال له علي : " قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكف عن هذا الأمر ، فإن بايعونا فذلك ، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتزم " فقال مالك : " فإن ابتلينا فما بال قتلنا ؟ " قال : " من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاه " (١) ، وأعتقد أن الكلام عن مصير القتلى في الفتنة جاء متأخرا عن ذلك ، بعد أن نشأت الفرق الكلامية ، مما يوحي بأن بعض هذه المحاور قد وُضع في الفترة اللاحقة بعد وقوع الفتنة .

الدفاع عن أهل البصرة بعد وقعة الجمل :-

جاء الأشتر وبعض أهل الكوفة إلى علي بعد أن ظهر على أهل البصرة ، وقالوا إليه أن يسمح لهم بغنيمة أهل البصرة وسبيهم ، وأعتجوا عليه بأنهم إن كانوا قاتلوا أهل البصرة معه وهم مؤمنون فقد ارتكبوا ذنبا كبيرا ، وإن كانوا قاتلوهم كفارا ، فقد حلت لهم غنيمة أموالهم وسبيهم ، لأنهم ظهروا عليهم عنوة ، وذلك حكم الله ورسوله ، فخشي الإمام علي أن تهيج الفتنة مرة ثانية ، وأرسل إلى الأحنف زعيم أهل البصرة وعرض عليه الأمر ، فرد الأحنف على كلام الأشتر وخطابه بالحجة والبيضة ، وأثبت له أن ما ادعاه الأشتر مخالف للقرآن والسنة ، لأن الخنيسة والسبي يقع على الكفار الذين ديارهم ديار كفر ، فقال : " إنهم أخطأوا وغالطوا كتاب الله وسنة نبيهم ، إنما كان السبي والغنيمة على الكفار الذين ديارهم ديار كفر ، والكفر لهم جامع ولذراريهم ، ولنا كذلك ، وإنما دارنا دار إيمان ، يتنادى فيها بالتحديد ، وشهادة الحق وإقام الصلاة ، وإنما بغت طائفة أسماؤهم معلومة ، أسماء أهل البقي ، والثانية حجتنا أننا لم نستجمع على ذلك البغي ، فإنه قد كان من أنصارك من اثبتهم بصيرة في حقك ، وأعظمهم غنا عنك طائفة من أهل البصرة ، فأنتى أولئك بجعل حقه ، ونسي قرابته ، إن هذا الذي أتاك به الأشتر وأصحابه ، قول متعلمة أهل الكوفة " . فهذه براهين الأحنف وحججه على بطلان

(١) تاريخ الطبري : ٤٩٦/٤ .

ما رآه الأشتر وجماعته ، فان قنعوا بها فذلك وإلا " وأيم الله لئن تعرضوا لهما
لتكرهن عاقبتها ، ولا تكون الآخرة كالأولى " فقال علي : " ما قلت إلا ما تصرف ،
فهل من شيء تخصون به اخوانكم بما قاسوا من الحرب " فأشار عليه الأحنف
أن ينزلوا لهم عن أعطياتهم في بيت المال لذلك العام ففعل (١) .

وأظن أن هذه الخطبة قد افتقرت إلى ما عهدناه في أسلوب الأحنف من التأنق
والتزوير ، بالإضافة إلى طريقة صياغة الحجج والبراهين التي حفلت بها الخطبة
وهي أقرب إلى طريقة المتكلمين في الفترات اللاحقة ، ولم أقع على نص هذه الخطبة
في غير " تهذيب تاريخ ابن عساكر " وإيراده لها يوحى بثقة الملمثة إليها ،
فبعض موقفه فيها من أهم المواقف البارزة الممدودة في حياة الأحنف . وإذا صح
نسبة هذا الموقف إليه فمن الأرجح أن خطبته هذه قد تميزت بصياغتها فيما بعد .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٧/٧ - ١٨ .

موقفهم من الصراع في صفين :-

- ١٢٢ -

رأى معظم خطباء تميم في علي - رضي الله عنه - الخليفة الشرعي بمحمد وقصة الجمل، فما أن استنفروهم لقتال معاوية وأهل الشام حتى وجدوا لزما عليهم أنفسهم إطاعته والخروج معه على العسر والميسر، ورأوا أن في ذلك إطلاعة على إخراج الله طامعين بما عنده من حسن الثواب والأجر، فقد قال الأحنف يستنصر قومه وأهل البصرة: "نعم والله، لنجيبك ولنخرجن معك على العسر والميسر وأرضا والكراهة، نحتسب في ذلك الأجر، ونأمل به من الله العظيم حسن الثواب" (١)

ونذهب جل خطباء تميم مذهب الأحنف، إلا ما كان من حنظلة بن الربيع، فإنه دخل على علي ومعه عبد الله بن المعتز الميسري في رجال من تميم وفطافان، فقام عنده مدعيا أنه يريد من مقامة ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة، فأشار عليه بالمدول عن مقاتلة معاوية، وأن يصانعه ويكاتبه، مهولا بالحرب على علي خوف الهزيمة ليشتد من عزمته، فقال :-

"يا أمير المؤمنين، إنا قد مشينا إليك بنصيحة فأقبلها منا، ورأيا لك رأيا فلا تدره علينا، فإنا نظرنّا لك ولعن معك، أقم وكا ثب هذا الرجل، ولا تجعل إلى قتال أهل الشام، فإنني والله ما أدرى ولا تدري لمن تكون الفلبة إذا التقيتم، وعلى من تكون الدبرة" ولا عجب في موقف حنظلة هذا، فقد كان من المؤيدين لسياسة عثمان قبل مقتله، وصار مع طلحة والزبير وعائشة بعد ذلك، وحرض على قتال علي، وقد أدرك الإمام علي مراده في نصحه، فثار عليه ورد محتدًا يتهمة في نواياه: "... أما الدبرة، فأنها على الضالين الحاصين، ظفروا أو ظفر بهم، وأيم والله لا يرضى ربي لأسمع كلام قوم ما أراهم يحرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا" (٢)

فهبط خطباء تميم من حول الإمام يزهرون حنظلة ويفهمونه بالخش في نصيحته الخليفة، إذ أشار عليه بما يفيد عدوه، فقال معقل بن قيس الرياحي "يا أمير المؤمنين، إن هو لا والله ما أتوك بنصح ولا دخلوا عليك إلا بغش، فاحذرهم فإنهم أدنى العدو" وأما مالك بن حبيب فقد ذهب إلى أبعد من ذلك فسك فأتتهم حنظلة بمكاتبة معاوية والتواطؤ معه. وأشار على سيدنا علي بحبسه حتى ينتهي من صفين، فهرب حنظلة في جماعة من قومه إلى الشام واعتزل الحسرب، فأمر علي عرفاء قومه شيث بن ريمي ويكر بن تميم بهدم بيته (٣) .

(١) وقعة صفين: ١٣٠، شرح نهج البلاغة: ١/١٨٧ .

(٢) وقعة صفين: ١٠٧، شرح نهج البلاغة: ١/١٧٥ .

(٣) وقعة صفين: ١٠٧-١٠٩، شرح نهج البلاغة: ٣/١٧٥-١٧٦ .

ورأى الأحنف أن صراع قريش على الخلافة في صفين سيكون به هلاك ذلك
الحرب، سواء غلب علي أم معاوية، لأن الأمر إذا صار إلى أهل العراق لمن
يبقوا على رعيهم من أهل الشام إلا قتلوه، وإذا غلب أهل الشام لن يتورعوا
عن معصية الله أبداً، فقد عصوا الله بشق عصا الطاعة على الخليفة،
فكيف يأخذهم الخلافة من أهلها، فقد قال بصفين وهو مع علي: "هلكت الحرب"
فقال له أصحابه: "وإن غلبنا أبا بكر؟" قال: "نعم" قالوا: "وإن غلبنا؟"
قال: "نعم" قالوا: "والله ما جعلت لنا مخرجاً" قال الأحنف: "إن غلبنا
لم نترك بها رئيساً إلا ضربنا عنقه، وإن غلبنا لم يفرج بعدها رئيس عن معصية
الله أبداً" (١).

فالأحنف وإن كان لا يشك في حق علي ونصرته، إلا أنه ثاقب البصيرة، ينظر
إلى ما خلف الأمور بحين الحرير على الأمة، وما سيجرّه هذا الصراع عليها.

موقفهم من رفع المصاحف :-

ولما رفع أصحاب معاوية المصاحف في صفين، حذر علي أصحابه من الخدعة
والمكيدة، وأنهم لو دانوا بحكم كتاب الله ما قاتلهم من البداية فقام إليه مسحور
ابن قنك التميمي في جماعة من القراء، فيهم زيد بن حصين الطائي، فخطبهم
بكلام غليظ قاس يشف عن بداوة صاحبه وجلالته، ودعاه إلى إجابة أهل الشام
إلى تحكيم كتاب الله بينهم، وإن لم يفعل فأنهم سيدفونهم إلى أهل الشام،
أو يفعلون به ما فعلوا بميثان، قال: "يا علي أجب القوم إلى كتاب الله عز
وجل، إن دعيت إليه، وإلا ندفعك برمك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا
بأبن عفان، إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه، والله
لتفعلنهم أولفعلناهم" (٢) ويبدو أن جماعة مبصرين فدكي من القسراء
كانت من القوة بحيث أجبروا علياً على الانصياع لرغبتهم كارهاً، وكان موقف مبصر
ممهداً لظهور حركة الخوارج بعد التحكيم، وكان هو وجماعته من القسراء
أول من خرج على علي، محتجين على طريقة التحكيم واختيار الحكام
فإنهم دعوا إلى تحكيم القرآن بينهم لا إلى تحكيم الرجال في دين الله على
حد زعمهم.

(١) وقعة صفين : ٤٤٠ .

(٢) وقعة صفين : ٥٦٠-٥٦١ .

تاريخ الطبري : ٤٩/٥ .

لما أذن علي لقبول التحكيم أصرّت عليه اليمانية وريهة أن يرسل أبا موسى الأشعري إلى عمرو بن العاص ، فلما علم الأحنف زعيم المضربة في جيشه أنه وقام بين يديه ، وأخبره أن أبا موسى لا يصلح لمثل هذه المهمة ، وليس بأهل لمقارعة عمرو بن العاص الدامية . فقال : " يا أمير المؤمنين ، إنك قد رُميت بحجر الأرض ، ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام ، وإنني عجت هذا الرجل - يعني أبا موسى - وحلبت أشطره ، فوجدته كليل الشفرة ، قريب القصر " ثم يذكر له صفات من يصلح إلى هذه المهمة بدلا من أبي موسى ، فعليه باختيار رجل حكيم يستطيع أن يدرك خفايا نفوسهم ، يقط منيع لا ينطلي عليه كيدهم ومكرهم ، يكشف باطلهم ويثبت له حقه ، وقد أبدى استعدادا للقيام بهذه المهمة إن هو أراد ذلك أو يبعثه مع من يختاره ، وقال في ذلك : " لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أعينهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم فإن جعلتني حكما ، فأجعلني ، وإن أبيت أن تجعلني حكما ، فأجعلني ثانيا أو ثالثا ، فإنه لا يعقد عقدة إلا حللتها ، وإن يعقد عقدة إلا عقدتها ، وعقدت لك أخرى أشد منها ، " فأبى الناس إلا أبا موسى ، فقال الأحنف عند ذلك : " فان أبيت إلا أبا موسى فادفعوا ظهره بالرجال " (١) .

وتشير رواية أخرى لهذه الخطبة أن الأحنف قد عارض تحكيم أبي موسى من مطلق قبلي بدافع العصبية لأن أبا موسى يمانى . أصرّت عليه اليمانية وريهة وأن تعظم جماعة معاوية من اليمانية أيضا ، فقال : " يا أمير المؤمنين ، إن أبا موسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فأبعثني معه " (٢) .

ويبدو أن الإمام علياً لم يكن قائما بتحكيم أبي موسى ، إلا أنه اضطر للرضوخ لزعيمات اليمانية وريهة ، حيث كانوا أشد الناس بلاء على أهل الشام في صفين ، فلما زاد الاختلاف في أبي موسى ، وكثر كلام الناس بين مؤيد ومعارض ، قام شبيب بن ربيعة إلى الإمام علي محاولا التسرية عن نفسه وتعليله بتقوى أبي موسى . زورعه ، وأن يترك الأمر لمشعة الله ، فقال : " إنا والله إن خفنا على أبي موسى الأشعري من عمرو ما لا يخافه أهل الشام على أبي موسى ، فلمصل ما خفناه لا يضرنا ، ولعل مارجوا لا ينفعهم ، فان قلت في أبي موسى ضعف ، فضعفه وتقاه خير من قوة عمرو ، وفجوره فاغلق به الباب " (٣) .

(١) وثقة صفين : ٥٧٤ ، تاريخ الطبري : ٥٢ / ٥ ، شرح نهج البلاغة : ٢٣٠ / ٢

اللسان : مادة (حجر) .

(٢) الإمامة والسياسة : ١٣٦ ، مجمع الأمثال : ٢٦٣ / ١ .

(٣) الإمامة والسياسة : ١٣٣ .

وواضح من كلام شبت أنه غير قانع بأبي موسى إلا أن الأمر قد خرج من يدهم، وأنهم عاجزون عن فعل شيء غير قبول الأمر على علته، وهذا خلاف ما عهدناه في شبت عند هذه المواقف .

ولم يأل الأحنف بن قيس جهداً في سبيل خدمة الأمة وإصلاح أمورها، وازدادت مخاوفه حين لم يستطع علي استبدال أبي موسى بغيره للتحكيم، ومع ذلك فقد بقي قريباً من الأمور ملتصقاً بها، فكان آخر من ودعه، وحرص على تذكيره بحساسة المهمة التي وكلت إليه في تقرير مصير الأمة، فأوصاه بتقوى الله، ونبيه إلى مآذ عمو بن العاص وكيف يتجنبها، فأوصاه بالآسأل عليه والآن يقعد على صدر الفراش، والآن يكلمه في بيت فيه مخدع، والآن يكون المبتدئ في الكلام فقال له: "يا أبا موسى أعرف خطب هذا الأمر، وأعلم أن له مابعد، وأنت إن أضمت العراق فسيلا عراق، فأتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك، وإذا أقيت عمراً غدا فلا تبدأه بالسلام، فإنها وإن كانت سنة إلا إنه ليس من أهلها، ولا تمطه يدك فترهبها أمانة، وإياك أن يقدمك على صدر الفراش فإنها خدعة، ولا تلقه وحدك، وأحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع تخبأ فيه الرجال والشهود، ودعه فليتكلم التكبسون عليه بالخيار قال بادي مستفلق، والمجيب ناطق" وتدل هذه الوصايا البليغة على حنكة الأحنف وحكمته، النابعة من عقلية فذة وتجربة خصبة، وكل ذلك بدافع حرصه الشديد على الإسلام والمسلمين .

ويبدو أن الأحنف قد أدرك ببصيرته الثاقبة أن أبا موسى في شغل عن نصحه، وأنه ربما يدير أمراً في نفسه، فعمد إلى اختباره ليصرف موثقه من حق علي في الخلافة، وكان اختباراً له حصيفاً ويقظاً، تحرر فيه لا احتمال خلق أبي موسى لحلي، فأشار عليه إذا لم يتفقاً على علي أن يمرض على عمرو أن يختار أهل العراق خليفة من أهل الشام أو يختار أهل الشام خليفة من أهل العراق، فإن لستم يكن الخليفة من أهل العراق يكن من اختيارهم، وهو في اختبار أشد ذكياً وحرصاً منه في وصيته، فقال لأبي موسى: "فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي، فخير أن يختار أهل العراق من قريش الشام من شاءوا، فإنهم يولسون الخيار فنختار من نريد، وإن أبوا فليختار أهل الشام من قريش العراق من شاءوا، فإن فعلوا كان الأمر فينا" . فقال أبو موسى: "قد سمعت ما قلت ولم يتعاش لقول الأحنف، فصرف الأحنف بدهائه أن أبا موسى لا ينكر خلفه علي، فأتى علياً وقال له: "يا أمير المؤمنين أخرج والله أبو موسى زينة سقائه في أول مخضة، لا أراها إلا بمثنا رجلاً لا ينكر خلحك"، فقال علي: "إن الله غالب على أمره" (١) .

(١) وقعة صفين: ٦١٧، الإمامة والسياسة: ١٣٨-١٣٩ شرح نهج البلاغة: ٢/٢٤٩، نهاية الأرب في فنون الأدب :

وشاع أمر الأحنف وأبي موسى في الناس، وإذا صحت نسبة هذا الحوقف إلى الأحنف، فإنه يكون قد تنبأ بتطورات الأحداث قبل وقوعها .

موقف غوارج تميم من الصراع على الخلافة :

كره الناس القتال في صفين لشدة ما وقع من الهلاك، ورأى بعضهم أن الخلافة التي يقتتلون عليها حكر في قريش، فما أن دعا أهل الشام إلى التحكيم حتى طلبوا من علي قبول ذلك، ولكن جماعة منهم طعنوا في كفاءة الحكمين، ورأوا أن تحكيم الرجال في أمر الخلافة مخالف لكتاب الله، وأن علياً حين قيل ذلك ورُضي أن يصحى لقب أمير المؤمنين من اسمه لأنه ارتاب في حقه بالخلافة، وطالما أنه لم يسم يرد في القرآن نص يثبت أن الخلافة حق لقريش دون غيرها، فلم لا تكون حقاً لكل مسلم كفاً، وبذلك أوجدوا لأنفسهم مكاناً بين الحزبين القرشيَّين للمطالبة بالخلافة .

وكانت جماعة من بني تميم هم أول من حُكم في جيش علي ودعوا إلى الخروج بعد صفين، فقد مرَّ الأشعث بكتاب التحكيم يقرأه على الناس حتى بلغ جماعة من بني تميم فيهم عروة بن أدية، فقال عروة له: "أتحكمون الرجال في أمر الله؟ لا حكم إلا لله، فأين قتلاتنا يا أشعث؟" (١) .

وفي رواية أخرى أنه قال: "ما هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم؟ أشرط أوثق من شرط الله عز وجل؟" (٢) ثم سَل سيفه وضرب به عجز دابة الأشعث، وذهبت بعض الروايات إلى أن رجلاً سميها آخر قد حكم قبل عروة فقال: "لا حكم إلا لله، يبقى بالحق وهو خير القائلين" (٣) ويظهر لنا من الشعارات الأولى التي أطلقها هؤلاء الغوارج قضيتان رئيستان وهما، رفض التحكيم واعتباره دنية في الإسلام وخطيئة يجب على علي التوبة عنها، والثانية مصير قتلاهم الذي سبب هلكوا في الحرب مع علي، فقد ارتاب علي في حقه بالخلافة حين قبل التحكيم، فهل مات قتلاهم على ضلالة؟

(١) وقعة صفين: ٥٨٧، تاريخ الطبري: ٥٥/٥ .

(٢) الكامل: ١٨٠/٣ .

(٣) وقعة صفين: ٥٨٧ .

ومن ذلك أن حرقوص بن زهير السعدي أتى عليا وقال له : " لا حكم إلا لله ، فقال علي : " لا حكم إلا لله ، فقال له حرقوص : " تب من خطيئتك وأرجع عن قضيتك ، وأرجع بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا " (١) وكأن حرقوصا اشترط على علي الاعتراف بالخطيئة لقبوله التحكيم ثم إعلان التوبة عن ذلك حتى يمودوا لولائه والقتال معه . ولم تلبث حركة الخوارج أن تبلورت مبادئها في حزب سياسي ثالث ينازع معاوية وعليا في حق الخلافة التي اعتبروها حقا . لذل مسلم كفاء لها ، وبهذا حللوا أنفسهم من بيعة علي ، ورأوا أن يولوا امرئهم أميراً يرتضونه فيما بينهم ، ليكون لهم عمادا وسندا يقاتلون تحت رايته ، وأول من دعاهم إلى ذلك حرقوص بن زهير السعدي ، بعد أن أكد لهم صواب موقفهم ، وما يتوجب عليهم من طلب الحق وإنكار الباطل ومحاربتة ، وحذرهم من الدنيا وزهدهم بمناعبها ، فقال : " إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلوينكم عن طلب الحق وإنكار الظلم " فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (٢) يا قوم إن الرأي ما قد رأيتم ، والحق ما قد ذكرتم فلو أنكم رجعتم رجلا منكم ، فإنه لا بد من عماد وسناد ، ومن راية تحفون حولها ، وترجعون إليها " (٣) .

وكان الخوارج منذ أن تكونت حركتهم من أكثر الأحزاب الإسلامية ماسسة للدين واندفاعا إلى الموت في سبيله ، فقد احتقروا الدنيا وزهدوا في لذاتها ومناعبها ، فاندفعوا بسيفهم يدافعون عن مبادئهم ، فأصبحوا أقوى الأحزاب الإسلامية شوكة في معارضتهم الدولة فيما بعد ، وزادت تحركاتهم بالكوفة واجتماعاتهم ، ثم همشوا إلى خوارج البصرة وزعيمهم مشقر بن قديك يدعونهم إلى الخروج ، وقام حرقوص بن زهير في خوارج الكوفة في الليلة التي سبقست خروجهم فأوضح لهم خيلة الخروج في أن يخرجوا مثنى ووحدانا كي لا يشعروا بهم أحد وأشار عليهم بأن يقيموا ليلتهم تلك بعبادة ربهم وأن يوطنوا أنفسهم للقاء ، فأشار عليهم بأن يوصوا ، وقال : " متى أنتم خارجون ؟ " قالوا : " الليلة القابلة من يوم الجمعة " فقال لهم " بل أقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا فيها ربكم ، وأوصوا فيها بوصاياكم ، ثم اخرجوا ليلة السبت مثنى ووحدانا كما لا يشعركم أحد " (٤) .

-
- (١) نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦٤/٢٠ .
 (٢) سورة النحل ، آية ١٢٨ ، وبها تنتهي رواية الخطبة كما وردت في تاريخ الطبري ٧٤/٥
 (٣) الإمامة والسياسة : ١٤٧ ، تاريخ الطبري : ٧٤/٥ وينسب الجزء الثاني من الخطبة إلى حمزة بن سنان الأسدي ، الأخبار الطوال : ٢٠٢ ، وينسب الخطبة إلى عبد الله بن وهب .
 (٤) الإمامة والسياسة : ١٤٧-١٤٨ ، تاريخ الطبري : ٧٥/٥ ، وينسب السبب إلى زيد بن حصين الطائي .

شارك خطباء تميم في غير وفادة لمالي على خصومه في وقعة الجمل وصفين ، ومن أشهر هؤلاء الخطباء القمقاع بن عمرو وفد له على عائشة وطلحة والزبير قبل وقعة الجمل ، وشبهت بن ربيعة شارك له في وفادتين على معاوية في صفين ، ولم يكن الخطيب الموفد مجرد رسول . يكلف بنقل رسالة فحسب ، بل كان لسان من خلفه يدعو بدعوته ، ويرد على حجج خصومه مرفقا ومرهبا ، لذا فقد حرص علي رضي الله عنه - على اختيار القمقاع قبل إيفاده ليرى مقدرته على التصرف بما يستجد عليه من الأمور ما ليس عنده فيه وصاة ، فسأل القمقاع : " كيف أنت صانع فيما جاءك منها ما ليس عندك فيه وصاة مني ؟ " فقال القمقاع : " نسلكهم بالذي أمرت به ، فإذا جاء منها أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي ، ولكنناهم على قدر ما نسمع أو نرى أنه ينبغي " فقال له علي : " أنت لها " (١) ويشهد على حكمة القمقاع ذلك ، فلما قدم البصرة دعا عائشة وطلحة والزبير لاحتاجتهم في أمر خروجهم ، فزعموا له أنهم خرجوا لإصلاح ذات بين الناس ، يأخذ قتلة عثمان ، لأن ذلك ، إن ترك كان تركا للقرآن ، فقام القمقاع بدعوتهم إلى الألفة في خطبة أجاد تنسيقها وتقسيم أفكارها ، كما تظهر فيها بلاغة القمقاع في الاستدراج والاستدلال وإيراد البراهين .

ففي القسم الأول من الخطبة راح القمقاع يريهم جسامة الخطأ الذي ارتكبه باعتنائهم هذا الأمر ، لأنه من شأن الخليفة وأولي الأمر ، ثم يدعوهم ليعلم رأيهم بالنتائج التي أسفرت عنها محاولتهم لملاحقة قتلة عثمان في البصرة ، ويلسح من طرف خفي بقوة قبيلته ومنعتها أمامهم في البصرة ، فقد أغروا صدور قبائل من أخذوا عليهم ، فغضب لكل واحد منهم عشرة رجال واعتزلوهم ، ثم جهل عليهم متابعة هذا الأمر قاصدا إقناعهم بهجرهم ، فقد أفلت منهم حرقوص بن زهير السعدي التميمي أحد أفراد قبيلته لمنعة تميم وقوتها ، فقد وفق دونه ستة آلاف سيف تميمية ، فإن هم تركوه عاجزين فكأنهم تركوا أمر دم عثمان كما يزعمون ، وإن جازفوا بمقاتلة تميم ومن اعتزلوهم من ربيعة ، فسوف يرون منهم ما هو أعظم من مقتل عثمان بعد أن وترو القبيلتين ، فقال : " قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتما ستائة إلا رجلا ، فغضب لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم ، وخرجوا من بين أيديهم ، وطلبتم ذلك الذي أفلت - يعني

حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على رجل ، فان لركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فادبلوا عليكم ، فالذي حذرتم وقرئتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحصيتهم مضر وربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلنا نكم نصرة لهؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم ، والذنب الكبير .

ويبدو أن القسقاء استطاع في هذا القسم من الخطبة أن يزعزع ثقتهم بمقدورتهم على الدفاع عن زعمهم وإدراك جسامته الموقف كما وصف دون أن يتعرض إلى اتهمهم في نواياهم ، وكشف مطامعهم في السلطة كما عمد غيره من خطباء قومه ، ويوضح لنا ذلك في سؤال عائشة له المشورة والنصح ، ويستغل القسقاء ذلك في تخصيص القسم الثاني من خطبته للدعوة إلى الجماعة وتمظيم أمر الفرقة والمبايعة لملي ، وهذا مقصد وفادته ، فإن أجابوه إلى ذلك ففي ذلك درك بنار عثمان وعافية للأمة ، وإن أبوا فسوف يذهب دم عثمان ، ويقع على الأمة بلا عظيم ، ويصر في كلامه على عرض الصورة من وجهيها مقابلا بين الخير والشر إحصانا في التوكيد ، فيقول : " أقول هذا الأمر دواؤه التسكين ، وإذا سككتنا اختلجوا ، فان أنتم بايتمونا فسلامة خير وتباشير رحمة ، ودرك بنار ههنا للرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه زانت علامة شر وذهاب هذا النور ، وبعدة الله في هذه الأمة هزاهرها ، فاشروا الحافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ، كما كنتم تكونون ، ولا تعرضونا للمبسلات ، ولا تعرضوا له ، فيصرعنا وإياكم .

ويبدو أن القسقاء قد أدرك بحسّ القائد العسكري المحنك ، أن طاعته إليه من الجماعة والطاعة قد لا يتم لهول المدع ، ولأن ما حدث ليس يقتدر ، فان التجبراً على الخليفة وقتله لا يصحوه الأخذ بالطرق كقتل الرجل الرجل أو القوم الرجل أو القبيلة الرجل ، لأن التطورات الاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي الجديد تدلن تقف عند هذا الحد في هذه الفترة ، فقد انصرفوا إلى الدنيا ومتاعها كما يرى ، فحرصوا عليها ، ولا يجد القسقاء حرجاً في القسم الأخير من خطبته في إظهار مخاوفه وتشاؤمه من إلتمام الصدد حتى يأخذ الله حاجته من الأمة ، وحرص على أن يختم كلامه بذلك ليكون آخر ما يملق في أذهانهم ، لعله يزرعهم عن هذه الفتنة ، فقال : " وأيم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، ولني لشائش إلا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ، ونسبزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث ليس يقتدر ، وليس كالأمر ، ولا تقتبس الرجل الرجل ، ولا نفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل* (١) .

(١) تاريخ الطبري : ٤٨٨/٤ - ٤٨٩ ، تاريخ ابن الأثير : ٢٣٢/٣ - ٢٣٤ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٥٤/٢٠ - ٥٦ ، البداية والنهاية : ٢٣٧/٧ .

وتذكر الروايات أنهم قد تأثروا بكلامه واقتنعوا به فقالوا له : " قد أحسنمت وأحببت المقالة ، فارجع فإن قدم عليّ وهو عليّ مثل رأيك صلح هذا الأمر " (١) .

وأما شيب بن ربيعي في وفاداته لحلي على معاوية في صفين ، فقد كان حلي النقيض من القمقاع الذي وجدناه هادئاً متزنًا شديد الروية ، فإن شيئاً سريع الاندفاع قليل الروية يؤثر التهجم على معاوية والتهديد ، وذلك بلهجة البدوي الأنيف الذي يأبى السكوت على التحدي أو مداراة الخصم ، فقد أوفده في المرة الأولى مع بشير بن عمرو بن مِخَصَّن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني في ربيع الآخر أو في ذي الحجة سنة ٣٦ هـ ، لينظروا رأيهم ويحتجوا عليه ، فتكلم ابن مِخَصَّن أولاً ودعا معاوية إلى الجماعة وبيعة علي ، وعظم عليه الفتنة وتفريق الأمة ، فرتّب عليه معاوية بغطاسة وتحدّ " ونَدَّال " دم عثمان - رضي الله عنه - والله لا أفعل ذلك أبداً ، ولم يحتمل شيبٌ مثل هذا الجواب منه ، فاندفع مقاطعاً سعيد بن قيس الذي همّ بالكلام بعد ابن مِخَصَّن ، وراح يفضح مآرب معاوية التي رأى أنه أخفاها من وراء كلامه ، وهي اتخاذه دم عثمان وسيلة يستفوي بها الناس ويستميلهم ، بحجة أن عثمان قتل مظلوماً ، ليصل إلى الخلافة ، ومن أجل ذلك أبطأ عن عثمان بالنصر وأحبّ له القتل ، فاستجاب لدعواه السفهاء والنفاق والأراذل ، فقال لمعاوية : " يا معاوية ، إنني قد فهمت ما رددت عليّ ابن مِخَصَّن ، إنه والله لا يخفي علينا ما تفرّز وما تطالب ، إنك لم تجد شيئاً تستفوي به الناس وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلا قولك : " قتل إمامكم مظلوماً ، فهلما نطلب بدمه " فاستجاب لك سفهاء طغام رذال ، وقد علمنا أنك قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل بهذه المنزلة التي تطالب .

ويهور على معاوية عاقبة ما يطالب ويتمنى ، وخسرانه في الحالين أصاب الأمر أو أخلاه ، لذا فإنه يختم كلامه بحثه على التقوى وعدم منازعة علي في الخلافية لأنه أهلها ، فقال : " ربّ متني أمر وطالبه ، الله عزّ وجلّ يحول دونه بقدر تشيئه ، ربما أوتي المتني أمّنيته وفوق أمّنيته ، والله مالك في واحدة منهما خير ، لأنّ أخطأت ما تريه وإنك لشرب العسرب حالا في ذلك ، ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صُلّي النار ، فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله " . فأصاب ذلك - أوية نفس معاوية ، فتأرّب لذلك معاوية ورد عليه بكلام نازق ، لم يتعرّض فيه لشيء مما رماه به شيب سوى كيل الشتائم له ، ورمى به بجهل ما تكلم به ، ووصفه بالكذب وسوء الأديب والأعرابيّة الجلفة ، ثم

قال : " انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف " ، فردّ عليه
شيث بمثل تهديده قائلا : " أفعلينا تهوّل بالسيف . أقسم بالله لنجعلنَّ
بها إليك " (١)

وتكرر حدة شيث وعنف كلامه واندفاعه في وفادته الثانية على معاوية في محرم
سنة ٣٧ ورافقه عدي بن حاتم وزياد بن خصفة ويزيد بن قيس ، فكان عدي
أول المتكلمين ، فمظّم على معاوية الفرقة وسفك دماء المسلمين ودعاه إلى الجماعة
والطاعة ، فقام معاوية يتهدّد عديا ويرaug في الجواب ، فلم يحتمل شيث هذا
منه ، فقام مقابله زياد بن خصفة محاولا ثني معاوية عن مراوغته ، فذكره أن يقتصر
على ما يحسمهم نفعه وأن يدع عنه ضرب الأمثال وما لا يفيد من التهديد والوعيد ،
فقال له : " أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا ينتفع
به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يممّننا وإياك نفعه " ، فاشترط عليهم معاوية
أن يدفع إليه علي من معه من قتلة عثمان ، فاستهجن شيث منه ذلك ، إذ كيف
يمكن أن يسلمه علي جماعة من خيرة الصحابة ليقتلهم ، فقال له : " أيسرك يا معاوية
أنك أمكنت من عمار تقتله ؟ " فقال معاوية : " وما يمنعني من ذلك ؟ والمسلم
لو أمكنت من ابن سمّة ما قتلت به عثمان ، ولكن كنت تأتله بنائل مولى عثمان " ففضب
شيث لجوابه هذا وأخبره أنه لن يصل إلى عمار أو غيره ما دامت هناك سيوفهم تحميهم ،
وقال مهددا معاوية : " والله الأرض والله السماء ، ما عدلت معتدلا ، لا والذي لا إله
إلا هو لا تصل إلى عمار حتى تنذر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضميق الأرض الفضاء
عليك برحبها " (٢) .

ولا يخفى ما في كلامه من الجراءة والأنفة والمنفوان عرفناها في شيث في معظم
مواقفه من الأحداث .

(١) وقعة صفين : ٢٠٩-٢١٠ ، تاريخ الطبري : ٥٧٣/٤ - ٥٧٤

تاريخ ابن الأثير : ٢٨٦/٣ ، شرح نهج البلاغة : ٣٤٤/١

نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٠٨/٢٠ - ١٠٩ .

(٢) وقعة صفين : ٢٢٢-٢٢٤ ، تاريخ الطبري : ٥/٥ - ٦

تاريخ ابن الأثير : ٢٩٠/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب :

١١١/٢٠ - ١١٣ .

خطب الجهاد :

شارك خطباء تميم في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس والحراق بخدايتهم جنباً إلى جنب مع السيف ، وقد كان لهم أثر بالغ في إزكاء الحماسة في نفوس المجاهدين من أبناء قبيلتهم وسائر القبائل ، وأدرك سعد بن أبي وقاص أثر الخطابة وأهميتها في رفع الروح المعنوية للجند أثناء معركة القادسية ، فأرسل إلى الخطباء والشعراء وأهل الفضل والنجدة في جيشه ، وقال لهم : " انطلقوا ، فقوموا في الناس بما ينعق عليكم عند مواطن البأس ، فانكم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباءهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس ، فذكروهم وحرضوهم على القتال " (١) . وكان من بين هؤلاء عاصم بن عمرو التميمي ، وربيع بن عامر وربيعة بن البلاد السعدي ، وحظلمة ابن الربيع وغيرهم من خطباء تميم وشعرائها . فقاموا في عساكرهم يحرضون على قتال العدو ، ويدعون إلى الصبر والثبات ويبشرون المجاهدين بالثبته وخسنة الثواب ، إذا هم صبروا وصدقوا الله في جهادهم ، فقام ربيعة بن عامر يذكركمهم بفضل الله عليهم بالإسلام ، ويحثهم على الصبر في جهاد أعدائه فقال : " إن الله قد هداكم للإسلام ، وجمعكم به ، وأراكم الزيادة ، وفي الصبر الراحة ، فبصبركم أنفسكم الصبر تعتادوه ، ولا تمردوها الجزع فتعتادوه " (٢) ، وأما ربيعة بن البلاد السعدي فقد مزج في حثه على الجهاد بين الدوافع الإسلامية والقسم الحربية ، فقد حثهم على الجهاد من أجل الدين والدنيا معاً ، وراح يحثهم الجهاد إلى أنفسهم طلبها مشاعرهم بآية من القرآن ، تذكر ثواب الشهداء والمجاهدين ، فإذا لم يدفهم ذلك إلى الصبر والثبات في الحرب ، فليحذروا من عار الهزيمة وما سيذكرهم الناس به فقال : " ياممشر العرب ، قاتلوا للدين والدنيا ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للباحقين " (٣) وإن عظم الشيطان عليكم الأمر ، فذكروا الأخبار عنكم بالحواسم ما دام للأخبار أهل " (٤) .

أما عاصم بن عمرو فقد حرص بحسه القيادي على تهيئة الروح المعنوية عند الجند وقرس الثقة في نفوسهم ، وقرن ذلك بترغيبهم في الجنة ،

- (١) تاريخ الطبري : ٥٣٣/٣ .
- (٢) تاريخ الطبري : ٥٣٤/٣ .
- (٣) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ .
- (٤) تاريخ الطبري : ٥٣٤/٣ .

وأن عليهم يتوقف مصير من خلفهم من العرب ، فهم أعيانهم يظفرون أعيان
الفرس فقال : " يا ممشرا العرب ، إنكم أعيان العرب ، وقد صدتم أعيان من الحجم
وإنما تغاطرون بالجنة ، ويغاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم أعوط منكم
على آخرتكم ، ولا تحدثوا اليوم أمرا تكونون به شيئا على العرب غدا " (١) .

وفي خطبة أخرى له ألقاها في مجرّة الجيش يلجأ إلى ترغيب الجنود
بالخبرات والنصائح ، ويذكّرهم بما أفاق الله عليهم من ذلك من الفرس قبل القادسية ،
ويشّركهم أن هم ثبتوا في جهادهم فإن الله موثرهم بلاد الفرس وأبناءهم ونساءهم
وأموالهم فقال : " إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منهم
منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ، وإن صبرتم وصد قتموهم
الضرب والطعن فلکم أموالهم ونسائهم وأبنائهم وبلادهم " ويحرص على أن يقرن
صورة الترغيب هذه بصورة التحذير ، فهم إن خاروا وفشلوا أمام الفرس فليس خافهم
إلا ما يحلمون من الساباس القفار ، وإن الفرس لن تبقى منهم باقية ، فإن لم يقاتلوا
لاديين فليقاتلوا للدنيا ، فقال : " وإن خرتم وفشلتم - فالله لكم من ذلك جبار وحافظ -
أم يبق هذا الجمع منكم باقية ، مخافة أن تمرّوا عليهم بحادثة هلاك ، والله
الله ! أنكروا الأيام وما منحكم الله فيها ، أو لا ترون أن الأرض وراءكم يساهم
تقار ليس فيها خمر (٢) ولا وزر يحقل إليه ، ويمتنع به ؟ اجعلوا همكم الآخرة " (٣) .

وقد تكون عملية إنكاسة الحماسة في جيش لم يدغل المعركة بعد أسهل من
إنكاسها في جيش ذاق الهزيمة أو كان ، فتصدعت صفوفه وخارت عزيمته جنده ، واستطاع
ذلك بعض خطباء تميم من قادة جيوش المسلمين وفرسانهم المشهورين ، أمثال
القنقاع بن عمرو ، وخليد بن المنذر بن ساوى ، فحين جاء القنقاع سعد بن أبي سفيان
وقاضي مدائن الشام ، كان جند المسلمين في العراق قد أصابهم بلاء عظيم
من الفرس ، فصد إلى طريقة في غاية الإثارة والبراعة ليتوي بها من عزائمهم ،
فأخطار لخطبته الحماسية أدناه (دراميا) مشيرا شبه بأداء الحجاج فديس
خطبته حين دخل الكوفة وأبلى ، وقد عملت طريقته تلك في نفوسهم عمل المعجزة
فقد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشارا ، كلما بلغ عشرة مدى البصرة ،
سرحوا في ثلثهم عشرة ، فمهد بذلك لكلامه تمهيدا رائعا في نفوس الجند ،
فوصل في مقدمة المدد ، فقام بالناس يشد من أزهرهم ويبشرهم بوصول مدد
من الأبطال يحسدونهم شرف مكانهم ذلك وينافسونهم فيه ، فترن كلامه بالافضل
وقال : " أيها الناس ، إني جئتكم في قوم ، والله أن لو كانوا بكم أنكم ثم أحسبكم

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٥٣٤ .

(٢) الخمر : كل ما يتوارى به من شجر وشيرة .

والوزر : المعقل المنيع ، كالجبل .

(٣) تاريخ الطبري : ٣ / ٥٣٢ .

عسودكم حظوتها ، وحاولوا ان يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما اصنع " ونماى المصارعة ، فاستبشر الناس خيرا وقالوا فيه ما قال أبو بكر : " لا يهزم جيش فيهم مثل هذا " (١) .

ولا يخفى ما في كلام القمطاع من حماسة الفارس الذى غذته نشوة الانتصار في اليرموك ، وأما خليف بن المنذر بن ساوى التميمي فقد أحس بمظلم المعنسة التي وقع فيها عنده حين عبر بهم الصلاء بن الحضرمي البحر لغزو بلاد فارس من البحرين ، فحاصرهم الفرس وحاولوا بينهم وبين سفنهم ، وقد يأمن من إمكان سحب جنده ولحقاقهم من فناء محقق ، ولكنه لم تلن قناته أو تهين عزيمته ، فقتل استبذل هذا الوضع ليشحن جنده بالإرادة والعزم ، ويدفعهم إلى القتال بحماسة عظيمة ، فقد ذكرهم بقضاء الله وقدره في ذلك المصاب ، وأنهم إنما جاؤا إلى الفرس لقتالهم وهم في حصارهم لهم إنما يدفونهم إلى ذلك دفعا ، ولجأ إلى التمسك بتيقنهم من إمكانية الفرار ، فهم بين أمرين لا خيار لهما في ثالث ، فاصنعوا أن يصد قوتهم القتال ويوطنوا أنفسهم له بالصبر والسكينة ، وعندئذ ستكون لهم الأرض والسفن ، ولما الفناء إذا توانوا عن الجهاد ، فقال : " أما بعد فإن الله إذا قضى أمرا جرت به المقادير حتى تصيبه ، وإن هو إلا القوم لم يزيدوا بها صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم ، وإنما جئتم لمحاربتهم ، والسفن والأرض لمن غلب ، " فاستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين " (٢) ونزل إلى المعركة يرتجز مستهما قومه :

يا ل تميم أجمعوا الــــنـزول وكان جيش عريــــبــــنــــزول

وكلكم يعلم مــــا أقول .

ويذكرنا هذا الموقف بموقف طارق بن زياد حين دخل الأندلس ، فانقصد خايد الجيش من الهلاك حتى وصلهم عتبة بن غزوان .

وتشكر ممانى الحضر على الصبر والثبات في غير خطبة لهم مثل خطبة القمطاع حين اشتد البلاء على المسلمين في يوليو (٣) .

(١) تاريخ الطبري : ٥٤٣/٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٨٠/٤ - ٨١ .

(٣) تاريخ الطبري : ٢٧/٤ .

وقد يخطب القائد جنده ليعين لهم بعض التعليمات الحربية ويعلمهم بالخطرة التي عليهم اتباعها في المعركة، فنارنا ذلك بالصبر والتقليل من شأن قوة العدو وكثرة عددهم، مستعدين على ذلك، بآيات من القرآن، كصنيع الأحفاد بن قيس بن عيين بلغه مسير ملك الصفد إليه فقال لجنده "إنكم قليل وإن عددهم كثير، فقلوا يهولنكم"، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين". ارتحلوا من مكانهم هذا، فاسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهركم، واجعلوا أنهر بينكم وبين عدوكم، تاتلوهم من وجه واحد" (١).

- خطب الفتوح :-

تأتي خطب الفتوح في أعقاب الحرب تحقيقاً على الفتح وتعليقاً على النصر وتمهيداً بالظفر، وقد تكون الخطب في أثناء المواقع وقبل نتائجها المملوطة (٢). كخطب بعض قادة جيش المسلمين بين يدي يزيد جرد، حين أمرهم سعداً أن يبحث إليه برجال من المسلمين من أهل المهابة والرأى يدعوهم إلى الإسلام، فكان في الوفد الذي أرسله سعد أربعة رجال من نعيمهم : حنظلة بن الربيع، والمغيرة بن زارة بن النباش، وعطار بن حاجب، وعاصم بن عمرو، فلما مثلوا بين يديه خيره النعمان بن مقرن أول المتكلمين بين الإسلام أو الجزية أو الحرب، فسررت عليه يزيد جرد معرضاً بالصرب ومغار شأنهم وحذرهم من التماي على بلادهم، وعرض عليهم إن هم خرجوا لسوء الحال كعادتهم أن يهب لهم ما يحتاجونه ويكرم أمراءهم ويولي عليهم ملكاً، وكان قد أمر بالترجمان بينه وبينهم، فقام إليه المغيرة بن زارة التميمي، فذكر له مكانة من معه من رؤساء العرب ووجههم، وأنه مفاوض عنهم جميعاً، فهم لم يخبروه بكل ما جاءوا من أجله، ولم يجيبوه عن كل ما تكلم به، وبدأ خطبته بالرد على كلامه، واتخذ كلام يزيد جرد وسيلة لمعرض له ما كانوا به من سوء الحال أشد ما وصف، فقال : "إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالمياً، فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حال منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجمالان والمقارب والحيات، فنرى ذلك طعاماً، وأما المنازل فانما هي ظهرا الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشجار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعضنا كان أحدنا ليدفن أبنته وهي

(١) تاريخ الطبري : ١٦٩/٤ .

(٢) الخطب والمواعظ : ٧١ .

حيسة كراهية ان تأكل من طعامنا
ثم ينتقل في كلامه ببراعة ولحكام من وصف ما كانوا عليه من سوء الحال والسر
ما أحدثه الإسلام فيهم، وكيف صهرهم في حياة جديدة، وخلق منهم أمم خرجت
إليه داعية إلى الحق الذي جاءهم به محمد، لا كما زعم بأنهم خرجوا لما تأنوا يخرجون
إليه في الجاهلية، وأخذ يعرض عليه تاريخ الدعوة الإسلامية وانتشارها بين العرب،
ثم بيّن له مبادئ الإسلام فقال: "... فلم يقل شيئاً إلا كان، فقد فاء الله في قلوبنا
التصديق له واتباعه، فصار فيها بيننا وبين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول رسول
الله، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا - أي النبي - صلى الله عليه وسلم -:
"إن ربكم يقول "إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء، وكل شيء
دعائي إلى وجهي، وأنا خلقت كل شيء، وإليّ يصير كل شيء"، وإن رحمتي أدرتكم
فحدثت إليكم هذا الرجل لا لكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذاب
ولا حلّكم داري، دار السلام"، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق"، ثم
يخلص إلى الفرغ الذي وفدوا إليه من أجله ويذكر له موقف الإسلام والمسلمين من الأمم
الأخرى كالفرس وغيرهم، فلمهم الخيار بين الإسلام أو الجزية أو السيف، فقال:
"وقال - يعني الله - ويروي القول بالصنى - "من تابكم على هذا فله مالكم، وخايه
ما خايكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم أطعوه مما تمنعون منه أنفسكم، وقد سنّ
أبي فتأطوه، فأنا الحكم بينكم، فمن قتل منكم أدخلته جهنم، ومن بقي منكم
أعطيته النصر على من عاداه" ثم يصيخ له هذا الموقف بأسلوب مباشر يعمل الصنف
والشدة في صيغة الخطاب فيقول: "فاختران شئت الجزية عن يد وانت صاغر،
وإن شئت فالسيف أو تسلم فتلجج نفسك" (١).

وتتكرر هذه الأندكار في خطاب غيره من تميم الذين أوفدوا إلى رستم مشسّل
ربيعي بن طامر (٢) وزهرة بن حوية السعدي (٣).

ومن أشهر خطب رجال تميم في الفتوح التي أتت بعد الفتح غلبة الأحنف
بن قيس بين يدي عمر حين أوفده أبو موسى بفتح تستر وأسر الهرمزان، وكان
يحدثه مع الأحنف إلى عمر، وسأل عمر الوفد لعل المسلمين يفضون إلى العمل
الذمة بأذى أو بأمور تجعلهم ينتقصون بهم، فأجابوا أنهم لا يحملون إلا الوفاء،
وكان الفرس قد نقضوا عهودهم غير مرة، ولم يجد عمر عند أحد منهم شيئاً، إلا ما
كان من الأحنف فقد كان متبصراً بالأمور وعي ما كان يحرك الفرس للفرس يهودهم
مع المسلمين، فأعلم عمر أن الفرس ستبقى على ذلك ما دام ملكهم فيهم، ولا يجتمع

(١) تاريخ الطبري: ٤٩٩/٣ - ٥٠٠، تاريخ ابن الأثير: ٤٥٧/٢ (فأثرت مختصرة)

(٢) تاريخ الطبري: ٥٢٠/٣، تاريخ ابن الأثير: ٤٦٣/٢ - ٤٦٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٥١٧/٣، تاريخ ابن الأثير: ٤٦٢/٢.

ملكان حتى يخرج أحدهما الآخر، وسيظل ملكهم يبعثهم على نقض العهد ليحييد
أخبار ملكه الفابرة، وخير دواء لهذا الأمر أن يحدد عمر عن رأيهم في نهج المسلمين
عن الانسياح في بلاد فارس، لأنه إذا أذن لهم بالانسياح في بلادهم فسوف يزيلون
ملك فارس عنها ويخرجونه من مملكته، فيتقطع رجاء الفرس في إعادة ملكهم ويسكنون،
فقال لحمر: "يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتنا
بالاقتصار على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم، وإنهم لا يزالون
يساءلوننا مادام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه،
وقد رأيت أنا لم تأخذ شيئا بعد شيء إلا بأنهم اشتموا، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم
ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا، فلنسعى في بلادهم حتى نزله من فارس ونخرجه
من مملكته وعز أمته، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس، ويضربون جأشا" (١) فأعجب عمر
بصدق رأيهم فقال له: "صدقني والله وشجرت لي الأمر عن حقه" وأخذ برأيه
فأذن لهم بالانسياح في فارس، وعرف له فضله وصدقه فدفع إليه بلوا غراسان.

- خالبتهم في الفتن الداخلية :

- موتهم من القتال في الجمل وصفين :

كانت فتنة الجمل أعظم خطب وقع بين المسلمين حتى ذلك الوقت، ورأس
كل جماعة من المتنازعين فيها أناس من خيار الصحابة، وادعى كل فريق أنه وحده
على الحق، فأحار كثير من الناس وارتبك إلى من يلزم أو من يقاثل، ومن وقع
في هذه الحيرة الأحنف بن قيس. زعيم تميم وأحد رؤساء البصرة، وكان قد أعطى
البيعة لعلي بعد مقتل عثمان بمشورة عائشة وطلحة والزبير، فلما قدموا بالبصرة
أرسلوا إليه يستنصرون به على دم عثمان، فخرج إليهم وهاورهم في أمر خروجهم،
وأنهم يأمروا عليا وأشاروا عليه ببيعتهم، فزعموا أنه بدل بعد البيعة، فأرتاب الأحنف
في أمرهم، ورأى أن قرشا تتصارع على السلطة، فأثر أن يجنب قبيلته هذا التلاحن
الذي يجري بين القرشيين، فأخبرهم أنه عازم على اعتزال هذا الأمر، وبسر
ذلك بقوله "والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
عليه وسلم - ولا أقاتل رجلا ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرتوني
ببيعتهم، اختاروا مني واحدة من ثلاث خصال، إما أن تفتحوا لي الجسر فألحق
بأرض الأعاجم حتى يقضي الله - عز وجل - من أمره ما قضى، أو ألحق بمكة
فأكون فيها حتى يقضي الله - عز وجل - من أمره ما قضى، أو أعزل فأكون
قريبا" (٢) فخشوا أن يخرج من البصرة أن ينضم إلى علي ويقاتلهم.

(١) تاريخ الطبري : ٨٩/٤

(٢) تاريخ الطبري، ٤٩٧/٤ - ٤٩٨،

المقد : ٣١٩/٤

وبخاصة أنهم غاضبوا قومه بني سعد الذين حوَّاهم قوص بن زهير أحد قتلة عثمان، فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين، ومعه زهاء ستة آلاف من بني تميم .

ويبدو أن الأمور قد أصبحت أكثر وضوحاً في ذهن خطباء تميم في الصراع بين علي ومعاوية من الصراع في وقعة الجمل، فقد كان علي أكثر قرباً إلى نفوس الناس هناك من معاوية، فخرج معه معظم أهل الكوفة والبصرة لقتال معاوية، فلم يلبس طعنهم الحرب باضراسها في صفين تدمرت بعض القبائل من شدة البسالة، ورأوا أن الخير في موادة أهل الشام، وأبى آخرون إلا قتالهم على ما كانوا قاتلوهم عليه، فقال لهم علي: " ليس لي أن أحطكم على ما تكرهون . " فقام إليه محمد بن عمار ابن عمار سيد تميم الكوفة ليصر له عن تأييده وتأييد قبيلته له في قتال معاوية، كيف لا وقد قاتلوا من هم أحب إلى الناس منه، طلحة والزبير وعائشة، فقال: - " يا أمير المؤمنين، إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب إلى الناس من معاوية وكان القوم الذين وشبوا عليك من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيراً من الذين وشبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم، فوالله ما منعتنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف، فقاتل القوم، أنا معك " (١) .

وأما الاحنف الذي تردد في المشاركة في وقعة الجمل وأثر اعتزال الصراع، فقد اعتبر معاوية وأهل الشام عصاة خارجين عن أمر الله، يحل قتالهم، فهو إن شأنا خرج إلى قتالهم من أجل الله لا من أجل علي أو من أجل مكسب كما يقتضيه لملي: " يا أمير المؤمنين، إن الناس بين ماض وواقف، وقاتل وساكنت، وكل في موضع لحسن . . . ولم نقاتل القوم لنا ولا لك، إنما قاتلناهم لله، فإن حسال أمر الله دوننا فاقبله، فأنك أولى بالحق، وأحقنا بالتوفيق، ولا أرى إلا القتال " (٢)

وشارك مع علي عدد آخر من مصاقع خطباء تميم وخيرة فرسانهم، فكانت لهم مقامات مشهودة ألهبوا بها المواطف وحسموا كثيراً من المشاكل، بالإضافة إلى شدة بلائهم أمثال: مالك بن حبيب اليربوعي صاحب شرطته والأصم بن نباتة التميمي صاحب شرطة الخميس، ومفضل بن قيس أحد كبار قادة جيشه وأكثرهم إخلاصاً له، فحين بحث علي يستنفر أهل الكوفة والبصرة لقتال معاوية قام محقل بين يديه واتهم المتخلفين عنه بالترصص والنفاق، وأشار عليه أن يأمر مالك بن حبيب اليربوعي بضرب أعناقهم فقال: " يا أمير المؤمنين، والله لا يتخلف عنك إلا ضنين، ولا يترصص بك إلا منافق، فأمر مالك بن حبيب أن يضرب أعناق المتخلفين " (٣) .

(١) كتاب الفتوح لابن أعمش: ١٦٤/٣ - ١٦٦، الإمامة والسياسة: ١٢٦ .

(٢) الإمامة والسياسة: ١٢٦ .

(٣) وقعة صفين: ١٤٧ .

وكان هؤلاء القادة المتحمسين لقتال أهل الشام قد طوا طريقة القتال في بداية أمر صفيين ، فكان علي يخرج الشريف من أصحابه في رجال قبيلته فيخرج لهم مثلهم من أهل الشام ، وذلك خشية أن يغنى الناس إذا التقى الجمعان فقام إليه الأصبح بن نباته يسأله أن يأذن له بالتقدم بالجيش إلى جمع أهل الشام بعد أن استخفوا قوتهم وكان على شرطة الجيش ، فهو يرى الزحف ، إلا أنه يعرض على طاعة قائده فقال لملي : " يا أمير المؤمنين ، إنك جعلتني على شرطة الخميس وقد متني في الثقة دون الناس ، وإنك لا تفقد لي صبرا ، ولا نصرا ، وأما أهل الشام فقد هدهم ما أصبنا منهم ، ونحن قضينا بعض البقية ، فاطلب بنفسنا أمرك ، وأذن لي في التقدم " (١) .

فقال له : " تقدم باسم الله " ولما بدأ القتال ارتفع صوت الأحنف بن قيس في أهل العراق صرخا على قتال أهل الشام فوصمهم بالخروج عن الدين وأنهم لا يقاتلونهم ، إلا حياء من عار الهزيمة بعد أن هدمتهم المناوشات التي جرت قبل المعركة ، فقال لهم : " يا أهل العراق ، والله لا نصيبون هذا الأمر أبداً ، أذل عناقاً منه اليوم ، قد كشف القوم عنكم قناع الحياء ، فتقدموا " (٢) .

- موقفهم من قتال الخوارج :

نشط الخوارج بعد التحكيم حتى شكلوا لملي خصماً ثانياً لا يقل خطورة عن أهل الشام ، وبخاصة أنهم انشقوا عن جيشه ، وظهروا في البلاد الموالية له ، فقد تجمعوا في حروراء ، ورأوا قتال علي ومعاوية ، ولم يشعروا على أنهم خطر عليه في البداية ، فاستخف الناس لقتال أهل الشام ، ورأى بعض الناس أن يبدأ بالخوارج قبل ذلك ، فقام مجرز بن شهاب المنقري ، وكان من جماعة علي المخلصين فاخبره أن أنصاريه على قلب رجل واحد في نصرته وجهاد عدوه ، وهم معه حيث سار ، راجين بطاعته رضوان الله وثوابه ، يخافون عذاب الله ، إن خذلوه فقال : " يا أمير المؤمنين ، شيمتك كقلب رجل واحد في الاجتماع على نصرتك ، والجد في جهاد عدوك ، فابشر بالنصر ، وسر بنا إلى أي الفريقين أحببت ، فإننا شيمتك الذين نرجوا في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب ، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال " (٣) .

(١) وقعة صفين : ٤٦٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٦٢ .

(٣) تاريخ الطبري : ٨٠ / ٥ .

نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٧٣ / ٢٠ .

وفي هذه الفترة ظهر من تميم جماعة من أشد الخوارج مثل حرقوص بن زهير وشبث بن ربعي وغيرهم ، وكذلك كان من تميم أشد قائد طلب الخوارج وقتلهم في هذه الفترة وهو معقل بن قيس الرياحي ، فقد تمكن من القضاء على ثورة الغرّيت ابن راشد الناجي سنة ٨٣٨هـ ، وله في قتالهم عدة خطب .

ويظهر معقل في إحدى خطبه ذلك القائد المجرب الخبير الذي يحترف عدوه ، ويقدر قوته ، ويعلم ما يحتاجه القائد كي يتغلب على خصمه ، فقد قام إلى الإمام علي حين بلغه تغلب الغرّيت على جيش زياد بن خصفة يشير عليه بقوله : "أصلحك الله يا أمير المؤمنين ، إنما كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل رجل منهم عشرة من المسلمين ، فإذا لحقوهم ، استأصلوهم ، وقطعوا دابرهم ، فأما أن يلتاقهم أعدادهم فلمصرى ليصبرن لهم هم قوم عرب ، والعدة تصبر للعدة وتنتصف منها " (١) .

فولاه علي أمر قتالهم ، وجهّزه لذلك فخطب معقل في أصحابه غير مرة يعرضهم على قتال الخوارج ، ولجأ في بعض كلامه إلى التقليل من شأن الخوارج فوصفهم بالقلّة والذلة ، وحرص على إشعار أصحابه بكثرتهم وشجاعتهم مقابل ذلك ، وحين أبطأ عنه مدد أهل البصرة ، قام فيمن معه من أهل الكوفة وقال : "يا أيها الناس ، إننا قد انتظرنا أهل البصرة ، وقد أبطأوا علينا ، وإيسر بعمد الله بنا قلة ولا وحشة إلى الناس ، فسيروا بنا إلى هذا العدد القليل الذليل ، فاني أرجو أن ينصركم الله ، وأن يهلكهم " (٢) .

وحرص معقل على المحافظة على رباطة جأش جنده حين اصطفا لهم العدد ليبقوا ثابتي الجنان ، أقوياء العزيمة والبأس ، ومن ذلك قوله لهم حسين الثقفي بجماعة الغرّيت : "عباد الله لا تعدلوا القوم بأبصاركم ، وغضوا الأبصار ، وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب . . . " (٣) .

وكذلك حرص على مخاطبة جنده بالمسلمين ووصم الخوارج بالمرتدين عمن الإسلام ، الناكثين البيعة فالما وعدوانا ، واتهم بني ناجية ومن معهم من جماعة الغرّيت بمنع الصدقة ، فهم يجاهدون قوما كفرة في سبيل الله ، فالجنة لمن قتل ،

(١) تاريخ الطبري : ١٢١/٥ ، شرح نهج البلاغة : ١٣٦/٣ .

(٢) تاريخ الطبري : ١٢٢/٥ ، شرح نهج البلاغة : ١٣٨/٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢٤/٥ ، شرح نهج البلاغة : ١٣٩/٣ .

والغنيمة والحرّة لمن عاش ، فقال يحرض جند ، على القتال : "أيها الناس المسلمون ، ما تريدون أفضل مما سيق لكم في هذا الموقف من الأجر العظيم ، إن الله ساقكم الى قوم منعوا الصدقة ، وارتدوا عن الاسلام ، ونكثوا البيعة ظلموا وعدوانا ، فأشهد لمن قتل منكم بالجنة ، ومن عاش فان الله مقرّ عينه بالفتح والغنيمة " (١) .

- المشاورات الحربية والوصايا :-

ومن هذه المشاورات تلك التي جرت بين علي رضي الله عنه وبين زعماء تميم البصرة ومنهم : الأحنف بن قيس ، وجارية بن قدامة السعدي ، وجارثة بن بدر ، وزيد بن جيلة ، وأعين بن ضبيعة ، وقد وفدوا عليه إلى الكوفة في ناس من بني تميم بعد وقعة الجمل ، فاستشارهم في نصرتهم له على معاوية ، فكان أول المتكلمين الأحنف ، فأعذر له عن خذلان قومه بالبصرة له بأنهم لم ينصروا أحداً عليه ، وهم بعد إن كانوا قد عجبوا ممن نصره يوم الجمل فإنهم يحبون ممن يغدو لیسسه الآن على معاوية ، لا يمانهم بخفه وبطلان مزاعم معاوية ، ووغده بنصرتهم وأن يرسل إلى قومه يستنفرهم معه ليدركوا ما فاتهم من خذلانهم يوم الجمل ، فقال له : "يا أمير المؤمنين ، إنك سفت لم تنصر يوم الجمل ، فإنها لم تنصر عليك ، وقد عجبوا أمس ممن نصرك ، وعجبوا اليوم ممن خذلك ، لأنهم شكوا في طاحسة والزبير ، ولم يشكوا في معاوية ، وعشيرتنا بالبصرة ، فلو بضتنا إليهم فقد مسسوا إلينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم ، وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس" (١) .

وحرص علي - رضي الله عنه - على سماع آراء جميع أعضاء الوفد لأن وقعة الجمل قد أثبتت أنه لم تمدد للأحنف سلطة على جميع أحياء تميم بالبصرة ، إلا على بني سعد ، فقال لجارثة بن بدر : " ما تقول يا جارثة ؟ " وكان ممن أسد الناس رأياً عند الأحنف ، فأظهر من الحماسة لنصرتهم ما فاق حماسة الأحنف ، حتى أنه تمنى لو يحد أمواتهم فيستعين بهم على أعدى أعدائهم معاوية فقال : " . . . والله لو ددت أن أمواتنا رجعوا إلينا فاستعننا بهم على عدونا ، وإن أنسا في قومنا عددا لا نلقى بهم عدوا أعدى من معاوية ، ولا نسد بهم شرا أشد من الشام ، وليس بالبصرة بطانة نرصد هم لها ، ولا عدو نعدوهم لیسه " (٢) .

وأما جارية بن قدامة فقد أظهر كراهة أشخاص قومه عن البصرة إلى الشام ، واقترح على علي - رضي الله عنه - أن يقتنع بالعراق والبقا بها ، والمقصود عن قتال أهل الشام فقال :-

(١) وقعة صفين : ٢٩ ، الإمامة والسياسة ١٠ .
(٢) وقعة صفين : ٣٠ ، الإمامة والسياسة ٩٠ .

- ١٤٣ -

" أقول هذا جمع حشره الله لك بالتقوى ، ولم تستكره فيه شاخصاً ، ولم تشخص فيه مقيماً ، والله لولا ما حضرك فيه من الله لفطك سياسته ، وليس كل من كان معك نافعا ، ورب مقيم خير من شاخص ، ومصراك خير لك وأنت أعلم " (١) .
وكان بجارية بن قدامة رجل تميم بعد الأحنف .

أما الوداياا الحربية عندهم فمن أشهرها :- وصية الأحنف بن قيس
لقومه بني تميم ، وذلك حين وجههم إلى قتال أهل الجوزجان مع الأقرع بن حابس التميمي ، فأوصاهم بالتحاب والألفة وبذل الأموال ، وصالح دينهم ، ومحاربــــة
شبهواتهم فقال لهم :-
" يا بني تميم ، تحابوا تجتمع كلمتكم ، وتبازلوا تمتدل أموالكم ، وأبدأوا
بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغفلوا يسلم لكم جهادكم " (٢) .

(١) وقعة صفين : ٢٩ ، الإمامة والسياسة : ٩٠
(٢) البيان والتبيين : ٩٣ / ٢ ، نهاية الأرب في فنون الأدب :

د - الاتجاه الاجتماعي :

- المصيبة القبلية :

حارب الإسلام المصيبة القبلية وأخذ من جذورها في بداية الأمر، ومع ذلك فقد كانت تبرز بين الفينة والأخرى بمظاهر متعددة معظمها جاهلي، واتصل بعضها بالمصيبة القبلية زمن الجاهلية بفعل الأحلاف، ومن ذلك ما جرى في وقعة ومدة الجندل حيث شاركت فيها تميم مع خالد بن الوليد وكان عليهم عاصم بن عمرو الأقرع بن حابس، فلما طلب خالد قتل من في أيديهم من أسرى المرتديين والنصارى، منعت تميم أسارى كلب للأحلاف الذي كان بينهم في الجاهلية وصاح عاصم بن عمرو في قومه: "يا بني تميم، حلفاؤكم كلب، أسوهم وأجبروهم فانكم لا تقدرون لهم على مثلها" فكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بهم، وضرب خالد أعناق جميع الأسرى ما عدا أسارى كلب واستهجن خالد منهم تخطيهم أمر الجاهلية وتضييع أمر الإسلام، فقال لهم: "أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام" فقال له عاصم: "لا تحسدكم الجافية، ولا يعوزهم من الشيطان" (١).

- المفاخرات والمنافرات :

نهى الإسلام عن التفاخر وذمه، فقلت هذه المفاخرات في الإسلام إلا أنها لم تنقطع تماما، بل قد تصبح في بعض الأحيان جاهلية في أسلوبها ومعانيها، ومعظم ما وصلنا من مفاخراتهم في هذا العصر وقع بين زعماء تميم نفسها، وربما نبع ذلك من الصراع على زعامة القبيلة أو أحد فروعها، وبخاصة في بني سعد منهم، فقد تفاخر عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر عند النبي صلى الله عليه وسلم - فافتخر الزبرقان بأنه سيد تميم المطاع الآخذ لحقوقهم والمانع لهم من الظلم، فقال: "يا رسول الله أنا سيد تميم المطاع فيهم، والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من الظلم وهذا يحلم ذلك" يعني عمرو بن الأهتم، فقد حرص على أن يُقَسَّرَ له منافسه بما افتخر، إلا أن عمرو بن الأهتم زكاه يحذر، فقال يثني عليه غيرا: "مانع لحوزته، مطاع في أدنيه شديدا" المعارضة واستقل الزبرقان ذلك منه، وحمل ذلك على الحسد في الشرف، فغضب عمرو لذلك واستأنف كلامه يذم الزبرقان بثقله الحروء والبخل ولو لم الخال قائلا: "أما لعن قال ما قال، فوالله ما علمته الاضيق الصدر، زمر المروءة، لثيم الخال

(١) تاريخ الطبري: ٣/٣٧٩، تاريخ ابن الأثير: ٢/٣٩٦.

حديث الفنى " فرأى إنكاراً في عيني الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث خالف قوله الآخر قوله الأول ، فبرر ذلك للنبي وقال : " يا رسول الله ، رضييت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت بالآخرة " (١) ، وهذا تفسير من أديب يربط فيه الإنتاج الأدبي بالإحساس والشعور ، وهذا الأسلوب في التلاعب بالمعاني والألفاظ ودم الشيء ومد حسنه في الآن نفسه نجده عند أكثر من خطيب ممن برزوا في هذه العائلة ، مثل خالد ابن صفوان وشبيب بن شيبه أيضا .

وقد أعجب النبي - صلى الله عليه وسلم - ببراعة عمرو بن الأهتم وفصاحته فقال : " إن من البيان لسحرا " ، ويمثل الميداني على قول النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : " يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر ، ومعنى السحر : إظهار الباطني في صورة الحق . . . وإنما شبه البيان بالسحر لحدّة عمله في سامعه وسرعة قبول الطلب له ، يضرب في استحسان المنطق ، وإيراد الحجج البالغة " (٢) ويورد ابن عبد ربه مفاخرة أخرى جرت بين الأحنف بن قيس وعمرو ابن الأهتم دعا إليها عمرو بن الخطاب ، ليختار أحدهما لرئاسة بني تميم ، وينسب إلى الأحنف فخرا جاهليا لم نصده منه ، وأما عمرو بن الأهتم فيظهره بشعوب الحكيم المتزن ، المتأثر بالفكر الإسلامي ، ويتعرض من خلال فخره إلى وقائع كانت في الجاهلية بين قوميها ، سككت فيها الدماء وسبيت النساء ، وقد فات صاحب الرواية أن الخطيبين من بطن واحد من بطن تميم ، بل هم من منفسر أحد فروع بني سمد الصغيرة ، ولم تنقل لنا كتب الأخبار أي خبر عن وقوع شيء من ذلك ، مما يبرز شك الباحث في حدوث مثل هذه المفاخرة ، يقول عمرو " إنا كنا وأنتم في دار جاهلية ، فكان الفضل فيها لمن جهل ، فسفكنا دماءكم ، وسهينا نساءكم ، وإنا اليوم في دار الإسلام ، والفضل فيها لمن حكم ففخر الله لنا ولك " (٣) .

-
- (١) البيان والتبيين : ٥٣/١ ، المقد : ٦٥/٢ ، زهر الآداب : ٥/١
 مجمع الأمثال : ٧/١ ، إحكام صنعة الكلام : ٣٢-٣٤ .
 مجمع الزوائد : ١١٦-١١٧ ، شرح نهج البلاغة : ١٥/١٣ ، نهاية الأرب
 في فنون الأدب : ٤٠/١٨ ، لباب الآداب : ٣٥٤-٣٥٥ .
 (٢) مجمع الأمثال : ٧/١ .
 (٣) المقد : ٦٤/٢ .

إذا كنا لم نذافر بنموذج الخطب المصاهرة في هذا المصر فقد أورد لنا أبو الفرج خطبتين طريفتين يودع فيهما كل من الزوجين صاحبة لوشوك الفراق بالطلاق، فقد كانت تحت قيس بن عاصم امرأة من بني حنيفة حين أسلم، فطالبه بنو حنيفة بفراقها، ففارقها كارهًا، فلما احتملت لتحلق بأهلها قام إليها مودعا، فحمد أهلها صحبتها له، وأثنى على أخلاقها، وذكر لها أنه لم يطلقها إلا لا اختيار، ذلك ولولا الإسلام ما طلقها فقال: "أما والله لقد صحبتني سارة، ولقد فارقنتي غير عارة، لا صحبتك مطولة، ولا أخلاقك مذمومة، ولولا ما اخترت ما فرق بيننا إلا المسوت ولكن أمر الله ورسوله - على الله عليه وسلم - أحق أن يطاع".

فردت عليه بخطبة لها فأثنت على حسبه وفضله وصدق مودته لها، وحسن عشرته، ووعدته أن لا تسكن بعده، وإلى زوج وفاء لمشرته، فقالت: "انبثت بحسبك وفضلك، وأنت والله إن كنت للدائم المحبة، الكثير المودة، القليل اللائمة، المعجب الخلوة، لمصيد النبوة، ولتعلمن أنني لا أسكن بعدك إلى زوج" (١).

ويلحظ ما في هاتين الخطبتين من الاعداد والتزوير وبخاصة ما فيها من الازدواج والموازنة والسجع.

وقد أعجب الأحنف ببلاغة هذه المرأة، وذكر حد يثها مع قيس بن عاصم عند زياد حيث ذكرت بلاغة النساء في مجلسه.

- خطب المحافل والوفادات :

برز بعض خطباء تميم في هذا المصر في خطبهم التي كانت تلقى في المحافل وبين أيدي الخلفاء والأمراء في وفاداتهم إليهم، وكان معظم هؤلاء الخطباء من زعماء تميم في الأمصار التي وفدوا منها، مثل الأحنف بن قيس، فقد وفد في جماعة من أهل البصرة على عمر بن الخطاب فأمرهم أن يرفعوا إليه هوائجهم، فكلبهم سأل نفسه ووكل أمر العامة إلى عمر فقالوا: "أما العامة فأنت صاحبها، وأم يبق إلا خواص أنفسنا". إلا ما كان من الأحنف فقد قام مقام السيد الشريف الذي يتكلم بلسان من خلفه من أهل مصر، ويأبى أن يطلب لنفسه شيئاً دونهم كخير، فاستمنح الخليفة ما يسد خصاصه الجميع ويطرد فاقتهم، وقد ترفق في طلبه وأحسن عرضه فساقه على سبيل الرجاء. ومهد له بوصف ما وقع فيه أهل البصرة من سوء الحال

(١) العقد : ٦٤/٢

(٢) الأغاني : ٨٦/١٤

الذي انفردوا به عن إخوانهم في باقي الأمصار الذين نعموا بخيرات البلاد التي استوطنوها ، فقال : " يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام و مصر ، نزلوا منازل الأم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازل كسرى وقيصري ويني الأعصر ، فهم من المياه الغدبة ، والجنان المخصبة في مثل حولا السلى ، وهدقة اليعير تأتيتهم شامهم غصة قبل أن تتغير " .

ثم يقابل ذلك بوصف سوء حالهم وقلة خيرات بلادهم في البصرة وشسح مياهها العذبة ، ويرى في ذلك أيضا براعة ، فيلجأ إلى التكرار المعنوي ، والصورة المؤثرة حتى كأنه يرى عمر بأمر عينه شرائح حية من كربهم وحاجتهم في تلك البيئة القاسية ، انظر إلى هذا التصوير المؤثر : " وأنا نزلنا أرضا نشاشة طرف فسي فلاة ، وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب ، وجانب سبخة ناششة ، لا يجهف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مري النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ولدها ترنق العنز ، تخاف عليه العدو والسبع " وبعد أن ضمن أنسه استثار نفس عمر وحساسه ، وأثر في عاطفته ووجدانه ، يتوسل إليه بالرجس لا نقادهم من الهلاك ، وذلك بزيادة إعطياتهم وفرائضهم ، وأن يأمر لهم بحفر نهر يأتيتهم بالماء العذب ، ويختار لذلك الألفاظ والمصاني ، والإيقاع الموسيقي من خلال الجمل القصيرة المتوازنة والمتزاوجة في خاتمة قوية التأثير ، فيقول له : " فإلا ترفع خسيستنا ، وتنمش ركيستنا ، وتجبر فاقتنا ، وتزيد في عيالنا عيالا ، وفي رجالنا رجالا ، وتصغر درهمنا ، وتكبر قفيزنا ، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء ، هلكتنا " .

وقد زانه هذا الموقف تمظيما وتهجيلا في نفس عمر ، ولم يغيب عنه طافى كلام الأحنف من شرف النفس والسيادة ، فقال فيه : " هذا والله السيد ، وهذا والله السيد " فقال الأحنف : " فما زلت أسممها بمدى " (١) .

وقد وفد زعماء تميم في غير مرة على عمر يشكون له سوء الحال ، ويسألونه الرشد والمطاع ، فقد وفد الأحنف على عمر مرة أخرى في جماعة من زعماء تميم فيهم هلال بن وكيح ، وزيد بن جيلة ، وخطيب ثلاثتهم عنده يسألونه المطاع .

(١) المقد : ٦٢/٢ ، تاريخ الطبري : ٧٤/٤ ، سرح العميون : ١٠٥-١٠٦

الفائق : ٢٤٥/١ ، تنقيف اللسان : ١٩٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساکر

: ١٢-١١/٧ .

أما هلال بن وكيع فقد حرص على أن يمهّد لطلب حاجته بتدبير غير عسير بحسبهم ومكانتهم في قومهم ومصرهم وأنه إن زادهم فسوف يحظى عند طبقة قومه من ذوى الأحساب والأشراف القبائل في الأمصار ويسأله أن يكون لهم ولياً عليهم هم فقط أباً وعولاً، وذلك على الطريقة الجاهلية الأنانية، فلا هم له سوى نفسه مستغلاً مكانته في قومه وشرفه فيهم، فقال لمصر: "يا أمير المؤمنين، إنا ألباب من خلفنا من قومنا، وغرة من فرأنا من أهل مصرنا وإنك إن تصرفنا بالزيادة فسي إعطياتنا، والفرائض لحيالاتنا يزد ذلك الشريف منا تأملاً، وتكن الذوى الأحساب أباً وصولاً فإننا إن كن مع ما ننت به من فضائك، وندلي به من أسبابك، كالجد الذي لا يحل ولا يرحل، نرجع بأنف مصلومة، وجدود عائرة، فحسبنا وأهالينا بسجل من سجالك المترعة". ثم يقوم زيد بن جبهة فيجاري هلالاً في طلب المصونة لفئة السادة وذوى الشرف من جماعته الوافدين، حيث جاءوا بمصر رأى ومسمع من الناس إلى عمر، ويطلب إليه أن يمالئهم بالمطأ، ليزي النفساء في ذلك وجاهتهم وشرفهم، وقد نسوا من وفدوا لهم من قومهم وأهل مصرهم فام يمتوا أنفسهم طلب شيء لهم سوى الافتخار بأنهم ساداتهم وزعماءهم، وهذا زيد يطلب من عمر أن يعطي كل فرد على قدر شرفه وحسبه ليكون الأمر حكراً لطبقته فيقول له: "يا أمير المؤمنين سؤد الشريف، وأكرم الحسب، وأزرع عندنا من أياديك ما تسد به الخصاص، ونطرد به الفاقة، فإننا بقسوف من الأرض، يابس الأكناف، متشعر الذروة، لا شجر فيه ولا زرع، ولنا صعدن الحرب اليوم إذ أتيناك برأى ومسمع".

فإذا كانت هذه حالة طبقة السادة والأشراف الذين اترعوا فسدي الفتوحات، من الشكوى والتذمر لسوء الحال، وانشفالهم برفع حوائجهم عند الخلفاء، فما حال العامة، وليس كل فرد منهم بقادر على الوفاة إليهم، ورفع حوائجهم، إلا أننا لا نعدم أن نجد بين هؤلاء السادة سيداً شريفاً يلتزم بقضايا مجتمعه ويتبنى همومه في المحافل عند الخلفاء ويسعى لهم بحقوقهم وحوائجهم، كالأحنف بن قيس، الذي قام بعدهم عند عمر، فلم يذكر له حسبهم ولا مكانتهم على طريقة صاحبيه الجاهلية، ولكنه بدأ بتدبيره بتقوى الله، وسأله أن يمدد بين الناس، ولا يحرص على المطأ، ويمسك نفسه عن الرعية، فلن يغني عنه عند الله شيئاً، وليس جميع الناس من ترك خلفه بقادر على الوصول إليه ورفع حاجته ومعظم من يميل إليه من هؤلاء السادة لا هم لهم سوى الجمع في وعائهم فقال له: "يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، والحرص قائد العرمان فاتق الله فيما لا يغني عنك يوم القيامة قليلاً ولا قالاً، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل ولا نفاقاً، فما يدريك وفادة الوفود، واستماعة المتاح، فإن كل امرئ يجمع في وعائه

إِلَّا الْأَقْلَ مِنْ عَسَى أَنْ تَفْتَحَهُ الْأَعْيُنَ ، وَتَخُونَهُمُ الْأَلْسُنَ ، فَلَا يُوَفِّدُ الْيَسِيرُكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ " (١)

فهذا كلام سيد شريف النفير ، يسمي بحاجات قومه ، فيقوم بها ، وينطبق
بما لهم جميعا بدون الاستئثار لنفسه كما فعل من سبقه ، ويسأل الخليفة
بحق الإسلام ومبادئه ، ولا بمنهجية الجاهلية وغطرستها .

- الوصايا الاجتماعية :

وأشهر وصايا خطباء تميم في هذا العصر ، وصية قيس بن عاصم الجنيبي
حين حضرته الوفاة ، فأوصاهم أن يسودوا أديبهم فأنهم إن سودوا أصفروا . ثم
سقى الناس كبارهم ، ثم ألح عليهم أن يحرموا على مالهم ، ففيه رفعة شأنهم ،
ويغنيهم عن مسألة اللئام ، وقد أخذ عليه أبو الفرج ذلك ، فعقب على وصيته
بقوله : " وأوصى قيس بن عاصم بنيه ، فكان أكثر وصيته إياهم أن يحفظوا المال
والعرب لا تفعل ذلك ، وثراه قبيحا ، وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن
تولاب :

يَا مَنْقَرِينَ عبيد إن لو مكسـم مذ عهد آدم في الديوان مكتوب
للخيف حق على من كان ذاكرم والخيف في منقر عريان مسلوب (٢)

ثم يوصيهم أن يدفنه بشيابه التي كان يتحبد فيها فقال :
" يا بني إذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيسف الناس كباركم ، وعليكـم
بإصلاح المال فانه منبهة للكرم ، ويستغني به عن اللئيم ، وإذا مت فادفوني
في شيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم وإياكم والمسألة فانها آخر مكاسب العبد ،
وإن أمرا لم يسأل إلا ترك مكسبه " (٣) وأرجح ان القسم الأخير من الخطبة
قد وضع عليه بدافع المصيبة القلبية والصراع القديم بين بكر وتميم ، فنسب إليه
قوله : " وإذا دفنتوني فأخفوا قبري عن هذا الحي بكر بن وائل ، فقد كان
بيننا غماشات في الجاهلية ، فلا آمن سفيها منهم أن يأتي أمرا يدخل عليكم
عيبا في أبيكم " (٤) .

-
- (١) البيان والتبيين : ١٤٣/٢ - ١٤٤ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٣٩/٧ .
(٢) الأغاني : ٨٧/١٤ .
(٣) الكامل : ٢١٠/١ ، الممزون والوصايا : ١٣٥ ، الحقد : ٢٠٤/٣ ، ٢٨٩ .
الأغاني : ٨٢/١٤ .
(٤) أمالي المرتضى : ١٠٨/١ ، الفائق : ١٣٥/٣ .

ويورد الشريف المرتضى الوصية مع زيادات في أولها ، وما أن يصل النص إلى ابن أبي الحديد حتى تلحقه زيادات كثيرة أخرى (١) .

ولقيس بن عاصم وصية أخرى يبين لولده فيها كيف يجب أن تكون علاقته بهم . عبد السلطان ، فلا ينشوه حتى يملهم ولا ينقطعوا عنه فينساهم ، وأوصاهم ألا يجلسوا له على فراش أو وساد وأن يجعلوا بينهم وبينه موضع رجل أو رجلين . " لا يُقاموا لأحد هو أخطى عند السلطان منهم بذلك المكان ، فينقص مقدارهم فقال يوصي ولده : " لا تغش السلطان حتى يملك ، ولا تقطعه حتى ينسأك ، ولا تجلس له على فراش ولا وساد ، وأجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين ، فأنه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له ، فيكون قيامك زيادة له ونقصاً عنك " وكان الأحنف يوصي قيس بن عاصم في مجلس مصابة يسمون يدخل عليه ، فيجذب مصابيه له وسأله مرة : " وما منعك من الجلوس على الوساد ؟ " فذكر له الأحنف وصية قيس هذه فأعجب مصابيه ببلاغته وحكمته وقال : " لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلم " (٢) .

خطاب التأبين :-

أبى مسمع بن نورة أخاه مالكا بخطبة مشهورة في المدينة تناقلتها كتب الأرب ، إلا أنها لم ترق في أسلوبها أو معانيها إلى مستوى مراثيه الشعرية له ، ويروى أن عمر بن الخطاب استمع إليه وهو يبرئ أخاه في المدينة فسأله : " إنك لبزل ، فأين أخوك منك ؟ " وفي رواية أخرى أن بعض أهل المدينة طلبوا إليه أن يصف لهم أخاه لكثرة ما كان يذكره في شعره ، فذكر جلده وشدة بأسه فقد كان يستقي لأهله في الليلة الظلماء الباردة على الجمل الحرون . لا يقيه من قرها سوى مئزر فلت طرفاه ، وكان يجنب الفرس الذي صعب على غيره قيادة لسناده ، وهو مع ذلك يشوش طلع المحيا لا يصبح على الناس إلا ضاحكاً ، وقال فيه : " كان والله أخى مالك يركب الجمل الثقال في الليلة الباردة ، يرتوى لأهله بين المزادتين المضرجتين ، عليه الشملة القلوت ، يقود الفرس الجرار ، ثم يصبح ضاحكاً " (٣) .

(١) شرح نهج البلاغة : ١٢٢/١٧ ، وبلوغ الأرب : ١٧٣/٣ .

(٢) البيان والتبيين : ٥٣/١ ، عيون الأخبار : ٢٨٦/٣ ، المقصد : ٤٢٩/٦ .

(٣) الكامل : ٨٠/٤ ، الأغاني : ٣٠٧/١٥ ، البيان والتبيين : ٢٥/٣ .

المقصد : ١٤٩/١ ، شروح سقط الزند : ٥٨٧/٢/٢ .

فوات الوفيات : ٢٣٤/٣ .

وقد استطاع أن يشخص معاني الجلد وشدة البأس بصور نابضة بالحياة، اختارها من واقعة البدوى مما ضمن لكلامه حسن الوقع في النفس، والتأثير على
الاحساس .

- خطب الزهد :

يندرج هذا اللون من الخطب تحت لواء الخطابة الدينية الخالصة ، وتدعو هذه الخطب الى الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بنعيمها الزائل ، ولا تشغسل بلذاتها ومتعتها الزائفة عن نعيم الآخرة ، وما أعدّه الله للصالحين في دار الخاسود وهذا الاتجاه كان ردة فعل طبيعية لحماية البذخ والترف التي بدأ المسلمون يحيلون إليها ، بعد أن أقبلت عليهم الدنيا في الفتوحات ، فكثرت الخنائم وزاد السبي ، وردة الفعل المماكسة ظهرت واضحة عند الخطباء في عهد عثمان - رضي الله عنه - حيث أخذت تبرز مظاهر اللهو والترف في الأمصار الإسلامية ، ومسيح غداً تميم الزاهدين الذين أخذوا على عثمان تهاوله في ذلك عامر بن عبد القيس المنبري ، وخطب بين يديه في ذلك ، وكان يعتمد في خطبه على المعاني القرآنية وكثرة الاستشهاد بالآيات ، حتى كانت بعض خطبه ان يكون معظمها آيات قرآنية ، فقال من كلام له : " أربع آيات من كتاب الله اذا قرأتهن مساءً لم أبال على ما أمسي ، واذا تلوتهن صباحاً لم أبال على ما أصبح : " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده " (١) . " وإن يردك بخير فلا رأتك لفضل الله ، يصيبه من يشاء من عباده " (٢) . " وما من بابه في الأرض إلا على الله رزقها " (٣) " . " يجهل الله بعد عسر يسرا " (٤) (٥) .

وقد كان إيمانه بهذه المبادئ الإسلامية مبني على جرأته ، فهو مؤمن أن الله لا يصيبه إلا ما كتب الله له ، وإن الرزق على الله وتفريج الكرب من الله وحده ، قام الخوف من الناس طالما لا يملكون شيئاً من ذلك .

-
- (١) سورة فاطر ، آية ٢ .
 - (٢) سورة يونس ، آية : ١٠٧ .
 - (٣) سورة هود ، آية ٦ .
 - (٤) سورة الطلاق ، آية : ٧ .
 - (٥) عيون الأخبار : ١٨٤ / ٣ .

كانت قضية الثأر من أكثر المواقف إثارة للإنسان العربي ، فتعلمت القبائل في نفسه كل نوازع الشر من أجل الانتقام ، وكم من قبيلة متآلفة أنهمكمتها طالب الثأر بين بياونها وأفرادها ، ومن المثير أن نجد زعيما خطيبا مشهورا قيس بن عاصم يخلد الحلم في نفسه على هذه الفرقة عندهم ، حرصا على تماسك قبيلته والحفاظ على قوتها وهيبتها أمام أعدائها ، يروي الأحنف ذليكم فيقول : " رأيت قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه ، يحدث قومه ، حتى أتته برجل مكتوف ومقتول ، فقيل له : " هذا ابن أخيك قتل ابنك " ، فوالله ما جعله يهوته ، ولا قطع كلامه " (١) والتفت إلى ابن أخيه وقال : " دعهم أنفسهم " وأقبل عليه يوثبه على سرو ما فعل ، فقد أنقص عدده وأضعف قوته ، فأساء إلى قومه وأشمت بهم عدوهم ، فكان كمن رمى نفسه بسهم فقال له : " يا بني نقصت عدوك وأوهيت ركنك ، وفقت في عضدك ، وأشمت عدوك ، وأسأت بقومك ، خالوا سبيلهم واحموا وإلى أم المقتول ديتهم " (٢) وفي رواية أخرى أنه قال : " يا بني أشمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وتقتل ابن عمك " (٣) فابصر القاتل ، وما حل قيس بهوته ولا تفيروجهه ، وهذا موقف حكيم ، لا يقدر عليه إلا من وهب قلبا واسعا حتى كان مثالا للحلم احتذاه حليم العرب المشهور الأحنف بن قيس وقال في نفسه : " ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم " .

(١) الحقد : ٢٧٧/٢ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٥٠/٦ .

(٢) الأغاني : ٧٤/١٤ ، أمالي المرتضى : ١١٣/١ .

(٣) الحقد : ٢٧٧/٢ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٥٠/٦ .

انبار : عيون الأخبار : ٢٨٧/١ ، مجمع الأمثال : ٢٠١/١ .

بلوغ الأرب : ١٠٢/١ .

الفصل الرابع

خطابة تميم زمن الأمويين
واتجاهاتها البارزة

١- ازدهار خطابة تميم في هذا المصير
ودواعي رقيهم

أ- الاتجاه السياسي

ب- الاتجاه الحربي

ج- الاتجاه الاجتماعي

د- الاتجاه الديني

تحقق لخطابة بني تميم نصيب وافر من الازدهار والرقى في العصر الأموي ، واتسع أفقها لتعالج مختلف نواحي الحياة السياسية والحربية والاجتماعية والدينية ، فتحددت مواقفها وتشتت اتجاهاتها ، فأصابها ما أصابت من الرقي والازدهار لتحدد دواعيها السياسية وفرة الأحداث السياسية والحربية المستمرة شاركت فيها تميم ، فقد شاركت من خلال الأحزاب والفرق المختلفة في الصراع على الخلافة ، وكان هذا الصراع صراعاً حروبياً لسانياً استمر طوال العصر الأموي ، أما كانت تميم من أقطاب الصراع القبلي في العراق وخراسان وكان لها أثر فاحش في الفتوح الإسلامية ناحية المشرق .

وأقوى الخطب التميمية في هذا العصر هي تلك التي ألقاها الخطباء التميميون الذين انضموا إلى أحزاب المعارضة من الخوارج والشيعة والثورات الأخشورية ، فما أن آل الحكم إلى بني أمية ، واستأثروا به دون غيرهم حتى سخط عليهم مسلم القبائل الأخرى ، ومن بينها تميم ، فانقسم خطبائهم بين مساهير للسلطة وبين معارضي لها ، راح يقاومها بالسلاح واللسان ، فاتخذوا الخطابة وسيلة لإثارة السخط على سياسة بني أمية وولاتهم ، وراحوا يرمونهم بالجور في الأحكام وتعطيل الحدود ، والخروج عن أحكام الدين والاستئثار بالسلطان والأموال ، إلى غير ذلك ، وكسان لتيميم نصيب وافر من غلباء الخوارج وقادتهم ، فظهر منهم أبو بلال مرداس ، خرج زمن معاوية في الأهواز ، وأخوه عروة بن أوثينة قتل ابن زياد صبراً ، وفي الفتنة بعد موت معاوية ظهر منهم أقوى قادة الأزارقة وخطبائهم كعبد الله بن الماحوز الذي قتل بدولاب ، وعبيد الله بن الماحوز قتل بسلي وسجري ، والزيبر بن علي قتل بأصفهان وجميعهم تولى قيادة الخوارج بعد وثقة دولاب على التوالمسي ، وتولى قيادتهم بعد الزيبر بن علي أعظم قادة الأزارقة وأشهر خطبائهم قناري بن القباة وقتل سنة ٨٧٧ م في طبرستان ، وظهر في عصره خطيب الصفوية المشهور صالح بن مسرج التميمي ، الذي ألهم مشاعر الخوارج بخطبه ، فكانت شركته أن تؤذي بالحجاج .

وبقي بعض خطباء تميم على ولائهم لملي وظل هواهم مع ابنائهم وآله من بعده ، وكانت خطبهم أقل خطراً من خطب الخوارج ، ومن هؤلاء مصعب ابن قيس الذي تحالف مع الأمويين على الخوارج ، والحمر بن يزيد الرياحي الذي انضم إلى الحسين ، ووبخ أهل الكوفة على غدرهم به ، وانضم جماعة من بني تميم إلى الدعوة السياسية في خراسان وكان معظمهم من بني أمية القيس ، منهم لاهز بن قريظة ، والقاسم بن مجاشع ، وخازم بن خزيمة قائد هم المشهور

وأيد بعض خطبائهم ثورة ابن الزبير ودعوا إليها، مثل سلمة بن ذؤيب الحنفري وشيث بن ربيعة والأحنف بن قيس، وقرر هذا التأييد في آخر أيامه حين وفدت عليه الأحنف وأبو حاضراً الأسدي مع مصعب بن الزبير سنة ٦٠ هـ، ولما ثار المختار بالكوفة عارضه معظم خطبائهم وعلى رأسهم شيث بن ربيعة ومحمد بن عمير بن عتار بالكوكة والأحنف في البصرة، وشارك بعضهم في ثورة ابن الأشعث على الحجاج وحرضوا الناس على قتال الحجاج ومن هؤلاء عبد المؤمن بن شيث بن ربيعة، والحارث بن هلال، ومطهر بن ناجية.

ومن دواعي ازدحام الخطابة أيضاً الصراع القبلي الذي وقع بينهم وبين الأزد وربيعة في البصرة الذي أسفر عن مقتل مسمود زعيم الأزد، ثم سرعان ما انتشر هذا الصراع إلى خراسان بينهما، وفي خراسان أيضاً تصارعوا مع ابن خسار، ثم تصارعوا مع قتيبة بن مسلم، وأخيراً صراعهم مع اليمانية وربيعة زمن نصر بن سيار. ومن الخطباء الذين برزوا في هذا الصراع الأحنف بن قيس، ووكيع بن أبي سؤد والحارث بن سريج، وزهير بن ذؤيب المدوي، وشعبة بن ظهير وغيرهم.

وبرز عدد آخر من الخطباء في حركة الفتوح والمغازي وكانوا من قادة الجيوش أو من البلغاء الشجعان، وكان لخطبتهم وقصصهم أثر بليغ في إثارة الحماسة والحمية في نفوس الجند لقتال الأعداء من الصفد والترك، أو لاختراع المتمردين على الدولة، ومن هؤلاء الخطباء، معقل بن قيس، وعتاب بن ورقاء، ومحمود بن شهاب، ووكيع بن أبي سؤد، والحارث بن سريج، ومسكين بن عامر، وزهرة بن سوية السعدي، وسورة بن أبجر وغيرهم.

وقد تمخضت هذه الأحداث الجليلة التي شاركت بها تميم عن حركة خطابية نشطة راقية، ظهر فيها عدد وافر من الخطباء.

وأما الدواعي الدينية لازدهار خطابتهم، فتعود إلى ظهور الدين الإسلامي نفسه، إذ اتخذت الخطابة وسيلة قوية لنشر تعاليمه والدعوة إليه، كما نشطت حركة الدعوة إلى الزهد والمعظ بين خطبائهم، فقد اتسعت رقعة البلاد المفتوحة وازداد تدفق الخنائم على المسلمين، وكثر السبي، مما أتاح للمعربين حياة رفسدة، فتهاك بهم على متع الدنيا وملذاتها، فلما رآه الفحل الطبيعي لهذا الاتجاه المادي عند طائفة من الورعين الاتقياء من الوعاظ والقصاص، فراحوا يحفظون الناس ويحذرونهم من الدنيا الفسادة وملذاتها، ومن خطبائهم المعظية في هذا المصير خطابة قناري بن الفجاءة المشهورة في ذم الدنيا، ومقام خالد بن صفوان عند هشام، وخطابة عبد الله بن عبد الله بن الأحم عند عمر بن عبد العزيز.

وظاهر فيهم فئة من القصاص الذين وعظوا بالقصاص ، فكانوا يتصدون التفسيرات القرآنية في المساجد ، ويذكرون ما يتصل بها من قصص قصد الوعظ بها ريبس الترفيب والترهيب . ومن قصاصهم الناسكين المأبدن الأسود بن سريخ ، وهو أول من قص في مسجد البصرة (١) ، واستحانت الأحزاب السياسية في هذا العصر بهؤلاء القصاص للدعوة إليها ، فقد كان صالح بن مسرج يقص للخوارج ويدعو أمته بهم ، واستعان عتاب بن ورقاء بهؤلاء القصاص في حرب الخوارج ، وكان القاسم بن مجاشع التميمي ثاني دعوة بني الحارث يقص على الناس بعد صلاة العصر في محسكر أبي مسلم الدراساني ، فيذكر فضل بني هاشم ومعايب بني أمية (٢) .

وقد أثر خطاباء هذه الأحزاب من تميم في نشاط الخطابة الدينية ، فدعا كل خطاب إلى مذهب فرقته ودافع عنه وحاج الفرق الأخرى المغالفة ، وجمع هذا الصراع بين الصيغتين الدينية والسياسية وذلك جلياً في خطاب الخوارج منهم ، وما ساعد على ازدهار الخطابة الدينية عندهم تلك المجالس التي كانت تحقدهم لاعتبار فيها خطاباء الوعظ ويظهروا مهارتهم ، ومن ذلك المجلس الذي عقده عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز في ولايته على العراق ، وتكلم فيه خالد بن عفوان ، وشبيب ابن شيبه والفضل بن عيسى الرقاشي ، وواصل بن عطاء (٣) .

ونشأت عندهم الخطابة الاجتماعية لتوافر دواعيها أيها ، فالخطابة نفسها ظاهرة اجتماعية تنمو بارتقاء الحياة الاجتماعية ، وقد تطورت حياة القبائل العربية إلى نوع من الاستقرار في البلاد المفتوحة ، وهذا التطور كان نتيجة للفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الأرض الخاضعة للدولة ، فتحررت تميم شأن سائر القبائل الحربية للاستقرار في المواطن الجديدة ، فاستقرت في البصرة والكوفة وخراسان ، وهذا الاستقرار في البيئات الجديدة أدى إلى ازدهار حركة الخطابة فيهم ، فكثرت خطاباتهم ، وتعددت صور الخطابة واتجاهاتها ، فكثر المناسبات الاجتماعية الداعية إلى الخطابة في هذه البيئات ، وغدت مقار الحركة الخطابية النشطة .

ونقلت تميم وجيرانها الأزد وربيعة خصوماتهم القبلية زمن الجاهلية إلى عصر المواطن الجديدة ، وامتزجت هذه الخصومات القبلية بالخصومات السياسية الجديدة ، ومن ذلك ما وقع بينهم في البصرة بعد وفاة يزيد . وقد يأخذ الصراع بينها اجتماعياً

(١) الطبقات الكبير : ٣١٧/١ / ٧ .

(٢) تاريخ الطبري : ٣٦٦/٧ .

(٣) نوادر المخطوطات : ١٢٧/٢ ، البيان والتبيين : ٢٤/١ .

الأغاني : ٢٢٤/٣ .

اقتصاديا، فيأمع كل فريق من الفريقين المتصارعين في احتيازا ما يربى من النزاع والمهزية والشروات الأخرى في الأمصار المفتوحة، وأدى ذلك إلى النزاع الذي وقع بين تميم من ناحية وبين الأزد وربيعة من الناحية الأخرى في خراسان زمن أبى سنان عازم، وزاد في حدة هذا الصراع تصرب بعض الولاة المتحيزين لقبائلهم، فنبع أسد بن عبد الله في خراسان، وزاد في عدتها أيضا عدم المزج بين هذه القبائل التي هاجرت إلى الأمصار، ومراعاة التوزيع القبلي في الحواضر المنشأة والأقاليم المفتوحة التي استوطنتها العرب (١) .

ومن دوافع ازدهار الخطابة الاجتماعية أيضا كثرة وفاداتهم على الخلفاء والولاة لدواعي شتى للمباينة بالخلافة، أو لالتهمنة أو للتصزية، أو لاشكائهم في أو لتجديد الولاة، وقد يدعو الخليفة بعض رجالاتهم ليسدي إليهم يدا أو يستعصمهم على سابقة منهم، وكان الناطق بلسان الوفد زعيم القوم وخطيبهم، وأشهرهم المتكلمين من تميم في هذه الوفود الأحنف بن قيس. سيد أهل البصرة وكان ممن أكثر الوافدين مصرفة بأدب الوفادة على الملوك ومخاطبتهم ومجالستهم، فقد دخل مرة على معاوية فأشار له إلى وسادة لمجلس فلم يفعل، فسأله عن السبب فقال: "يا أمير المؤمنين، إن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده، أن قال: "لا تسلم مع السلطان حتى يملك، ولا تقطعه حتى ينسأك، ولا تجلس له على فراشه ولا وسادته، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين" (٢) وكثيرا ما كان خطباء تميم يتفاخرون مع خطباء القبائل الأخرى في هذه المجالس .

وانبرى بعض خطبائهم للكلام في المحافل الاجتماعية والمجالس التي كانت تقام في الحواضر لأغراض اجتماعية شتى، ولا يستطيع أن يقوم في هذه المواقف إلا من ملك ناصية القول وراضه من خطبائهم المفوهين، كخالد بن برمك وشبيب بن شيبه، وشبيب من أشهر أصحاب المقامات فيهم، وقد سجل الجاحظ في معرته الثناء على بلاغته "أنهم لم يروا خطيبا قط بلديا إلا وهيمو في أول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقالا مستثقالا أيام رياسته كلها إلى أن يتوقع وتستجيب له المعاني، ويتمكن من الألفاظ، إلا شبيب بن شيبه، فإنه كان قيسا ابتداء بحلاوة ورشاقة وسهولة وعدوبة، فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره" (٣) .

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ١٣٦ .

(٢) المقد : ١٤٠/٢ .

(٣) البيان والتبيين : ١١٢/١ .

وكان لا غتلاط هولاء الخطباء بسكان البلاد المفتوحة من الأعاجم تأشير
على الخطابة ، فقد تسرب اللحن إلى اللغة الفصيحة ، فلم ينبج منه حتى أفضت
الفصاحة والبيان من خطابهم المتحضرين ، فعرف به خالد بن صفوان الذي كان
يلحن في مجلس بلال بن أبي بردة فيقول له : " أتحدثني أحاديث الخلفاء
وتلحن لحن السقاة " (١) وأصيب بأوشاب المعجمة شبيب بن شيبه أيضا (٢) .

وهذه الدواعي السياسية والاجتماعية والدينية كانت سببا لازدهار خطابتهم ،
فأصبحت حذا وافرا من الرقي وذلك من حيث اتساعها وكثرة ما وصلنا منها ، ومعالجتها
امواقف متنوعة شملت مختلف مناحي الحياة ، وسنمرغن فيما يلي لأبرز اتجاهاتها
في هذا المصير :

(١) الكامل : ٢٦٢/١

(٢) المعقد : ٤٨١/٢ .

أ - الاتجاه السياسي للخلافة تميم في العصر الأموي :

— موقفهم من ولاية العهد :

حين انتهى الأمر إلى بني أمية ، أراد معاوية أن يجعل الخلافة حكماً على من دون غيرهم ، فعزم على أخذ البيعة لابنه يزيد من بعده ، وشعر أن منحه مقدم على بدعة لم يسبقه إليها أحد في الإسلام فخشي أن يظهر الناس عليه الخلاف وأراد أن يروضهم لذلك ، وكتب إلى عماله على الأمصار بتقريض يزيد أمام الناس وتحسين الأمر لهم ، وأن يوفدوا إليه الوفود من وجهاء الأمصار (١) ، وكان فيمن أثناه الأحنف ابن قيس في وفد أهل البصرة ، وتكلم الناس بين يدي معاوية والأحنف ساكت ، ولكن معاوية حرص على سماع رأيه ، فهو زعيم أهل البصرة ، ورئيس أكبر قبائلها وقتئذ ، فقال له : " مالك ، لا تقول أبداً بحر ؟ " فأجاب الأحنف : " نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا " . فهو يرى أن يزيد ليس بأهل لهذا الأمر ، لذا فهو يفتش عن معاوية إن صارحه بذلك ، ويخشي الله إن جازاه عليه ، فأثر السكوت ليكسب رضا الأتيين ، وبخاصة أن معاوية غير مطمئن عن الأمر أثره الناس أم طارضوه ، وألصق عليه معاوية أن يتكلم ، فتخلص الأحنف من هذا الموقف بأسلوب حذر ، كأنه يتساوى فيه صمته وكلامه ، فقد رأى أن معاوية يحاول أن يدفعه لمألفته فقال له : " يا أمير المؤمنين أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره ، ووسره وعلائته ، ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه لله رضا ، ولهذه الأمة ، فلا تشاور الناس فيه ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك ، فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة " (٢) .

ويبدو أن كثيراً من الناس كانوا مترددين في أمرهم ويرون كراهة البيعة ليزيد كما رأى الأحنف ، ولكنهم خشوا معاوية فتنفرق الناس ولم يذكروا إلا كلام الأحنف .

ويورد صاحب كتاب " الإمامة والسياسة " هذه الخطبة ضمن حوار بين الأحنف من جهة وبين معاوية والضحاك بن قيس من جهة أخرى ، ثم يورد زيادات في آخر الخطبة منها : " وأعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن

(١) تاريخ الطبري : ٣٠١/٥ ، المقد : ٣٦٨/٤ ، تاريخ ابن الأثير : ٥٠٢/٣

(٢) المقد : ٣٦٩/٤ - ٣٧٠ ، ٦٦/١ ، ٢٧/٤ ، ٣٦٨/٤ ، تاريخ ابن الأثير :

٥٠٨/٣ نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٥٤/٢٠ ، مروج الذهب :

(ط) طهران : ٧٠/٥ .

- ١٦٠ -

والحسين ، وأنت تعلم من هما " كما يورد معها خطبتين طويلتين للاعتذار
يدافع فيهما عن حق الحسن والحسين في الخلافة ويحاور في واحداهما الضحاك بن
قيس في حق الوراثة في الخلافة (١) وواضح أن هذه النصوص من وضع الشيعة
أو من تحزب بهم .

خطب الولاة التميميين :-

ومن هذه الخطب خطب وكيع بن أبي سُود الذي ثولى خراسان سنة ٢٦ هـ
بعد أن تاز بها على قتيبة بن مسلم في قومه وقتله ، ولما قتله محمد المنبر وجعل
من بني تميم يدعي عمارة بن جنية الرياحي ، فتكلم وأكثر ، فضاقت وكيع ذرط بكلامه
فقام وقال : " دعنا من قدرك وهذرك " وقام بالناس خطيبا يفتخر بنفسه لقتله
قتيبة وكان أكثر خطبته شعرا لم يتورع فيه عن الكلام الفاحش . النابي السبدي
يخبر عن ذوقه الأعرابي الجافي ، وقال : " . . . أراد قتيبة أن يقتلني وأنا
قتال ،

قد جربوني ثم جربوني
من غلوتين ومن المشركين
حتى إذا شبت وشيوني
غلوا عَناني وشكوني

أنا أبو مائة ألف (٢)

وكان من عادة الولاة عصرئذ أن يقوموا في الناس خطبا حين يتسلمون أعمالهم
يشردون لهم سياستهم الجديدة ، ويأمرونهم ببعض الأمور وينهونهم عن بعض
الأخر فلما قام وكيع في الناس ليخطب فيهم خطبة الولاية بدأها ببيتين من الشعر
مفتخرا بنفسه وقوة بأسه ونسبه الخندفي ، ثم شرع يتهدد ويتوعد بالقتل والصلب ،
مستخدما شتى صور التوكيد كالقسم والنون الثقيلة ، وانهاه بالشتائم على مرزبانهم
واتهمه بإغلاء الأسعار وتوعده بالصلب إذا لم يرخصها قائلا :-

أنا ابن خندفَ تمني ثبائلها
للمالحات وعي قيس عيلاننا
ثم أخذ بلحيته وقال :

شيخ إذا حمل مكروهه
شد الشراسيف لها والحزيمه

(١) الامامة والسياسة : ١٧٦-١٧٧

(٢) تاريخ الطبري : ٥١٧/٦ وانظر النقائص : ٣٦٣/١ ،

تاريخ ابن الأثير : ١٨/٥

والله لا تقتلن ، ثم لا تقتلن ، ولا صلين ثم لا صلين ، إني والخ دما ، وإن مرزبانكسهم
هذا ابن الزانية قد أغلى عليكم أسعاركم ، والله ليصيرن الغفير في السوق خسدا
باربعة أو لأصلنه ، علوا على نبيكم " (١) ثم نزل .

وجاءت معظم خطاب وكيع إبان ولايته التي لم تطل على هذا النمط ، بيدوها
بالشعر يفتخر بنفسه ثم يختصها مهددا ومتوعدا بالقتل والصلب ، وربما كان تروي
الأوضاع هناك في تلك الفترة يقتضي منه ذلك ، ويتطلب منه أن يكون حازما ليفرض
هيئته على القبائل الأخرى ، وبخاصة الأزدي وحلفائهم من ربيعة ، ومن ذلك أنه
طلب رأس ربيعة بعد قتله وخاتمه ، فقبل له إن الأزدي أخذته فتارت ثأرته وغسرج
المنهم يقول :-

نؤدّ دُرَيْن ، سمد القين
في أي يومٍ من الموتِ أفرّ
أيوم لم يقدر أم يوم قسّيدر
في أي يوم لم أزع ولم أزع
والله الذي لا إله غيره لا أبرح حتى أوتي بالرأس ، أو يذهب برأسي مع رأس
قتيبي ، وجاء بخشب فقال : " إن هذه الخيل لا بد لها من فرسان " ثم يتهدد
بالصلب - (٢) .

وسمي وكيع لسرعة ثورته واندفاعه بأهوج بني تميم ، وكان في مواقفه الخطابية
هذه ذلك الأعراشي القح ، بكل جفوة البداوة ،
مواقف خطباء تميم من سياسة ولاية بني أمية :

ومن أشهر ولاية الأمويين على العراق زياد بن أبيه ، قدم البصرة وألما عليها
لحماية ، وخطاب فيها خطبته البتراء الشهيرة ، وشرح فيها لهم سياسته المستفي
سيسوسهم بها ، فلما انتهى منها قام بعده ثلاثة من الخطباء يحقّقون على كلامه ،
ومن الطريف أن يكون جميع هؤلاء الخطباء من تميم ، وكان عبد الله بن الأحمس
أول المتكلمين فقام يتكلم - قى زيادا ويثني على فصاحته وقال : " أشبهت
أيها الأمير أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب " ولكن زيادا أزدراه وحققه حسر

(١) تاريخ الطبري : ٥١٧/٦ - ٥١٨ ، وانظر النقائش : ٣٦٣/١ ،

تاريخ ابن الأثير : ١٨/٥ .

(٢) تاريخ الطبري : ٥١٨/٦ ، تاريخ ابن الأثير : ١٨/٥ .

كلامه فهو لا يأبه لهذا النوع المسوخ المطاري ، وقال له : " كذبت ذاك نبي الله داود عليه السلام " ثم قام الأحنف من بعده ، وعقب على كلامه بأسلوب رزين حذر ، فقد أثنى على عزم زياد الذي أبلغه إلى الإمارة ، ولكنه ربط رأيه بما سيراه من فعله وما سينالهم من المعاء ، فلم يحالفه كما فعل ابن الأئمة ، ولم يحارضه كما فعل أبو بلال من بعده ، وقال لزياد : " أيها الأمير إننا المرء بجده ، والسيف بجده ، والجواد بشده ، وقد بلغك جدك أيها الأمير ما ترى ، ولنا الشكر بحسد البلاء والحمد بعد المعاء ، ولنا لن نشي حتى نبتلى ، ولا نحمد حتى نعطى " .

ويبدو أن زيادا كان حريصا على سكوت الأحنف وأمثاله من الزعماء عسكانيين ، وسبب تأييدهم ، فما أن انتهى الأحنف من كلامه حتى قال له : " صدقت " .

وأما ثالث المتكلمين فكان مرداس بن أدية الذي عبر عن رأي المعارضين لسياسة زياد وسادته بني أمية ، ورأى أنها تخالف ما جاءهم من عند الله ، وكسان جريشا في مخالفته وإعلان رأيه على طريقة الخوارج ، فقال لزياد : " أنبلنا الناس به خير ما قلت فقال : " وأبراهيم الذي وفق ، إلا تزوارة وزر أخرى ، وأن ليس الإنسان إلا ما سمى " وأنت تزعم أنك تأخذ البري بالسقيم والمطيع بالخاصي ، والمقبل بالمدير وهذا الموقف أشد ما كان يخشاه زياد ، وبخاصة أنه جاء من أحد زعماء الخوارج أخطر الباطعات المعارضة على الدولة آنذاك ، فرد عليه بحزم شديد وهدده بأنه إن يتوانى عن خوض الباطل إليه للقضاء على معارضته والتكليف بأصحابه في سبيل مصلحة الدولة وقال له : " إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نغشوش إليكم الباطل خوفا (١) ويذكر صاحب الأمالي في الذيل خطبة لابي المنذر يحمي ابن مخلد المجاشمي ، يتشقى فيها بالحجاج حين حضرته الوفاة ، فيقول عليه حساب الله ويقتطع من رحمته لما ركب في عبادته من المسرف والتكليف بخير الحق ، فأعز بني أمية بلذال نفسه ، فلا الذين أبلى ولا الدنيا بقيت له ، فقال له : " يا حجاج ، إنا برحم الله من عباده الرحماء الكرماء ، أولي الرحمة والأففة ، والتجنن على عباده وخلقه ، وأشهد أنك تمرين فرعون وهامان لسوء سيرتك ، وتترك ما لك ، وتنكح عن قصد الحق وسنن المحجة وآثار الصالحين ، قتلت عليا الحسي الناصر ، فافنتهم ، وأهت عثرة التابعين ففترتهم ، وأطعمت المخلوق في محصية الخالق ، وهرقت الدماء وضربت الأشرار ، وسست سيا سسة

(١) البيان والتبيين : ٢/٦٥ ، الكامل : ٣/٢١٤ .

عيون الأخبار : ٢/٢٤٢ ، تاريخ الطبري : ٥/٢٢١ .

النوادر : ١٨٦ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٧/٢٣٨ ، ٢٠/٣١٤ .

شرح نهج البلاغة : ١٦/٢٠٣ .

متكبر جبار، لا الدين أيقنت، ولا الدنيا أدركت، أعزرت بني مروان، وأذللت
نفسك، وعصرت دودهم وأخربت دارك... (١) فقد استغل الخطيب لحظة الضعف
لهذا الجبار ليخرج ما في مكنون نفسه عليه، مما لم يستطع قوله زمن قوته.

وقد تكون المصيبة القبلية دافعا قويا للمعارضة خطبا تميم للحولاة لا موييسيين،
ويروى أن عمر بن يزيد بن عمير الأسدي دخل على هشام بن عبد الملك، وعنده
خالد بن عبد الله القسري يذكر لهشام طاعة أهل اليمن، فامتحن عمر بن يزيد لذلك
وقد أخذته المصيبة، فصقق بيده تصفيقة دغا الهوا منها وقام بين يدي هشام خطيبا
يذكر إسراع أهل اليمن إلى الفتنة، والفتن التي أذكوا نارها على الأمويين،
فقد شاركوا في مقتل عثمان، وفتنة ابن الأشعث، وفتنة آل المهلب، ويقرن ذلك
بالافتخار بقومه الذين قطرت سيوفهم من دماء آل المهلب، فقال: "تالله ما رأيت
هكذا خطأ ولا مثله خذلا! والله ما فتحت فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن،
هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان، وهم خلصوا أمير المؤمنين عبد الملك، وإن سيوفنا
لنقطر من دماء آل المهلب" (٢). فلما قام من المجلس تبعه رجل من آل مروان
كان حاضرا فقال له: "يا أخا بني تميم ورت بك زنادي، قد سمعت مقالتيك
وأعير المؤمنين مسولك خالدا المراق، وليفتك لك بدرا" ولم يستمع
عمر بن يزيد لنصحه فقصده المراق، فظل خالد يترجم به الدوائر حتى قتله سنة
١٠٤هـ، فلامه هشام على ذلك وقرعه (٣).

موقفهم من نقمة الأمويين عليهم لتأييدهم عليا عليهم في صفين:

ساندت قبيلة تميم عليا - كرم الله وجهه - في نزاعه مع معاوية في صفين،
فلما صار الأمر إلى معاوية لم ينس لهم تلك الحولاة، واتخذ من ذلك ذريعة للانتقام
من شأن بعض زعمائهم، وقد صرح غير زعيم منهم بنقمة الشديدة عليهم لما كان لهم
عليه في صفين، فقد دخل عليه الأحنف يوما في وفد من زعماء تميم، فقال له
معاوية: "والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حرازة في قلبي إلى يوم القيامة"
وأي حقد أشد من هذا، إلا أن كبرياء الأحنف وشمم قبيلته يأس عليه أن يستذل

(١) نيل الأمان: ١١/١.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٦/٢، تاريخ ابن الأثير: ١٢٤/٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٦/٢.

لما وية أو يمتددر إليه ، غانمنا أو متعلقا ، وكال له الصاع بخله ، فقال له يحمذره
 : " والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن السيوف التي
 قاتلناك بها لفي أغمادها ، وإن تدن من الحرب فترا نذن منها شيئا ، وإن تمسش
 إليها نهروا إليها ، ولكن شئت لتستغفين كدر قلوبنا بصفو حلمك " (١) ثم قسام
 وشرح .

وكظم معاوية غيظه حاسيا ألف حساب لما يتكى عليه الأحنف من سيوف
 بني تميم ، وكانت أخته تسمع الكلام من وراء الحجاب ، فقالت له : " يا أمير المؤمنين ،
 من هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ " قال : " هذا الذي إذا غضب غضب لخصبه مئة
 ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب " (٢) وشبهه بهذا موقف جارية بن قدامسة
 السدي التميمي من معاوية حين وفد إليه ، وحاول الانتقاص من شأنه ، فقيل
 له جارية يحثه على الالتزام بما أعطاهم من الوعود على نفسه ، ويحمذره من بسا من
 قومه : " إنك لم تفتحنا قسرا ، ولم تملكننا عنوة ، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا ،
 وأعطيتناك سمعا وطاعة ، فإن وفيت لنا وفينا لك ، وإن فزعت إلى غير ذلك ، فإننا تركنا
 وراءنا رجالا شدارا والسنة حدارا " فقال له معاوية : " لا كثر الله في الناس من
 أمثالك " (٣) وتنسب المصادر إلى زيد بن جيلة السدي موقفا مشابه لموقف الأحنف
 وجارية وتكاد تكون الخطبة المنسوبة إليه مشابهة لخطبتيهما (٤) حتى أن صاحب
 كتاب " الإمامة والسياسة " قد مزج بين هذه الخطب وجعلها خطبة واحدة
 للأحنف (٥) ، وجدد بالذكر أن ثلاثتهم من بني سعد ، وأرجح أنهم قدموا في وفد
 واحد على معاوية ، وكان معاوية ما كان فقام كل منهم يرد عليه فخلط السرواة بين
 كلامهم .

(١) الكامل : ٦٥/١ ، وفيات الأعيان : ٥٠٠/٢ ، العقد : ٢٨/٤

نهاية الرب في فنون الأدب : ٢٣٧/٧

(٢) الكامل : ٦٥/١ ، وفيات الأعيان : ٥٠٠/٢

(٣) العقد : ٢٧/٤ - ٢٨

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٥٠/٥

(٥) الإمامة والسياسة : ١٧٧ .

بقي بعض خطابه تميم وزعمائهم يكتنون الوفاء والاحترام لعلي ، حتى يصعد
تولي بني أمية الأمر ، وقد كان يدفعهم هذا الحماس في بعض الأحيان إلى أن ينكروا
على خلفاء بني أمية التعرض له بالسوء ، ومن ذلك أن رجلا من أهل الشام قسسا
عند معاوية خطيبا ، وعنده وجوه الناس وبينهم الأحنف بن قيس فكان آخر كلامه
ان لمن عليا - رضي الله عنه - فأطرق الناس ، إلا ما كان من الأحنف فقص
قام بخطيبها يحفظ معاوية وينهاه عن سب علي ، فان أمثال ذلك الرجل لا يهمهم
سوى الدنيا شيء ، فلو أنه رأى رضاه في لمن المرسلين لفعل ، وعلي قد اقصي
ربه بعمله ، ثم يشني خيرا على علي ويعدد مناقبه فيقول : "يا أمير المؤمنين
إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رضاك في لمن المرسلين المصطفى ، فأتسق
إليه ، ودع عنك عليا ، فقد لقي ربه ، وأُفرد في قبره ، وخلا بعمله ، وكان والله
- ما علمنا - المبرر بسبته الطاهر خلقه ، الميمون نقيته ، العظيم مصيبتة " ،
فخرب معاوية من كلامه وإداراه لعلي ، وكان في ذلك غضا متعمدا من شأنه ،
ومحاول أن يحمل الأحنف على تفسير كلامه وثنيه عنه أمام الناس ، بأن يدخل في روعه
أنه لا يقصد ما يقول ، وأنه يجاريه في لمن علي ، فأمره بصمود المنبر وأحسن
علي بائعا أو كازما فقال له : "يا أحنف لقد أغضيت الحين على القدر ، وقلت
بشئ ما شئ ، وأيم الله لتصعدن المنبر فلتعلمنه طوعا أو كرها " فقال له الأحنف :
"إن تعفي فهو خير لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري به شفتي أبدا"
فقال له معاوية : "قم فاصعد المنبر " وكان الأحنف عنيدا إذا قال لا فلا يثنيه
شيء ، ولكنه لن يمجز بحكمته ودماه عن أن يجد له مخرجا يرضي به معاوية
وينفذ فيه رأيه هو في رفض لمن علي ، بعد أن رأى أن لا بد له من صعود المنبر
فقال لمعاوية قبل أن يصعد يعلمه أنه سينصفه وينصف عليا على المنبر : "أما والله
مع ذلك لأنصفك في القول والفعل " فقال معاوية : "وما أنت قائل إن أنصفتي؟"
وذلك حرصا منه على سماع رأى الأحنف قبل صعود المنبر ، فأعلمه أنه لن يلحق
شخص علي ولكنه سيخبر الناس بما كان من علي ومعاوية وزعم كل واحد منهما أنه
علي حق قد بغي عليه وعلى فئته ، وأنه سيعلمن الباغي منهما ، وقال لمعاوية :
"أصعد المنبر ، فأحمد الله بما هو أهله ، وأعلي على نبيه - صلى الله عليه وسلم -
وسلم - ثم أقول : أيها الناس ، إن عليا ومعاوية اختلفا فانتقلا ، وأتوعدا
كل واحد منهما أنه بغي عليه وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمنوا بحكم الله
ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منه
على صاحبه ، والعن الفئة الباغية ، اللهم العنهم لعنا كثيرا ، أمنوا بحكم الله
بمعاوية لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا ولو كان فيه ذهاب نفسي " فصرف

معاوية دهاؤه وشدة إصراره، فوجد أن من الخير له أن يعفيه مما عزم عليه فقال له: "إذآ نغفك يا أبا بحر (١) على أن الأحنف لم يكن شيعي المهوي من الناحية السياسية، وقد ظهر ذلك في ثورة الحسين، فقد أرسل إليه يدعوه إلى نفسه حين خرج إلى العراق فلم يرد عليه جواباً ونسب إليه قواه: "قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم أمانة للملك ولا جمعا للمال، ولا مكيدة فبسي الحرب" (٢) وكأنه يرى أن النصر السياسي لا يتم إلا بهذه الأمور.

موقفهم من ثورة الحسين :-

أرسل بعض زعماء العراق إلى الحسين يطلبون منه المسير إليهم وبخاصة زعماء الكوفة، وفيهم من خطبائهم تميم وزعمائها، شَبَّثَ بن ربيعة، إلا أنهم تغلوا عنه عندما قدم ابن زياد إلى الكوفة، وانضموا إلى جيش عمر بن سعد لقتاله، وكان بعضهم من قادة الجيش، أمثال شَبَّثَ بن ربيعة والحُرَّ بن يزيد.

أما الحُرَّ فقد ندم أشد الندم على إطاعته وأمر ابن زياد بمسايرة الحسين ومن معه ومنعهم من العودة إلى الحجاز حتى يلحق به جيش عمر بن سعد، فاصفاً أبي عمر بن سعد على الحسين، إلا النزول على حكم ابن زياد أو الحرب، انحصار الحُرَّ بن يزيد إلى الحسين وأخبره أنه أتاه تائباً إلى الله، مما فرط منه في حققه، وأنه مكفر عنه بمواساته له بنفسه حتى يموت بين يديه، وقال له: "جهاني الله فذاك يا ابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، ويحجبت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القيسوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم وأمساً بهم فيستقبلون من حسين هذه الخصال التي يحرض عليهم، والله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك، ولني قد جئت تائباً ما كان مني إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟" فقال له الحسين: "نعم يتوب الله عليك ويغفر لك" (٣).

(١) المقصد: ٢٨/٤، وفيات الأعيان: ٥٠٤/٢.

نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٣٧/٧.

(٢) عيون الأخبار: ٢١٢/١.

(٣) تاريخ الطبري: ٤٢٨/٥، تاريخ ابن الأثير: ٦٤/٤.

نهاية الأرب في فنون الأدب: ٤٣٨/٢٠.

- ١٦٧ -

ثم يحاول الحواري إقناع أهل الكوفة بقبول ما عرض عليهم الحسين في بداية الأمر فقال لهم : " أيها القوم ، ألا تثقون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم ، فيها فيكم الله من حربه وقتاله ؟ " فأجاب قائدهم عمر بن سعد " قد دبريت لو وجدت إلى ذلك سبيلا فعلت " . فلما يئس منهم وأيقن أنهم مزمعون على قتاله أو إخضاعه لحكم ابن زياد ، وثقأمامهم خطيبا وأخذ يقرعهم على شئ يسع غدريهم بالحسين ، وذكرهم بمصهونهم إليه ودعوتهم له بالقدوم إليهم لينصروه ، فلما أتاهم غدروا به وشكروا له وخرجوا لقتاله فحصروه في ذلك الموضع ومن منسبه ، ومنحوصهم الماء وما لوا بينه وبين أن يبلغ مأمنه في بلاد الله ، فقال : " يا أهل الكوفة ، لأنتم الهبل والصبر إذ دعوتوه حتى إذا أتاكم أسلمتموه ، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لثقتلوه ، أمسكتكم بنفسه ، وأخذتم بكظمه ، وأخطم به من كل جانب ، فمنتموه التوجه في بلاد الله المريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ، ولا يدفع ضرا ، وحلأتموه ونساءه وأصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني ، وترغ فيه خنازير السواد وكلابه ، وما هم قد صرعهم المطش ، بثما خلفتم مصدا في ذريته ، لا سقاكم الله يوم النمام إن لم تتوبوا وتزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه " (١) .

أما شيث بن زبي فقد كان ممن دعوا الحسين لقبول أهل الكوفة ، كما خرج مع جيش عمر بن سعد على الرماة والرجال ، ولكنه كره قتال الحسين ، ففقد أمره عمر أن يقدم بالرجال والرماة حين اشتد القتال ، ففكر ذلك طعنا الاستطلاع والترقب والوجهة عن ذلك ، وقال له : " سبحان الله ! أتصعد إلى شيخ مفلس سيرا وأهل مصر عامة تبعه في الرماة ؟ " لم يجد من تثدب لهذا وتجزى عنك ففسري " (٢) وكانوا لا يزالون يرون من شيث الكراهة لقتال الحسين .

ولما قتل أهل الكوفة مسلم بن عوسجة من أصحاب الحسين تنازع قاتلوه بذلك مهلبين مهتهجين ، فاستبشع شيث ذلك واشمأز له ، وويخ من حوله منهم وذكر لهم حول ما فعلوا بقتله ، فقد ذلوا أنفسهم لخيرهم ، إذ كيف يفرحون بمقتله . وقد شهد له بمواقفه المشهورة في فتح أذربيجان وما أظهره من البدايات فسي سهيل فشر الإسلام وقال لهم : -

- (١) تاريخ الطبري : ٤٢٨/٥ - ٤٢٩ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٥/٤ ،
نهاية الأرب في فنون الأدب : ٤٤٥/٢٠ .
(٢) تاريخ الطبري : ٤٣٦/٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٨/٤ ، نهاية السند
الأرب في فنون الأدب : ٤٤٩/٢٠ .

" ثكلتكم أمهاتكم، إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذل لون أنفسكم لغيركم، تفرعون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟ أما والذي أسلمت له لربك موثقاه قسدر رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق، أذ ربهجان قتل ستة من المشركسين قبل، تنام غيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرعون؟" (١)

ـ موثقهم من ثورة ابن الزبير ـ

لما توفي يزيد بن معاوية حاول عبيد الله بن زياد أن يأخذ البيعة لنفسه من أهل البصرة حتى يتفق الناس على خليفة، ولكن أهل البصرة كانوا يحسبون أنهم بالجن وأن من بيعته يمد أن يخرجوا من عنده لسوء سيرته فيهم، واختلفوا في أمرهم، وفي أثناء ذلك قام أحد خطباء تميم وهو سلامة بن مسكين ذو عيب في سوق الإبل على فرس شهباء، وفي يده لواء يدعو الناس إلى بيعة ابن الزبير، ويذكر لهم فضله، ومائة أبيه وأمه في الإسلام، وأنه قام بالأمر انصهرة الكعبة والإسلام، فقال: "يا هو" من ينصر الله؟ من ينصر الكعبة؟ من ينصر علي ابن سمية؟ سارعوا أيها الناس إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها السموات والأرض، أجمعوا هذه الدعوة، وأقيموا أود هذه البيعة، فإنها بيعة هدى، فإنته من قد علمتم عبيد الله بن الزبير، حوارى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن عمته، وابن أسامة بنت أبي بكر الصديق"، (٢) ثم يذكر حق ابن الزبير في الخلافة وأنه لو رأى أحدا أحق بها منه ما مد يده إليها، فلا أحدا أحق بها منه غير عبد الله ابن عمر إلا أنه تبرأ من الدنيا وكره سلطانها.

ولما ثار المختار بن عبيد الثقيفي بالكوفة على ابن مطيع والي ابن الزبير، وقف بنو تميم وعلى رأسهم شبيب بن ربيعة إلى جانب ابن مطيع وحادوا المختار، وكان شبيب أشد زعماء الكوفة عدواً للمختار، فقد قام يحرض الأمير على قتاله ويحث الناس على مناجزته، فقال لابن مطيع: "ابحث إلى أمراء الجبايين فمرهم فليأتوك، فاجمع اليك جميع الناس، ثم انهر إلى هو" القوم فقاتلهم، وابحث إليهم من تشق به فليكفك قتالهم، فإن أمر القوم قد قوي، وقد فرج المختار وظاهر،

(١) تاريخ الطبري: ٤٣٦/٥، تاريخ ابن الأثير: ٦٨/٤.

(٢) النقائص: ٧٢٣/٢، الإمامة والسياسة: ٢٥١، الأخبار الطوال: ٢٨٢،

تاريخ الطبري: ٥٠٧/٥.

واجتمع له أمره " (١) ويظهر أن شيث بن ريمي لم يحار الصغار هذا الحدث
حبا بابن الزبير أو ولا له ، بل إن الباعث لذلك كما يظهر من كلام شيث واقع
اجتماعية واقتصادية وما أحدثه من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، أو مسما
أراد أن يحدثه ، فقد ساوى بين الموالي والماليك وبين ساداتهم من العرب
وأشركهم في فيئهم ، فاجتمع أشراف الكوفة في بيت شيث ، وكان زعيم أهل الكوفة
آنذاك ، فتذاكروا ما أحدثه المختار فيهم ، ولم يكن فيما أحدثه المختار شئ
هو أعظم عليهم من جعله للموالي في الفيء نصيبا ، وضمت الكوفة في الإسلام
أعز بيوتات العرب وأشرفها في الجاهلية ، فأنفوا من مساواة المختار بين تابعيهم
وطبقة الموالي والعبيد ، وأشار عليهم شيث أن يلقاه ويكلمه في ذلك ، فلما أقيه أخذ
لا يذكر له خذلة إلا قال : " أرضيهم في هذه الخصلة ، وأتي كل شئ " أعجبوا
فذكر له الماليك فقال المختار : " أردت عليهم عبيدكم " ثم ذكر له إشراكه الموالي
في فيئهم وقال : " عمدت إلى مواليكم وهم في أفناء الله علينا ، وهذه البيوت
بمينا ، فاعتقنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترض لهم بذلك
حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا " فمرض عليه المختار أن يترك لهم مواليهم ويورد
عليهم فيئهم ، على أن يقاتلوا معه بني أمية وابن الزبير ، فقال له شيث : " ما أرى
سحق أخرج إلى أصحابي فإذا كرم ذلك " (٢) وقد كان معظم زعماء الكوفة على
رأيه ، واستغل شيث قضية إشراك الموالي في الفيء ، وتمرد الصبيد في الطائيف عليه ،
بعد أن عقد الحزم على قتاله ، وأضاف إلى ذلك أنه تأمر عليهم بخير رضا منهم ،
يغضه في دينه ، وقال لأشراف الكوفة : " ... إنه تأمر علينا بتغيير رعاينا ، وزعم
أن ابن الحنفية بعث إلينا ، وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل ، وأعلم مواليها
فيئنا ، وأخذ عبيدنا ، فحرب بهم يتامنا ، وأراملنا ، وأظهر هو وسبغته البراءة من
أسلافنا الصالحين " (٣) .

وقد كان ابن الزبير حذرا من أهل العراق وشك في صدق ولائهم ولم يجد
مربيا في مجاهرة زعمائهم بذلك ، فقد وفد عليه أخوه مصعب بن نوفل وأهل الحضر راق
بعد أن انتهى من أمر المختار ، وفيهم الأحنف بن قيس وأبو حاضرة الأسدي

(١) تاريخ الطبري : ٢٢ / ٦ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤٣ / ٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٤ / ٦ .

من زعماء تميم ، فذكر له مكانتهم وفغلهم في مبايعته وقتال عدوه ، وشأله أن يحاط بهم ، فلما دخلوا عليه تكلم أبو حاضراً الأسدي فأحسن القول ، وكان خطيباً جميلاً ، من تكلموا عند الخلفاء كما وصفه الجاحظ فرد عليه عبدالله بن الزبير بكلام أدهش فيه الضيق والريبة بهم فقال : " اسكت فوالله لو دلت أن لي بكل عشرة من أهل الحراق رجلاً من أهل الشام ، صرف الدينار بالدرهم ، فخشيت ما لهم ، ويئسوا مما عنده من الرقذ والحطأ ، فرد عليه أبو حاضراً ، ومثل له حالهم وشأله وقال أهل الشام تشيلاً راعياً ، ينم عن فطنته وخيبة أمله ، فقال له : " يا أمير المؤمنين ، إن لنا وإك مثلاً ، أفئذان في ذكره ؟ " قال : " نعم " قال : " مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام كقول الأعشى : -

عُلِّقَتْهَا عِزًّا وَعُلِّقَتْ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ (١)
أحبك أهل الحراق وأحببت أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبد الملك بن مروان " (٢)

- موقفهم من ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث :

ثار ابن الأشعث سنة ٨٠ هـ على الحجاج زمن عبد الملك ، وكان الحجاج قد أرسله لمحاربة رتبيل ملك الترك ، وخشي عبد الرحمن بن الوغول في أرض الترك ، وبعث إلى الحجاج بما أحرزه من النصر ، ولكن الحجاج أرسل إليه يتهدده بالعزل إن لم يواصل الوغول في أرض الترك ، ويبدو أن عبد الرحمن كان يبيت في نفسه الثورة على بني أمية فانتهاز الفرصة وقام بالناس يخبرهم أن الحجاج يريد أن يرميهم فسي المهالك ، وحشهم على عصيان أمره وخلعه ، فتسارع الخطباء إلى تأييده والدعوة لأمره ، وعلى رأس هؤلاء عبد المؤمن بن شبيب بن ربيعة ، وكان على شراكة الجيش ، فقام في الناس ، ودعاهم إلى خلع الحجاج ، وحذرهم من طاعته ، وخوفهم من التجير في الثغور ، ودعاهم إلى بيعة عبد الرحمن لقتاله ، وقال : " عباد الله ، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وممركم تجير فرعون البرنود ، فإنه يلفني أنه أول من جمر البصوت ، ولن تعانوا الأوبة فيما أرى أو يموت أكثركم ، بايعوا أميركم ، وانصرفوا إلى عدوكم ، فانفوه عن بلادكم " (٣) .

(١) ديوان الأعشى الكبير : ٦٥

(٢) البيان والتبيين : ٣٠٠ / ١ ، المعتمد : ٩٨ / ٢

الإمامة والسياسة : ٢٥٦ .

(٣) تاريخ الطبري : ٣٣٦ / ٦ .

أما الحجاج فقد كان حريصاً على ولاء من بقي معه من زعماء تميم له ولعبد الملك، وكان شديد الحذر منهم فلما عسكر بأجنادة بالزاوية في طرف بني تميم من البصرة، صعد المنبر يحرض الناس على قتال ابن الأشعث، فقام سلمة المنقري من بني تميم وكان رجلاً منطقياً وله هوى مع الخوارج، وكان الحجاج به غابراً، فإما رآه عرف أنه يريد الكلام فخصي أن يدعو الناس إلى ابن الأشعث وعصيانه، فدعاه وطلب منه أن يغلب بالناس، فیدعو إلى عبد الملك والرضا بالحجاج وإياها، ونفاز سلمة إلى ثورة ابن الأشعث من منظار العصبية فرأى أنها اتباع الميمنية فلمز ابن الأشعث وأعلن عن ولائه لعبد الملك بقوله: "والله لو كنا زملاً وبني زمع، مـرضينا أن نكون تبعا لهذا الحائك، أمير المؤمنين أعزه الله وأعز أمره أقـسـم رب وأوجب حقاً ونحن الزم لطاعة الأمير أكرمه الله من أن نسارع له في مصيبيته أو نباط عنه في طاعة" (١) .

وأما من كان يرى نصرة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث منهم، فقد كان ينظر إلى ثورته على أنها دعوة إلى الكتاب والسنة، وفي ذلك صلاح الأمة، ومن يأبى الإجابة إليهما وجب قتاله، فقد خرج قدامة بن الحر بن التميمي من جيش ابن الأشعث ووقف بين الصفيين حين التقيا بدير الجماجم، وقال لأهل الشام ومن معهم في جيش الحجاج: "يا معشر جرامقة أهل الشام، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله - على الله عليه وسلم - فإن أبيتم فليخرج إلي رجل" (٢) .

— خطاب الخوارج من خطباء تميم : —

— مبادئ دعوة الخوارج من خلال خطابتهم :

كان معظم خطباء الخوارج التميميون من رؤساء فرقهم، ونستطيع أن نستشف بعض مبادئ هذه الحركة من خلال خطبتهم، وقد تباينت آراؤهم بعد منحصرهم عن الحجاز حيث شاركوا ابن الزبير في الدفاع عن الكعبة سنة ٥٦٤هـ، ومن الأمور التي وقع فيها اختلافهم القعود عن الخروج للجهاد، وموقفهم من التقية، فقد رأى الأزارقة منهم تكفير القاعدین عن الجهاد، ولم يجيزوا التقية، وجر طيهم بهذا الموقف عننا كبيراً .

(١) تاريخ الطبري: ٦/٣٣٥، تاريخ ابن الأثير: ٤/٤٦٣ .

(٢) تاريخ الطبري: ٣/٣٦١ .

-١٧٢-

وعجل في إضمار حركتهم والقضاء عليهم ، وكان معظم رؤساء هذه الفرقة ممن
 تميم مثل الزبير بن الماحوز وأخوته عثمان ، وعلي ، وعبيد الله ، وعبد الله ، والزبير
 ابن علي السليطي وقطرى بن الفجاءة ، ولما أصيب الأزارقة يوم سلس ، وقتل
 قائدهم الزبير بن الماحوز بايموا الزبير بن علي السليطي ، فرأى فيمن بقي منهم
 انكسارا شديدا ، وضعفا بينا ، فانكر ذلك عليهم ، إذ أنهم لا يرون القعود عن الجهاد
 أو التقيّة مهما أصابهم ، فراح يلهب مشاعرهم ، ويحثهم على مواصلة الجهاد وسلوان
 ما أصابهم ، فإن البلاء لهم أجر واختبار وعلى أعدائهم عقوبة وعزى ، وما صار
 إليه اخوانهم الذين قتلوا خير من الدنيا ، وذكر لهم ما كانوا أصابوا من أعدائهم
 فقال :

" إن البلاء للمؤمنين تحمير وأجر ، وهو على الكافرين عقوبة وعزى وإن يصب منكم
 أمير المؤمنين ، فما صار إليه خير مما خلف ، وقد أصبتم فيهم مسلم بن عبيد الله ،
 وربيما الأجدم ، والحجاج بن باب ، وحارثة بن بدر ، وأشجيتهم الصليب ، وقتلتم أخسائه
 المماركة ، والله يقول لاخوانكم من المؤمنين : " أن يمسسكم قرح فقد من القوم قرح
 مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس " فيوم سيلى كان لكم بلاء وتميضا ، ويوم
 سولاف كان لهم عقوبة ونكالا ، فلا تخلجن على الشكر في حينه ، والصبر في وقتهم ،
 وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض ، والعاقبة للمتقين " (١) .

ويعتبر الأزارقة مخالفيهم من المسلمين كفارا كالمتردين ، لا يقبل منهم
 إلا الإسلام أو السيف ، ودارهم دار كفر يهجون استمراضهم حتى لو كانوا من
 قبيلتهم تميم وأقرب الناس إليهم ، فقد بعث عتاب ابن ورقاء وهو على أيدى
 إلي الزبير بن علي زعيم الأزارقة : " أنا ابن عمك ، ولست أراك تقصد في انصرافك
 من كل حرب غيري " فبعث إليه الزبير : - " إن أدنى الفاسقين وأبعدهم في الحق
 سواء " (٢) وكان باقى خطبائه تميم الخوارج في هذا العصر من زعماء الإباحية
 والخفوية ، وقد اتفقت هاتان الفرقتان في الرأي ويظهر من خطب زعماء هاتين
 الفرقتين أنهم لم يكفروا القاعدين عن الجهاد ، إلا أن الجهاد إذا أمكن
 غير من القعود ، وكان موقف الإباحية والخفوية أكثر مواقف الخوارج اعتدالا ، فلم
 يمدوا مخالفيهم مشركيين بل كفارا بالنعم ، لأنهم موحدون يقرون بالكتساب

(١) الكامل : ٣/٣٣٠ ، شرح نهج البلاغة : ١٥٦/٤ .

(٢) تاريخ الطبري : ٣/٣٣٩ .

والرسول ، وديارهم ديار توحيد ، ومناكمهم وموارثهم وإلّا قامة فيهم حل ، ولم يجيزوا استعراضهم ولا قتل أطفالهم أو نسائهم ولا أخذ أموالهم ، وقال عبد الله ابن رباح الصبي : " لا نقول فيمن خالفنا إنه مشرك ، لأنّ منهم التوعيد والإقرار بالكتاب والرسول ، وإنّا هم كفار للثّمة ، وموارثهم ومناكمهم وإلّا قامة منهم حل ، ودعوة الإسلام تجتمعهم " (١) ، وقد وردت هذه الخطبة في تاريخ الطبري " بشي " من الاختلاف فيعمل فيها ابن رباح دما مغالغتهم ويحرم أموالهم ويقول : " ... إن القوم كفار بالنعم والأحكام ، وهم برّاء من الشرك ، ولا تحصل لنا إلّا دماؤهم ، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام " (٢) .

" وقالت الصغرية بقول عبد الله بن رباح ، ورأت القمود حتى صارت ما متهمهم قعدا " (٣) إلّا أنهم لم يكن رأيهم القمود عن الجهاد والتقية مطابقة ، بل لا عدد أن أنفسهم وتحين الغرض للخروج والجهاد ، ومن ذلك رأي عروة بن أذينة ، وقد أخذ ابن زياد بعد خروج أخيه أبي بلال مرداس ، فأقيم بين يديه إيهامه ، فقال له ابن زياد : " لقد بهّرت أخاك ملي " فقال عروة : " والله لقد كنت به ضنيناً ، وكان لي عزاء ، ولقد أردت له ما أزيد لنفسي ، فعزم عزماً فمضى عليه ، وما أحبّ لنفسني إلّا المقام وترك الخروج " (٤) .

وأما أبو بلال مرداس فكان يرى وجوب الخروج على السلطان الغالب ، إلّا أنه لا يرى استعراض الناس أو استحلال أموالهم ونسائهم فلا يقاتلون إلّا من قاتلهم ولا يأخذون من المال إلّا نصيبهم من الفبي ، وقال لقوم مروا به ، وباصحابه بصيد خرجهم : " قابضوا من لقيمكم أنا لم نخرج لنفس في الأرض ، ولا نخرج أحداً ، ولكن هرباً من الظالم ، ولستنا نقاتل إلّا من يقاتلنا ، ولا نأخذ من الفبي إلّا أعطياتنا " (٥) . ولما استمرّ قريب بن مرة إلّا يادى وزخاف الطائي الناس في البصرة زمن زياد قال أبو بلال ينكر ذلك : " قريب لا تتربه الله ، وإيم الله لكن أقم من السماء إلى الأرض أحبّ إليّ من أن أصنع ما صنع " (٦) .

وتتكرر أفكاره هذه في غير خطبة له ، يؤكد فيها إنكاره لاستعراض الناس وتجريد السيف إلّا لمن قاتلهم .

(١) المقد : ٢٦١/١ .

(٢) تاريخ الطبري : ٥٦٧/٥ - ٥٦٨ .

(٣) المقد : ٢٦١/١ .

(٤) الكامل : ٢٦٠/٣ ، شرح نهج البلاغة : ١٠١/٥ - ١٠٢ .

(٥) الكامل : ٢٥١/٣ ، شرح نهج البلاغة : ٨٥/٥ .

(٦) تاريخ خليفة بن خياط : ٢١٠/١ ، تاريخ الطبري : ٢٢٨/٥ ، المقد : ٢٥٨/١ .

أما صالح بن مسرج فكان من أشهر زعماء الصُفْرية، ولم يجر استعراض مخالفته إلا بعد دعوتهم إلى مذهبه، حتى يكون ذلك أقطع لحجّتهم، ويرى بعد ذلك قتال من خالفه ولم يجب دعوته، كما أجاز أخذ أموالهم، فقد سأله شبيب ليلة خروجهم فقال: "يا أمير المؤمنين، كيف ترى السيرة في هؤلاء الظلمة؟ أنقتلهم قبل الدعاء، أم ندعوهم قبل القتال؟" .

وكان شبيب يرى قتل كل من لا يرى رأيهم، فقال له صالح: "لا بل ندعوهم فلعمري لا يجيبك إلا من يرى رأيك، وليقتلنك من يزري عليك، والدعاء أقطع لحجّتهم، وأبلغ في الحجّة عليهم" قال شبيب: "فكيف ترى فيمن قاتلنا غظفرننا به، ما تقول في دعائهم وأموالهم؟" فقال: "إن قتلنا وغنمنا فانا، وإن تجاوزنا وغفونا فموسع علينا ولنا" (١) .

— أهم المواقف التي اشتعلت عليها خطابتهم :

كان أغلب خطباء تميم الخوارج من فرسانهم أوقادتهم أو زعمائهم، ولم يكن لهم بدّ في سبيل تأييد دعوتهم من بيان الأسس التي يقوم عليها مذهبهم والبادئ التي يدعون إليها، والاحتجاج لها، أو الدفاع عنها، وكثيرا ما كانوا يجهدون لشرح مبادئهم وآرائهم بنبرة تاريخية يصورون بها حالة المسلمين منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى زمن بني أمية، و" نجدهم قد ربطوا بين سلوك الخليفة وعقيدته، وقادهم هذا بعدئذ إلى التعميم حين بحثوا في شروط صحة الإمامان، ولما ناز الخوارج بهذا المنظار إلى حكم الأئمة السابقين أثبتوا صحة خلافة أبي بكر وعمر، وعثمان في السنين الست الأولى من حكمهم، وتبرأوا منه في السنين الست الأخرى، وحكموا بكفره، وحكموا بصحة خلافة علي قبل التحكيم وكفروه بعد ذلك " (٢) .

وأما حكم بني أمية فقد وصفوه بالفساد والظلم وتعطيل حدود الله وجعلوا من ذلك مسوغا لخروجهم وثورتهم، وأصدّق مثال على هذا النهج في خطابتهم نجده في قصص صالح بن مسرج حيث قال: "... إلا إن من نعمة الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم، فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ووفقهم في دينهم، وكان بالمؤمنين رؤفا رحيمًا، حتى قبضه الله - صاوات الله عليه -

(١) تاريخ الطبري: ٢١٩/٦، شرح نهج البلاغة: ٢٢٧/٤

وانذار تاريخ ابن الأثير: ٣٩٤/٤ .

(٢) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ٩٤ .

ثم ولي الأمر من بعده التقي الحديق على الرضا من المسلمين ، فاقتدى بهديهم ، واستن بسنته ، حتى لحق بالله - رحمه الله - واستخلف عمر ، فوله الله أمر هذه الرعية ، فعمل بكتاب الله ، وأحيا سنة رسول الله ، ولم يحرق في الحق على جرسته ، ولم يخف في الله لومة لائم ، حتى لحق به - رحمة الله عليه - وولاه بني المسلمين من بعده عثمان ، فاستأثر بالفيء وعطل الحدود وجار في الحكم ، واستذل الحوٴ من ، وعزز المجرم ، فسار إليه المسلمون فقتلوه ، فبرئ الله منه رسوله وحياليس المومنين ، وولي أمر الناب من بعده علي بن أبي طالب ، فلم ينشب أن يحكم في أمر الله الرجال ، وشك في أهل الضلال ، وركن وأرهن ، فنعن من علي وأشياءه - بُراء ، فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتمردة ، وأعمه الضلال الظلمة ، والمخروج من دار الفناء إلى دار البقاء (١) ومن ذلك أيضا كلام السديزي لزياد حين طالبه وأنكر عليه تصوده عن المجيء إليه . ران بدأ كلامه بحمد الله والثناء عليه ثم على على رسوله ، ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير وتجاوز عن عثمان وعالي . ثم أقبل على زياد فقال له : " إنك قلت قولا فمردقه بفعلك وكان من قولك ، ومن قصد عثمان لم نهجه فمردت " (٢) .

وكانوا في معظم الأحيان يقرنون الدعوة إلى الخروج على بني أمية بذكر فساد الأمور في عهدهم والظلم والجور والاستئثار بالفيء ، وتمطيل أحكام الله وسنة نبيه ، واستحلال دماء المسلمين فهم إنما خرجوا غضبا لله وطالبا للعدل ، بحكمه ، وقال مالح بن مسرّح لأصحابه يدعوهم إلى الخروج والثورة :
 " ما أدري ما تتناورون ، حتى متى أنتم مقيمون ، وهذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد عفا ، ولا تزداد هذه الولاة على الناس إلا غلوا وعتوا ، وتباعدوا عن الحق ، وبعروا على الرب ، فاستعدوا وأبعثوا إلى راخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحق مثل الذي تريدون ، فبأتوكم فثلثي وننظر فيما نحن مانعون ، وفي أي وقت ران خرجنا نحن خارجون " (٣) وإذا رأى ابن مسرّح نبي الخروج ثورة على الظلم وقتلا لأهله كما فعل ، فقد رأى أبو بلال مرداس في الخروج من بني البزالة وانتباههم حفاظا على دينهم ، فكما عظم عليه الصبر على هذه الحال فقد عظم عليه تجريد السيف في وجوههم أيضا ، فلما رأى جد ابن زياد في طالسب الخوارج خشي أن يؤخذ هو وأصحابه ، وكان آنذاك مستترا ، فقال : لا يصحبهم

(١) تاريخ الطبري : ٢١٧/٦ .

(٢) الكامل : ٢٦٠/٣ .

(٣) تاريخ الطبري : ٢١٨/٦ .

شرح نهج البلاغة : ٢٢٦/٤

يدعوهم إلى الخروج : " إنه والله لا يسمنا الحقام بين هؤلاء الظالمين ، تجري علينا أحكامهم ، مجانبين للعدل ، مغارقين للفصل ، والله إن الصبر على هذا لعظيم وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ، ولكننا ننتهز عنهم ، ولا نبرر سيفاً ، ولا نقاتل إلا من قاتلنا " (١) .

ويلجأ بعض الخطباء منهم إلى إثارة عطف الناس على جماعته واستمالتهم إلى مذهبه ، وذلك بتصوير حياة الفواج وما يتحلون به من التقوى والزهد وشدة الصرع ، والزامهم لانفسهم بذلك مهما كانت الظروف ، فهم حتى لو نفسوا زانهم ، وفنك بهم الجوع وأحاط بهم اعداؤهم يقاتلونهم ، إلا أنهم يستصففون عن أخذ أموال من لم يقاتلهم ، وهذا أبو بلال مرداس ينفذ زان أصحابه فتمر بهم إحدى القوافل قاصدة غراسان ، وكان بمقدور جماعته نهبها ، إلا أنه يتقدم إلى أصحابها يسألهم الزهيد من الصدقة ويصف حالهم ، فتنهال عليه الأموال من الخوف على الأرجح ، فيقول للتجار : " قد رأيتم ما كان يؤولي ، ولعلنا لو عبرنا كان خير لنا ، وقد أعابتنا خصاصة ، فتصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين " فيأتيهم التجار بالبدر فيقول لهم : " لا ، إلا درهمين لكل رجل ، فلهلها لا نأكلها " .
عنى نقول (٢) ، وربما لجأ الخطيب إلى طريقة المحاورة والجدال في سبيل إقناع خصومه واستمالتهم إلى مذهبه ، صنيع أبي بلال مرداس أيضاً حين خرج إلى سلم بن زرعة لقتاله ، فصاح أبو بلال به قبل المعركة : " اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالاً ولا نمتحن فيك ، فما الذي تريد ؟ " . قال : " أريد أن أردكم إلى ابن زياد " قال مرداس : " إذا يقتلنا " .

قال : " وإن قتلتم ؟ " .
قال مرداس : " تشركه في دماقتنا " .
قال : " إني أدين الله بأنه محق وأنكم مبدلون " .
فصاح به عريث بن حجل : " أموصق وهو يطبع الفجرة ، وهو أهدم ويقتل بالظننة ويخص بالفي ، ويجهو في الحكم . . . (٣) ، ومن ذلك محاورته سبع عباد بن أخضر الطازني أيضاً (٤) .

(١) الكامل : ٢٤٦/٣ ، المعقد : ٢٥٤/١ ، ٣٩٨/٢ .

شرح نهج البلاغة : ٨٤/٥ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٥١/١ .

(٣) الكامل : ٢٥٢/٣ ، المعقد : ٢٥٥/١ ، شرح نهج البلاغة : ٨٦/٥ .

(٤) الكامل : ٢٥٣/٣ ، شرح نهج البلاغة : ٨٩/٥ .

ونرى في خطبهم الإلحاح على الزهد في الدنيا ومتاعها الزائل ، فاستخفوا بالموت ورهبوا بلقائه ، فزاهم يتمثلون الرحيل من دار الفناء إلى دار البقاء ، يسمعون إلى الموت سعياً ، فمنهم الذي عاين فأنفذه الرمح فحصل يسمي وإلى قاتله ويقول : " عجلت إليك رب لترضى " (١) . وقال أبو بلال مرداس لا محابيه حين بلغه مسير عباد بن الأحرار لقتالهم يحشهم على توطيئ أنفسهم للموت : " من كان منكم إنما خرج للدنيا فليذهب ، ومن كان منكم إنما أراد الآخرة وإلقاء ربه ، فقد سبق ذلك إليه ، وقرأ : " من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وماله في الآخرة من نصيب " (٢) فغزل ونزل أصحابه معه لم يفارقه ، إنسان فقتلوا من عند آخرهم .

وهذا الاستعذاب للموت وظلمه ، كثيراً ما كان يدفعهم إلى الظاهر الاستخفاف بأعدائهم والاستهانة بقوتهم ، فنرى في خطبهم الصراحة ، والدجاجة في مجاهدة بني أمية وولاتهم بالعداوة في غير مداورة ولا مداينة ، فوقفوا لهم في الصافل يحدون عليهم مثالهم ، ويأمنون عليهم في أعمالهم ، غير آبهين ببطشهم صنيح عروة بن أدية ببيد الله بن زياد ، فقد قام إليه وهو جالس ينتظر الغيل ، في رهان له ، وقد اجتمع الناس حوله فقال له : " خمس كن في الأم قبلنا ، فقد صرنا فينا : " أتبنون بكل ربيع آية تميشون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإن اهدأتم بباطشتم جبارين " (٣) وخلصتين آخرين لم يحفظهما الراوي .

وظلمه ابن زياد وأمر بقطع يديه ورجليه ، ثم سأله كيف يرى ما فعله به ، فقال : " أفسدت علي دنياي وأفسدت عليك آخرتك " (٤) فأمر به فصلب على باب داره ، فقال لأهله وهو مصلوب : " انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي ، فأحسنوا إليهم ، فإنهم أضيافكم " (٥) .

ونرى هذا التحدي من قوة إيمانهم فإن هؤلاء الباطنة لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً أو نفعاً ، فقد سأل الناس أحد الخوارج من بني سعد بعد خروجه من عند زياد عن أمره معه . فقال : " ما كلكم استطيع أن أخبره ، ولكنني دخلت على رجس

(١) الحشد : ٢٥٥/١ ، الكامل : ١٣٩/٢ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤٧١/٥ .

(٣) الكامل : ٢٦٠/٣ ، تاريخ الطبري : ٣١٢/٥ ، نهاية الأرب في فنون الأدب

: ٢٨٥/٢٠ ، سورة الشعراء : الآيات : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٤) الكامل : ٢٦٠/٣ ، تاريخ الطبري : ٣١٣/٥ .

(٥) الحشد : ٢٧١/١ .

لا يملك ضمرا ولا نفعا لنفسه، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فخرزق الله منه ما ترون " (١)

وكان زياد قد وصله بخطاب المستميلة .

وعند بعض خطباءهم إلى أسلوب الترهيب والتهديد لا يقع المهيبة والعرب في نفوس مخالفيهم وأعوان بني أمية ، فقد سمر غيلان بن خرشة الضبي في جماعة عند زياد ، فأنهى غيلان على الخوارج ، فلما انصرف إلى منزله لقيه أبو بلال مرداس في الطريق فقال له : " يا غيلان ، قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدينارهم ، ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم ، أحرص والله على الموت منك على الحياة ، فينفذ حضنك برحمه ؟ " فقال غيلان : " لن يهلكك أني ذكرتهم بعد الليلة " (٢) . ولجأوا إلى الترغيب والترهيب بطريقة أخرى دينية ، إذ كانوا يحذرون خصومهم من عذاب الله وغيظه ، ويرغبون الناس بثواب الله ووافر نعمه .

واستخدم خطباء الخوارج خطابتهم في الدعوة إلى الألفة وتهدئ النزاع فيما بينهم . حين كانت تنشعب بينهم الاختلافات ، ومن ذلك ما وقع بين الأزارقة زمن قاسم بن كرامان ، فقد قتل أحد رجاله ويدعى المقطر رجلا آخر منهم ، فوشب الخوارج إلى قطري وطلبوا منه أن يدفع إليهم المقطر ليقتلوه ، فرفض قطري ذلك ، وسمل فعله على أنه تأول فإخطأ ، وقال لهم : " ما أرى أن أفعل ، رجس تأول فإخطأ في التأويل ، ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوي الفضل ، منكم والسابقة فيكم " (٣) فلما زاد الخلاف بينهم وفشا النزاع قام فيهم يحذرهم من ذلك وهم أمام أعدائهم فقال : " أرى طول العهد قد غيركم ، وأنتم بصد عدوكم ، فاثقوا بالله ، وأقبلوا على شأنكم ، واستعدوا للقاء القوم " (٤) ، إلا أن الخلافات تسرع بينهم ، فخلعوا قطريا ، ودارت بينهم الحرب ، وكان ذلك مؤذنا بانتهاك ثورتهم ، مما سهل على الأمويين قمعها .

(١) الكامل : ٣ / ٢٦٠

(٢) المصدر نفسه : ٣ / ٢١٤

(٣) تاريخ الطبري : ٦ / ٣٠٣

(٤) الكامل : ٣ / ٣٩٢

وكان بعض خطبائه الخوارج منهم يمزجون السياسة بالوعظ في خطبهم ، وذلك لما تعلمه من صدق تدينهم ، وشدة تقواهم ، وقوة عقيدتهم ، فضلاً عن خطبهم الطويلة الخالصة للوعظ والهداية ، كخطبة طارق بن الفجاءة المأزنية المشهورة (١) . وقد وعظ صالح بن مسريح أصحابه ليلة دعاهم إلى الخروج فقال لهم : " إنكم إنما خرجتم غضباً لله ، حيث انتهكت محارمه وعصى في الأرض ، فسفكت الدماء بغير حلها ، وأخذت الأموال بغير حقها ، فلا تصيبوا على قوم أعمالاً ثم تحملوا بها ، فإن كل ما أنتم عاملون ، أنتم عنه مسوؤولون " (٢) .

موقفهم من ثورة الحارث بن سريج الصمعي :

كان الحارث بن سريج من المرجئة " وتخالف المرجئة الخوارج في تكفيرهم الخلفاء الثلاثة ، عثمان وعلياً ومعاوية وأنصارهم ، ذاهبين إلى القول بأن كسـل من آمن بواحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر ، وأن ذلك موكل لله وحده يوم القيامة ، مهما كانت الذنوب التي اعترفها والمبادئ السياسية التي يدّين بها ، فهم يرجعون الحكم على إخوانهم في الدين إلى الله وحده " (٣) . وقد بعض المحدثين حركة الحارث بن سريج من حركات الخوارج (٤) ومهما يكن أمر الحارث ، فأنه وأتباعه من المرجئة حاربوا الأمويين وولاهم ، ودعاهم إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا ، وذلك يعني خلع الخليفة الأموي ، فقال أنصاره بن سيار بعد أن عرض عليه نصر أن يوليّه ويخبره عليه مئة ألف دينار ، على أن لا يثور مرة أخرى بمسـدد موت يزيد بن الوليد ، فظاهر له كراهته للدنيا وملذاتها ، وأنه إنما يسأل الحمل بالكتاب والسنة وتولية أمور المسلمين أهل الفضل والخير ، وقال له : " إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه الملذات ، ولا من تزويج عقائل الحسب في شهي ، وإنما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل ، فإن فعلت ساعدتك على عدوك " (٥) . فالحارث وإن هادن نصر بن سيار إلا أنه بقي مصراً على عقيدته حتى بعد أن عاد من بلاد الترك إلى مرو ، حين حصل له نصر على الأمان سنة ١٢٧ هـ ، فطلقه الناس فرحين بصودته ، فقال له محمد بن الفضل بن عقبة الميسبي : " الحمد لله الذي أقر أعيننا بقدرتك وورثك إلى فئة الإسلام وإلى الجماعة " ، فرد عليه الحارث بقوله : " يا بني أما علمت أن الكثير

(١) البيان والتبيين : ١٢٦/٢ ، المقد : ١٤١/٤ ، عيون الأخبار : ٢٥٠/٢

(٢) تاريخ الطبري : ٢٢٠/٦ .

(٣) السيادة الصربية : ٦٥ .

(٤) محمد دروزة : تاريخ العرب في الإسلام : ٣٥٣ .

(٥) تاريخ الطبري : ٣١٠/٧ .

إذا كانوا على محبة الله كانوا قليلاً وأن القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيراً ، وما قرّرت عيني منذ خرجت إلى يومي هذا ، وما قرّة عيني إلا أن يطاع الله " وفي هذا إصرار من الحارث على مذهبه ، وإنكاره على المؤمنين عصيان الله في حكمهم وحكم ولاتهم .

وكان يتوجه من القدر من نصر لتمسكه بمذهبه ، فقال حين دخل مرو : " اللهم إني لم أنقص في شيء مما بيني وبينهم إلا الوفاء ، فإن أرادوا الخدر فانهروني عليهم " (١) . ولما عظم أمر الحارث زمن عاصم بن عبد الله الهلالي في بدايته ثمرة ، وطلب على معظم نواحي خراسان علم عاصم بمكاتبة أهل مرو له ، فهم بمصادرتها إلى أبر شهر فيكتب إلى الخليفة من هناك ليستد به أهل الشام ، فخشي زعماء تميم وغيرهم من أن يأخذ أهل الشام عطاءهم إن غداوه ، فقام إليه أحد زعماء تميم وهو خالد بن مريم أحد بني ثعلبة بن يربوع ، ووعده بالنصرة إن هو بذل المال ، وقال له : " والله لا نخليك والذهاب ، فبإرضائك عند أمير المؤمنين ، ونحن معك حتى نموت ، إن بذلت الأموال " ، فهذا الولاء للأمال وليس لبني أمية فأمر عليهم عاصم أن يعطوه ببعثهم بالطلاق والحقاق ، فقال له يزيد بن قران الرياحي : " إن لم أقاتل معك ما قاتلت فابنة الأبرد بن قرّة الرياحي طالق ثلاثاً - وكانت عنده - " (٢) .

موقفهم من الدعوة المباسية :

لقيت الدعوة المباسية قبولا من بعض خدباء تميم في خراسان ، ومن أبرز هؤلاء موسى بن كعب ولاهز بن قريظ ، وكانا فيمن أخذ أسد بن عبد الله والي خراسان سنة ١١٧ هـ من دعاة بني المباس ، وأخذ معهما جماعة من أهل اليمن وربيعة ، فأطلق سراح اليمانيين والربيعيين بدافع المصيبة ، وشكّل بهما ، فقال له لاهز ينكر عليه هذه المصيبة : " والله ما في هذا الحق أن تصنع بنا هذا وتترك اليمانيين والربيعيين " (٣) . ولكن لا جزأ نفسه عمل بهذه المصيبة حين ظهر أمر المباسيين وأرسله أبو مسلم في وفد من أعاجم الشيعة يدعونه من العراق إلى الكتاب والطاعة للرضا من آل البيت ، فخشي أن يقتل أبو مسلم من نصرا وهو زعيم مضري من قومه ، فأوما له بالهزيمة دون أن يشمر الآخرون حيث

(١) تاريخ الطبري : ٣٠٦/٧

(٢) المصدر نفسه : ٩٦/٧ .

(٣) المصدر نفسه : ١٠٨/٧ .

حيث قرأ الآية الكريمة : " إن الملا ياتعون بك ليقتلوك ، فأخرج عاني الك من الناصحين " (١) ففهمهم نمر وفر ليلاً ، فأخبر أبو مسلم بأمر الآية ، فضرب عنقه لاجل (٢) .

وكان من خطائهم القائد المشهور خازم بن خزيمة ، ولما أراد إظهار أمر بني الصيار والغروج بمرو الرود ، حاول أناس من قومه تعميم منعه ، فقام فيهم وأخبرهم أنه إن ظفر فمرو لهم لأنه منهم فقال : " إنما أنا رجل منكم ، أريد ترو لملي أن أغلب عليها ، فإن غارت فهي لكم ، وإن قتلت فقد كسفتكم أمرو " (٣) فكفوا عنه .

(١) سورة القصص ، آية : ٢٠

(٢) تاريخ الطبري : ٣٨٥ / ٢

(٣) المصدر نفسه : ٣٦٠ / ٢ .

ب - الاتباه الحربي لخطابة تميم في العصر الأموي :

كان لقبيلة تميم مساهمة واسمة وفعالة في أحداث هذا العصر، وبخاصة في الحراق وخراسان، مما شجعت قرائح الخطباء من زعمائهم وقادة الجيوش منهم، الذين شاركوا في الفتوح الخارجية والحروب الداخلية، فاستدعت هذه الأحداث خطابة حربية تحض على القتال، وتذكى الحماسة في نفوس المقاتلين، وتحملهم على الاستبسال في الجهاد، فاحتل خطباء الحرب منزلة خطيرة في هذه الأحداث، فقام بها قادة الجيوش، وزعماء الثائرين منهم، كما قام بها الخطباء والقصاص الذين حرصوا القادة على استصحابهم معهم في هذه الجيوش، وتذكر بمصر الروايات أن عتاب بن ورقاء التميمي أراد الاستعانة بالقصاص في استنهاض عزيمة رجاله، وإن كان حماسهم في قتاله لشبيب الخارجي، فنادى: "أيمن القصاص؟" فلم يجيبه أحد، فاسقط في يده وأيقن أنه لا محالة (١).

ومرر في أحداث هذا العصر عدد وأفر من خطباء تميم، معظمهم من القادة والفرسان.

ج - خطاب الفتوح والمغازي :

عمد خطباء تميم إلى ترغيب الجند في الجهاد، ابتغاء ثواب الله، وأو ظلبا للفتنة، فزبنوا لهم الشهادة وأثنوا على شجاعتهم وشدة بلائهم في الحروب، وهمونوا من شأن أعدائهم، وقد يضمن القائد منهم خطبته خطة المعركة، وتعليمات القتال، ليتقيد بها جنده، منيع المسيب بن بشر الرياحي حين سار لقتال الترك بقصر الباهلي، فخطب في جنده، وحشهم على الصبر، ورغبهم فيما يصير إليهم أهل الاحتساب والصبر من الشرف والفتنة في الدنيا، ثم شرح لهم خطبته في قتال العدو، وأعدر إليهم تعليماته القتالية فقال: "أكمسوا دوابكم وقودها، فإذا دنوتم من القوم فاركبوا، وشدوا شدة صابرة، وتبروا، ولا يمكن شعاركم يا محمد، ولا تتبعوا موليا، وعليكم بالدواب فاعقروها، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد عليهم منكم، والليل الصابر خير من الكثير الفشل، وليست بكم قلة، فإن سبعمئة سيف لا يضرب بها في عسكر، إلا أوهنوه وإن كثر أعلامه" (٢).

(١) تاريخ الطبري: ٢٦٤/٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٦٠٩/٦.

وقد يجد القائد نفسه في موقف حرج خطير، فيرى أن من الضرورة عليه أن يصارح جنده بحقيقة قوة عدوه ، كي يوطنوا أنفسهم للقائه ، فلا يأخذهم على غرة ، وحين يأمرهم بالتقدم نحو العدو فإنه يخاطبهم من أراء الصدق في جهاده ووطنه نفسه على الصبر ، فالقلة الصابرة خير من الكثير الفشل ، وقال المسيب بن بشر التميمي حين سار لقتال الترك بقصر الباهلي : "إنكم تقدمون على حلبة الترك ، حلبة خاقان وغيرهم ، والصوض إن صبرتم البينة ، والحقاب النار ، إن فررتم ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم " (١) .

ولما كان على القائد أن يكون ذا همة عالية ، وعزيمة صلبة لا تلين للاصحاب ، لما قد يحقق بهدسه من الأخطار المهلكة ، فقد وجب عليه أن يستخدم حيلهم وبراعته الخطابية للتأثير في جنده ، وشده عزيمتهم ليتمكن من إنقاذ جيشهم مما قد يوقعه بهم العدو ، ومن ذلك أن الترك قطعوا الماء عن جيش المسلمين الذي خرج لقتالهم في بئركند نواحي سمرقند ، فجهد المسلمون حتى أنهم لم يقدرُوا على قتال العدو من العطش ، واستغل الحارث بن سريج هذا الموقف ، ليحث الجند على الاستبسال في مناجزة العدو ولتئسهم من الفرار ، فقال : "أيها الناس ، القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجرا عند الله من الموت عطشا " (٢) . فطبت إليهم فرسان تميم وقيس ، حتى أزالوا الترك عن الماء .

وحين يكون القائد في حالة الدفاع ، ويحجز نصرا على عدوه فإنه يحرص على استغلال هذا النصر لإنقاذ المسلمين وأموالهم ، فذلك أولى من ملاحقة العدو والمالبغزيمة ، فربما باغت العدو قواته وهي منتشرة ، فيكتفي بتحقيق الهدف الذي خرج من أجله ، وقد قال المسيب بن بشر الرياحي لجنده حين هزم الترك عند قصر الباهلي : " لا تتبعوهم فإنهم لا يدرون من العسب أتبعتموهم أم لا ، وأقصدوا القصر ، ولا تحملوا شيئا من المتاع إلا المال ، ولا تحملوا من يقدر على المشي ، وقال " من حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا حسبة فأجره على الله ، ومن أبي فله أربعون درهما " (٣) وكانت نثارتة عاتبة فقد عسان الترك في إثرهم .

(١) تاريخ الطبري : ٦٠٨/٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٨/٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٦١٠/٦ .

وقد تكون الرابطة القبلية من الروابط القوية التي تربط الجند بقائدهم، فسنرى القائد يلجأ إليهم في الطلمات والمواقف الخطيرة، فينادي بهم كي لا يسلموه للأعداء، حتى لو تخلى عنه غيرهم، فيندفعون إليه ولو كان في ذلك هلاكهم، فحين هزم الترك جيش قتيبة بن مسلم في بخاري سنة ٩٠ هـ صاح في بني تميم، يا بني تميم إنكم أنتم بمنزلة الحطمية، فيوم كأيامكم أبي لكم الفداء " فأخذ وكيع بن أبي سؤد التميمي اللواء بيده وقال : " يا بني تميم أتسلمونني اليوم ؟ " قالوا : " لا يا أبا المطرف " وهذا الولاء من القبيلة لرئيسها يقابله ولا^٢ غير من الزعيم لها، فيحرص على أن يعينهم المبالك حتى لو دعاه ذلك إلى عصيان أمر القائد، فلما دفع وكيع الراية إلى هريم بن أبي طحمة المصاشمي، وكان على غيل تميم يومئذ وأمره أن يقتحم النهر بخيلهم، نذار إليه نظرة الجمل الصوول، وقسال : " أنا أقحم إلي هذا النهر، فإن انكشفت كان هلاكها، والله إنك لأسمع " فقال له وكيع غاضباً : " يا ابن اللخنا، إلا أراك ترد أُمري " وحذفه بصمود كان في يديه فصر هريم بالخيل وقال : " ما بعد هذا أشد من هذا " وهنا يعرض القائد على انتقاء الشجعان من قبيلته، فلما وصل رجال بني تميم النهر قال لهم وكيع، " من وآن منكم نفسه على الموت فليصبر ومن لا، فليثبت مكانه " (١) .

وأكثر الأمور مرارة في نفس القائد أن يخذله جنده ويفروا عنه في المعركة، فيؤثمهم ويصيرهم بالجن والفرار، وقال شعبة بن ظهير النهشلبي يوبخ سكان الصفد من العرب ويصيرهم بالجن حين ارتد أهل الصفد من الصجم، واعتذر إليه العرب بأنهم جهلوا عاملهم علياً بن حبيب العبدى وكان على الحرب فقال لهم : " ما أرى فيكم جريماً ولا أسمع فيكم أنة " (٢) .

٢ - مخطب الفتن والثورات :

شاركت تميم في معظم الأحداث الجارية في العراق وخراسان زمن الأمويين، سواء في إشمال الثورات والاشتراك في الفتن القبلية أو في القضاء على هذه الثورات، ففي حين شمر بعض أفراد هذه القبيلة بالتذمر من الأمويين شأن سائر القبائل لا حتكا رهم السلطة في عائلتهم دون غيرهم، واستأثروا بالأموال، وأكثر ما تمثلت هذه المعارضة منهم في حركة الخوارج، إذ كان عدد كبير من خطبائها وقادتها تميميين، وفي الوقت ذاته شمرت بعض الأسر التميمية^٣ ههـ هذه الحركات ستهدد مصالحها وامتيازاتها في الأمصار الجديدة، وبخاصة تلك

(١) تاريخ الطبري : ٤٤٣/٦ - ٤٤٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٠٦/٦ .

التي حظوا بها في عهد الأمويين ، فهبوا ببذلون قصارى جهدهم مع الأمويين لقمع هذه الثورات ، ليحفظوا بذلك عند الأمويين ، ويحافظوا على شرايتهم ومكانتهم الاجتماعية ، فلا غرابة أن نجد قادة الجيش الأموي يقاتلون الخوارج وقادتهم من تميم أيضا فقد قاتل عتاب بن ورقاء الزبير بن علي السليطي ، (١) وقتل عباد بن الأضر المازني أبا بلال مرداس (٢) وغيرهم .

وكان بعض زعماء تميم على أتم الاستعداد لقمع أي تمرد يقع في قبيلتهم على الأمويين تضامنا مع السلطان ، وحين بلغ المفيرة بن شعبة أن الخوارج خارجة عليه في الكوفة أيام ولايته ، قام إليه معقل بن قيس الرياحي وقال : " أيها الأمير هل سمي لك أحد من هؤلاء القوم ؟ فإن كانوا سُموا لك فاعلمنا من هم ؟ فإن كانوا منا كفيناكهم ، وإن كانوا من غيرنا أمرت أهل الجماعة من أهل مصرنا ، فأنتك كل قبيلة بسفهاءها " فقال : " ما سمي لي أحد منهم ، ولكن قد قيل لي : إن جماعة يريدون أن يخرجوا بالمصر " فقال له معقل : " أهلك الله فاني أسير في قومي ، وأكفيك ما هم فيه ، فليكفك كل امرئ من الرؤساء قومه " (٣) ومع اعتقاد الخطيب التميمي أن الخوارج عصاة منشقون عن الجماعة إلا أنه يبدو بوضوح العرج في قتالهم وسفك دماءهم لحرمة دم الصالح ، فيعصر على دعوتهم إلى الدخول في الجماعة والتوبة قبل قتالهم ، حتى لو أيقنوا أنهم لن يستجيبوا فذلك أعذر له ، وقال معقل بن قيس حين أمره المفيرة لقتال المستورد وجماعته وأوصاه بدعوتهم إلى الجماعة قبل حربهم : " سندعوهم ونعذر ، وإيم الله ما أرى أن يقبلوا ، وإن لم يقبلوا الحق لا نقبل منهم " الباطل (٤) .

وقد يبدو الخطيب في نفسه الكراهة لقتال هؤلاء المسلمين الناصريين ففي وقعة كربلاء بلغ شهاب بن ربيعة أن شمر بن ذي الجوشن يصيح بحمى فسطاط الحسين وأهله حين اشتد القتال بينهم فقال له يوبخه : " ما رأيت مثالا أسوأ من قولك ، ولا موقفا أقيح من موقفك ، امرعها للنساء " (٥) فاستمعها منه .

(١) تاريخ الطبري : ٣٣٩/٣ .

(٢) الكامل : ٢٥٢/٣ .

(٣) تاريخ الطبري : ١٨٤/٥ - ١٨٥ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩٠/٥ .

(٥) المصدر نفسه : ٤٣٨/٥ .

ونجد خطباء كل فرقة يحضون جماعتهم على قتال الأخرى ، مدعين أنهم إنما يجاهدون المراق الضلال ، فإله معهم ، وإن مصير من يقتل منهم الجنة ، وقال محقل بن قيس لجنده حين خرج لقتال المستورد : " إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم إرادة أن تتمجلوا في آثارهم " (١) وقد يغشى القائد على جنده من الهبات والفرة فيدعوهم إلى الاعتزام واليقظة صنيع محقل بن قيس فقد قام في جنده وحذرهم الهبات من الخوارج ثم قال : " أيها الناس ، لو أتوكم فهدوا ليضربكم فقاتلوهم فلا تبرحوا أنتم مكانكم أبداً حتى يأتكم أمري ، وليخن كل رجل منكم الوجه الذي هو فيه ، حتى نصبح ففرى رأينا " (٢) .

وكان الخوارج من أبرع الثائرين على الأمويين في العرب وأشدهم لاستهتارهم بالموت ، وحين بلغ الخوارج مشاورة مصعب بن الزبير الناس في قتالهم قام قطري ابن الفجاءة فيهم وأخذ يقيم لهم قادة خصومهم ، ويذكر طريقة كل واحد منهم في القتال حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، فقال : " إن جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاته ، يطلع في أول المقنب ، ولا يذا فريكير ، وإن جاءكم عمر بن عبيد الله فإرس ، يقدم فاما له وإما عليه ، وإن جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تنأجزوه " (٣) .

وقد ينجح الخطيب إلى التمني والتفريح والإنذار والوعيد ، إذا أنس من رجاله التراخي في قراع الأعداء ، والأميل إلى المجزؤ والاستسلام ، ويجمع إلى ذلك استحثاثهم بذكر شجاعتهم وحسن بلائهم في المواقع السابقة ، وكثرة عددهم ، صنيع عتاب بن ورقاء الرياحي حين طال حصار الخوارج له بقيادة الزبير بن علي السليطي فقال لأصحابه : " ما تنتظرون ، وإنكم والله ما توءتون من قلة ، وإنكم لفرسان عشاركم ، ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتهم منهم ، وما بقي مع هذا الحصار إلا أن تغنى لخائركم ، فيموت أحدكم فيدفعه أخوه ، ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفعه ، فقاتلوا القوم وبكم قوة ، من قبل أن يصف أحدكم عن أن يمضي إلى قرنه " فلما أصبح نصب لواء لجارية له يقال له ياسمين ، وقال : " من أراد البقاء فليحرق بلواء ياسمين ، ومن أراد الجهاد فليحرق بلوائي " (٤) .

(١) تاريخ الطبري : ١٩٤/٥

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٠/٥

(٣) الكامل : ٣٤١ ، ٣٣٥/٣

(٤) الكامل : ٣٤٣/٣ ، المقصد : ٢٥٦/١

تاريخ الطبري : ١٢٦/٦

وقد يلجأ الخطيب إلى تغييس من معه من الجند من الفرار أو النجاسة
بالاستسلام، ويخبرهم بين مناجرة عدوهم والموت كراماً مع إمكان أن ينجو بعضهم
إذا صدقوا في حربهم وبين الذل والمهانة والموت جميعهم إن استسلموا لعدوهم.
ومن ذلك أن عبد الله بن خازم حاصر جماعة من فرسان تميم في قصر فرتنا بخراسان،
وكان عليهم زهير بن زؤيب المدوي، وأبى ابن خازم أن يغلي عنهم حتى ينزلوا
على حكمه فقبل معظمهم ذلك، فقال لهم زهير بن زؤيب: "ثقلتكم أمهاتكم"،
والله ليقتلنكم عن آخركم، فان طبعتم بالموت أنفساً فموتوا كراماً، اخرجوا بنا جميعاً،
فإما أن تموتوا جميعاً وإما أن ينجو بعضكم وبهالك بعضكم، وأيم الله لئن شددتم
عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم عن مثل طريق المريد، فان شعثم كنت أماكم وإن شعثم
كنت خلفكم" (١) فخذلوه واستسلموا لابن خازم فقتلهم جميعاً.

وحين يرى الخطيب أن لا جدوى من استنهاض الهمم، وأن البعد قد
غذلوا قائدهم وغروا عنه، فإنه يسلك طريقاً آخر في كلامه يحاول منه الدخول إلى
نفوسهم، ويبحث السمية فيها من جديد، فيذكرهم بما ينتظرون من الحار والمغزي كما
فعل مسكين بن عامر التميمي حين فر الناس عن معقل بن قيس الرياحي لما
شدت عليه الخوارج بقيادة المستورد فقال للناس: "يا أهل الإسلام، أين الفرار،
وقد نزل أميركم، ألا تستحيون، إن الفرار مخزاة وعار ولؤم" (٢).

وخير عون للقائد في مثل هذه المواقف الشديدة من الفتن الداخلية
هم رجال قبيلته، فإنهم قلما يسلمونه للأعداء وإن خذله رجال القبائل الأخرى،
وتصبح الرابطة القبلية متينة جداً بين أفراد القبيلة في هذه الفتن لما تشيره
من المصيبات، وهذا عتاب بن ورقاء الرياحي يتلطف على خمسمائة فارس من
قبيلته بكل الجيش الجرار الذي كان معه حين حمل عليه الخوارج بقيادة شبيب،
فيقول لزُهرة بن حويّة التميمي، وكان بصحبته: "يا زُهرة بن حويّة، هذا
يوم كثر فيه العدد، وقتل فيه الغناء، والهفي على خمسمائة فارس من نحس
رجال تميم صبي من جميع الناحية إلا ما بر لعدوه، ألا مؤأس بنفسه" (٣).

(١) تاريخ الطبري: ٨٠/٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٧/٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦٥/٦.

وهذه الرابطة كانت تجعل من هذا الزعيم أشد الناس إلفاً على قبيـلته ، فيحرص كل الحرص على أن يجتنبها المهالك ، ففي يوم سُولَاف كانت تميم أشد الناس مصاباً في جيش المهلب ، فلما حاول المهلب معاودة قتال الخوارج الذين كان قائدهم وأشد رجالهم من تميم أيضاً ، هشي العريش بن هـلال التميمي على رجال قبيلته من الهلاك ، فقام إلى المهلب وقال له : " أنشدك الله أيها الأمير أن تقا تلهم إلا أن يقا تلوك ، فإن بالقوم جراحاً وقد أشغلتهم هذه الجولة " (١) .

- القصص الحربي :-

- القصص هم فئة من العواظ كانوا يتولون تفسير آيات القرآن مستعينين بـ قصص مستمدة من مصادر رشتى ويقصد بها إلى الوعظ من طريق الترهيب والترغيب (٢) .
- وكثر عدد القصص في العصر الأموي وزادت أهميتهم ، إذ اتخذت منهم القوى المتصارعة والأحزاب السياسية وسيلة للدعاية لها ، ثم استُعين بهم وراء القصاص في الحروب لتحريض القوم على القتال ، ويبدو أن الاعتماد على القصص في الحروب أصبح شيئاً مألوفاً في عصر بني أمية ، فاستخدمهم الأمويون وغيرهم في الحروب الداخلية ، ويختلف القصص عن الخطب الحربية الخالصة بأنه أكثر اتكافاً على المعاني الدينية والآيات القرآنية والآحادِيث النبوية ، وبامتزاجه بالوعظ والتهديد في الدنيا وبأن عنصر الترغيب فيه معنوي ، فيرغب القاص القوم في نيل ثواب الله ودخول جنته ، ومزجوا فيها بين الوعظ والحض على القتال والترغيب في الجهاد ، وكان القصص يحرمون على الاستشهاد بآيات من القرآن تؤذي الخرفى المقصود من إثارة حماسة المقاتلين وترغيبهم في القتال والاستشهاد في سبيل الله (٣) .
- وحرص قادة الجيوش وزعماء الثائرين على اصطحاب عدد من القصص في كل موقعة يخوضونها ، وما كان يفنيهم عنهم وفرة الرجال والسلاح ، وكان بعض قادة الجيوش من تميم يقوم هو نفسه بمهمة القاص إذا لم يجد ، روى الطبري أن عتاب بن ورقاء التميمي لما أراد قتال شبيب الخارجي جعل يسير بين الصفوف فيحث الجند على تقوى الله ، ويأمرهم بالصبر ، ويقص عليهم قصصاً كشـيراً

(١) الكامل : ٣١٩/٣ .

(٢) الخطابة الحربية في عصرها الذهبي : ٩١ .

(٣) المرجع نفسه : ١٩٠ .

منه قوله : " يا أهل الإسلام ، إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ، فمن حمّد الله فعله فما أعظم درجته وليس الله لأحد أمّقت منه لأهل البغي ، ألا ترون أن عدوكم هذا يستعير من المسلمين بسيفه ، لا يرون إلا أن ذلك لهم ثربة عند الله ، فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار " (١) .

واستخدم زعماء النصارى القصص المنشور مبادئهم السياسية وحشّ أتباعهم على مجاهدة المؤمنين ، ونعتهم بالضلال والمحلّين ، وكانوا يهيمون القصص براهينهم على صدق دعواهم ، وبطلان دعوى خصومهم ، مستعينين بالآيات القرآنية ، يروى أن صالح بن مسروق أحد رؤوس الصّفرية كان يفتّ أصحابه ، ويقصّ عليهم ، وممن قصصه خطبة له في أوله بدأها بالوعظ والتّزويد في الدنيا كما تمّ عرض فيها الذّكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء من بعده ، على طريقة الخوارج ، فاشنى على أبي بكر وعمر ونال من عثمان وعلي ، ثم رعى بني أمية بالجهور والخلال ، ويقول في آخرها داعياً أصحابه إلى الخروج على بني أمية : " . . . فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحرّبة به ، وأئمة الضلال الظلمة ، والخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ، واللاحق باخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله في العاقبة ، ولا تجزعوا من القتل في الله ، فإن القتل أيسر من الموت ، والموت نازل بكم ، غير ما ترجم الظنون ، فمفرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم ، وحلائلكم ودنياكم ، وإن اشتدّ لذلك كرهكم وجزعكم ، ألافهموا الله أنفسكم طامعين وأموالكم ، تدخلوا الجنة آمنين ، وتمانقوا المحور العين ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين . . . " (٢) .

(١) تاريخ الطبري : ٢٦٤/٦ .

(٢) تاريخ الطبري : ٢١٦/٦ - ٢١٧ .

كان هذا الضرب من الخطب الحربية يصدر عن ذوي الخبرة في الحرب، وغالباً ما كان الخطيب يمرض لطريقة القتال وخطط الحرب، أو الإشارة على الولاة بالقائد المناسب لحدوميين، فقد قال الأحنف حين هرع إليه أهل البصرة يستشيرونه في أمر الأزارقة بعد أن توفي يزيد بن معاوية : " إن فعلهم في مصركم إن ظفروا به كفعلهم في سوادكم، فجدوا في جهاد عدوكم " (١) .

ولما علم المنيرة بن شعبة أن الخوارج خارجة عليه في الكوفة زمن ولايته، هار فحين يرسل إليهم، فجمع إليه رؤساء الناس، واستشارهم في الأمر، فقام إليه معقل بن قيس زعيم تميم الكوفة آنذاك وأشار عليه أن يرسل إليهم، ويسرر ذلك بقوله : " إنك لا تهتد إليهم أحداً ممن ترى، عواك من أشراف المصر إلا وجدته سامماً مطيحاً، ولهم مفارقاً ولهلاكهم ممحياً، ولا أرى أصلاً أن تهتد إليهم أحداً من الناس أعدى لهم ولا أشد عليهم مني، فابحثني إليهم فإني أكفيكم بأن الله " (٢) .

وقد لا يسمى الخطيب للموالي أحداً بعينه، ويكتفي بذكر صفات القائد المناسب، ويشير عليه بطريقة أخرى بإرسال البعث إلى العدو، فقتل استشار الحجاج الناس حين استقصى عليه أمر شبيب الخارجي، فقام إليه زهرة ابن حوثة التميمي أحد أبطال القادسية المشهورين، فقال له : " أصلح الله الأمير، إنك إنما تهتد إليهم الناس متقطعين، فاستغفر الناس إليهم كافة فلينفروا إليهم كافة، وابعث عليهم رجلاً ثباتاً شجاعاً مجرباً للحرب ممن يدرك الفرار هضماً وعاراً، والصبر مجداً وكرماً " (٣) .

فمرض الحجاج عليه ذلك، فاعتذر زهرة إليه عن ذلك لكبر سنه، فقد كان شديداً كبيراً لا يستتم قائماً حتى يؤخذ بيده، ولكنه عرض على الحجاج أن يذهب مع من يختار مستشاراً ففعل .

وفي بعض المواضع الخطيرة كان الخطيب يحاول أن يتجرد من أهوائه الخاصة وعصبية القلبية، فيؤدي وصيته أو مشورته إلى صاحب الشأن بنزاهة حتى لو أغضبه، صنع عزمهم بن عبد الله بن قيس المدوني التميمي حين دخل على خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد والي عبد الملك على البصرة

(١) الكامل : ٢٩٣/٣ .

(٢) تاريخ الطبري : ١٨٨/٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٥٨/٦ .

سنة ٧١ هـ وكان من بني أمية ، فأشار عليه أن يرسل إلى الأزارقة المهلب بن أبي صفرة ، وألا يخاطر بإرسال أخيه عبدالعزيز ، فقال له : " أصلح الله الأمير ، إن هذا الذي من تميم تنط بقريش منهم رحم الله مائة ، وإن الأزارقة ذؤبان العرب وسباعها ، وليس صاحبهم إلا المياكر المناكر ، المحترَّب المجترَّب ، الذي أرضعته الحرب بلهائها وجربسته ، وذلك أخو الأزد المهلب بن أبي صفرة ، والله إن غثك أحب إلينا من سمينه ، ولكني أخاف عدوات الدهر ، وفدرة ، وليس المجترَّب كمن لا يعلم ، ولا الناصح المشفق كالخاشع المتهم " فغضب خالد وقال له : " اسكت ما أنت وذا ؟ " (١) فوقع ما حذر عنهم ، وهزمت الأزارقة عبدالعزيز بن عبدالله وأخذوا امرأته بعد أن فر عنها .

جباالاتجاه الاجتماعي لخطابة تميم في العصر الأموي :

ومن أبرز مواقف هذا الاتجاه :
خطب التمزية والتأيين :

كانت هذه الخطب تلقى حين يُرزا التوم بفقد رجل من ذوي المكانة والجاه ، أو أحد المقربين إلى الخلفاء ، ويتجه الخطيب بخطبة التأيين إلى الميت ، يمدد مناته ويصور ما خلفه فتده من المفاجعة والحسرة في القلوب ، ثم يدعو له بالمغفرة والثواب من الله وأن يدخله الجنة ، ومن خطبهم الشهيرة في التأيين خطبة عافية بنت هشام المنقرية في تأيين الأحنف بن قيس وقد وثقت على قبره فوق راحلة لها وقالت :-

(" لله درك من مُجَنٍّ في جُحَنٍّ ، ومدرج في كَفَنٍّ ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، نسأل الله الذي فجعنا بموتك ، وأبتلانا بفقدك ، أن يوسع لك في قبرك ، وأن يغفر لسك يوم حشرك ") ثم أتبلت بوجهها على الناس وقالت تمدد سجاياه :

" . . . لقد عشت حميدا ، وميت فقيدا ، ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم ، رفيع الصناد ، وأري الزناد ، منيع الحريم سليم الأديم وإن كنت لمسوداء ، وإلى الخلفاء لموفدا ، وإن كانوا لقولك لمستمعين ، ولرايك لمتهمين " (١) . ومن ذلك أيضا قول خالد بن صفوان حين علم بموت صديق له : " رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ المين جمالا ، والأذن بيانا ، ولقد كان يُرجى ولا يُخشى ، ويُشقى ولا يُخشي ، ويحلي ولا يحطى ، قليلا لدى الشر حضوره ، سليما لدى ديق ضميره " (٢)

وأما في خطب التمزية فإن الخطيب يتجه إلى ذوي الفقد فيمزيمهم عن فقده ، ويدعوهم إلى التذرع بالصبر والتجلد للمصاب ، ثم يوبئ الفقد ويدعوله ، وإذا كان الفقيد أحد الخلفاء فإن الخطيب يمرض على الجمع بين التمزيق بفقد الراجل وتهنئة الخلق بصيرورة الخلافة إليه ، دخل خالد بن صفوان على عمر ابن عبد العزيز فمزاه بسلفه وهناه بالخلافة فقال له : " الحمد لله الذي من على الخلق بك ، والحمد لله الذي جعل نهوتكم رحمة ، وخلافتكم عسمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قدوة " (٣) .

(١) البيان والتبيين ٢/٣٠٢ ، ذيل الأمالي : ٢٧ .

(٢) البيان والتبيين : ١٢/٤ .

(٣) زهر الآداب : ١٠٠٨ .

وطرق الخطباء في هذا اللون من الخطب مواقف أخرى غير الوفاة ، فدخلوا على الولاة بعد النوازل وهزائم الحروب ، يمزونهم بالخذلان ويهينونهم بالسلامة صنع عبد الله بن الأهم حين هزم أبو قديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد في البحرين ، فلم يدر الناس كيف يدخلون عليه ، فدخل عليه وقال : -
 " مرعبا بالمأبر المخدول ، الحمد لله الذي نظر لنا عليك ، وأم ينظر لسك علينا ، فقد تعرضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجتنا لإسلام إليك فابتاك له بخذلان من كان معك لك " (١) فصدر الناس عن كلامه ، ويلاحظ أن العاطفة في خطاب التأبين أمدق منها في خطاب التهنئة وذلك لأن الخطيب أكثر تعلقا بالفقيد ، كأن يكون من أقرباءه أو أحد أعدائه فتأتي خطبته صدى لنفسه المطاعة المفجوعة ، وتقع المبالغة والصنعة في خطاب التهنئة إرضاء للخاطب وإظهارا لبلاغة الخطيب .

- خطاب الإهلاك (النكاح) :-

هذه الخطب كانت تلقى في مراسم عقد الزواج ، وقد جرى الحرف على هذه الخطب منذ الجاهلية ، واستمرت في العصر الإسلامي ، إلا أنها أخذت طابعا إسلاميا يفاير طابعها الجاهلي ، وكان من سننها أن يطيل الخاطب ويقصر المجيب (٢) ، إلا أن بعض البلغاء من خطباء تميم الذين بلغوا من الفصاحة شأوا عظيما ، كانوا يؤثرون الإيجاز في خطبة النكاح ، صنع شبيب بن شيبه لما زوج ابنه ابنة سوار القاضي ، وقد توقع الناس أن يعجب عيابه ، فاما المجتمعوا تكلم فقال : " الحمد لله ، وصلى الله على رسوله ، أما بعد ، فان المصرفة منا ومنكم ، بنا وبكم تمنعنا من الإكثار ، وإن فلانا ذكر فلانة " (٣) .

وكان المتكلم في حفل الزواج أحد أشرف القوم أو ولي الخاطب ، وقد يتكلم الخاطب نفسه إلى المرأة نفسها ، وهذا يشير إلى ما حظيت به المرأة العربية في أواخر العصر الأموي من الحرية في اختيار زوجها ، حتى أنها تخطب إلى نفسها ، فيصف الخاطب نفسه وما له من رفعة الحسب ووفرة المال ، وما عليه من الخلق فقد خطب خالد بن صفوان امرأة فقال لها : " أنا خالد بن صفوان ، والحسب على ما قد علمته ، وكثرة المال على ما قد بلفك ، وفي بحال سألينها لك فتقدمين

(١) عيون الأخبار : ١/١٩٧ ، زهر الآداب : ١/٣٤٤ .

(٢) البيان والتبيين : ١/١١٦ .

(٣) عيون الأخبار : ٤/٧٤ .

عليّ أو تدعين» قالتوا هي ؟ قال : «إن السرة إذا دنت مني أطعتني ، وإذا تباعدت عني أعلتني ، ولا سبيل إلى درهمي وديناري ، وتأثني عليّ ساعة من اللال لو أن رأسي في يدي نبذته » فقالت : « قد فهمنا مقالتك ورجعنا ما ذكرت ، وفيك بحمد الله خصال لا نرضاها للبنات ابليس ، فانصرف رحمك الله » (١) ، وقد أثرت النقلة الحضارية لهذه القبيلة من البداوة إلى الاستقرار في السواضر الجديدة كالكوفة والبصرة في طريقة اختيار المرأة أو الرجل ، فقد امتزجت القبائل إلى حد ما في الأمصار الجديدة ، وتماهت فيما بينها ، فلهذا الخطاب في بعض الأحيان وإلى وسيط ، كان رجلاً أم امرأة ، فيذكر له أوصاف المرأة التي يريد لها ليبحث له عنها ويهد به إليها مقابل أجر معين ، ومن ذلك أن خالد بن صفوان قال لدلال يدل على النساء : « اطلب لي بكراً كتيباً ، أو شياً كهكر ، لا خرعاً صغيرة ، ولا عجوزاً كبيرة ، قد عاشت في نعمة ، وأدركتها حاجة ، فخلق النخصة معها وذل الحاجة فيها ، حسبي من جمالها أن تكون ضخمة من بعيد طليحة من قريب ، وحسبي من حسنها أن تكون واسطة في قومها ، ترضى مني بالسنة ، إن عشت أكرمتها وإن مت ورثتها » (٢) .

وجاء الموالى السير على هذا الصنف تقليداً للحرب وحرصوا على أن يكون الخطيب من الحرب ، إلا أن الخطيب العربي كان يألف من أن يخطب في زواج المولى ، ويروى أن خالد بن صفوان زوج مولى له من أمته ، فقال له المولى : « أفادخل الحي حتى يحضروا الخطبة ؟ » قال : « أدخلهم » ، فلما دخلوا ابتداء خالد بن صفوان فقال : « أما بعد ، فإن الله أجل وأعز من أن يذكر في نكاح هذين الكلبيين ، وقد زوجت هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة » (٣) .

ولا يخفى ما في كلام خالد بن صفوان من التحقير للموالي وإزديادهم ، وكان خطبة النكاح لا تكون إلا للحرب لما تعنيه عندهم من رفعة المكانة وإظهار المفاخر .

وكان الخطباء يستهلون خطب النكاح بحمد الله وتسميته والتمسك على النبي ، وينقص من شأنها خلوها من ذلك ، وقد روى الجاهظ أن الفضل بن عيسى الرقاشي خطب امرأة من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ من خطبته قام أعراسهم منهم فقال بجيبه : « توسلت بحرمة ، وأدليت بخلق ، واستندت إلى خير ، ودعوت

(١) عيون الأخبار : ١٤/٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٥/٤ ، العقد : ١٠٧/٦ .

(٣) البيان والتبيين : ٢٥٠/٢ ، العقد : ١٥١/٤ .

إلى سنة ، فمرضك مقبول ، وما سألت منذ ول ، وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى " فقال الفضل : " لو كان الأعرابي حمد الله في أول كتابه وصلّى على نبيه - صلى الله عليه وسلم - لفضحني يومئذ " (١) . وهذه الخطبة نموذج لخطب إجابة الخطيب أيضا .

— المصيبة القبلية :

حاربت التعاليم الإسلامية المصيبة القبلية ، فخدمت بن وثنها في صدر الإسلام ، ثم عادت إلى الظهور في العصر الأموي ، ولكنها ظهرت بوجهين سياسي واجتماعي .

ويلاحظ أن الصراع بين تميم وغيرهما من القبائل في موطنها الجديد زمن الأمويين يشتد أواره ويتسع عندما تضعف سلطة الدولة أو ولايتها ، فتقوم هذه القبيلة لتمثل مفر مقابل حلف الأزد وربيعة في البصرة وخراسان ، وذلك لتحمي مصالحها الاقتصادية ، ولتحافظ على مركزها السياسي في تلك الأقطار ، وكانت تميم وربيعة أكبر كتلتين في البصرة ، فلما جاءت الأزد في أواخر عهد معاوية خشي التميميون أن يجدوا حلفاء مع ربيعة فيتمفقوا عليهم ، فجاءوا الأحنف وطلبوا منه أن يبادر إلى محالفة الأزد قبل أن تسبقهم ربيعة إلى ذلك ، فقال لهم الأحنف : " إن أتوكم فاقبلوهم ولا تأتوهم ، فإنكم إن اتبتموهم صرتم لهم اتباعا " (١) فحالفهم ربيعة .

وقد تضيق المصيبة داخل القبيلة نفسها ، فيتمصب فرع منها على فرع آخر ، إلا أنهم لا يسلمون بعضهم إلى خصم خارجي ، فقد حاول قتيبة بن مسلم أن يستغل الخصومة والشحناء بين بني حنظلة بن مالك وبني سعد بن زيد مناة أكبر فروع تميم ، وقتل بخصومه من آل الأهم السعديين ، وقتل بعض سراة تميم ظنا منه أنه سيحظى بتأييد بني حنظلة ، إلا أن زعيم حنظلة وكيع بن أبي سؤد أتذاك ما أن سمع بذلك حتى ثارت ثائرتة ، وهاجى نداء المصيبة القبلية في نفسه للأخذ بالثأر على الدين ، فلم يصل يومها الظهر ولا العصر ولا المغرب ، فلما دعي إلى الصلاة قال : " ما أصنع بالصلاة وقد قتل من بني الأهم من قتل لا يخضب لهم أحد لا من في الأرض ولا من في السماء " . (٣) .

(١) البيان والتبيين : ٧٣/٤ .

(٢) النقائض : ٧٣٠/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٥١/١ .

المفاخرات :

خلف لنا خطباء تميم طائفة من المفاخرات التي أثارتها المصيبة حين هاجت بينهم وبين القبائل الأخرى عصفرد ، وكان الخلفاء الأمويون يشجعون على قيام هذه المفاخرات في مجالسهم بين خطباء وفود هذه القبائل .

ونجد خطباء تميم في بعض هذه المفاخرات يمثلون المضربة أو المدنانية عامة ، ويفخرون بها على القحطانية أو اليمن ، فكانوا يفخرون على اليمن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم ، وأن كتاب الله نزل فيهم ، وأن الخليفة منهم أيضا ، ويذكر ابن عبد ربه في عقده أن الأبرش الكلبي قال لخالد بن صفوان : " هلم أفاخرك " وهما عند هشام بن عبد الملك ، فقال له خالد : " قل " فقال : " لنا ربع البيت - يريد الركن اليمني - ومنا حاتم علي ، ومنا الصهلب بن أبي صفرة " فقال خالد بن صفوان : " منا النبي المرسل ، وفيما الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل " .

فقال الأبرش : " لا فاخرت مضربا بدمك " (١)

وقد يقع التفاخر بين خطباء تميم وخطباء قبيلة مضربة أخرى مثل قريش ، ويروى أن خالد بن سلمة المخزومي الخطيب لقي جندب التميمي أحد خطباء تميم فقال له : " والله ما أنت من حنظلة الأكرمين ولا سعد الأكثرين ولا عمرو الأشددين ، وما فسي تميم خير بعد " . فقال له جندب : " والله إنك لمن قريش . وما أنت من بيتها ولا نهوتها ، ولا من شوراها وخلافاتها ، ولا من أهل سداستها وسقايتها " (٢) ويلاحظ في أسلوب هذه المفاخرة لجوء الخطيب إلى تجريد خصمه من كل ما أثره ، والتركيز على مثالبه ، كما أنه يتجنب ذكر مفاخر قومه أو ما أثرهم .

وشبهه بهذا مفاخرة خالد بن صفوان لرجل من بني عبد الدار ابن قصي (٣) .

وقد تدفع الحمية الخطيب إلى الافتخار بنفسه وقومه على الخليفة حين يشمر بأن إهانة لحقته في مجلسه منه ، صنع الفرزدق لما دخل على سليمان بن عبد الملك ، فتجاهله سليمان وتجهم له كأنه لا يعرفه ، وقال له : " من أنت ؟ " فأجس الفرزدق أنه يزدريه ، فقال له متفائرا : " الا تصرفني يا أمير المؤمنين ؟ أنا من قوم منهم

(١) الحقد : ٤٦/٤ ، بلوغ الأرب : ٢٨٧/١ .

(٢) البيان والتبيين : ٣٣٦/١ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٣٦/١ .

أوفي العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحكم العرب ، وأفرض العرب ، وأشمر العرب . " فقال له هشام : " والله لتبين ما قلت أو لأجعلن ظهرك ، ولا هت من دارك " قال : " نعم يا أمير المؤمنين ، أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذي رهن قوسه عن جميع العرب ، فوفى بها ، وأما أسود العرب ، فقيس بن عاصم الذي وفد على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيسدا له رداً ، وقال : " هذا سيد الوبر ، وأما أحلم العرب ، فعتاب بن ورقاء الرياحي ، وأما أفرس العرب فالحرث بن هلال السعدي ، وأما أشمر العرب فهاذا بين يديك يا أمير المؤمنين " فاعتم سليمان ما سمع من فخره ولم ينكره ، وقال : " أرجع على عقبك ، فما لك عندنا شيء من خير " (١) . وكان خالد بن صفوان أكثر غلباً تميم ولحا بهذه المفاخرات وأكثرهم إتقاناً لها ، حتى أنه كان ليثني على خصومه ثم يفاخرهم فيسلبهم كل مفخرة في المجلس نفسه ، وروي أنه دخل على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له : " ما تقول في أخوالي ؟ " قال : " يا أمير المؤمنين ، هم حامة الشرف ، وفيهم خصال ليست في غيرهم من قومهم ، هم أحسنهم اصماً ، وأكرمهم شياً ، وأهناهم طعماً ، وأوفاهم ذماً ، وأبعدهم حسماً ، هم أجمرة في الحرب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة الحجاب " . فقال له أبو العباس : " وصفت أبا صفوان فاحسنت " فارداد أخواله تيمناً وفخراً . فقال أبو العباس : " لم لا تتكلم يا خالد ؟ " فقال خالد : " أخوال أمير المؤمنين وأهله " قال : " فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعمه بته فقل " فقال خالد : " وما عسى أن أقول لقوم كانوا بيننا سج برد ، ودابح جلد ، وسائس قرد ، وراكب قرد ، دل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة ، وملكهم امرأة " (٢) .

وأعجب الجاحظ ببلاغة خالد أيما إعجاب ، وبخاصة كلامه السابق لنفسه ، ونقل الحمصي في " زهر الآداب " عن الصولي رواية ذكرها ليموت بن المزع قال : " سمعت خالي الجاحظ يقول : " والله لو فكر في جمع محاييهم ، واختصار اللفظ في مثالبهم بعد ذلك المدح المذهب سنة لكان قليلاً ، فكيف على بديهته لم يرض له فكر " (٣) كما أثنى عليه في " البيان والتبيين " فقال يحق على كلامه

(١) المقد : ١٩٣/٢ .

(٢) البيان والتبيين : ٣٣٩/١ ، الحيوان : ١٥٢/٦ ، عيون الأخبار : ٢١٣/١ .

المقد : ٤٦/٤ ، معجم البلدان : ٣٨٧/٤ ، بلوغ الأرب : ٢٨٧/١ .

(٣) زهر الآداب : ٨١٦/٩ .

" ولو خطب الماني بلسان سحبان وائل حولاً كرهتاً ، ثم صك بهذه الفقرة ما قامت له قائمة (١) .

ويلاحظ أن الأفكار التي تشتمل عليها هذه المفاخرات ، شبيهة بتلك التي نجدناها في المفاخرات القبلية الجاهلية ، فدار معظمها على التفاخر بالأحساب والأنساب والتنويه بمآثر الأباء والأجداد ، والتمدح بصفات الشجاعة والكرم والمروءة والنجدة والوفاء والسؤدد ، وما إلى ذلك ، ولا نجد للأفكار الإسلامية أثراً كبيراً فيها ، وذلك لانبثاقها في معظم الأعيان عن الروح الجاهلية .

ويظهر في هذا المصطلح آخر من المفاخرات في خطابهم ، وهي المفاخرات بين المدن ، فيفاخر الخطيب التميمي بمدنيته خطيباً تميمياً آخر من مدنيته أخرى ، وأشهر هذه المفاخرات تلك التي وقعت بين خطاباً تميم البصرة وخطاباً تميم الكوفة ، وهذا صدى المتطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجديدة ، في حياة هذه القبيلة ضمن المجتمع الإسلامي الجديد ، فنجسد الخطيب متأرجح الانتماء في هذه الخطاب بين قبيلته التي استقرت في عهدة أمصار ، وبين مصره الجديد الذي حوى عدة قبائل ، ولكنه لم يستطع التخلص من عصبية القبيلة كما لم يصل انتماءه إلى مصره إلى الانتماء الوطني أيضاً ، وربما حاول التوفيق بين الانتماءين بالانتماء إلى قبيلته ضمن المصير الواحد على أن ذلك لا يعني تخليته عن قبيلته خارج مصره ، أو اندماجه مع القبائل الأخرى في ذلك المصير ، ويظهر ذلك في خطاباتهم ببعض المصطلحات الجديدة في هذا المصير كتيمم الكوفة ، وتيمم البصرة ، وكانت المنافسة بين الكوفة والبصرة عنيفة متصلة ، سياسية وعلمية ودينية .

ويبدو أن خلفاء بني أمية كانوا يجدون متعة في إطارة هذه الموضوعات في مجالسهم ، روي أن الحجاج وفد على عبد الملك بن مروان بعد وقعة دير الجماجم وضعه أشرف أهل المصريين ، وفيهم محمد بن عمار بن عطار من أشرف تميم الكوفة ، وعبد الله بن الأهم من أشرف تميم البصرة ، ولما دخلوا عليه تذاكروا أمر المصريين ، فقال محمد بن عمار " الكوفة سفلت عن الشام وبائها ، وارتفعت عين البصرة وعمقها ، فهي مريئة مريمة ، عذبة بريئة ، إذا اتتها الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضاض الكافور ، وإذا حبت الجنوب جاءتها بريح السيسوود

ورده وباسميه وأترجسه ، فما وها عذب ، وعيشها خصب " فاجابه عبد الله بن
 الاهتم السعدي مفاخر بالبصرة : " نحن والله يا أمير المؤمنين اوسع منهم
 تربة ، وأكثر منهم دربة ، وأعظم منهم برية ، وأغنى منهم في السرية ، وأكثر منهم
 قنّدا ونقّدا ، يأتينا ما يأتينا عفوا صفوا ، ولا يخرج من عندنا إلا سائق أو قائد
 أو ناعق " (١) . وكلام خالد بن صفوان في تفضيل البصرة من خير ما قيل في
 وصفها ، والمفاخرة بها ، قال في مجلس هشام بن عبد الملك : " نحن منابثنا
 قصب ، وانهارنا عجب ، وسماؤنا رطب ، وأرضنا ذهب " (٢) . ويشبه أسلوب
 هذه المفاخرات أسلوب المفاخرات والمناخرات في الجاهلية تتميز بمقتصر الفقرات
 والسجع والتأنق في الصنعة والأغراب في الألفاظ والتعابير في بعض الأحيان .
 - خطاب إصلاح ذات البين :

وهي الخطاب التي كانت تلقى حين يجتمع أشرف القبائل المتعاديين
 لعقد الصلح ، بعد أن تضع الحرب أوزارها بينهم ، وتصرف بخطاب الحملات أيضا
 وقد استمر هذا الضرب من الخطابة عندهم في العصر الأموي لبقاء دواعيه ، حيث
 استشرى الصراع بين تميم والقبائل الأخرى في العراق وخراسان ، وبخاصة
 مع ربيعة والأزد .

ويقوم الخطباء الذين يسمون بالصلح ينغرون من الحرب ، ويدعون إلى التواصل ،
 صميم الأحنف بن قيس في خطبته التي دعا فيها الأزد وربيعه إلى الصلح
 ونهذ الحرب في الفتنة التي وقعت بينهم وبين تميم ، وقتل فيها مسعود بن عمرو
 وزعيم الأزد ، ويتوسل في دعوته إلى الصلح يذكر الروابط الجديدة التي أصبحت
 تربط هذه القبائل بعضها ببعض في البصرة ، فهم أخوة في الدين وشركاء في
 الصهر والنسب وجيران في المصر ، وهذه الروابط في نظر الأحنف بن قيس أسس
 من الروابط القبلية القديمة ، فأخبرهم أنهم أحب إليه من تميم البعيدين عنه
 في الأمصار الأخرى ، فقال : " يا معشر الأزد وربيعه ، أنتم اخواننا في الدين
 وشركاؤنا في الصهر ، وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ،
 والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ،
 فان استشرى شأننا ، وأبى حسك عدوكم ، ففي أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم " (٣) .

(١) عيون الأخبار : ١/ ٢٢٠ ، العقد : ٦/ ٢٤٩ ، مروج الذهب (طهران) : ٥/ ٣٤٩

معجم البلدان : ٤/ ٣٢٤ ، مختصر كتاب البلدان : ١٦٣ .

(٢) البيان والتبيين : ٢/ ٣ ، عيون الأخبار : ١/ ٢١٧ ، مختصر كتاب

البلدان : ١٢١ .

(٣) البيان والتبيين : ٢/ ١٣٥ ، النقاير : ٣٨/ ٧٤ ، الكامل : ١/ ١٤٠ .

العقد : ٤/ ١٣٤ ، تاريخ الطبري : ٧/ ٣٢ .

ولا يخفى ما تضمنته خطبة الأحنف من التمييز عن التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع العربي في هذه الفترة ، وبخاصة الحياة الاجتماعية ، فبدأت الرابطة العقدية والوطنية والمصالح المشتركة في الممر الواحد تتغلب على الرابطة القبلية .

ويلاحظ أن خطباء البادية ممن تميم كانوا أصغر في هذا اللون الخطابي من أهل الحضر ، وذلك لا اتصال موضوعها بحياتهم وبيئتهم ، والطابع البدوي واضح على هذه الخطب ، ويروي الجاحظ أن رجلاً من بني منقر قال : " تكلم خالد بن صفوان بكلام في صلح لم يسمع الناس كلاماً قبله مثله ، فإذا أعرابي في بستان ما في رجليه هذا ، فأجابه بكلام وددت والله أني مت ، وأن ذلك لم يكن ، فلما رأى خالد ما نزل به قال : " يا أخا منقر ، كيف نجاريهم وإنما نحكيهم ، وكيف نسابهم وإنما نجري على ما سبق إلينا من أعراقهم فليفرخ روعك فإنه من متاع من ومقاع منس لك " (١) .

ويظهر الطابع البدوي الخالص في بعضها ، وما ذلك من الجفاء وسذاجة الأفكار وقلة الثقافة الإسلامية ، روي أن غالباً أبا الفرزدق قام خطيباً في قومه بعد أن تفاصموا فيما بينهم ، وشرحت بنو مازن الحتات بن يزيد الحجازي فقال يحاول وعظهم بالقرآن : " يا قوم ، كونوا كما قال الله : " لا يصجر القوم إذا تماؤنوا " (٢) وكان الخطباء في هذه الخطب يخطبون قائمين على النقيض من سلب الإملاك ، والإطالة محببة في هذا الضرب من الخطب (٣) . ويلاحظ شيوع الأسلوب المرسل في هذه الخطب دون تكلف ولا صنعة ، ويجري الغائب فيها مع سجيته .

خطب المحافل والوفادات :

وهي الخطب التي كان خطباء الوفود يلقونها في وفاداتهم على الخليفة أو أحد ولاته ، وقد كان هذا الضرب من الخطب أرقى ألوان الخطب الاجتماعية ، لما كان يبذله الخطيب من الجهد في تجويدها وتخهيرها ، لينال إعجاب الخليفة أو الوالي ، وإعجاب من يشهد هذه المحافل ، وكانت هذه المحافل أشبه بحلقات يتبارى فيها أصحاب الفصاحة وأئمة البيان ، لذا فإن الخطيب يحتاج إلى مران ودره حتى يستطيع إجادة الكلام في هذه المحافل ، وقد قال شبيب بن شيبه وهو

(١) البيان والتبيين : ١/ ١٧٣ ، العقد : ٣/ ٤١٧ .

(٢) البيان والتبيين : ٢/ ٢٣٧ .

(٣) البيان والتبيين : ١/ ١١٦ ، الصناعتين : ١٩٢ .

من أبرع خطابها المحافل في عصره ينصح من يريد الكلام في مثل هذه المقامات :
 " فإن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة ، فقدّم إحكام البلوغ في طلب السلامة
 من الخذلان ، قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد ، وإياك أن تصدّل
 بالسلامة شيئاً ، فإن قليلاً كافيًا خير من كثير غير شاف " (١) .

وكان لخطب الوفادات آداب ومراسم خاصة ، فكانت الوفود تختار أبرع خطاباتها
 للكلام في المجالس وكانوا يختارون من ذوي البلاغة والمنزلة في القوم ، ومن ذوي
 الهيئة الحسنه ، روى الحصري أن الأحنف بن قيس قدم على معاوية وأفلح أهل
 البصرة ودخل معه النضر بن قنبرة ، وعلى النضر عبادة قطوانية ، وعلى الأحنف
 مدرعة صوف وشملة ، وهي ثياب خشنة لا تليق بمجلس الخليفة ، فلما مثلا بين
 يدي معاوية اقتحمتها عنه فقال له النضر : " يا أمير المؤمنين ، إن الصياغة لا
 تكلمك ، وإنما يكلمك من فيها " (٢) .

وأشهر خطباء المحافل التميميين في هذا العصر الأحنف بن قيس ، وخالد بن
 صفوان ، وشبيب بن شيبه ، ولهم كلام بليغ ينصحون به من يريد القيام في المحافل
 أو مسامرة السلطان ، وذلك من وحي تجاربهم ، قال شبيب يصف أدب مسامرة
 السلطان : " ينبغي لمن سامر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة
 أن يسأله عن شيء لم يحتج إلى أن يلتفت ، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله
 الشمس " (٣) .

وأما خالد بن صفوان ، فيحذر أصحاب المقامات في مجالس السلطان من
 بطش السلطان لكثرة الحاسدين في حاشيته سواء أخلص له الدبح أو غشه فقال :
 " من صحب السلطان بالصحة والنصيحة ، كان أكثر عدواً ممن صحبه بالنفس
 والخيانة ، لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالمداد والحسد ، فصدّق
 السلطان ينافسه مرتبه ، وعدوه يبفضه لنصيحته " (٤) وللأحنف كلام مشابه يحدد
 فيه تنظيم العلاقة بين الوافد والسلطان فيقول : " لا تنقبضوا عن السلطان
 ولا تهالكوا عليه ، فإنه من أشرف للسلطان أن يراه ومن تضرع له أخطاه " (٥) .

(١) البيان والتبيين : ١١٢/١ ، زهر الآداب : ١٥٧/١ .

(٢) زهر الآداب : ٤٦/١ ، قطوانية نسبة إلى قطوان موضع بالكوفة .

(٣) عيون الأخبار : ٢٢/١ ، المقد : ٢١/١ .

(٤) المقد : ١٢/١ .

(٥) عيون الأخبار : ٢٣/١ ، تأثر بكلامه إذا بوصية قيس بن طاعم ،

انظر المقد : ٤٢٩/٢ .

وكاست وفود تميم تقدم على الخلفاء والولاة لأغراض شتى، للتهنئة أو للتعزية أو للشكوى والتظلم أو لإعلان الولاء أو للاستعطاف والشفاعة والاستمنح، أو لتقديم النصيح والوعظ أو للوشاية أو للشناء وغير ذلك، قدم وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف، فخرج الإذن فقال: "إن أمير المؤمنين يحزم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه، ولكن الأحنف ابن علي نفسه إلا أن يكون لسان أهل مصره يشكو حالهم للخليفة ويدللب منه المصونة لهم جميعاً، فقام في مجلس معاوية وقال: "لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافعة دفت، ونازلة نزلت، ونائية نابت، ونابتة نبتت، كلهم به حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره"، وقد رآه معاوية مقامه فقال له: "حسبك يا أبا بھر، قد كفت الشاهد والخائب" (١).

ومن خطباء الاستعطاف خطبة إياس بن زهير بن حيان بن قمئة المدوني، استعطاف بها قتيبة بن مسلم حين خرج في خراسان فحاز نزارى من معه من الجنود إلى سمرقند وأخذهم رهائن، فقام إليه إياس يذكره باخلاص له، ويستعطفه لإطلاق سراح صبيته وماله، وقال: "أصلح الله الأمير، قد عرفت نصيحتي لك، وانقطاعي إليك، ولم أشعر بما أردت ولم يعلمني الأمير ولم أكن أعلم بالذين همثتهم إلى نزارهم، وإن لي أعين صغاراً، وضيممة ومالا، وليس لهم من يخفي شيئاً، ولا يجزى فإن رأى الأمير أن يأذن لابني الهنيد، فيكتب له جوازاً فيضم مالي وضيمتي ويحمل صبيتي فليفعل" (٢).

واستعطاف الأحنف مصعب بن الزبير في قوم أخذهم (٣) كما استعطاف ضامر بن غير الحجاج ليخفيه من البعث (٤).

وقد تصبح مجالس الخلفاء مكاناً للدسائس والوشايات، وذلك المتحاسبين والطمع، وقد يشي الخطيب بأقرب الناس إليه طمعاً بالمال، ونلاحظ ذلك عند غير خطيب من آل الأهم، فقد وشى عبد الله بن الأهم بوكيع بن أبي سود، الذي أخذ له بثأره من قتيبة طمعاً بما وعده به يزيد بن المهلب، الذي كان يدافع في ولاية خراسان. فيقوم عبد الله بن الأهم عند سليمان بن عبد الملك، ويتخذ من جرميل وكيع عليه وسيلة لكسب ثقة سليمان بها يشي إليه عنه، فقال: "أصلح الله أمير المؤمنين، والله ما أحد أوجب شكراً، ولا أعظم عندي يداً من وكيع—ع لقد أدرك بئاري، وشفاني من عدوي، ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب علي حقاً وإن النصيحة تلزمني لأمر المؤمنين وإن وكيعاً لم يجتمع له مئة عنان قسطنطين

(١) البيان والتبيين: ٨٨/٢، زهر الآداب: ٤٦/١، نهاية الأرب في فنون الأدب

٢٣٨/٢

(٢) النقائص: ٣٥٧/١

(٣) عيون الأخبار: ١٠٢/١، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٣٨/٢

(٤) الكامل: ٣٨٢/١، ٣٦٦/٣، تاريخ الطبري: ٢٠٧/٦

إلا حدث نفسه بفدوره ، خامل في الجماعة ، نابه في الفتنة " (١) .

وقد ينتهز الخطيب فرصة عزل والٍ كان جفاة ، ليتشفى به في مجلس الوالي الجديد ، وبخاصة إذا بطش بالوالي السابق كصنيع خالد بن صفوان ببلال بن أبي بردة حين عزل ، وتولى بعده يوسف بن عمر الثقفي فنكبه ، فقال له في مجلس يوسف ابن عمر : " أيها الأمير ، إن عدو الله بلالا ضربني وحبسني ، ولم أفارق جماعة ولا خلعت يدا من طاعة " ثم يلتفت إلى بلال شامتا فيقول : " الحمد لله الذي أزال سلطانك وهدم أركانك ، وغير حالك ، فوالله لقد كنت شديد الخجاء ، مستخفا بالشريف مظهر للمصيبة " (٢) .

وقد يقوم الخطيب في المجالس ما دحاومثيا ، ولو أن هذا اللون في الشعر أبين وأوضح ، ومن اشتهر بذلك خالد بن صفوان وشبيب بن شبيعة وهذه الخطب يظهر فيه التملق والتفافق للتقرب من صاحب الشأن ، قال خالد بن صفوان لأحد الولاة : - " قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من نثارك ومجلسك وملاذك ، وكذلك ، حسبي كأنك من كل أحد ، أو كأنك لست من أحد " (٣) . ويغلب على هذه الخطب القصر والإيجاز ، لأن المقام لا يستدعي الإطالة إلا في خطاب المحدث شأن عبد الله بن الأهمم حين دخل على عمر بن عبد العزيز وخطب خطبته الأولى التي أثنى بها عليه ، ونال من أسلافه (٤) كما يظهر في هذه الخطب العرس على الأناقة وإجادة الصنعة ، فوقع فيها السجع وقصرت فقراتها .

- الخطب الوصفية :

يعتمد هذا الضرب من الخطابة على براعة الخطيب الوصفية ومصرفته بأحوال الناس وأخلاقهم ، كما تعتمد على سرعة خاطره وحضوره بيبته وحسن تعبيره وفصاحته ، وبرع في هذا اللون من الخطب نفر من خطباء تميم المشهورين - مثل الأحنف بن قيس ، وخالد بن صفوان ، وشبيب بن شبيعة ، يطلب منهم في المحافل والمجالس أن يصف أحدهم رجلاً مشهوراً أو جماعة من الناس ، أو مزاراً من الأمصار أو يطلب منه رأي في الولد أو المرأة أو تعريف مفهوم خلقي أو اجتماعي معين .

ومن جيد الوصف ما أجاب به خالد بن صفوان هشام بن عبد الملك حين طلب منه في مجلسه أن يصف له جريراً والفرزدق والأخطل فقال : " يا أمير المؤمنين ،

(١) النقائض : ١/ ٣٦٦ ، تاريخ الطبري : ٦/ ٥٢٦ .

(٢) الكامل : ٣/ ٢٤٣ ، زهر الآداب : ٣/ ١٩٠ .

(٣) الأمالي : ١/ ٢١٠ ، زهر الآداب : ٢/ ٨٤٧ ، ١٠٠٢ .

(٤) البيان والتبيين : ٢/ ١٢ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ١١٣-١١٥ .
سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم : ١٠٨-١١١ .

أما أعظمهم فخرا وأبعدهم ذكرا ، وأحسنهم عذرا وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ، وأحلامهم عللا ، البحر الطامي إذا زخر ، والحامي إذا زعر ، والسامي إذا خدر ، الذي إذا هدر جال ، وإذا خطر صال ، والغصيح اللسان الطويل الصنان فالفرزدق ، وأما أحسنهم نعمتا وأمدحهم بيتا ، وأقلهم فوتا ، الذي إن مجا وضع ، وإن مدح رفع فالأخطال .

وأما أفزهم بحرا ، وأرقهم شمرا ، وأكثرهم ذكرا ، الأغر الأبلق ، الذي إن طَلَب لم يسبق وإن تَلَب لم يلحق ، فجرير .

وكلهم ذكي الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزناد (١) وقد أحسن خالد في تخلصه من السنة هو "الشمر" ، فتصرف لماثرهم دون أن يفضل أحدهم على الآخرين فأعجب به هشام ، وقال له : " مارأيت مثلك يا ابن صفوان لتخلصك من مدح هو " ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا وسلمت منهم " .

وقد كان خالد بن صفوان أبرع خطبا عصره في هذا الضرب من الخطب وله أقوال بليغة في وصف أحد الخطباء (٢) ووصف الحجاج (٣) والعنبر البصري (٤) .

وربما كان وصفه للحمار من أطرف كلامه ، فقد ذمه حتى جعل راكمه بأنفس من ركوبه ، ثم ذكر فضائله فأجاد في تفضيله أيضا .
روي أنه دخل على علي بن أبي الجهم بن حذيفة فالتقاء يريد الركوب على حمار ، فقال له : " أما علمت أن الميرغار ، والحمار شئان ، منكر الصوت ، قبيح الفوت متزلج في الضحل ، مرتبطم في الوحل ، ليس بركوبه فحل ، ولا بهذلية رحل ، راكبه مقرف ومسايره مشرف " . فاستوحش راكب أبي الجهم من ركوب الحمار ونزل عنه ، وركب فرسا ، ودفع بالحمار إلى خالد فركبه ، فقال له : " ويحك يا خالد أثنى عن شيء وتأتي مثله ؟ " فقال : " أصلحك الله ، غير من بنات الكرمال ، وأضحح السريال ، مفتح القوائم ، يحمل الرجل ، ويبلغ المقبة ، ويمنحني أن أكون جبارا عنيدا ، إن لم اعترف بمكاني فقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين " (٥) .

وقد أطنبوا في خطبهم بوصف المرأة مما يسمفنا على تكوين صورة واضحة عن نظرتهم إلى المرأة ، ونجدهم يفضلون المرأة العزيزة في قومها المتايضة لزوجها الذليلة في نفسها ، وأن تكون حبيبة عفيفة ولودا للذكور ، تحين أهلها

(١) الأغاني : ٨١/٨ ، زمر الآداب : ٦٤٤/٢ .

(٢) انظر : العقد : ١٣٢/٢ ، زمر الآداب : ١٠٠٨/٢ .

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٦٧/٣ .

(٤) العقد : ٢٣٠/٢ .

(٥) زمر الآداب : ٦١٢/٢ .

على المعيش، قنوعة، قال الزبرقان بن بدر: "أحب كئاني إلى الميزنة الحميدة التي في بطنها غلام، ويتبعها غلام، وأبغض كئاني إلى الألفة البغيضة، التي تمشي الدفسي، وتجلس المبتقعة، الذليلة في رهطها، العزيزة في نفسها، التي في بطنها جارية وتتبعها جارية" (١).

وتتردد هذه المعاني في خدبة شيخ من بني المنير (٢) وفي غير خطبة لخالد بن صفوان يقول في خطبة له: "من تزوج امرأة فليتزوجها عزيزة في قومها، ذليلة في نفسها، أدبها الغني وأذلها الفقر، حصانا من جارها، ماجنة على زوجها" (٣). ومن بليغ ما قيل في وصف الولد قول الأحفش بن قيس حين دخل على معاوية فسأله: "يا أبا بحر ما تقول في الولد؟" فقال: "يا أمير المؤمنين طار قلبونا، وعماذ ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسما ذليلة، فإن طالبوا فاعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودنهم، ويعبون جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ويعبوا وقتك" فقال معاوية: لله درك يا أبا بحر، هم كما وصفت، لقد دخلت عليّ وأناي لملوء غضباً على يزيد، فسألته من تلبى؟ (٤).

وللزبرقان نذرة أخرى إلى الولد من خلال متطلبات الحياة القبلية البدوية، قال: "أبغض صبياننا إلى الأقيسر الذكر، الذي كأنما يدالج في حجره، وإن سأله القوم أين أبوك، حرّ في وجوههم، وقال: وما تريدون من أبي، وأحب صبياننا إلى الطويل الفرل، السبط الفره، الحريز الورك، الأبله الحقول، الذي يطبع عمه، ويحصى أمه، وإن سأله القوم أين أبوك؟ قال: معكم" (٥).

ويتضح من هذه النصوص الخطابية أن أسلوب الخطاب الوصفية عائد بالتأنيق اللفظي، وحسن التعبير، وقصر الفقرات والسجع وغرابة الألفاظ.

— الوصايا الاجتماعية :

تصدر هذه الوصايا عن الخطيب المجرب إلى أبنائه أو أفراد قبيلته، وغالباً ما تتجسّد إلى الناحية الخلقية، فيبصّر الموصى له بآداب السلوك، وحشّه على التمسك بمكارم الأخلاق، والسجاياء الحميدة، وحسن الحاشرة وملة الرحمة، والمحافظة على المال وما إلى ذلك.

ومن المواقف التي تدعو إلى هذا اللون من الخطاب شعور الخطيب بدنس أجله، فيجمع بينه وأمله ويوصيهم بما يعرض عليه، وبما بلغته تجربته في المعيشة

(١) عيون الأخبار: ٤/٤

(٢) الأمازي: ١٥٦/٢ .

(٣) عيون الأخبار: ٤/٤ .

(٤) عيون الأخبار: ٩٢/٣ الأمازي: ٤٠/٢، المقد: ٤٣٧/٦ .

(٥) عيون الأخبار: ٢٢٣/١ .

في الحياة، ويظهر لنا من وصاياهم هذه حبهم الجَمَّ للمال، وذلك يؤكد ما روى به من حب المال والبخل والنهم (١) فإن لا تكاد تخلو وصية لهم في حالة الوفاة من ذلك، روى أن يزيد بن عُمير الأسدي قال لبنيه: "يا بني تحلوا الرِّدَّ فإنه أشد من الاعْياء"، ولأن يعلم بنو تميم أن عند أحدكم مئة ألف درهم أعطاسم له في أعينهم من أن يقسمها فيهم، ولأن يقال لا أحدكم بخيل وهو غني خير له من أن يقال سخني وهو فقير" (٢).

وهذا الحرص على المال كان يدفع بعضهم أحياناً إلى أن يوصي بنيه بإنكار ديونه بعد موته، صنيع وكيع بن أبي سُويد إن قال لبنيه حين حضرته الوفاة: "يا بني أني لأعلم أن قوماً سيأتونكم قد أقرحوا جبايتهم وعرضوا لحايم، يدعون أن لهم على أبيكم ديناً فلا تقضوهم، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضره وإلا فهي مع ما تقدّم" (٣)، ويظهر ذلك في وصايا أخرى لهم مثل وصية عبد الله بن الأحمم لبنيه عند وفاته أيضاً (٤).

ومن المواقف الأخرى التي تدعو إلى الوصية حين يودح الأب ابنته بزفافها إلى بيت زوجها، ولو أننا نتوقع أن تكون الوصية من الأم، إلا أن الزهرقان بن بدر ذهب بنفسه يوصي ابنته بما يصلح لها حياتها وزواجها، فيروي أنه كان إذا زوج ابنة له دنا من خدامها وقال: "لا أعرفن ما عالت، كوني له أمة يكن لك عبداً" (٥). وكلامه من أوجز الوصايا وأبلغها.

وقد يوثق الخطيب أن يقف في وصيته اتقوه موقف الواعظ المرشد صنيـع الأحنف بن قيس، فقد روى له صاحب الأمل خطبة طويلة يعظ بها قومه، فيحذرهم البغي والمزاج ومشورة النساء، ويحثهم على الزهد وعدم الركون إلى الزمسان وأن يصدق فعلهم تولهم، وأن يتصفوا بالحلم وصلة الرجم ومناجاة النفس وشكر النعمة والوفاء بالمهود، وما إلى ذلك من مكارم الأخلاق، قال رجل من بني تميم: "حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون في أمرهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:-

(١) الأغاني: ٨٧/١٤، مجمع الأمثال: ٧٧/١.

(٢) عيون الأخبار: ١٣٨/٣.

(٣) المصدر نفسه: ٦١/٢، المعمرين والوصايا: ١٤٠.

(٤) المعمرين والوصايا: ١٤١، المعقد: ١٤٨/٣.

(٥) عيون الأخبار: ٧٧/٤.

"إن الكرم منع الحرم، ما أقرب النعمة من أهل البغي، لا خير في لذة تعقب ندما، لن يهلك من قصد، ولن يفتقر من زهد، رب منزل قد طرد جدا، ممن أمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أمانه بدعوا المزاج فانه يورث الضغائن، وخير القول القول ما صدقه الفعل، احتملوا لمن أدل عليكم، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم . . . وإياكم ومشاورة النساء، وأعلم أن كفر النعمة لوئم، وصحبة الجاهل شتؤم، ومن الكرم الوفاء بالذمم، ما أفتح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد اللطائف، والمداوة بعد الود . . . وأعلم أن لك من دنياك ما أصححت به مثواك، فأنفق في حق، ولا تكونن خازنا لفيرك وإذا كان الغدر في الناس موجودا، فالثقة بكسل أحد عجز . . . (١) .

ويلاحظ أن هذه الخطبة تسير على أسلوب خطاب الوعظ والإرشاد في الجاهلية فتكون الخطبة مجموعة من الحكم والأمثال، ذات العبارة الموجزة لا يربط بينها رابط سوى الواو المطرفاحيانا، ويعتمد فيها الخطيب على التكرار المعنوي، ولم نعهد مثل هذا الأسلوب في خطاب الأحنف، ويظهر أن العامة من الناس كانوا معجبين بهذا الأسلوب الخطابي في الوعظ والإرشاد فقال التميمي الذي روى هذه الخطبة: "فما رأيت كلاما أبلغ منه، ففقت وقد سفلتته" .

وهي من أوّل الوصايا الوعظية التي أثرت عن خطباءهم في هذا العصر إذا افردنا بها عن خطاب الوعظ الديني .

وأثرت عنهم خطاب شتي في الحث على مكارم الأخلاق وذم سيئها ومن ذلك كلام خالد بن صفوان في ذم المزاج (٢) وكلام الأحنف في تعليم جلسائهم أدب المجالس والحديث فيها (٣)، وله كلام آخر في ذم بعض الأخلاق كالاحسد والبخل والكذب (٤) .

ويلاحظ أن مضمون خطاب الوصايا الاجتماعية لا يختلف كثيرا عن مضمونها في الجاهلية، إذ يعتمد الخطيب فيها على تجاربه في الحياة وحكمته وسلوكها مرسل في الغالب، وإن لم تغل من التتميق في بعض الأحيان فجاءت قصيرة الجمل موجزة الفقرات دقيقة التعبير على شكل الأمثال والحكم .

(١) الأمالي : ١٦/٢، بلوغ الأرب : ١٠٢/١ .

(٢) زهير الآداب : ٤٧٦/١ .

(٣) الأمالي : ٢٦٥/١ .

(٤) النوادر : ٢١٤ .

د - الاتجاه الديني لخطابة تميم في العصر الأموي :

اتجهت الخطابة الدينية عند خطبائهم في هذا العصر إلى الوعظ والهداية، والتبصير بشؤون الدين وأحكامه، وكانت هذه الخطب تلقى في المحافل، ومجالس الخلفاء والأمراء، وعرفت هذه الخطب بالمقامات، ومنها ما كان يقع في المباريات البيانية في مجالس الأمراء، حيث يتبارى أرباب الفصاحة والبيان، مثل المجلس المشهور الذي انعقد في العراق، إبان ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (١٢٦ - ١٢٩ هـ) وقد خطب فيه أربعة من أقطاب الفصاحة المشهورين - بمواعظهم آنذاك - بينهم خطيبان من تميم هما شبيب بن شيبة وخالد بن صفوان، والآخران هما الفضل بن عيسى الرقاشي، وواصل بن عطاء، ولم تحفظ لنا المصادر غير خطابة واصل، وربما يعود ذلك إلى تفنيد الوالي لـه على الخطباء الآخرين، ودور المتميزة في حفظها، وطرافة خطبته لزع السرا منها بسبب لشفته (١) .

وكان رؤساء الفرق الثائرون كالأخارج يكثر من الوعظ، وخطابهم الوعظية من أشهر الخطب في العصر الأموي، وبخاصة خطبة قطري بن العلاء الشهيرة في ذم الدنيا والتحذير منها (٢) وقصص صالح بن مسرج (٣)، وكان قادة جيوش الأمويين منهم يمزجون الوعظ بالحث على القتال صنيع عتاب بن ورقاء في قصصه (٤) .

ومن المقامات الوعظية المشهورة لهم، مقام عبد الله بن عبد الله بن الأتم في مجلس عمر بن عبد العزيز، وهي طويلة أثنى فيها على عمر ونال من أسلافه، وهي قريبة في منهجها إلى خطب الأخراج (٥) .

وكذلك مقام خالد بن صفوان في مجلس هشام بن عبد الملك الذي نها فيه منحي القصاص في وعظه . (٦)

وكان خطباءهم من الأخراج وقادة الجيوش كثيراً ما يمزجون بين الدين والسياسة أو بين الدين والحرب في خطبهم .

ومن المواقف التي نجد فيها في خطابهم الدينية ما يلي :-

— حمد الله وتمجيده والثناء على نبيه :

حرص الخطباء على إغالة الحمد والتمجيد لله والثناء على نبيه

(١) البيان والتبيين : ٢٤/١، نوادر المخطوطات : ١١٨/٢ .

(٢) البيان والتبيين : ١٢٦/٢، العقد : ١٤١/٤ .

(٣) تاريخ الطبري : ٢١٦/٦ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٦٤/٦ .

(٥) البيان والتبيين : ١١٢/٢ .

(٦) عيون الأخبار : ٣٤١/٢ .

لصليتهما الدينية بموضوع الخطبة ، وغالباً ما يعمد الخطيب إلى إعداد هذا التحميد وتزويره ، فيكون حمداً دقيقاً يعبر عن خلاله عن عقيدته ومذهبه ، أو بما يتفق مع غرضه في مقامه ، قال صالح بن مسرّح في مقدمة قصصه يعبر عن مذهبه :
 " الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون - " اللهم إنا لا نعدل بك ، ولا نحقد إلا إليك ، ولا نعبد إلا إياك ، لك الخلق والأمر ، ومنك النفع والضر ، وإليك المصير ، ونشهد أن محمداً عبدك الذي اصطفيه ، ورسولك الذي اخترته وأرضيته لتبليغ رسالته ، ونصيحته عبادك ، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، ودعا إلى الحق ، وقام بالقسط ، ونصر الدين ، وجهاد المشركين حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم " (١)

- الحث على تقوى الله :

ومما من الأفكار التي تتكرر في معظم خطاب الوعظ وبخاصة في خطب الخوارج ، يقول صالح بن مسرّح : " أوصيكم بتقوى الله ، والزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة . . . " (٢)

وإذا قام الخطيب في مجلس الخليفة أو النواحي فإنه يحرض على ذكر قوة الله وقدرته ، ويدعو إلى شكر الله على نعمه ، وتجنب نقمته قال شبيب بن شبيب للمهدي : " إن الله عز وجل لم يرش أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترض بأن يكون أحد أشكر له منك " (٣) . وربما جعل الخطيب حثه على التقوى خاتمة لخطبته لتكون أرسخ في ذهن السامعين صنيع قاربي بن الفجاءة ، حيث قال فسي آخر خطبته المشهورة : " قاحذروا ما حذركم الله ، وانتفعوا بما وعظكم ، واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم أحقه " (٤)

(١) تاريخ الطبري : ٢١٦/٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١٦/٦ .

(٣) عيون الأخبار : ١٠٦/١ ، في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي .

١١٥ نسبت إلى خالد بن صفوان .

(٤) البيان والتبيين : ١٢٦/٢ ، المعقد : ١٤١/٤ .

- ثم الدنيا والتحذير منها :

انبثقت هذه الفكرة عن نزغة الزهد التي اتضحت في هذا العصر عند بعض الزهاد والعباد من تميم وغيرهم ، فحاولوا أن يصدوا الناس عن التهاافت على ملذات الحياة الفانية ، التي غلبتهم مفااتها فحذروهم من غدر الدنيا وغرورها ، وخصص قطاري بن الفجاءة جل خطابته المشهورة لذلك ، قال منها : " أما بعد ، فإنني أهدركم الدنيا ، فإنها حلوة خفيفة عفت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وتسببت بالمأجلة وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور ، لا تدوم خبرتها ولا تؤمن فبعمتها ، غرارة ضرارة ، خيانة غدّارة . . . لا تعدوا إذا هي تظاهرت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى : " كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا " (١) .

ويلاحظ أن الخوارج كانوا أكثر الناس زهدا في الدنيا لأنهم يرون أن التهاافت عليها يشغل الإنسان عن طاعة الله ، ومن ذلك قول صالح بن مسروق : " فإن الزهادة في الدنيا ترغب المبد فيها عند الله ، وتفرغ بدنه لطاعة الله " (٢) .

- وألح الخطاباء في الدعوة إلى كبح جماح النفس ورد عنها عن الشهوات والهوى ، فذكروا الإنسان بحقارة شأنه ، وحقيقة ضعفه وهوانه ، حتى يقلع عن غروره ويتخلى عن أطماعه ، وحين يكون المخاطب خليفة ، فإن الخطايا يبحال فسي أمره ويخاطبه بأسلوب قصصي غير مباشر ، صنع خالد بن صفوان حين دخل على هشام ابن عبد الملك ، وقد خرج هشام للهو والقصف في فصل الربيع ، وذلك في بعض بوادي الرصافة ، فضربت له السرايا قات الموشاة بالذهب والقضة ، وفرشت بفرش من الخبز الزاهي ، وخرج هشام في أبهى حلة ولباس تلوؤه الأبهة والخضرور وكل ما حوله يفوح بالترف والبذخ ، فوقف خالد بن صفوان بين يديه وقسم : " . . . ولا أرى لمقامي هذا شيئا هو أفضل من أن أئبه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ، ليسمى الله على ما أعطاه ، ولا شيء أحضر من حديث سلف الطيبك من ملوك المعجم ، إن أذن لي فيه حديثه به " ، قال : " هات " قال خالد :

(١) البيان والتبيين : ١٢٦/٢ ، المعتمد : ١٤١/٤ ، نهاية الأرب في فنون

الأرب : ٢٥١/٧ .

(٢) تاريخ الطبري : ٢١٧/٦ .

وتفكر ربّ الخورنق إذا أَسْجَحَ يوماً وللمهدي تفكير
سره حاله وكثرة ما يَمْلِكُ لك والبحر محروفاً والسدير
فأرعى قلبه فقال وما غِبُّهُ حَيٌّ إلى الممات يصير

— وغالبا ما كانوا يقرنون فكرة الزهد بالحدوث عن الموت ، مشير الإنسان المحتوم ، ليكون واعظا ونذيرا ، فعلى المرء أن يمد له العدة ويتزود له ، والتذكير بالموت يوثق الرابطة بين المهد ورهبه ، قال صالح بن مسرّح : " وإن كثرة ذكر الموت يهين المهد من ربه ، حتى يجار إليه ويستكين له " (٢) .

وقال قطاري من خلال زمة للدنيا يهول أمر الموت: "عليكمها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجاسمها محروب ، مع أن وراء ذلك سكرات الموت ، وهو المطالع والوقوف بين يدي الحكم العدل ،" ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى" (٣) .

الأغالي : ٣٣/٢ ، ديوان عدي بن زيد العبادي : ٨٩ •

(٣) البيان والتبيين: ١٢٦/٢، المقد: ١٤١/٤، صبح الأعشى: ١/٢٢٤.

— وكان الخطيب يدعو السامعين لأخذ العبرة والموعظة مما حصل بالأصم
الخابرة ، والطوك الجبابرة ، فلم تدم لهم القوة ولم تحصمهم عضونهم المنيمسة
من أمر الله ، فأصبحت أخبارهم عبرة لمن اعتبر ، وقالوا ما يلجأ الخطيب في ذلك
إلى القصص القرآني ، صنع قطري بن الفجاءة إذ يقول : " . . . أستم في مساكن
من كان أطول منكم أعماراً وأوضح آثاراً ، وأعد عديداً ، واكشف جنوداً ، وأعد عتادا ،
وأطول عمادا ، تعبد والدنيا أبي تعبد ، وآثروها أي إيثار ، وآمنوا عنهم
بالكرة والصفار . . . حمل زودتهم إلا الشقاء ، وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم
الظلمة ، وأعقبتهم إلا الندامة . . . فاتهموا فيها بالذين قال الله تعالى فيهم
: " أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، " وبالذين
قالوا : " من أشد منا قوة " (١) .

— وكان بعض الخطباء الوعاظ يلجأ إلى ذكر أخبار السلف الصالح من سيرة
النبي - صلى الله عليه وسلم - وسيرة خلفائه من بعده وبخاصة سيرة أبي بكر
وعمر ليكون في ذلك قدوة طيبة للناس في حياتهم وتذكير لذوي السلطان
ليعلموا بكتاب الله وسنة نبيه ، فقد دخل عبد الله بن عبد الله بن الأعمى على عمر
ابن عبد العزيز مع العامة فلم يفجأ عمر إلا وهو قائم بين يديه يتكلم ، فأجاب في وصف
سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ذكر أبا بكر وعمر فقال : -

" . . . ثم قام بعده أبو بكر - رحمه الله - فسلك سنته وأخذ بسبيله ، وارتدت
العرب ، فلم يقبل منهم بعد رسول الله إلا الذي كان قابلاً منهم . . . وقد كان
أصاب من مال الله بكرةً يرتوى عليه ، وحبشية ترضع ولداه ، وفراخ ذاك
غصة عند موته في حلقه ، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وبصرى ، وأبيهم منه وفارق الدنيا
نقياً على منهاج صاحبه ، - رحمه الله - ، ثم قام من بعده عمر بن الخطاب
- رحمه الله - . . . وقد كان أصاب من مال الله بضعا وثمانين ألفاً ، فكسر رباعه
وكره بها كقالة أهله وولده ، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا
نقياً على منهاج صاحبه - رحمه الله . . . " (٢) .

(١) البيان والتبيين : ١٢٦/٢ ، العقد : ١٤١/٤ ، صبح الأعي : ٢٢٤/١

(٢) البيان والتبيين : ١١٨/٢ ،

العقد : ٩٣/٤ ،

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم : ١٠٨

— ومسترج بعض الوعاظ بين الأفكار الدينية والأفكار السياسية ، وذلك واضح في معظم خطب الخوارج منهم ، وهذا أحد وجهي بعض خطبها المصاف والمجالس ممن حرص الخلفاء على استدنائهم وسماع مواعظهم ، فكان بعضهم يبلغ في مخاطبته الخلفاء حدّ التقريع والتنصيف والنيل من سلفهم ، فلا ينكر الخليفة ذلك عليه ، حتى ولو أنكر ذلك بعض أفراد عائلة الخليفة ، صنيع عبد الله بن عبد الله بن الأهتمام في خطبته الطويلة بين يدي عمر بن عبد العزيز ، التي أثنى فيها عليه ، ونال من سلفه ، وسلك فيها مسلك الخوارج ، فأثنى على أبي بكر وعمر ، ونال من الخلفاء بعدهما ، بما فيهم عثمان وعلي ، فقال بعد أن أنتهى من الثناء علي أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - : " ... ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك طوكها ، وألصقتك شديهما وألصقتك وضعفها حيث وضعها الله ، فالحمد لله الذي جلا بك حوبها ، وكشف بك كربتها ، أمض ولا تلتفت فإنه لا يفتي عن الحق شيء " ... ولما قال : " ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج " سكنت الناس كلهم غير هشام فإنه قال : " كذبت " (١) .

(١) البيان والتبيين : ١١٨/٢ ، المعتمد : ٤/٩٣ .

الفصل الخامس

وقفة عند أبرز خطباء تميم

- أ- أكرم بن صفيـر
- ب- شيث بن رهمـي
- ج- أبو بلال مرثاس بن أنيسة
- د- خالد بن صفوان الأمتسي

كشف البحث عن ظهور عدد كبير جداً من الخطباء في قبيلة تميم ، في الفترة من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، وقد نفاثت أسمائهم على مثتي خطيب ، غير أنه لم يصلنا من النصوص الخطابية إلا لقراءة ثمانية وثلاثين خطيباً فقط ، فكثير من خطباء تميم الذين وصفهم النقاد وأهل الأخبار بالملافة والفصاحة لم يصلنا غير أسمائهم . لهذا نستطيع القول أن قبيلة تميم أشهر القبائل العربية في كثرة خطبائها ونحسب مواقفهم الخطابية ، مما سهل دراسة حركة الخطابة فيها أكثر من غيرها .

ولتأينا للبحث رأينا أن نقف عند أربعة من أبرز خطباء تميم المصاقع ، يمثل كل واحد منهم اتجاهاً خطابياً محدداً من اتجاهات خطابتهم ، وكذلك يمثل كل واحد منهم مرحلة من مراحل تطور حركة الخطابة في تميم من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي .

فاختارنا أكرم بن صفي ليُمثل خطابتهم في الجاهلية ، حيث باغت عليها الناحية الاجتماعية وصيغة الحكم والأمثال ، وشبّهت بن ربحي ليُمثل الاتجاه الأعرابي البدوي ، القليل ، المتقلب في مواقفه ، الخارق في البصيرة القبلية ، كما يمثل نمونجاً لمدى تفاعل الخطباء التميميين من معضري الجاهلية وهدير الإسلام والعصر الأموي مع مواقف الحياة الجديدة وأحداثها .

وأما بلال مرداسا ليُمثل الاتجاه السياسي الخارجي فيهم وشالد بن صفوان ليُمثل اتجاهاً الخطابية الاجتماعي المحلي وتطور الخطابية في نهاية العصر الأموي ، وقد تجاوزنا عن أشهر خطبائهم الأحنف بن قيس لما حظي به من الدراسات الوافية (١) وكذلك قيس بن عاصم (٢) وأحقاق بن عمرو (٣) وغيرهم .

وستترجم لكل منهم ترجمة وافية ، نقف فيها على أبرز مواقفه الخطابية ، ومكانته من تطور حركة الخطابة في تميم في الفترات المختلفة .

(١) انوار الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٣٧٥ ، قادة فتح بلاد فارس : ٢١٧

(٢) عفيف عبدالرحمن ، "قيس بن عاصم" : ٥٧-٧٢ ، هدي الأسس : مجلد ٢٣ ، سنة ١٩٧٥ .

(٣) قادة فتح العراق والجزيرة : ٣٣١-٣٥٥ ، الطريق إلى المدائن :

١- فاتحة أمره :

هو أكرم بن صيفي بن رباح (١) بن العارفين مفاشرين بن معاوية
ابن شريف بن جرّوة (٢) بن أسيد بن عمرو بن تميم حكيم الحرب المشهور
في الجاهلية (٣) ، وكنيته أبو حنّيش (٤) ويقال أبو تيدة (٥) .

وأكرم من أشهر خطباء العصر الجاهلي ، ولكن الباحث لا يكاد يمشر
له على ترجمة واضحة في كتب الأرب أو التاريخ والسير ، وكل ما وصلنا من
أخبار حياته قليل لا غناء فيه على كثرة ما نسب إليه من الأقوال والحكم
والوصايا والخطب إذا ما قيس بغيره من خطباء الجاهلية ، وقد جمع الجلودي
عبد العزيز بن يحيى المتوفى سنة ٣٣٢ هـ أخباره في كتاب أسماه " أخبار
أكرم بن صيفي " (٦) مما يؤكد ذبوع شهرته ووفرة أخباره في تلك الحقبة
إلا أنه لم يبق من الكتاب سوى ذكره .

وأكثر ما وصلنا من أخبار أكرم ما رواه أبو حاتم السجستاني المتوفى
سنة ٢٥٠ هـ في كتابه " المعمرين " وأرجح أن مصداق ما نقلته المصادر
الأخرى من أخباره أخذ عن هذا الكتاب ، ولكن لسوء الحظ وقع نقص
في الكتاب المطبوع ، وكان هذا النقص من سيرة أكرم بن صيفي ، فتبدأ سيرته
مبتورة بئاثرة من الحكم والأمثال بعد ترجمة المستوفى بن ربيعة التميمي (٧) ،
ويؤكد ذلك ما نقله ابن حجر في " الإصابة " عن أبي حاتم من سيرة
أكرم ، فقد نقل عنه روايتين في إسلام أكرم (٨) لم يبق منهما شيء فسي
الكتاب المطبوع ، وتناقلت هذه الروايات مصادر أخرى عن كتاب " المعمرين "
قبل ابن حجر وقد تنبه محقق الكتاب إلى هذا النقص وثبته على وقوعه
في أصول الكتاب المخطوطة (٩) .

-
- (١) في الإصابة : ١١٠/١ والدر المخزون : ٤٩ (رباح) .
(٢) جمهرة أنساب العرب : ٢١٠ (جرّدة) .
(٣) جمهرة ابن الكلبي : ٤٤/١ ، المعارف : ٢٠٥ ، الاشتقاق : ٢٠٧ ، تاريخ
المحققين : ٢٢٧/١ ، شرح الميرون : ٣١ ، أسد الخاة : ١١٣/٢ الإصابة
(٤) : ١١٠/١ ، تشييف اللسان : ٥٢ ، الدر المخزون : ٤٩ .
(٥) في المقد : ٢٢٤/٥ " أبو حنّيش " ، شرح الميرون : ٣٢ ، ومع الأمثال :
٢٩٢/٢ .
(٦) المعمرين والوصايا : ٢٠ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٢٢/١ .
(٧) هدية المارفين : ٥٧٦/١ .
(٨) المعمرين والوصايا : ١٣ (٨) الإصابة : ١١/١ .
(٩) المعمرين والوصايا (مقدمة المحقق) : ٨ .

ويلاحظ أن أكرم سليل أسرة عريقة في الفصاحة والبيان والجاه والحكمة، فقد كان أبوه صيفي بن رياح غطيباً معصراً من سكام الحرب في الجاهلية (١) وعرف بـ "ذي الحكم" (٢) وكذلك كان جده مخاشن بن معاوية من أعز أهل زمانه واتخذت له قبة يأوي إليها المظلومون واليهاب وغيرهم . وكان له فخر على مضر يومئذ كل عام ، وروي أن ذلك كان لربيعتين مخاشن (٣) وأكرم عم حنظلة بن الربيع الكاتب وأخيه رياح بن الربيع وكانا من الخطباء أيضاً (٤) .

ولد أكرم وعاش قبيل الإسلام ، وتدل بعض أخباره أنه عاش واشتهر في القرن السادس الميلادي ، ولم تقع له على غير أقدم من ذلك ، ولو أن بعض أخباريين زعم أنه عاش قبل ذلك بكثير ، فقد وه من المصمرين وزعموا أنه عاش تسعين ومئة سنة ، ومنهم من استقل هذا المصمر فجعله ثلاثاً وثلاثين سنة (٥) ، ولا يخفى ما في ذلك من الخرافة ونسج الخيال ، كما نحلو على لسانه شعراً يشكو فيه الشيخوخة جاء فيه :-

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة إلى مئة لم يسأم العيش جاهل

مضت مئتان غير عشر وفاؤها ذلك من عد الميالي قلائل (٦)

ويتركز مصظم ما وصلنا من أخباره في النصف الثاني من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الميلاديين ، ونستطيع أن نحصر حياته بين عامي ٥٥٠ م ٦٣٠ م أي بين حوالي ٧٥ ق هـ - ٩٥ هـ .

وكان لأكرم في شيم منزلة الخطيب المفوّة والحكيم المصائب النظار الذي لا تصدر القبيلة إلا عن رأيه ، ووصف بأنه كان من الخطباء البلقاء والحكام الرؤساء (٧) .
ورئاسة أكرم لم تكن كرئاسة غيره من سادة تميم آنذاك ، إن اقتصرن

(١) النقاظر : ١٣٩/١ .

(٢) المصمرين والوصايا : ١٤٦ ، المعارف : ٥٥٣ ، المقاموس : مادة (حكم) الإصابة : ١١٢/١

(٣) المصمر : ١٣٤ ، تاريخ اليمتقوبي : ٢٢٧/١ ، اللسان : مادة (عود) . التاج : مادة (عود) .

(٤) بصيرة ابن الكلبي : ٩٥/١ ، المعارف : ٢٠٩ .

(٥) المصمر : ١٣٤ ، الاشتقاق : ٢٠٧ ، المصمرين والوصايا : ١٤ ، المعارف : ٢٠٩ ،

تاريخ اليمتقوبي : ٢٢٧/١ ، الأيالي : ٣٠٤/١ ، الإصابة : ١١٢/١ .

(٦) المعارف : ٢٩٩ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٢٢/١ ، الإصابة : ١١٢/١ .

(٧) البيان والتبيين : ٣٦٥/١ .

مفهوم الرئاسة والسيادة بالقوة وحسن البلاء في الحروب والخزوات ، فكانت مدار منافسة شديدة بين الزعماء ، ولكننا لا نجد منافسا لأكثر في رئاسة تميم تلك ، وعلى سعة شهرته وعلو منزلته ، لا نجد له بلاء يذكر مع كثرة حروب قبيلته إلا ما كان من مشورته على رؤساء تميم حين فزعوا إليه يوم الكلاب الثاني ، الذي وقع عقب يوم الصفقة بعد مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وقتل هجرته ، أي بين عامي ٦١٠ م و ٦٢٢ م (١) . فما أن علموا بعزم أسلم اليمن على غزوهم حتى فزعوا إليه ليسألوه المشورة ، فأشار عليهم بلطاعة أمراءهم وتوحيده قوتهم وجماعتهم ، وأن يقرضوا ويثبتوا عند البلاء (٢) ، ووصيته تلك بعيدة عن التحريض والدعوة إلى القتل والسبي وغير ذلك مما عهدناه في خلد السب الحرب ، وبشي ذلك بكراهية أكثر للحرب ، فنجده يوجههم إلى تجنب قبيلته بخطر البلاء والدمار بعد نكبتهم يوم الصفقة ، على يد جيش من أكبر الجيوش التي شهدها الحرب في حروبهم قبل الإسلام .

وفي رواية أخرى تشير إلى أن رؤساء تميم فزعوا إلى أكثر يومها ليمرضوا الرئاسة عليه ، فقال لهم : " لا حاجة لي في الرئاسة ولكني أشير عليكم " ويذكر ابن الأثير رفضه بأن عمره كان يومئذ مئة وتسعين سنة (٣) .

ونستطيع القول إن مكانة أكثر في تميم كانت أقرب إلى مكانة الحكيم الروحانية ، وتقابل مكانة الكاهن في القبائل الأخرى ، ومن اللافت في هذا اليوم ذلك ، التوافق بين صورة أكثر وقد فزع إليه سادة تميم يسترشدون برأيه ، وبين صورة كاهن بني الحارث وقد جاءه رؤساء اليمن يستشيرونه في أمر غزو تميم (٤) . وهذا اليوم من آخر الأحداث المهمة في تاريخ تميم يشارك فيه قبيل الأكرام ، وذلك لقربه من وفاته على الرسول - صلى الله عليه وسلم - على ما تذكره الروايات .

-
- (١) تاريخ ابن الأثير : ٦٢١/١ .
 (٢) النقائض : ١٤٩/١ ، المعمرين والوصايا : ١٦ ، عين الأخبار : ١٠٨/١ ، الثاني : ٧٠/١٥ ، المقصد : ١١٣/١ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٢٢/١ .
 (٣) تاريخ ابن الأثير : ٦٢٢/١ .
 (٤) النقائض : ١٤٩/١ ، المقصد : ٢٢٦/٥ .
 تاريخ ابن الأثير : ٦٢٢/١ .
 وانتشار المعبر : ٣١٦ .

ويذكر أبو حاتم السجستاني غزوة أخرى لأكثم غامضة ، لم يذكر اسم ذلك اليوم ، أو القوم الذين غزاهم ، وكل ما أورده أن خلافا وقع بين أكثم وبين بني أخيه حول الأسرى والغنائم ، أراد أكثم رد الأسرى والغنائم فغالبه بنو أخيه ثم فارقوه (١) .

واعتقد أن هذه القصة صُنعت على غرار قصص الأمثال ، لتكون مناسبة لطائفة الحويلة من الحكم والأمثال يوردها له بعد ذلك ، ويذكر قصة خلاف آخر وقع بين أكثم وابن أخيه رباح بن الربيع ، يرسل إليه أكثم مالك بن نويرة غتن رباح على بنته ، فيفقر ذلك الخلاف ، وهذا يؤكد أن علاقة طيبة كانت تربط مالكا بأكثم قبل أن يشير على قومه بالإسلام . ونسب إليه أبو حاتم أقوالا يشي بها على مالك (٢) .

٢- صلة أكثم بملوك العرب والمعجم :

لم تقتصر شهرة أكثم في الحكمة والخطابة في قبيلته تميم فحسب ، بل يروى أن شهرته ذاعت بين القبائل العربية وفيما جاورهم من الممالك داخل الجزيرة العربية وعلى حدودها ، وأغرت هذه الشهرة الواسعة بعض الرواة في المصنوع المتأخرة باختلاق أخبار ومواقف مع ملوك تلك الفترة ونسبوها إليه بسبب الصراع القبلي والشعوبي في المصور اللاحقة . فلا يسعنا إلا أن نقف موقفا حسانا من هذه الأخبار .

اتصل أكثم بملوك الحيرة ، إلا أن علاقته بهم لم تكن واضحة تماما ، فقد كان بنو حنظلة أكثر بطون تميم حظوة عند المناذرة ، فمنحوا بني يربوع منهم حق الردافة (٣) ويبدو أن بني عمرو بن تميم قوم أكثم كانوا أشرف من إخوانهم

(١) المحمرون والوصايا : ١٦ - ١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥ - ١٦ .

(٣) كان الرداف يولس عن يمين الملك ، ويركب معه إذا ركب ، وأه ريسع غنيمة الملك في كل غزوة ، ويتسلم بعض الهبات من رعايا الملك .

إنبار : النقائص : ١/٦٦ ، ٢/٢٩٦ ، ٨٠٩ ،

أنساب الأشراف (مخطوط) : ٦٦٢ ،

اللسان : مادة (رداف) .

بني حنظلة ، فكانوا يضطرون لدفع الإتاوة إلى ملوك الحيرة ، ليتسكوا من الرعي في الأراضي التي يسيطر عليها المناذرة (١) .

وأقدم الأخبار التي وصلتنا عن صلوات أكثم بالمناذرة ، خبره عن عمرو ابن هند الذي امتد حكمه بين عامي ٥٥٤م - ٦٠٢م ، فقد وفد عليه محزبا بأحد أخوته وتقام عنده بخاوية من عيون خباب التمزية في الصحراء الباهليسي ، وقد وقفنا عليها في مكانها من البعث ، ويلحقنا من العاطفة الهادئة الحسنة في هذه الخطبة أن العلاقة بينهما كانت وثيقة (٢) .

وحاول بنو أسيد بن عمرو بن تميم قوم أكثم التمرد على سلالان عمرو بن هند ، وامتحنوا عن دفع الإتاوة له ، وقتلوا ساعيه على جميع الإتاوة وأقل بين مريم اليشكري ، فأغار عليهم بنو يشكر في يوم الحاجر وقتلوا عددا من رجالهم (٣) . ويفترض أن يكون أكثم كبير زعماء تميم أو رئيس بني أسيد عشرته على الأقل في هذه الفترة ، ليوصله ذلك للموافقة على عمرو بن هند ، ولكن المصادر لم تذكر لأكثم أي دور أو رأي في هذه الحادثة .

والتصالحات علاقة أكثم بملوك الحيرة بعد عمرو بن هند وتوالت وفاداته عليهم وأهم تلك العلاقات صلواته بالنعمان بن المنذر ، الذي حكم بين عامي ٥٨٠ - ٦٠٢م ، وتعتبر هذه الفترة من أكثر فترات حياته خصبا ، فيها ذاعت شهرته وتبوأ مكانته في الخبايا والحكمة ، فقد اضطرت الأمور في الميمنية بعد وفاة ابن هند وظلت كذلك حتى جاء النعمان بن المنذر (٤) ، وفي أثناء ذلك ثرد بنو عمرو قوم أكثم على سلطان الحيرة ومنعوا الإتاوة عنهم ، فأرسل النعمان عليهم جيشا لأخذهم ، فقهروا الجيش ونهبوا ممتلكاته (٥) ، ثم جرد عليهم جيشا آخر جرارا من بني بكر بن وائل عليهم أغوه الريان ، فأغسار عليهم وساق الأسرى والسبي والغنائم إلى الحيرة ، فرأى زعماء تميم أن لا طاقة لهم على النعمان ، فركب إليه زعماءهم وقدّموا عليهم أكثم بن صيفي وفيهم قبيل ابن عامر ، ليعلنوا ولائهم للنعمان ويسألوه العفو عن أسرارهم وسببهم وأراد النعمان أن يلتفتهم درسا على تمردهم ، فاستهان بهم ، وأسس

- (١) المناقب المزيديّة : ١٢٦ ، ٢١٠ .
- (٢) العقد : ٣ / ٣٠٧ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦٧ / ٥ .
- (٣) أنساب الأشراف (مخطوط) : ١٠٧٥ ، العقد : ٢١١ / ٥ ، معجم ما استعجم : ٤١٦ ، سبط اللاتي : ٢٨٦ ، ٤٧٦ .
- (٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٥٧ / ٣ - ٢٦٦ .
- (٥) المناقب المزيديّة : ١٢٦ .

ولم يأذن لهم بالدخول عليه ، فبقوا في الحيرة سولا كاملا دون أن يؤذن لهم ، وكانت العادة أن يفد أصحاب الرهائن ووجوه العرب إلى مالوك العميرة في أيام الربيع من كل عام فيقيمون شهرا ثم يفكون رهائنهم ، ويأخذون ميرتهم ويمسودون إلى أحيائهم ، فلما طال بهم الانتظار قام أكتم بن صيفي وأخذ بمحاقة بدساب النعمان وراح ينادي معاتبا ومستغيثا :

يا همل بن مالك بن أهيسان هل تبلضن ما أقول النعمان
إن الهامام كان عيش الإنسان أهلكني بالعير بعد الحرمان
من يرم عار جماع وعداشسان وذلك من شر بهاء الضيفسان

وزعموا أن النعمان عرف صوته ، فعظم على نفسه ما سببه من الأذى له ولقومه ، فأدغلمهم عليه واحتفى به ، وكان لا يناديه إلا بكنيته (أبي حنيفة) ، فسأل كل واحد من أفراد الوفد لنفسه فاعداة إلا أكتم ، فطالب إليه النعمان أن يسأله ما يشاء إلا الأسرى ، فأبى أكتم ، وربما كان ذلك لأن النعمان وهب السبي والفنائم ودفع بالأسرى إلى بكر بن وائل ، فلم يردوا فاضلهم ، فقام أكتم ينثر على النعمان من دُر حكمة ، جاء فيها : " أبيت المحسن ، قد علم قومي أنني من أكثرهم مالا ، ولم أسأل أحدا شيئا ، إن المسألة من أضف المكسبة ، وقد تجوع الحرّة ولا تأكل بشيها . . . " فاستأج أن يؤشر فيه فوجبه ناقتة وخلصته وكل مسجون بالقطقات (١) والحيرة عرفة على ما زعموا (٢) ، وأظن أن واضع هذه القصة مرعز على تبين شهرة أكتم ونوعها في الآفاق ، حتى أنه لم يبق أحد في زمانه لم يعرفه ، فلا غرابسة أن يعرفه بجميع من كان في سجون النعمان .

وكان النعمان راغبا في مصالحة قوم أكتم ليدعم سلطانه ، وبخاصة أن تميمًا كانت من أقوى القبائل العربية آنذاك ، فقال :

ما كان ضر تميمًا لو تفمدهما من فضلنا ما عايه قيصر عيسلان

روى ابن الكلبي أن النعمان بن المنذر قد اختار أكتم (٣) بن صيفي وأوفده في نخبة من مشاهير خدباء الجاهلية إلى كسرى ليتكلموا عنده ، فبرمه

(١) القطّاقانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية كان به سجون النعمان بن المنذر ، انظر معجم البلدان : ١٣٧/٤ .

(٢) المصرون والوصايا : ٢٠ - ٢٢ .

(٣) الكامل : ٨٣/٢ - ٨٤ .

درجته فصاحة الحرب وأصالة رأيهم وقوة عقلهم . وأمر أن يكون أكرم أول المتكلمين وزعموا أن كسرى أعجب بكلام أكرم فقال له : " لو لم يكن للحرب غيرك الكفى " (١) وقد سبق لنا التحدث عن هذه الوفادة في مكانها من البحث ، وثبتنا إلى ما فيها من النحل والوضع ، وأنها أثر من آثار الصراع بين العرب والشعوبية في الممر الحباسي الأول ، فاستغل الرواة شهرة أكرم ومكانته في الجاهلية ومن معه فوضحو ذلك عليهم لينوِّهوا بآثار الحرب ورفع شأنهم قبل الإسلام (٢) . وزعموا أن النعمان طالب إليه أن يبعث له ببعض حكمه وآرائه فتسببوا إليه . حكما في أصول الحكم وكيفية إدارة شؤون الرعية وحقوق الراعي ، زعموا أنه قالها للنعمان (٣) .

وذكر أن أكرم كان على صلة ببعض ملوك الفساسنة في الشام ، فزعموا أن الحارث بن أبي شمر الفسائي طلبه ليكون في الألسنة الموشوية التي تكلّم (هرقل) ملك الروم عند زيارته له . ليثبت له أن في صحراء العرب حكما لهم عقل وبيان (٤) .

وذكر أن سادات الجران كانوا يتصلون به ، وكذلك ملوك سحر (٥) ، وأن سادات جهينة وأسلم وخزاعة وغيرهم كانوا يسألونه الرأي والمشورة (٦) .

٢- موقف أكرم من الإسلام :

أجمعت معظم المصادر التي تعرضت لحياة أكرم على أنه أدرك الإسلام ، ولكنها تباينت تباينا شديدا في مسألة إسلامه . فقد ذكر أنه لما بلغ أكرم بن ريفي خبر مخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه ، وقالوا له : " أنت كبيرنا لئلا نكون لتخف رأيته " (٧) ، فدالب منهم أن يأتيه برسول يبعثه إليه ، فيخبره عنده

-
- (١) المقد : ١٢٤/٢ ، بلوغ الأرب : ١٤٧/١ .
 (٢) الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٢٧ ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٧٧٦/٨ ، قس بين ساعدة الإيادي : ٨٢-٨٩ .
 (٣) المصمرون والوصايا : ٢٤-٢٥ .
 (٤) المصدر نفسه : ٢٥ .
 (٥) المصدر نفسه : ٢٢-٢٣ .
 (٦) المصمرون والوصايا : ١٨ ، مجمع الأمثال : ١٤٥/٢ .
 (٧) الاستيعاب : ١٤٦/١ ، تفسير ابن كثير : ٨٣/٥ .

ويأتيه بخبره ، فذهبوا إليه رجلين ، فأوصاهما أن يسألاه عن نسبهما وما جاء به (١) ، وفي رواية أخرى ، أنه بعث إليه ابنه جيثا ليأتيه بذلك ، وزعم أنه بعث إلى النبي رسالة يسأله فيها عن أمره (٢) ، فلما بلغ رسوله النبي صلى الله عليه وسلم - أخبراه بالأمر فخبرهما أنه عبد الله ورسوله وتلا عليهم ما تولى تعالى : " وإن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون " (٣) فرجعا إلى أكنم وقد حفظا الآية فآخبراه بأمره ، وقرأ عليه الآية فوثقت من نفسه موقع الإجابة (٤) . وزعموا أن النبي كتب إليه مع رسوله : " أحمد اليك الذي لا إله إلا هو ، إن الله أمرني أن أقول لا إله إلا الله " (٥) .

فذكروا أن أكنم جمع قومه ودعاهم إلى اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال لهم : " أي قوم إنه يأمر بكارم الأخلاق وينهى عن ملاحمها ، فانثروا فسي هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا أذناباً ، وكونوا فيه أولاً ، ولا تأثروا فيه آخراً " (٦) .

وتذكر بعض الروايات أن مالك بن نويرة عارض موقف أكنم بهذا وعاداه ، فقام إليه وسقه رأيته وقال : " إن شيخكم قد خرف ، فلا تتصربوا بالبله " فقال له أكنم : " ويل للشجى من الخلي ، والله ما عليك آسى ، لكن على العامة ، والمهني على أمر لم أشهده ولم يسبقني " (٧) .

وأما من ذهب إلى أن أكنم لم يسلم فقد زعموا أنه لم يلبث بعد ذلك أن حضرته الوفاة ، فلم يقدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن هؤلاء ابن عبد البر (٨) ، وابن دريد (٩) والذهبي (١٠) ، واعتصموا على هذا القدر من الرواية وخلفوا من عدة في الصحابة .

-
- (١) أسد الغابة : ١١٢/٢ ، تفسير ابن كثير : ٨٣/٥ ، الإصابة : ١١١/١ .
 (٢) الاستيعاب : ٣٧٩/١ ، الإصابة : ١١١/١ .
 (٣) سورة النحل : آية ٩٠ .
 (٤) الاستيعاب : ٣٧٩/١ ، ١٤٦ ، شرح الميوني : ٣٢ ، أسد الغابة : ١١٢/٢ ، تفسير ابن كثير : ٨٣/٥ ، الإصابة : ١١١/١ .
 (٥) الإصابة : ١١٢/١ .
 (٦) الاستيعاب : ١٤٦/١ ، أسد الغابة : ١١٢/٢ ، شرح الميوني : ٣٢ ، صامع الأمثال : ٢٩٢/٢ ، تفسير ابن كثير : ٨٣/٥ ، الإصابة : ١١١/١ .
 (٧) مجمع الأمثال : ٢٩٢/٢ ، شرح الميوني : ٣٣ ، الإصابة : ١١١/١ .
 (٨) الاستيعاب : ١٤٦/١ .
 (٩) الاشتقاق : ٢٠٧ .
 (١٠) تجريد أسماء الصحابة : ٢٧/١ .

وأما من رأى أنه أسلم فقد زعموا أنه نادى في قومه وندبهم للمسير معه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - للدخول في الإسلام ، فتبعه مئة رجل ، من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة (١) ، وركب فيهم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما داروا دون المدينة بأربع ليال ، كره ابنه عبيش مسيره ، فأدلى على رأسه أصحاب أبيه فنحروها ، وشق قربهم ، فأمرهموا ليس معهم ماء ولا ظهرو ، فجهدهم المطاش ، ومات أكثرهم عطشا (٢) .

ولما أُيقِنَ بالموت قبل أن يصل النبي - صلى الله عليه وسلم - أوصى أصحابه أن يدخلوا في أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - ويبحث معهم إليه بإسلامه ، وقدم أصحابه على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسلموا (٣) .

روى أبو حاتم أن ابن عباس ذكر أن قوله تعالى " ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله " (٤) قد نزل في أكثر بن صفية وأصحابه .

وعنه من أخذ بهذا الرأي في الصحابة ، ومثهم السهيلي ، والد بن الحارث المتوفى سنة ١٨٦ هـ والأصمعي (٦) المتوفى سنة ٢١٦ هـ ، والمدايني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، وابن سلام المتوفى سنة ٢٣٢ هـ (٧) وأبو حاتم المستنبي المتوفى سنة ٢٥٠ هـ وأبو علي بن السكن المتوفى سنة ٣٥٣ هـ وابن منبج المتوفى سنة ٣٩٥ هـ (٨) ، وأبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ (٩) ، وأبو بكر بن فديمون المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (١٠) وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١١) وابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ (١٢) وابن نياته المتوفى سنة ٧٦٨ هـ (١٣) ، وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ أكثرهم تأكيداً على ذلك (١٤) .

-
- (١) الإصابة : ١١٢/١ ، بلوغ الأرب : ٣٠٩/١ .
 - (٢) الإصابة : ١١١/١ - ١١٢ .
 - (٣) الاستيعاب : ٣٧٠/١ ، شرح الميعون : ٣٣ ، الإصابة : ١١١/١ - ١١٢ .
 - (٤) شرح الميعون : ٣٠ ، الإصابة : ١١١/١ .
 - (٥) شرح الميعون : ٣٢ .
 - (٦) الإصابة : ١١١/١ .
 - (٧) مجمع الأمثال : ٢٩٢/٢ . (٨) الإصابة : ١١١/١ - ١١٢ .
 - (٩) تجريد أسماء الصحابة : ٢٧/١ . (١٠) الإصابة : ١١١/١ .
 - (١١) أسد الغابة : ١١٣/٢ . (١٢) تفسير ابن كثير : ٨٣/٥ .
 - (١٣) شرح الميعون : ٣٠ - ٣٣ .
 - (١٤) الإصابة : ١١١/١ - ١١٢ .

ووجد الباحث بعد أن اطالع على آراء طائفة كبيرة من أصحاب كتب الصحابة والمؤرخين والرواة فيما سبق ، ومعظمهم من الثقة في الحفظ والرواية ومن المصنفين الأيقاظ ، أن معظم هؤلاء قد عدوا أئمتهم في الصحابة من الفئة التي أدركت النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم تره ، وهذا يؤكده صحة إسلامه .

وإذا أسلمنا صحة وفادة أئمتهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - فما مصير ذلك الوفد ؟ ومتى كانت هذه الوفادة ؟ وهل هذا الوفد هو وفد تميم نفسه الذي قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - في سنة ٩ هـ ؟ .

ذكر أبو حاتم خبر هذه الوفادة في كتاب (الصبرين) في ترجمة أئمتهم بن صفيي وأورد ها في سياق آخر يختلف عن خبر وفادتهم في سنة ٩ هـ ودخل اللبس على ابن حجر، فحسب الروايين لوفادة تميم في السنة التاسعة للهجرة، فذكر ذلك بعد أن روى خبر وفادة عطار بن حاجب على النبي - صلى الله عليه وسلم - في ترجمة الزبرقان (١)، وتدل القرائن على أن الرواية التي ذكرها أبو حاتم في ترجمة أئمتهم هي لوفادة أخرى حدثت قبل وفادتهم المشهورة في السنة التاسعة، وافرد أبو حاتم بهذه الرواية ، وذكر أسماء بعض من وفدوا مع أئمتهم منهم : "الاقرع بن حابس، وسلمي بن القيسين، وأبو تميم الهذلي ، ورياح بن الربيع، وعبد الرحمن بن الربيع، وصفوان بن أسيد" (٢) ، ولحق بالوفد حاجب بن زارة ووكيم بن عبد من بن زارة بعد موت أئمتهم ، فساروا بأصحابه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسلموا كسائر أوصاهم أئمتهم ، وأقاموا فترة في المدينة يتعاملون القرآن ومبادئ الإسلام ، وبينما صفوان بن أسيد وهو ابن أخي أئمتهم يسير في بعض أرواحي المدينة . وشب عليه رجل من بني الايث يطلب بني تميم بدم فقتله ، فأخذ حاجب ووكيم اللبثي ، وأتيا به النبي - صلى الله عليه وسلم - ابحكم فيه (٣) ، وهذه الحادثة وقعت قبل فتح مكة وقيدوم عطار في أصحابه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يمكن أن يرأس عطار ذلك الوفد في حياة أبيه وقد كان من كبار زعماء تميم ، ويؤيد ذلك ما ذكرته الروايات من أن رجلاً من وفد مع أئمتهم من بني عمرو بني حنظلة (٤) ، ولم نجد بالفعل بين من ذكرهم من أسماء الوفد سمداً واحداً ، بينما كان معظم وفد عطار من زعماء

(١) الإصابة : ١/ ٥٤٣ .

(٢) الإصابة : ١/ ١١١-١١٢ .

(٣) المصدر نفسه : ١/ ١١٢ ، ٣/ ٦٣٦ .

(٤) الإصابة : ١/ ١١٢ ، بلوغ الأرب : ١/ ٣٠٩ .

بني سعد (١) وما يدعم صحة ما ذهبنا إليه من أن وفادة أكنم كانت قبيل وفادة عطارك ما نقله ابن معجر عن أبي حاتم في ترجمة عفوان بن أسيد أحد أعضاء الوفد فقال : - "إن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث حاجبا على صدقات قومه ولم يلبث أن مات فخرج بعد ذلك عطارك بن حاجب والزهرقان بن بدر . . . حتى قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -"

(٢) .

ومع ما تنسبه هذه الروايات إلى أكنم من الفضل في دعوة قومه إلى السبق في دخول الإسلام ، إلا أننا لا نجد للنبي - صلى الله عليه وسلم - فيه أي رأي أو قول على غرار ما نسب له في قس بن ساعدة (٣) والأشعث بن قيس (٤) على سبيل المثال .

وروي أن أكنم مات وعمره مئة وتسعون عاما (٥) في طريقه إلى النبي دون المدينة بأربع ليال ، ولكن لم يذكروا في أي مكان أو جهة من المدينة قبره (٦) ، ونسبوا له هذا العمر يوم الكلاب الثاني أيضا ، ونسبوا إليه قوله :

فإن امرأة قد عاشت تسعين حجة إلى مئة لم يسأم الحيش جاهل (٧) .
ورجح ابن نباتة أن يكون عمره حين وفادته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - خمسا وتسعين سنة وروي البيت :

وإن امرأة قد عاشت تسعين حجة
لنفس فلم يسأم الحيش جاهل

"على أن عمره خمس وتسعون سنة وهو الأقرب" (٨) .

ورجح (زلهيم) رأى ابن نباتة وقدر سنة وفاته في السنة الثامنة للهجرة عن تسعين عاما (٩) .

(١) انوار الإصابة : ٥٤٣/١ .

(٢) الإصابة : ١٨٧/٢ .

(٣) الأوائل : ٨٤ .

(٤) الطباقات الكبير : ٦٦/١/٧ .

(٥) مهرة ابن الكلبي : ١٤/١ ، سرح العميون : ٣٢ ، الإصابة : ١١٢/١ .

(٦) المعارف : ٢٥٩ ، الإصابة : ١١٢/١ .

(٧) المعارف : ٢٩٦ ، سرح العميون : ٣٢ ، الإصابة : ١١٢/١ .

(٨) سرح العميون : ٣٢ .

(٩) الأمثال العربية القديمة : ٤٧ .

٤- أكثر والمكومة :

-٢٢٧-

كان لكل قبيلة من قبائل العرب في الجاهلية محكم يتقاضيون إليه إذا تشاجروا في الفضل والمجد وغير ذلك من الأمور التي كانت تقع بينهم (١) ، وقبيلة تميم اشتهرت بكثرة قضائها (٢) ، وكان القضاء بسوق عكاظ محلا لهم لا ينازعهم فيه منازع ، يتوارثونه فيما بينهم (٣) ، ومن بين الأسر التي تخصصت بأمور القضاء في تميم وبين الوافدين إلى عكاظ وغيرهم بنو أسيد بن عمرو بن تميم ، قوم أكثر ، ومن قضى من أجداده جريرة بن أسيد ، ومعاوية بن شريف ابن جريرة ، ومخاشن بن معاوية بن شريف ، وكان أممهم وأعزهم ، ومخاضل ابن أوس بن مخاشن ، وميمهم قضى في عكاظ (٤) ، كما اشتهر غيرهم بالقضاء ، خارج عكاظ مثل صيفي بن رياح والد أكثر وكان يصرف " ذوالالحكم" (٥) وآخر حكام هذه الأسرة في الجاهلية هو أكثر بن صيفي سليل هذه العائلة الحريقة في القضاء .

ولم يكن أكثر أو غيره من الحكام يحكم بشريعة مكتوبة ، ولا بموجب كتب سماوية ، وإنما يرجع إلى عرفهم ويعتمد على تجاربه وفراسته في الأمر ، وما يستنبطه اجتهداه من القياس على الأشياء برد الأمور إلى مشابهاتها ، فكانت أحكامهم أحكام طبع وسليقة قبلها الناس لما وافقتهم طبعهم ، قال اليعقوبي : " وكان للعرب حكام ترجع إليهم في أمورهم وتتحاكم في منازعاتهم وموارثاتهم ومبايعاتهم ولأنه لم يكن دين يرجع إلى شرائعهم ، فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق والأمانة ، والرئاسة والسن والمجد والتجربة " (٦) .

ثم يذكر أن أكثر بن صيفي ممن اجتمعت فيهم هذه الصفات فعدّته العرب في منازعاتهم فحكم .

ونذكروا أن لأكثر بعض الأحكام كان أول من حكم بها ، فصارت بعده سنة متبعة ، وعرفا من الأعراف التي ثبتها الإسلام ، فقد روى أبو هلال العسكري

-
- (١) بلوغ الأرب : ٣٠٨/١ .
 - (٢) انصار : المصبر : ١٨١ ، تاريخ اليعقوبي : ٢٢٧/١ ، التاج : مادة (حكم) و (قرع) .
 - (٣) النقائض : ٤٣٨/١ .
 - (٤) النقائض : ٤٣٨/١ ، ١٣٩/١ ، الأسان : مادة (حكم) ، القاموس : مادة (حكم) .
 - (٥) القاموس : مادة (حكم) .
 - (٦) تاريخ اليعقوبي : ٢٢٧/١ .

أن أكثم بن صيفي : " أول من حكم ان الولد للأفراش " (١) في الجاهلية
ثم جاء الإسلام فأقره .

وقد أمضى أكثم فترة طويلة يقضي في قبيلته قبل أن تتسامع بأحكامه
قبائل العرب ، فتقصد إليه من قبيلته لتحكمه في منازعاتها ، فنصته بعضهم
بأنه من حكام تميم (٢) ، ووصفه آخرون بأنه " قاضي العرب يومئذ " (٣) ، ولكنه
لم يذكر عنه أنه جلس للحكومة في عكاظ ، وكان يقضي في عكاظ زمنه سفيان بن
مجاهع ثم ابنه محمد بن سفيان (٤) .

ومن المنازعات المشهورة التي حكم فيها أكثم ، مفاخرة الققاع بن مريد
بن زرة وخالد بن مالك النهشلي ، وهما من كبار زعماء تميم يومئذ ، تناقضا
إليه أيهما أقرب إلى المجد والسؤدد ، وجملا بينهما مئة من الإبل ، وكان أكثم
قاضيا حكيما ، فنحش أن يقع الشر في قبيلته من هذه المفاخرة ، فسقه فعلمهما
وأشار عليهما أن يرجعا عما عزا عليهما من الطيثر ، وخلا بكل واحد منهما يحمله
بذلك ، فأبيا عليه ، فقال لهما : " سفيهان يريدان الشر ، ارجعما ، فإن أبيتما
فأني لست فضلا أحدا من قومي على أحد ، كلهم إلي شريح سواء " (٥) ، فلما
أصرأ على ذلك حبرأ لهما عنده ، وبمض بهما مع رجل إلى ربيعة بن حذار
الأسدي ليحكم بينهما ، فنقّر ربيعة الققاع على خالد ، فغضب خالد وعاد
إلى أكثم مسرعا ، وأدعى الإبل ، فأبى أكثم أن يدفنها إليه حتى يأتي رسوله ،
فاستنهض خالد قومه من بني نهشل وبني مجاشع ليأخذ الإبل عنوة من بني
أسيد ، فخرج إليهم أكثم في قومه وردهم بعد أن ركبوا للشر كما توقع (٦) وتوضح
لنا هذه المفاخرة أيضا كيف كانت أحكام هؤلاء الحكام تنهأ وتنفذ وكان هيبة
هذه الأحكام جزءا من هيبة قبيلة القاضي نفسها ، فتحرص على إنفاذها
حتى لو دعت الحاجة إلى القوة .

ويلاحظ أن أكثم لم يكن يحكم بالأسجاع كصنيع بعض حكام تميم في الجاهلية ،
مثل حمزة بن ثمرة والأقرع بن عابس وغيرهم (٧) ووصف الجاهلك أكثم بأنه
من الحكام الروءساء " (٨) في الجاهلية .

(١) الأوائل : ١/٩٥ ، الدر المختون : ٥٠ .

(٢) مجمع الأمثال : ١/٣٥ ، بلوغ الأرب : ١/٣٠٨ .

(٣) الأغاني : ٣٢٠/١٦ .

(٤) النقاظ : ١/٤٣٨ شرح الميرون : ٣٢ ، مجمع الأمثال : ٢/٢٥٢ ، الإصابة : ١/١١١ .

(٥) المصمرون والوصايا : ١٦ .

(٦) المصمرون والوصايا : ١٨-٢٠ ، البيان والتبيين : ٦/٢٧٢-٢٧٣ .

مجمع الأمثال : ٢/٢٠١ ، الإصابة : ١/٤١٢ ، بلوغ الأرب : ١/٣٠٦ .

(٧) البيان والتبيين : ١/٢٤٠ .

(٨) المصدر نفسه : ١/٣٦٥ .

يعد أكثم بن صيفي من أشهر خطباء العرب البلغاء في الجاهلية، ومع هذه الشهرة الواسعة لم يصلنا من خطابه وأخباره غير القليل الذي نالته أيدي المنحليين والرواة بالوضع والتعريف في المصنوع التالية، وهذا يدل على مكانته البلاغية السامية، مما أغرى هؤلاء الرواة بالوضع على لسانه .

وتجالت بلاغة أكثم كذلك فيما أثر عنه من الحكم والأمثال التي كانت أكثر شبيهاً من خطابه بين الناس فتناقلتها الألسن عبر العصور لسهولة حفظها، ويلاحظ أنه غالباً ما يردف اسم أكثم بأنه حكيم العرب المشهور ففي الجاهلية (١) ، وغلب جانب الحكمة على شخصيته الأدبية ، وباء معظم ما روى له من الكلام على هيئة حكم وأمثال في مواضع إنسانية مختلفة ، وحتى خطبه جاءت على هذا الأسلوب، فهي مجموعة من الحكم والأمثال ، جُمع بعضها إلى بعض ، فيلاحظ تكرار هذه الحكم في غير وصية له ، وذلك من فضل الرواة الذين جمعوا هذه الأمثال في غير مجموعة على هيئة خطابة ، وأخصى له الميدان في وصية واحدة زعم أنه قالها لبنيه تسعة وعشرين مثلاً وحكمة، منها قوله : " تباروا ، فإن البر يبقى عاين الحد ، وكفوا السنتكم ، فإن مقتل الرجل بين فكيه ، إن قوا الحق لم يدع لي صدقاً ، الصدق منجاة ، لا يثففسع التوقي ما هو واقع " (٢)

ولا حظ (ولهايم) أن شخصية أكثم تأتي في المرتبة الثانية بعد شخصية لقمان في كثرة ما نسب إليها من الأمثال والحكم بين الشخصيات التاريخية والخرافية ، وعقب على ذلك بقوله : " فمن المعروف أن هؤلاء الناس الذين اشتهروا خرافياً أو تاريخياً قد حمل عليهم الكثير " (٣) .

(١) المصنف : ٢٤٤ ، الاشتقاق : ٢٠٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٢١٠

الإصابة : ١١٠ / ١ .

(٢) مجمع الأمثال : ١٠٥ / ٢ ، بلوغ الأرب : ٣١٠ / ١ .

(٣) الأمثال العربية القديمة : ٤٧ .

ولا نستطيع أن ننكر أنه كان من عادة خطباء الجاهلية أن يكثروا من الحكم والأمثال في كلامهم، ليستعينوا بها في إظهار حكمتهم وحقائقهم، ويضيفون عليها حكماً وأمثلة من عندهم هي من وحي تجاربهم وتأملاتهم في الحياة، إلا أنه ليس بالمكان لإثبات أن هذه الأمثال المنسوبة إلى أكنم هي لـه حقيقة (١)، وبينها طائفة كبيرة من الأمثال والحكم التي قيلت في أوقات أخرى عند مختلف الأمم، قبل أيام أكنم بزمان طويل (٢)، وفي "كتاب الجوهرة فني الأمثال" من كتاب "المقد" ألفه ابن عبد ربه باباً خاصاً جعل عنوانه: "أمثال أكنم بن صيفي وبزُرْ جَمهر الفارسي" حشد فيه حوالي مئة وستين مثلاً وحكمة (٣) ولا يزيد ما نسبته الروايات الأخرى منها إلى أكنم من عشرين مثلاً، وما نسبته المصادر الأخرى منها له: "الرأي ناعم والبهوى يقطران" (٤) "الصدق منجاة والكذب مهواة" (٥)، "مقتل الرجل بين فكيه" (٦) "قتلت أرض جاهليها، وقتل أرضاً عارفها" (٧). ونجد بين تلك الأمثال ما نسب إلى حكماء العرب في الجاهلية والإسلام، وبعضها نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم — (٨) ولم يعلل ابن عبد ربه سبب دمج بين أمثال أكنم وبزُرْ جَمهر، واعتقد أن ذلك من نتائج الصراع الشموي بين العرب والفرس في العصر العباسي، فهذا أكنم بن صيفي حكيم العرب قبل الإسلام لا يقتل عقلاً ولا حكمة عن حكيم الفرس، وبزُرْ جَمهر — ر .

-
- (١) المصرون والوصايا : ١٣-٢٥ ، المقد : ١/٢٦٢، ٣/٧٦ ،
مجمع الأمثال : ٢/١٩٥، ٨٧ ، جمهرة الأمثال : ٢/١٠٣، ١-شرح
نهج البلاغة : ٢٠/١٧ ، المزهر : ١/٥٠١ .
(٢) الأمثال العربية القديمة : ٤٨، ٦٣-٧٠ ، المفصل في تاريخ
العرب قبل الإسلام : ٨/٣٦٣ .
(٣) المقد : ٣/٧٦-٨٠ .
(٤) شرح نهج البلاغة : ١٧-٢٠ .
(٥) مجمع الأمثال : ٢/١٩٥ .
(٦) المصرون والوصايا : ١٤ ، المقد : ٢/٤٧٢ .
(٧) المصرون والوصايا : ١٦ .
(٨) المقد : ٣/٧٦-٨٠ (الهوامش) .

- ٢٣١ -

وعلق بعض الباحثين أهمية على ما ذكر من وجود كتاب قديم عند بني تميم وجاءت الإشارة إلى هذا الكتاب في قول بشر بن أبي خازم:

وجدنا في كتاب تميم — أحق الغيا بالركب المصار (١)

ونذهب د. ناصر الدين الأسد إلى أن بني تميم كانوا يسمون شعر شعرائهم وحكم حكمائهم وأقوال خطابائهم، وماثرهم في هذا الكتاب، ونذهب إلى استنتاج ظني أبعد من ذلك، وهو أنهم "ربما أفردوا الحكم وجوامع الكلام في كتاب خاص" (٢) ودعم استنتاجه هذا بما رواه أبو حاتم السجستاني في "المصمرين" من أن أكرم بن صيفي أحد حكماء هذه القبيلة كان يكتب حكمه وأقواله إلى بعض ملوك زمانه في العمرة والشام وبعض زعماء القبائل (٣)، وذلك يعني أنه ربما كتب حكمه وخطابه في كتاب قبيلته، فأخذ الرواة ذلك عنه في المصنوع الإسلامية اللاحقة، وذلك يبرّح صحة معظم ما وصلنا به من الحكم وجوامع الكلم (٤).

ونذهب جواد علي إلى أننا لا نستطيع أن نأخذ بالظن ونقول بصحة مثال هذه الخطب المنسوبة إلى خطباء تميم وحكمائها لمجرد وجود إشارة إلى اسم كتاب وردت في شعر لا ندرى مبلغ درجته من الصحة والأمانة (٥).

ومهما قيل في خطب أكرم وحكمه، فهي إن صحت دلت على عظمة بلاغته، وإن نحل عليه معظمها فهي دليل على شهرته ومكانته في الجاهلية والمصنوع الإسلامية، وذكر الجاحظ مكانته فوصفه بأنه "من الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء" (٦) وقال فيه ابن نباتة إنه: "أشهر حكماء العرب في الجاهلية وحكمائهم وخطابائهم" (٧) وذكر أن يزيد بن المهلب كان معجباً ببلاغة أكرم وباريقتة في الكلام، فكان يسلك في خطابه ووصاياه وحكمه، فإن هذه الطريقة في القول كما يصفها الأوسى: "أعسن مسالك البلغاء، وأرشق أساليب الفصحاء" (٨).

(١) القاموس: مادة (عير)، اللسان: مادة (عير)، الموشح: ٧٦،

الأغاني: ٩٤/٦.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي: ١٦٤.

(٣) المصمرون والوصايا: ١٨-٢٤.

(٤) مصادر الشعر الجاهلي: ١٦٥، ٥٥١-٥٧٢.

(٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٥٣/٨.

(٦) البيان والتبيين: ٣٦٥/١ (٧) سرج الصيون: ٣١.

(٨) بلوغ الأرب: ١٧٢/٣-١٧٣.

ب - شَيْبَتُ بْنُ رَبِيعٍ :

- ٢٢٢ -

١ - فاتحة أمره :

هو شَيْبَتُ بْنُ رَبِيعٍ بْنِ حُصَيْنٍ بْنِ عَثِيمٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ رِيَّاحٍ - بن يربوع بن عذالة بن مالك بن زيد مائة بن تميم (١) .

ينتمي شَيْبَتُ إلى بني رِيَّاح بن يربوع أحد بطون بني عذالة من تميم ، وبنو يربوع من أشعر قبائل العرب وأصبرهم على البلاء في الجاهلية والإسلام ، وقال فيهم معاوية : " لو أن النجوم تآثرت لسقط قعوها في حِجَور بني يربوع " (٢) لشقاقتهم بالرماح (٣) ، وقد ظهر فيهم عدد وافر من القادة والمفرسان ، والخطباء والشعراء المشهورين يطول ذكر اسمائهم ، مما يوضح الدور الذي لعبه هذا البطن من تميم في الجاهلية والإسلام (٤) .

لم تعد المصادر التي نقلت أخبار شَيْبَتُ سنة ميلاده ، ولا مفرأ نسبا من الفرز والاستنتاج لمحاولة تحديدها ، فقد جاء في رثاء الهيثم بن الأسود النخعي له :-

عاش تسمين خريفاً عمه - جمع ما يملك من غير شَيْبَتُ (٥) .

وإذا فرضنا صحة قول الهيثم بأن شَيْبَتُ عاش تسمين سنة ، فقد عمّر إلى ما بعد أيام المختار ، وتوفي في منصرف مصعب بن الزبير عن العراق بعد أن عزله أخوه سنة ٦٤ هـ ، كما سنيين فيما بعد ، فإن مولده يكون في حوالي سنة إحدى وعشرين قبل الهجرة تقريباً .

وتغيب عنا أخبار نشأته وزمن إسلامه ، ويبدو أنه اعتنق الإسلام بعد قدوم وفد تميم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في السنة التاسعة للهجرة ، ومع أن الأخبار تشير إلى أنه شيخ جاهلي إسلامي (٦) إلا أننا لم نقع له على أي مشاركة في أحداث قبيلته في الجاهلية على كثرتها ، وأهم يُذكر فيمن وفدوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - فن قومه .

(١) جمهرة ابن الكلبي : ٧٢/١ ، الاشتقاق : ٢٢٣ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٧ .

المقتضب من جمهرة النسب (مخطوط) : ٣٩ ، تاريخ ابن الأثير : ٣٩ .

(٢) عيون الأخبار : ١٢٤/١ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١٣١/١٥ .

(٤) انظر : جمهرة أنساب العرب : ٢٢٤-٢٢٨ ، وشرح نهج البلاغة :

١٣٠/١٥-١٣١ ، لهجة تميم : ١٥-١٧ .

(٥) أنساب الأشراف : ٢٧٦/٥ (٦) تاريخ الطبري : ٤٣/٦ .

ويظهر شَبَث فجأة في بؤرة الأحداث في السنة الحادية عشرة للهجرة ، عندما ارتد قومه بنو يربوع بزعامه مالك بن نويرة ، وانضموا إلى متبئتهم سَبَاح اليربوعية ، ويذكر الطبري أنه كان من بين زعماء تميم وروّسائها الذين تبعوا سَبَاح ، وذكروا أنه كان مؤيداً لها (١) وقد عُرف بجهازة صوته (٢) فكلّفه مسيامة أن ينادي في قومه أنه وضع عنهم عبالة النساء وعبالة الفجر مهراً لِسَبَاح حين تزوجها ، إلا أن شَبَث عاد مرة أخرى إلى الإسلام بعد أن أوقع خالد بن الوليد يومه بالبطاح وأغضبهم لسلطان الإسلام (٣) .

ولما استنفر عمر بن الخطاب قبائل العرب للجهاد جاءه رَجِي بن حُصَيْن الرياضي ، والد شَبَث في أناس من بني حنظلة ، فأمره عليهم وسرّعه إلى المشي بين هارثة في العراق ، فقدم عليه سنة ٣ هـ (٤) ، ولم يلبث والده أن مات فرائس شَبَث قومه بعد أبيه (٥) ، وأعلن أن ذلك كان زمن المشي ، ومن الخريب أن يرأس شَبَث قومه في تلك الحروب وهو أحد المرتدين ، كما لم يذكر أنه كسب من ذوي الشرف أو الحسب في يربوع قبل الإسلام ، وربما أمر عمر والده لسبقه إلى الجهاد .

وتغيب عنا أخبار شَبَث في تلك الفتوح ، ويستقر به المقام بالكوفة مع قومه بني رياح بعد تمصيرها سنة ١٧ هـ ، ومن هناك أخذ شأنه يرتفع في قبيلته ومصره (٦) .

(٢) شَبَث في أيام علي :-

كان أهل الكوفة بين المتدبرين من سياسة سيدنا عثمان ، ولم يلبث هذا التدبر أن تحول إلى ثورة مسلحة في وجهه انتهت بمقتله ، وكان ذلك إيذاناً ببداية فتنة من أشد الفتن التي شهدتها التاريخ الإسلامي ، وتذكر بعض الروايات أن شَبَث كان أول من أعلن على قتل عثمان (٧) .

ومالت الأمارات المتصارعة إلى العراق وتسابقوا إلى كسب ود أشجع

-
- (١) بمهرة ابن الكلبي : ٧٢/١ ، الاشتقاق : ٢٢٣ ، تاريخ الطبري : ٢٧٨/٣ .
 - (٢) عيون الأخبار : ١٨٦/١ .
 - (٣) تاريخ الطبري : ٤٦٤/٣ .
 - (٤) تاريخ الطبري : ٤٦٤/٣ .
 - (٥) الإصابة : ٥٠٣/١ ، ٥٢٥ .
 - (٦) الاشتقاق : ٢٢٣ .
 - (٧) الإصابة : ١٦٣/١ .

الكوفة، وتوافدت رسل علي وعائشة إلى وجوه الكوفة، كل يستميلهم إلى جانبه ويشبطهم عن الآخر، واجتمع الناس في المسجد ليرأوا أمرهم، وراح زيد بن صوحان المبدى يدعو إلى علي ويرد على كتاب عائشة الذي أرسلته إليه وقال: "... أمرت أن تقرأ في بيتها وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به، وركبت ما أمرنا به " ومن الغريب أن يتصدى له شبث ابن ربعي للدفاع عن عائشة ويدعو إلى نصرتها، وقد خربت لأخذ قتلة عثمان ومن أعانهم، وشبث أحدهم، فقال: لزيد بن صوحان: " يا عماني، سرقت بجلولاء فقطحك الله، وعصيت أم المؤمنين فقطحك الله، ما أمرت إلا بما أمر الله عز وجل بالإصلاح بين الناس " (١) ومع هذا التأييد لعائشة أم نفع الله على ذكره في وقعة الجمل، ويبدو أنه اعتزل الجانبين وانضم بعد الجمل إلى علي وشارك معه في صفين، ويظهر شبث في صفين زعيماً من زعماء أهل الكوفة لا يقل مكانة عن محمد بن عمار بن عطار سيد تميم الكوفة، وسليل أسرة الشرف من آل زرار، وكانت له حظوة عظيمة عند الإمام علي، واستغلها ما اتصف به شبث بن الحصة والاندفاع السريع، وأبدى شبث حماسة قوية في نصرته علي وقاتل أهل الشام، فلما دخل حنظلة بن الربيع على علي وشبطه عن القتال كان شبث أحد الناقمين عليه، فهدم داره بالكوفة، وكان شبث يومئذ عريساً بني تميم فيها، ونسبوا لحنظلة شعراً يهجو به شبثاً (٢).

ولما بدأ القتال دفع إليه علي - رضي الله عنه - لواء بني عمرو الكوفة وحفظلتها (٣)، وكان يخرجهم في خيله لقتال أهل الشام في الأيام الأولى، وأمد به بلاشع من قيس الكندي حين كثر عليه أهل الشام ليمنحوه الماء، وكان له في هذه الوقائع بلاء عظيم (٤).

واعتاره علي في ذي الحجة سنة ٣٦ هـ مع بشير بن عمرو بن معصم الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وأوفدهم إلى معاوية قبل أن يصل دم

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٣، تاريخ ابن الأثير: ٤/٤٨٣، شرح نهج البلاغة: ١٤/١٩.

(٢) وقعة صفين: ١٠٩، شرح نهج البلاغة: ٣/١٧٥.

(٣) وقعة صفين: ٢٠، تاريخ خليفة بن غياث: ١/١٢٧.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/٥٦٩.

المسكران ، ايدعوه إلى الطاعة والجماعة وحقق دماء المسلمين ، وكسان شئت أشد هم رغبة في استرضاء معاوية إلى السلم وترغيبه بولكتهم ، بينما دخلوا عليه بذلك راج معاوية يتفطرس ويتجبر ، وأخذ يراوغ عن دعوتهم بدم عثمان ، فلم يهتمل شئت منه ذلك ، ورد عليه ردا قاسيا فضح فيه نواياه وكأشفه بمكيد تـــــــه وخداعه ، فثار معاوية عليه غاضبا وقال : " . . . فقد كذبت وأوءمت أيها الأعرابي الجلف الجاني في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيــــــني وبينكم إلا السيف " ولكن حمية شئت الأعرابية أبت عليه أن يسكت عن هذه الإهانة فقال له : " أفعلينا تهول بالسيف ؟ أقسم بالله ليصبلن بها اليك " (١) .

ولما توادع الجانبان في المحرم سنة ٣٧ هـ اختاره علي مرة أخرى فـــــــي وفئادة ثانية على معاوية ، ومعه عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرميني وزبيد ابن خصمفة ، ولم تكن هذه الوفادة أحسن حظا من سابقتها ، إذ لم يبدأ عدي بمخرجه الأمر على معاوية حتى راج يراوغ فعله في المرة الأولى ، ويذكر دم عثمان ويتهم عليا به ، فقام إليه شئت يجادل ويعظم عليه الأمر فيما يطالبــــب من قتل بعض الصحابة الذين انتقدوا سياسة عثمان ، مثل عمار بن ياسر ، فأظهر معاوية حقه على عمار وقال : " والله لو أمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان ، ولكن كنت قاتله بنائل مولى عثمان " فثار شئت بحميته السابقة مهددا معاوية وقال : " والله الأرض والله السماء ما عدلت محتلا ، لا والله لا إله إلا هو لا تصال إلى عمار حتى تنذر الهام عن كواهل الأتوام ، وتضييق الأرض الفضاء عليك برحبها " (٢) ، وتوالى الأحداث في صفين فقبل علي بالتحكيم وصر الأشعث بن قيس بصحيفة التحكيم على بني تميم في عسكــــر علي ، فحكم جماعة من بني تميم عليهم عروة بن أدية ورفضوا قبول التحكيم فذأوا أول الخوارج على علي ، واعتدوا على الأشعث ، فسار شئت في زعمــــاء تميم إلى اليمانية واسترضوا الأشعث (٣) وتقلب مواقف شئت بعد ذلك

- (١) وقصة صفين : ٢٠٩ - ٢١١ ، تاريخ الطبري : ٥٧٣/٤ - ٥٧٤ .
تاريخ ابن الأثير : ٢٨٦/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٠٨/٢٠ .
(٢) وقصة صفين : ٢٢١ - ٢٢٤ ، تاريخ الطبري : ٥/٦ - ٦ ، تاريخ ابن الأثير : ٢٩٠/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ١١١/٢٠ - ١١٢ .
(٣) الكامل : ١٨٠/٣ ،
أنساب الأشراف : ٣٣٦/٢ .

من الأحداث تقلبا عجيبا ، فقد عارض معظم زعماء تميم إرسال أبي موسى للتمعك ، إلا ما كان من شيث ، فقد قام إلى علي وقال له : " . . . فإن قلت في أبي موسى ضعفه وضعفه وثقاه خيبر من قوة عمرو وفجوره ، فأخلق به البلاء " (١) وقلنا : مثل هذه الحماسة لأبي موسى في مسجد الكوفة قبل الحماة ، عين دعا إلى القعود عن الفتنة ، ومن الفريب أن يقف كذلك مع ما ذكر عنه من شدة تحمسه على اليمانية ، ويبدو أن شيثا شأن معظم أعراب تميم في هذه الحرب كره هذا الصراع بين الأسر القرشية على السلطة ، وكره الاستمرار فيه من أجل قريب .

ولم يلبث أن انضم إلى الخوارج وكان من رؤوسهم ، فقال بعوالس عشرين ألفا منهم إلى حروراء بعد رجوع علي إلى الكوفة سنة ٣٧ هـ ، فأمرهم عليهم ، ونادى مناد بهم : " إن أمير القتال شيث بن ربيعة " (٢) وكسان شيث يقول : " أنا أول من حرر الحرورية " (٣) ولكنه لم يستمر معهم طويلا فماد إلى علي مرة ثانية قبل وقعة النهروان ، وذكر أنه اشترك مع علي في قتالهم يوم النهروان ، وكان على ميسرة جيشه ، وزعموا أنه اشترك في قتال زعيمهم عبد الله بن وهب الراسبي (٤) .

وفي سنة ٣٨ هـ نزل ابن الحنظلي بالبصرة في بني تميم يدعوه إلى مباينة فممنعته تميم وأعانتة على ذلك ، فلما بلغ ذلك الإمام علي ، غشي شيث أن يسلط الإمام علي اليمانية على قومه بالبصرة للحصبة التي كانت بين الحيين فقام إليه وأشار عليهم أن يرسل إليهم بعض زعماء تميم بالكوفة يدعوهم إلى الطاعة فقام إليه مخنف بن سليم الأزدي ، فذكر غدر تميم وعصيانهم ، وفخهم بلخلاص قومه وللاهم ، (٥) إلا أن عليا أثر رأي شيث فأرسل إليهم بجارية بن قدامة السعدي بريد أن اغتالوا أحد زعمائهم وهو أعين بن ضبيعة فأخضعهم وتسلل ابن الحنظلي (٦) .

(١) الإمامة والسياسة : ١٣٣ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ١٧٤/١ ، أنساب الأشراف : ٣٤٦/٢ ، تاريخ

الطبري : ٦٣/٥ ، ٩١ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ١٧٤/١ ، ميزان الاعتدال : ٢٦١/٢ ، الإصابة : ١٦٣/١

(٤) تاريخ خليفة بن خياط : ١٧٤/١ ، أنساب الأشراف : ٣٦٦/٢ ، ٢٤٢ ، ٣٧١

تاريخ الطبري : ٨٥/٥ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٧ .

(٥) شرح نهج البلاغة : ٤٤/٤ .

(٦) تاريخ الطبري : ١١٠/٥ .

يذكر معاوية شُبَيْثًا منذ بداية عهده ، فكتب إلى المغيرة بن شعبة عامله على الكوفة أن يأمر شُبَيْثًا بالصلاة في الجماعة (١) ، فكان يفتخر معه الصلاة ، فقد أراد أن يبقى شُبَيْثًا تحت عين المغيرة ، فلم يثبت معاوية مواقف شُبَيْثٍ معه فسبي وفاداته لصلي عليه في صفين .

وحاول المغيرة أن يستغل العداء بين الشيعة والخوارج ، ففرض بضرب بعضها ببعض ، فأرسل شُبَيْثًا في جماعة من شيعة الكوفة إلى قُرّة بن نوفل الأشجعي حين خرج عليه ، فقاتله وقضى على جماعته . (٢) .

ولما نُصِبَت الكوفة إلى زياد سنة ٥٠ هـ حرص على استمالة شُبَيْثٍ إليه ، لمكانته من قومه ، فيضمن ولائهم للأمويين ، فظهر له الاحترام والتقدير وكانه عين باللب الفرزدق وهرب منه بالمفوعة ، فقال له زياد : " لو أتاني لأمنته وأعطيته " (٣) ، ونجح زياد في كسب ولائشُبَيْثٍ ، فانقلب شُبَيْثٌ على الشيعة ومار من أول أعدائهم ، فلما ثار هجر بن عدي على زياد سنة ٥١ هـ كان شُبَيْثٌ فيهم شهيد عليه بالكفر وخلع الخليفة ، ووجهه زياد بهجر وأصحابه إلى معاوية ، ولكنه لم يذكر في الوفد حين دخلوا على معاوية (٤) .

ويصود شُبَيْثٌ لينقلب على الأمويين مرة أخرى بعد وفاة معاوية ، فكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي يدعوه لتولي الأمر والقُدوم عليهم ليحييروه على ذلك (٥) . فلما قدم ابن زياد على الكوفة وقد جاءها مسلم بن عقيل داعيًا الحسين ، تغلّى شُبَيْثٌ عن ابن عقيل وانضم إلى ابن زياد (٦) ، ورفع راية أمان لمن يتغلى عن ابن عقيل بأمر من ابن زياد ، وعقد له ابن زياد لواء الحرب ليقاثل ابن عتيب - ل -

(١) تاريخ الطبري : ٤٣٧/٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٩/٤ .

(٢) أنساب الأشراف : ١٤٠/٢/٤ .

(٣) أنساب الأشراف : ١٤٠/٢/٤ ، تاريخ الطبري : ٢٤٧/٥ .

(٤) أنساب الأشراف : ٢٢١/٢/٤ - ٢٢٣ ، تاريخ الطبري : ٢٦٩/٥ .

(٥) تاريخ الطبري : ٣٥٣/٥ .

(٦) تاريخ الطبري : ٣٦٩/٥ .

وكان شبت من أشد الناس في قتاله (١)، ثم أرسله ابن زياد مع عمر بن سعد لقتال الحسين وجعله على الرجال، فلما ضيقوا الخناق على الحسين وأصحابه ذكر الحسين شبتاً وزعماء الكوفة بما كتبوا إليه، فانكروا (٢)، ولكنهم كانوا "ما زالوا يرون من شبت الكراهة لقتاله"، فلما كشف أصحاب الحسين شبتاً، قيل: عمر بن سعد أمره أن يتقدم بالرجال، فقال: له شبت: "سبحان الله، أتحمد الله شيخاً من أهل مصر عامة تبعه في الرماة، لم تجد من تدب لهذا ويخزي هذا، غيبي" (٣) وأحجم عن قتاله، ولما قتل مسلم بن عوسجة من أصحاب الحسين، وتنادى أهل الكوفة بذلك فرحاً وبخ شبت من حوله منهم، وانتهرهم وحذرهم من سوء المصانعة لقتل مثله (٤)، كما وبخ شمر بن ذي الجوشن حين نادى بحرق فسطاط الحسين (٥) وكان لمصاب الحسين أثر فاجع في نفسه، وربما كان ذلك من إحساسه بالذنب، وإن كان فيمن دعاه ثم خذله وأسلمه إلى ذلك المصير، فروى أنه سمع في إمارة مصعب بن الزبير يقول: "لا يعطي الله أهلاً هذا المصير غيراً أبداً، ولا يسدد هم لرشده، ألا تصعبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض ثقاتاً مع آل معاوية وابن سمية الزانية، ضلال يالك من ضلال" (٦).

-
- (١) تاريخ الطبري: ٣٨١/٥.
 (٢) المصدر نفسه: ٤٢٥/٥.
 (٣) المصدر نفسه: ٤٣٦/٥، تاريخ ابن الأثير: ٦٨/٤، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٤٤٩/٢.
 (٤) تاريخ الطبري: ٤٣٦/٥، تاريخ ابن الأثير: ٦٨/٤.
 (٥) تاريخ الطبري: ٤٣٨/٥.
 (٦) تاريخ الطبري: ٤٣٧/٥، تاريخ ابن الأثير: ٦٩/٤.

ولما سيطر المختار على الكوفة تنبَّه قتلة الحسين ومن أمان عايده وقتل

- (١) تاريخ الطبري : ٥٢٤/٥ .
- (٢) أنساب الأشراف : ٢١٨/٥ .
- (٣) أنساب الأشراف : ٢٢٦/٥ ، تاريخ الطبري : ٢٢/٦ .
- (٤) تاريخ الطبري : ٢٣-٢٥/٦ .
- (٥) المصدر نفسه : ٢٥-٢٧/٦ .
- (٦) المصدر نفسه : ٢٩/٦ .
- (٧) المصدر نفسه : ٣٠/٦ .
- (٨) أنساب الأشراف : ٢٢٦/٥ - ٢٢٧ ،
- تاريخ الطبري : ٣٠-٣٢ .

«ميج من ظفر به منهم ، ولكنه لم يتمرض لشيث مع أنه اشترك في وقعة كربلاء ، وبقي شيث يترعى بالمختار الدوائر ، حتى مات يزيد بن أنس ، قائد جيش المختار الذي بعثه لقتال ابن زياد في عين الوردة ، فاجتمع أشرف الكوفة في بيت شيث وتذاكروا أمر المختار ولم يكن شيء أشد على نفس شيث وأصحابه مما أعد شيه المختار من جعله للموالي في الفي * نيبا ، وذهب شيث إليه وأخبره بما أنكره أصحابه من أعماله ، فمرض عليه المختار أن يرضيهم في كل ما ألبوا شريطة أن يعينوه على قتال ابن الزبير وبني أمية ، ويرد عليهم موااليهم وعبيدهم وفيهم ، فطلب منه شيث أن يشار أصحابه في ذلك ، ولكنه خرج وأم يرجع واجتمع أشرف الكوفة حول شيث لقتاله ، وراحوا يرمونه بالكفر وأصحابه (١) ، وانتظروا حتى سير ابن الأشتر لقتال ابن زياد ووشوا به ، وثاروا بالجهابيين ، ونزل شيث بن ريمي في مضر بالكناسة وأرسل إلى المختار ابنه عبدالمؤمن ليقول له : " إنما نحن عشيرتك ، وكف يمينك لا والله لا نقاتلك ، فثق بذلك منا " (٢) ، وكان رأيهم قتاله ولكنه كاده ، فأعاد المختار جيش ابن الأشتر ووجهه إلى شيث فهزمه وقمع ثورتهم ، فخرج أشرف الناس ولحقوا بمصعب بالبصرة (٣) ويبدو أن شيثا لم يخرج إلى مصعب بن الزبير مباشرة ، ولم يطلبه المختار بما فعل ، ويؤكد ذلك أن المختار حين فرغ من قتالهم أظهر أمر الكرسي الذي يستعمله به ، وأمر بالصلاة جامعة بالمسجد ، وانطلق شيث إلى المسجد مع الناس ، فأظهر أمر الكرسي ، فقام السبعية يكبرون فقام شيث إلى قومه وقال : " يا معشر مضر لا تكفرون " ، فحجوه فذبوه وصدوه ، وأخرجوه (٤) وكانت هذه الحادثة سنة ٦٦ هـ ، وفي سنة ٦٧ هـ قدم شيث على مصعب بن الزبير وتحتة بخله قد قطع ذنبها وقطع طرفي أنفها ، وشق قباءه وهو غداي : " يا غوثاه !! يا غوثاه !! " وهذا يذكرنا بالمرخ وطلب النجدة زمن الجاهلية ، وأخير مصعب بأمره فقال : " هذا شيث بن ريمي أم يكن ليفعل هذا غيره " وأقذر أن مصعبا عرف ذلك ما سمعه عن شيث وبدونه ، إذ لم تطلعنا الأخبار على أي صالحة

-
- (١) أنساب الأشراف : ٢٣١/٥ تاريخ الطبري : ٤٣/٦ - ٤٥ هـ .
 (٢) تاريخ الطبري : ٤٧/٦ .
 (٣) أنساب الأشراف : ٢٣١/٥ ، تاريخ الطبري : ٤٧/٦ - ٥٥ هـ ، مختصر كتاب البلدان : ١٦٩ .
 (٤) تاريخ الطبري : ٨٣/٦ ، الإصابة : ١٦٣/١ .

بينهما قيل ذلك فأُذخِلَ عليه ، فأخبره بما فعل المختار به ، وسأله النصيحة
عنه ، وعاد مع مصعب لقتال المختار (١) .

وتولى شَيْثُ شُرطاة القُبَاع وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي
ولاه مصعب الكوفة بعد قتل المختار ، وخرج معه سنة ٦٨ هـ لقتال الخوارج وعليهم
الزبير بن الماحوز التميمي ، وأشار عليه شَيْثُ بن ربيعة ومحمد بن عبيد أن يشبَّه قتالهم
وربما فعلا ذلك ، لأن محطام الخوارج كانوا من تميم (٢) .

ولم يابث شَيْثُ طويلاً على شُرطاة الكوفة ، فعزاه القُبَاعُ ، وروى المدائني
سبب ذلك بأن شبثاً تقدم ليصلي على جنازة رجل من بني مُعَافِر بن رباح
قومه ، فمعه ، فوشب ابنه عبد السلام على رجل منهم فقطع أذنه ، فدفعه إليهم ليقطعوا
أذنه فأبوا لأنه ابن أخته فدفع إليهم عبد القدوس فقطعوا أذنه ، فلما طلبهم
القُبَاع بذلك قال : " هذا أعرابي " فعزله عن شُرطاته وتوسلوا إلى شَيْثُ قوله يهجو
القُبَاع ويهينه بأمره :

أَبْعَدَ الْقُبَاعُ أَمْرُ الدَّهْرِ صَاحِباً عَلَى سَوْفِهِ لَنِي . إِذَا أَضْمِينِ

وَأَمَّاكَ سَوْدَاءُ الْخَوَارِجِ جَمْعاً لَهَا شَبْهٌ فِي ضَحْرِكَ مِثْلِي (٣)

وتوفي شَيْثُ في هذه السنة أي سنة ٦٨ هـ ، أو بعد ذلك بيسير ، وزعم بعضهم
أنه قتل في وقعة الكناسة زمن المختار سنة ٦٦ هـ ، وخطأ البلاذري من زعم ذلك
وقال : " إنما مات شَيْثُ حتف أذنه " (٤) ، ولما ذكر خبر قدومه على مصعب بن
الزبير بعد الكناسة قال : " وهذا أصح من قول من قال إن شبثاً قُتل بالكوفة " (٥)

ويذكر البلاذري أن شبثاً كان علويًا في آخر أيامه وكان من يقاتله
المهشم بن الأسود أبو العُريان عثمانيًا ، فكان يقول لشَيْثُ "إني أشتد عليك"

(١) أنساب الأشراف : ٥١/٥ ، تاريخ الطبري : ٩٤/٦ ، مناقب : ١١٨/١ .

(٢) أنساب الأشراف : ٢٧٤/٥ ، الإصابة : ١٦٣/١ .

(٣) أنساب الأشراف : ٢٧٥/٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٣٤/٥ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٥١/٥ .

عليك من يوم صفين "، فلما مرض شَيْتَ المرض الذي مات فيه جاءه الحُرَيان بن الهيثم وقال له : " يتول لنا أبي كيف تجداه ؟ " قال : " أنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ، فأخبر أباك أنني لم أندم على قتال معاوية يوم صفين " ولم يلبث أن مات فرثاه الهيثم بن الأسود بقوله :-

إنني اليوم وإن أملتني	أقليل المكث من بعد شَيْتَ
عاشر تسمين خريفاً ممسه	جمع ما يهلك من غير شَيْتَ
لم يخلف في تيم سببسة	ينكر الرأس ولا عبداً نكبثاً (١)

ومات شَيْتَ وقد عُمِّرَ تسمين سنة ولم تذكر المصادر سنة وفاته ، والأرجح أنه مات بعد مشاركته مع القُشاع في قتال الخوارج سنة ٦٨ هـ (٢) وقد رايته حياً وأنه " مات في حدود السبعين " (٣) .

وتقبل وفاته جمع بنيه وأوصاهم بالجدود والكرم ، والأب يزوجوا بناته إلا من الكرام (٤) . وكان ابنه عبد المؤمن خديباً بليفاً وفارساً شجاعاً بحشه شَيْتَ يؤكد المختار يوم الكناسة (٥) وثار مع ابن الأشعث على الحجاج ، وكان من أشد المعرضين عليه (٦) .

-
- (١) أنساب الأشراف : ٢٧٥/٥ - ٢٧٦ .
 (٢) بمهرة أنساب العرب : ٢٢٧ .
 (٣) الإصابة : ١٦٣/١ .
 (٤) المصريون والوصايا : ١٤٠ .
 (٥) تاريخ الطبري : ٤٧/٦ .
 (٦) المصدر نفسه : ٣٣٦/٦ .

كان شيث هواداً شجاعاً، تميزت شخصيته بالأعرابية القوية
فكان سريع الانفعال والاندفاع، ويتصل بهذا الجانب من شخصيته اضطراب
مواقفه من أحداث عصره، وتقلب ولائه السريع بين الاتجاهات المتحارضة
آنذاك (١)، ولكن ولائه لقبيلته ومعه لم يتغير أبداً، وربما كان هذا الولاء
يدفعه إلى تغيير ولائه السياسي بما يتفق وبالح قبيلته ومعه، ويتغير القسوى
المتنافسة على السلطة يومئذ، وهذا الاضطراب في مواقفه جعل رجلاً
الحديث على تصنيف روايته (٢).

وإن ما وصلنا من خطاب شيث تدور في البعد السياسي والعربي
وتعالج مواقفه من الفتن التي ذرت قرنهما في عصره ولم يستأنس إلا بتماد عنهما،
وأسلوبه عنيف مليء بالحدة والانفعال، بدوي قد لا يتورع عن استعمال الألفاظ
الناابية عن الذوق الحضري (٣)، يؤثر المباشرة في التعبير عن مواقفه وأفكاره.

(١) انوار : أنساب الأشراف : ٣٤٢/٢، تاريخ الطبري : ٤٢/١.

(٢) الإصابة : ١٦٣/١.

(٣) انوار : تاريخ الطبري : ٤٨٣/٤.

١ - فاتحة أمره :

هو أبو بلال مرداس بن أدية (١) وهي أمّة (٢) ، وأبوه حنّير (٣) بسن عمرو (٤) بن عبيد (٥) بن كعب بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وأمه من بني صأرب بن خصفة (٦) وأخوه عروة بن أدية من كبار الخوارج ، نسباً إلى أمهما وعرفاً بها (٧) .

وأبو بلال يمد من كبار الخوارج وعبادهم عظيم القدر فيهم ، تذكره بعض كتب الرجال في طبقة التابعين (٨) .

وتغيب عنا أخبار نشأته الأولى ، وذكر أنه كان ابن عشر سنين حين أغار خالد بن الوليد على قومه بالبحوث من البجاج سنة ١١ هـ في غروب السردة ، وكان ممن أفلت يومئذ (٩) ويعني ذلك أنه ولد في السنة الأولى للهجرة .

وانتقل أبو بلال مع قومه في حركة الفتوح ليستقر في البصرة ويظهر بعد ذلك مع علي - رضي الله عنه - في صفين ، يقاتل أهل الشام ، فلمّا تواجد الطرفان إلى التحكيم كان أبو بلال وأخوه عروة أول من أنذر التحكيم ففتحاً بذلك الباب لظهور حركة الخوارج أقوى الأحزاب المناوئة للأحويين مدّ ، حكمهم (١٠) .

وكان أبو بلال فيمن مال من الخوارج إلى عمرواء وثبت على موقفه من التحكيم حتى بعد معاورة علي وابن عباس بالخوارج وعودة من عاد منهم إلى علي وشهد معهم النهروان ، وظال يقاتل أصحاب علي حتى ارتش من جراحه ، ولكنه نجا فيمن نجا من الخوارج يومئذ (١١) .

- (١) تاريخ خليفه بن خياط : ١٠ / ١ ، فيه "أحياة" .
- (٢) الكامل : ١٦٧ / ٣ ، ذكر أنها جدته .
- (٣) المقد : ٣٥٠ / ٣ ، ذكر أنه (حنّير) وفي جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ (جرير) .
- (٤) وفي تاريخ الطبري : ٤٧٠ / ٥ ، أن اسمه مرداس بن عمرو بن حنّير .
- (٥) وفي جمهرة ابن الكلبي : ٧٧ / ١ ، وجمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ (عبد) .
- (٦) أنساب الأشراف : ١٥٦ / ٤ .
- (٧) جمهرة ابن الكلبي : ٧٧ / ١ ، الكامل : ١٦٧ / ٣ ، أنساب الأشراف : ١٥٦ / ٤ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ ، شرح نهج البلاغة : ٨٦ / ٥ .
- (٨) أنساب الأشراف : ١٦٣ / ٤ ، ميزان الاعتدال : ٨٨ / ٤ (١) ، تاريخ خليفه بن خياط : ٧٠ / ١ (١٠) ، أنساب الأشراف : ٣٤٦ / ٢ .
- (٩) تاريخ خليفه بن خياط : ١٨٠ / ١ ، الكامل : ٢٤٩ / ٣ ، المقد : ٢١٦ / ١ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ ، شرح نهج البلاغة : ٨٤ / ٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٥١٨ / ٣ .

٢- أبو بلال زعيم الخوارج زمن الحكم الأموي :

واجه الأمويون حركة معارضة شديدة لحكمهم من الخوارج في الحواري ، وأخذ شأن أبي بلال يرتفع بين الخوارج بالبصرة ويصنام قدره فيهم ، وشرده عليه الخوارج والتفوا من حوله ، فقد كان أبرز رؤسائهم آنذاك (١) ، وساعدتهم على ذلك تهاون عبد الله بن عامر بن كريز والي معاوية على البصرة في الفترة الواقعة بين سنة ٤١هـ - ٤٤هـ ، ولما أصبح بتجريد السيف على أصحاب أبي بلال قال : "إني أكره أن أصالحهم بفساد نفسي" (٢) وجرأ ابنه هذا أبا بلال ، حتى تناول عليه وروي أنه رأى على ابن عامر قباء فأنكره وقال : " هذا لباس الفساق " وحذره بعضهم وقال له : " لا تقل هذا للسلطان فإن من أبغض السلطان أبغضه الله " (٣) .

وفي سنة ٤٥هـ قدم زياد البصرة واليا لمعاوية وقد اضطربت الأمور فيها فخطب في مسجد لها خطبته البتراء المشهورة التي أوضح فيها سياسته وأكثر من التهديد والوعيد ، ولم يرفض أبا بلال ذلك فقام في وجه زياد وأنكر عليه أن يكون ذلك حكم الله ، وقال له : " أيا الله بغير ما قلت ، قال الله عز وجل : " وإبراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى " فأوعدنا الله خيرا مما وعدت يا زياد ، وانت تزعم أنك تأخذ البري بالسقيم ، والمطيع بالمعاصي ، يا أميل بالمدير" (٤) ووجد زياد نفسه في مواجهة رأس أقوى الخصوم ، فحرص على أن يكشف له عمن أنيابه ، فقال له محذرا ومهددا : " إنا لا نبلغ ما نريد فإياك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفا " (٥) .

وشعر أبو بلال بصدق نية زياد ووجدته في تنفيذ وعيده ، فغضب عن المجازفة معه وروي أنه " سكت فمارني بعد ذلك " (٦) في زمن زياد وبمساعدة

-
- (١) أنساب الأشراف : ١٥٦/١/٤ .
 - (٢) تاريخ الطبري : ٢١٢/٥ .
 - (٣) أنساب الأشراف : ١٥٦/١/٤ ، تاريخ ابن الأثير : ٥١٨/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٨٥/٢٠ .
 - (٤) البيان والتبيين : ٦٥/٢ ، أنساب الأشراف : ١٨١/١/٤ ، عيون الأخبار : ٢٤٢/٢ ، الكامل : ٢١٤/٣ ، تاريخ الطبري : ٦٢٦/٥ ، المحقق : ١١٢/٤ .
 - (٥) النوادر : ١٨٦ .
 - (٦) النوادر : ١٨٦ .

المبرد أنه " خرج في عقب هذا اليوم " (١) ، ولا أعتقد أن المبرد يقصد أنــــه
ثار على زياد ، وربما قصد أنه خرج عن البصرة ليعتمد عن عيون زياد ، وتوجهه
إلى اصطخر على الأرجح ، فقد ذكر ابن حزم أن له بها عقبا كثيرا (٢) وكان يؤمن
بالتقية والتستر (٣) ، وروى عنه قوله : " إن الله قد جعل لأهل الإسلام سمعة
في التقية " (٤) .

وكان لا يدين بالاستعراض ، فلما خرج قَرِيبَ وَحَافٍ على زياد بالبصرة
سنة . هـ واستعرضا الناس في المسجد أنكر عليهما ذلك وعاتبه (٥) وربما كان
ذلك من الأسباب التي جعلت زيادا يخذل الطرف عنه ، وبعد خروجهما اشتد زياد
في طلب الخوارج وقتل منهم خلقا كثيرا ، وراقب أبو بلال هذه الأحداث بعين
الحذر المتيقظ ، وعلم أن غيلان بن قهرش الضبي سر عند زياد وأنحس
على الخوارج عنده ، فلما انصرف إلى منزله بعد ليلة لقيه أبو بلال ، فذكر لــــه
ما بلغه من ذكره الخوارج عند زياد ، وحذره من بلشهم إن عاد إلى ذلك ، فوعده
ألا يذكرهم بعدها (٦) .

وظل أبو بلال مشترا حتى حوالي سنة ٦١ هـ زمن ولاية ابن زياد على البصرة ،
وبعد سنة من خلافة يزيد بن معاوية ، فغشط الخوارج في هذه السنة واشتد
ابن زياد في طلبهم ، وملا السجن منهم ، وأخذ الناس بسببهم ، وعين أبو بلال
فيمن حينئذ ، وذلك قبل أن يقتل أخاه عروة (٧) ، ولما رأى السجّان عذاب تــــه
وشدة اجتهاده أذن له بالانصراف إلى بيته ليلا ، على أن يعود إلى السجن
مع الصبح ، وفي ذات يوم قتل رجال من الخوارج رجلا من شرطة ابن زياد ،
فمزم على قتل من في حبسه منهم ، وكان أبو بلال قد خرج إلى منزله تلبس ك
الليلة ، فأعلم بالخبر ، ورجاه أهله أن ينخو بنفسه ولا يعود إلى السجن ، فقبال
لهم : " ما كنت لألقى الله غادرا " .

(١) الكامل : ٢١٥/٣ .

(٢) جمهرة أنساب العرب : ٢٢٣ .

(٣) المقد : ٢٩٨/٢ .

(٤) أنساب الأشراف : ١٥٢/١/٤ .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط : ٢١٠/١ ، أنساب الأشراف : ١٥١/١/٤ .

تاريخ الطبري : ٢٣٨/٥ .

(٦) الكامل : ٢١٤/٣ ، أنساب الأشراف : ١٥٦/١/٤ .

(٧) أنساب الأشراف : ١٥٢/١/٤ .

تاريخ ابن الأثير : ٥١٨/٣ .

فلما بلغ السجن أخبر السجناء أنه عاد لما بلغه عزيمة ابن زياد على قتل الخوارج ،
فدَّهش من شدة وقائه وقال : " أعلمت ورجعت " فقال : " نعم لم يكن يزاوئك مع
إسـدائك أن تعاقب بسبي " فلما أصبح ابن زياد دعا بالخوارج وبصل يقتلهم
فقص السجناء على ابن زياد قصة مرداس وراح يشفع له ويستوهبه ~~منهم~~
فصفح عنه وأعلى سبيله (١) .

وكان على مذهبه امرأة من بني يربوع تذكر تجبر ابن زياد وسوء سيرته
تدعى البلجاء (٢) فذكرها ابن زياد وعلم أبو بلال بذلك ، فأشار طيبتها أن تستتر
من وجهه ، فأبنت ذلك ، ففطن ابن زياد رجوليتها وبيديها ورؤسها في السوق ،
ولما مرَّ بها أبو بلال عثر على لحيتها وقال : " هذه أطيبت نفسها بالموت منك
يامرداس ما من ميتة أموتها أحب إلي من ميتة البلجاء ، كل ميتة سوء ميتة
البلجاء فانن " (٣) .

ولما رأى جدُّ ابن زياد في طالب الخوارج عزم على الخروج ، فالتجأ إليه
زهاء ثلاثين رجلاً من أصحابه ، فأخبرهم أن الصبر على المقام بين المذالم المسكين
عظيم ، وتجريد السيف وإخافة السبيل عظيم أيضاً ، وأمرهم أن ينتبذوا عنهم ولا
يقاتلوا إلا من قاتلهم ، ولما مضى بهم لقيه بعض أصحابه فأشار عليه أن يرجع
عن عزمه قبل أن يشعر به أحد ، فبوء أخذ هو وأصحابه ، فأخبره أنه لم يخرج
لقتال ، وإنما خرج هرباً بدينه ودين أصحابه من الحكام الجوراء (٤) ، ومضى حتى
فراق بأسك - وهي ما بين رامهرمز وأرجان - ومر بهم مال يملك لابن زياد ،
فأخذ منه عطاءً وعطافاً أصحابه ، وترك الباقي ، فمحبب بعض أصحابه من ذلك
فقال : " انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلوة فلا تقاتلهم " (٥) .

(١) الكامل : ٢٤٩/٣ ، أنساب الأشراف : ١٥٧/١/٤ ، المحقق : ٢١٢/١ .
تاريخ الطبري : ٣١٣/٥ ، شرح نهج البلاغة : ٥/٣ ، تاريخ ابن الأثير

: ٥١٤/٣ .

(٢) وفي أنساب الأشراف : ١٥٦/١/٤ (الشجاء) ، وفي تاريخ ابن الأثير

: ٥١٨/٣ ونهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٨٥/٢ (البلجاء) .

(٣) الكامل : ٢٤٨/٣ ، أنساب الأشراف : ١٥٧/١/٣ ، شرح نهج البلاغة : ٨٣/٥ .

تاريخ ابن الأثير : ٥١٨/٥ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٨٥/٦٠ .

(٤) الكامل : ٢٤٩/٣ ، أنساب الأشراف : ١٥٨/١/٤ ، المحقق : ٢١٢/١ ، ٣٩٩/٢ .

(٥) الكامل : ٢٥٠/٣ ، أنساب الأشراف : ١٥٨/١/٤ ، المحقق : ٢١٨/١ .

معجم البلدان : ٦٢/١ .

ولم يابثوا أن مّر بهم جيش لادن زياد متوجه إلى غراسان فجمع به أبو بلال
قادم إليهم ، فلما علم وجهتهم ، أعلمهم بسبب عروجه وأنهم لا يستبجسون
دما ولا مالا (١) .

وندب ابن زياد أسلم بن زرع الكلابي في ألفين من أهل البصرة
لقتاله ، وكان أصحاب أبي بلال قد تناموا أربعين رجلا ، فلما سمع بهم أسلم بن
زرع صاح به أبو بلال : " اتق الله يا أسلم ، فانا لا نريد قتلا ، ولا نرجع فينا
فما الذي تريد " قال : " أن أردكم إلى ابن زياد " قال : " إذا يقتلنا ،
قال : " وإن قتلكم " قال : " تشركه في دمائنا " قال : " إني أدع الله بأنه
محق وأنكم مبطلون " (٢) . وكان أبو بلال أمر أصحابه ألا يظلموه حتى يبدؤهم
فرض أصحاب أسلم رجلا منهم فقطوه فقال أبو بلال : " استصيدوا بالله وأصبروا وإن
الأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده ، وقد بدا لكم القوم " (٣) فشددوا
على أصحاب أسلم ، فهربوا عن غير قتال حتى قدموا البصرة ، فغضب ابن زياد
زياد من أسلم غضبا شديدا ، وكان أسلم يقول : " لأن يذمني ابن زياد
جدا أحب إلي من أن يمدحني وأنا ميت ، إني لقيت ناسا ليسوا كالناس " وقال
عيسى بن فائق الخطمي : -

ألفا مؤمن فيما زعمتم	ويهزمهم بأسك أربعين رجلا
كذبهم ليس ذاك كما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنون بنا
هم الفئة القليلة قد علمتم	على الفئة الكثيرة يئرونا (٤)

وارتفع شأن أبي بلال بعد هذا النصر العظيم ، وزادت سميتة فسي
النفوس ، فكان صبيان البصرة إذا رأوا أسلم بن زرع صاحوا به : " أبوسو
بلال مراعي " (٥) .
وندب ابن زياد الناس مع عباد بن أخضر المازني ووجهه إليهم في أربعة
آلاف جندي ، فلقبهم بناحية دار جرود من أرض فارس ، فخرج إليه أبو بلال لهماوره

-
- (١) الأمل : ٢٥١/٣ ، الحقد : ٤٠٠/٢ ، شرح نهج البلاغة : ٨٥/٥ .
(٢) الكامل : ٢٥٢/٣ ، تاريخ اليعربي : ٣١٤/٥ .
(٣) أنساب الأشراف : ١٥٨/١/٤ ، ١٥٩ .
(٤) الكامل : ٢٥٣/٣ ، أنساب الأشراف : ١٥٩/١/٤ ، الحقد : ١٤٩/١ ،
تاريخ الطبري : ٣١٤/٥ ، شرح نهج البلاغة : ٨٦/٥ ، تاريخ ابن الأثير
٥٢٠/٣ ، معجم البلدان : ٦٢/١ .
(٥) الكامل : ٢٥٣/٣ ، تاريخ اليعربي : ٣١٤/٥ .

وأخبره بمثل ما أخبر ابن زرع من قبل أنهم لم يخرجوا لقتال أو أخذ مبالغ ،
فأبى عباد إلا أن يردهم إلى ابن زياد أو يقاتلهم ، فقال له أبو بلال : " أتدعونا
إلى طاعة من يسفك الدماء وينتهك المحارم ، والرجوع إلى القاصق ابن زياد
الذي يقتل على الغاية ، وبأخذ بالشبهة " (١) ثم دعا أصحابه إلى توليهم أنفسهم
على الموت لأنهم لم يخرجوا من أجل الدنيا وإنما خرجوا للخبرة (٢) ، فقاتلوههم
حتى جاءت صلاة العصر ، فدعاهم أبو بلال للمواصلة حتى يصلوا ، فصلى عباد
وأصحابه الصلاة ، ويقال إنه تطمسها ، وشدوا على أبي بلال وأصحابه
وهم في صلاتهم فقاتلوههم بين قائم وراكع وساجد ، لم ينشأ أحد منهم عن حاله
التي كان عليها حتى أتوا عليهم ، واحتزوا رأس أبي بلال وروء وسراجه وأصحابه
وعاديت بالبرزة (٣) .

وحزن الخوارج على أبي بلال حزنا شديدا ، فبعثوا في مراسيلهم مثلهم
الأعلى في الجهاد في سبيل الله ، وعلموا أنفسهم باللاحاق به ايضابوا
أصاب عند الله ، فقال عمران بن حطان يرثيه :-

يا لهف نفسي لمرداس وصحبته يارب مرداس ألقني بمرداس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا من أمر بالناس (٤)

وقالت امرأة منهم :-

وما بعد مرداس وعروة بيننا وبينكم شيء سوى مطر منشم (٥)
وكان مقتله سنة ٦١ هـ على الأرجح ، بعد مقتل المسيبيين بسنتين
على (٦) .

(١) أنساب الأشراف : ١٥٩/٤ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤٧١/٥ .

(٣) الكامل : ٢٥٣/٣ - ٢٥٤ ، تاريخ خليفة بن غياط : ٢٥١/١ ،
أنساب الأشراف : ١٦٠/١ - ١٦٣ ، تاريخ الطبري : ٤٧١/٥ .

المقتد : ٢١٨/١ .

(٤) الكامل : ٢٥٦/٣ ، أنساب الأشراف : ١٦٠/١ - ١٦٠/١ .

أما في المرتضى : ٦٣٥/١ .

(٥) أنساب الأشراف : ١٦٠/١ - ١٦٠/١ .

(٦) انظر الكامل : ٢١٥/٣ ، تاريخ الطبري : ٩٠/٥ .

أنساب الأشراف : ١٥٨/١ - ١٥٨/١ .

يُعد أبو بلال من أبلغ خباباء الخوارج وأشهرهم وهو من معاقب خباباء زمانه، وساعد على ذلك تلك الشخصية القوية التي امتاز بها، وكان له بها تأثير كبير في أصحابه وفي غيرهم، ورأينا أثر ذلك في إظهار دعوته ونشدهم على مبادئ عقيدته وشرحها، وجل ما وصلنا من خطبه يتحرك في بعد عقيدة الخوارج ومبادئهم التي اجتهدوا لهم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتتجلى بلاغة أبي بلال في محاوراته وأجوبته أيضا فقد حاور أسام بن زرعة حين لحق به (١) وكذلك حاور عبادة بن أفضر (٢) المازني، وكان يصرخ في محاوراته على شرح مبادئ عقيدة الخوارج واستمالة من يماورهم إليه، واقتدح على بني أمية وولاتهم.

ومن أجوبته البليغة ما أجاب به الحسن البصري حين سأله وكأنه ينكر عليه الخروج على السلطان، فقال لأبي بلال: "أخبرني عن رجلين خرجيا في أمر، ففشيتهما ظلمة، فوقف أحدهما حتى انبثت الظلمة فمضى، وثقج الآخر الظلمة، أيهما أسوأ رأيا؟" فقال أبو بلال: "أصوبهما عندي أخطأهما عندك" (٣).

وكان لكلام مرداس وقع السحر في أصحابه، ولا أجود قولا أبلغ في وصف بلاغته من قول ابن زياد في وصف بلاغة الخوارج: "لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع" (٤). وكان أبو بلال فائقا بلسانه كما كسبنا فائقا بسيفه، فلا عجب أن يتولاه معظم الخوارج ويدعيه غيرهم من أصحاب الأهواء والنحل، كالشيعة والمعتزلة (٥).

-
- (١) الكامل: ٢٥٢/٣، أنساب الأشراف: ١٥٨/١/٤، المقصد: ٢١٨/١.
 (٢) الكامل: ٢٥٣/٣، أنساب الأشراف: ١٥٩/١/٤.
 (٣) أنساب الأشراف: ١٥٨/١/٤.
 (٤) الكامل: ٢٤٨/٣.
 (٥) المصدر نفسه: ٢١٥-٢١٦/٣.

د - خالد بن صفوان :

- ٢٥١ -

١- فاتحة أمره :

هو خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهمتم أبو صفوان الرمثري السعدي (١) ، أحد فصحاء العرب المشهورين (٢) ، وهو من ذرية عمرو بن الأهمتم الشامي الخطيب (٣) .

ذكر الباحث خالد فيمن ذكر من خطباء آل الأهمتم الرمثريين ، وساق نسبه مختصراً على النحو التالي : " خالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهمتم " (٤) وجاراه على ذلك ابن تقيّة في كتاب " المعارف " (٥) ، فوهم ابن حجر أن عبدالله بن الأهمتم جد خالد هو أخو عمرو بن الأهمتم ، فذهب إلى أن عمرو بن الأهمتم هو عم خالد بن صفوان وشبيب بن شيبدة ، كما ذهب إلى أن سائر خطباء بني الأهمتم من نسل عبدالله هذا (٦) والصحيح كما أورده غير مصدر أن عبدالله هو ابن عمرو بن الأهمتم ، ولم يذكر له أخ بهذا الاسم ، فقد ذكر ابن خلكان في كلامه على خالد : " وهو من ذرية عمرو بن الأهمتم " (٧) كما قال المصري : " وعبد الله بن عمرو بن الأهمتم هو جد خالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبدة ، وكان يقال : الخطابة في آل عمرو " (٨) وأورد ابن عبد البر في ترجمة عمرو بن الأهمتم أن " من ولده خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهمتم " (٩) وذكر ابن الأثير مثلاً ذلك (١٠) . ورفع جميعهم نسبة إلى عمرو بن الأهمتم ، وقد فات بعض الباحثين المحدثين ذلك (١١) .

غابت عنا معظم أخبار امرأة خالد الأولى ، وذلك شأن كثير من الصغام الذين خرجوا من عامة الناس ، فلا يعني الناس بهم إلا بعد تألق نجبهم

-
- (١) النقاظر : ١/ ٣٤٩ ، وفيه (صفوان بن عمرو بن الأهمتم) ، زهر الآداب : ١/ ٦٥-٦٦ ، الاستيعاب : ٣/ ١١٦٥ ، أمالي المرتضى : ٢/ ٢٦٦ ، أسد الغابة : ٤/ ٨٨ وقفيات الأعيان : ٣/ ١١ ، المقتضب من جمهرة النسب (مخطوط) : ٤٢ .
- (٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/ ٥٣ ، ٦/ ٤٣٥ .
- (٣) وقفيات الأعيان : ٣/ ١١ .
- (٤) البيان والتبيين : ١/ ٣٥٥ .
- (٥) المعارف : ٤٠٣ .
- (٦) الإصابة : ٢/ ٥٢٥ .
- (٧) وقفيات الأعيان : ٣/ ١١ .
- (٨) زهر الآداب : ١/ ٦٦ .
- (٩) الاستيعاب : ٣/ ١١٦٣ .
- (١٠) أسد الغابة : ٤/ ٨٨ .
- (١١) انظر : الخطابة العربية في عصرنا الذهبي : ٢٨٧ والحياة الأدبية في البصرة : ٢٢٤ .

وذيوع شهرتهم ، فتكون أخبارهم الأولى قد ضاعت ونسيت ، ويصدق ذلك على سيرة عياة خطيبنا ، فإل ما وصلنا من أخبار حياته هو عن فترة شهرته ، وحتى هذه الفترة يكتنفها شيء من الضمور لا تكشفه الأخبار التي بين أيدينا . وسيرة حياة خالد بن صفوان وأقواله كانت موضع اهتمام أهل الأخبار والأدب منذ فترة مبكرة ، وقد جُمعت هذه الأخبار في غير كتاب منذ المصنف العباسي الأول وما تلاه ، وربما جمع بعض كلامه في حياته لشهرته ، واشتقام الناس به . وذكر الجاحظ أن شيئاً كثيراً من كلام خالد كان يدور على السنة الحامة في زمانه (١) .

ومن عُنوا بجمع أخبار خالد وأقواله ، المدائني أبو الحسن علي بن محمد المتوفي سنة ٢١٥ هـ ، صنف كتاباً أسماه "كتاب خالد بن صفوان" (٢) ، وصنف ابن المديني علي بن عبد الله المتوفي سنة ٢٣٤ هـ كتاباً آخر جمع فيه أخباره أسماه "أخبار خالد بن صفوان" (٣) وذكر الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ هـ أن "لكلام خالد كتاباً يدور في أيدي الوارثين" (٤) في زمانه ، ولكنه لم يذكر مصنف هذا الكتاب ، ومن المرجح أن الجاحظ قد أخذ بهذا حواه هذا الكتاب وخلفه كتابه "البيان والتبيين" ويذكر أن الجلودي عبد العزيز بن يحيى المتوفي سنة ٢٣٢ هـ قد صنف كتاباً آخر في سيرة خالد بن صفوان أسماه "كتاب أخبار خالد بن صفوان" (٥) ، إلا أنه لم يظهر لهذه الكتب أثر حتى الآن ، ويحتمل أن تكون قد فقدت إلى الأبد .

وشهد الحميري في مقدمة كتابه "زهر الآداب" على ما ترجمته تلك المصنفات ، وما كان يحفظه الناس من مطبوعات الأخبار التي كانت تفسد روى من خالد فقال : "فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات . . . ولم أنسب في هذا الاختيار إلى مطبوعات الأخبار ، كما عادت صحاح بن روحان ، وخالد بن صفوان وثناهما" (٦) وحتى الكتب الموسوعة التي ذكر أسماءها

(١) البيان والتبيين : ٣١٧/١ - ٣١٨ .

(٢) الفهرست : ١٠٣ .

(٣) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الثناون : ٤١/١ .

(٤) البيان والتبيين : ٣٤٠/١ .

(٥) الفهرست : ١١٥ ، حديد الحارفين : ٥٧٦/١ .

(٦) زهر الآداب : ١/١ .

أنهم قد مدّوها شيئاً من مطولات أخبار خالد ، ضاع بعضها وبعضها الآخر وصلنا دون أن نجد لتلك المطولات أثراً فيها ، ومن ذلك أن المسعودي ذكر في كتابه "مروج الذهب" أن "لخالد بن صفوان . . . أخباراً . . . ومقاتلات ومنازعات ومسامرات مع السفاح ، قد أتينا على مبسوطها وما اخترناه من فروعها في كتابينا "أخبار الزمان" و"الأوسط" (١) بأما الأخير فلم يأت به بعد ، وأما الأول فقد تابع مختبر له أوقفنا منه على ما يرجّحه المحقق (٢) ، ولكن دون أن نجد شيئاً من تلك الأخبار التي وعد بها المسعودي نفسه ، وجمع ابن عساكر نتفاً مما وقع عليه من أخبار خالد وأتت هذه النثف والندرات كتابه "تاريخ مدينة دمشق . . ." وهي أوفى ترجمة وصلنا من حياته (٣) وجمع ابن أبي عمير الصفدي المتوفي سنة ٧٦٤ هـ بعض أخباره في كتاب "نكت الهميان" ، ولسوء الحظ فقد مسحت معظم أخباره فيما وصلنا من مخطوطات الكتاب ، وبه المحقق على أنه وجد بعد عنوان الترجمة بياض نحو صفحة في أصول الكتاب (٤) .

ويستنتج مما وصلنا من أخبار نشأته أنه ولد في البصرة ونشأ فيها من أسرة إلى الأبنم المقترية التميمية ، أسرة من أغرق الأسر الحربية في الفن الخطابي ، وسكنت المصادر عن سنة مولده وكذلك سنة وفاته ، كما أغفلت عمره ، وكل ما وصلنا من عمره أنه عمّر حتى عهد أبي الحباس السفاح (٥) ، وأرجّح أنه ولد في حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة في منزل مجاور لمنزل الحسن البصري في البصرة ، فلما درج خالد اتخذ من منزل الحسن ملجأه ، ولما شب وترعرع جعل من مجلس الحسن في المسجد مجلسه ، وانضم إلى حلقه درسه يلزمه ، فبقيت عامه ويأخذ عنه ، وكان الحسن آنذاك رجلاً عظماءً وعلماً ودنياً وفصاحةً وعرفه بالاحسن مكانته وقبيله ، وتأثر باتجاهه الخطابي فتوجه إلى الخطابة الدينية الوعظية في بداية أمره بفعل هذا التأثير (٦) .

(١) مروج الذهب (ط طهران) : ١٣٦/٦ .

(٢) انوار أخبار الزمان (ط دار الأدلسن) : ١١-١٥ .

(٣) انوار تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٣/٥-٦٣ .

(٤) نكت الهميان : ١٤٨ .

(٥) المعارف : ٤٠٣-٤٠٤ .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٦/٥ .

أسباب بنو الأعمم مكانة رفيعة بين أسر البصرة في النصف الثاني من القرن الهجري الأول ، وكان عمرو بن الأعمم الخطيب الجاهلي المشهور بهذا المأثلة قد انتقل إلى البصرة بعد الفتوح ، ونافس الأحنف على رئاسة تميم فيها ، حتى توفي سنة ٥٧ هـ (١) ، وتبوأ ولده عبدالله هذه المكانة من بعده ، وكان يحيد نفسه لذلك في حياة أبيه ، فلما قدم زياد البصرة سنة ٤٥ هـ وأيا وعظيبت خطبته المشهورة في مسجد هما ، قام عبدالله وأثنى على بلاغته محاولاً التقرب منه (٢) . وكان لعبدالله هذا وادان أخذتجهما يتألف في ميدان الخطابة والبيان ، وذاع صيتهما ، هما عبدالله بن عبدالله ، ومغفان بن عبدالله (٣) .

أما خالد فقد ولي رئاسة بني تميم أيام الفتنة سنة ٦٤ هـ في شراعتهم مع الأزد وربيعة ، وكان الأحنف آنذاك رجل تميم البصرة الأول (٤) ، ووُصف بمغفان بأنه كان خطيباً رئيساً (٥) ، وزاد نفوذ آل الأعمم وقوي في البصرة في عهد مصعب بن الزبير ، فلما قضى على مصعب سنة ٧١ هـ ، طامع عبدالله بن عبدالله في زعامة البصرة وولايتها ، وأن يسد مكان الأحنف فيها ، واستعان به حمران بن أبان على عبدالله بن أبي بكر حين تنازعا على ولاية البصرة بعد مقتل مصعب ، فأعانه ، وغلبا على البصرة ، فجعله حمران على شرطتهما (٦) ، وقسرب عبدالله إلى خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد لما ولي البصرة سنة ٧١ هـ وكان أول مواسله بهزيمة أخيه أمية حين هزمه أبو فديك في البصرة (٧) .

وام يلبث عبدالله الطمك أن يموت الحجاج وأيا على العراق سنة ٧٥ هـ ، فشعر عبدالله وغيره من خطباء آل الأعمم بأنه سيُحد من نفوذهم ، وأن لا مقام لهم في العراق بعد ذلك ، فأثروا الانتقال إلى خراسان ، وكان أمية بن عبدالله ما يزال وأيا عابها (٨) وكان عبدالله يحلل نفسه

-
- (١) سرح البصير : ١٤٩ .
 - (٢) عيون الأخبار : ٢/٢٤٢ ، الزاوي : ١٨٦ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣١٤/٢٠ .
 - (٣) البيان والتبيين : ٣٥٥/١ .
 - (٤) المعارف : ٤٠٣-٤٠٤ .
 - (٥) البيان والتبيين : ٣٥٥/١ .
 - (٦) أنساب الأشراف : ١٦٢/٢/٤ ، تاريخ الطبري : ١٧٤/٦ .
 - (٧) عيون الأخبار : ١٦٧/١ ، تاريخ الطبري : ١٧٤/٦ .
 - زهرا الأدب : ٣٤٤/١ .
 - (٨) تاريخ الطبري : ١٩٩/٦ .

بولايتهما ، وقد توجه من الحجاج من طموح هذه الأسرة ، وفان إلى شجيرة السننهم وتأثيرها في الناس ، فترصد هم وعذرهم ، فوقع بينه وبينهم بقوة شديدة ، فأخذ الحجاج يعمل على استئصالهم وتصفية فصحائهم في خراسان ، ويبدو أنهم قد شرعوا آنذاك بالتحقيق عليه ، وأعملوا السننهم به ، فكتب إلى يزيد بن المهلب واليه على خراسان يأمره بقتلهم ، ولكن يزيد كان بعيد النذر ، فصر على استمالة آل الأهم إلى جانبه ، لتدعيم نفوذه في خراسان أمام مشايقات الحجاج لأسرته فكتب إليه : " إن بني الأهم أصحاب مقال وليسوا بأصحاب أفعال ، فلا تقدر أن تحدث فيهم ضررا ، وفي قتلهم عار وسبة " (١) واستولى عليهم منه فتغافل عنهم ، فتقربوا إليه وانضموا إلى أخيه الفضل من بعده ، فحاول الحجاج وأمر الفضل بقتلهم ، فكتب إلى الحجاج بمثل ما كتب أخوه ، فأعفاهم (٢) ، ولكن الحجاج لم تترع عنه ، وأسنة آل الأهم طليقة في خراسان .

وفي سنة ٨٦ هـ : كتب الحجاج آل المهلب وأرسل قتيبة عار ولاية خراسان فأنقلب آل الأهم على آل المهلب ، فخرجوا لاستقبال قتيبة . " وذكروا بني المهلب فعاينهم فقبلهم قتيبة واحتوى عليهم " (٣) وذلك أثناء شر السننهم ، وليكونوا خير معين له ببلاتهم ، فصاح بهم وقرينهم إليه ، واستخلف عبد الله بن عبد الله أفنديهم . فبائهم على مرو ولما خرج لفرز فرغانة ، فسار إليه بشير بن صفوان أخو خالد وحذره من طموح عبد الله ومكره ، فحما قتيبة ذلك على التماسد بينهم . فلما خرج قتيبة جعل عبد الله يكتب بمثالبه وعوراته إلى الحجاج وبالمبطله ، وكان الحجاج يطوي هذه الكتب في بطون كتبه إلى قتيبة (٤) ثم تصادى أخباراء آل مرو عنهم على قتيبة ، فراعوا يفسدون الجند عليه ، ويحطونهم على سوء الطاعة ، فشكا أمرهم إلى زعماء تميم ، ثم كتب بذلك إلى الحجاج ، فانهزها فرصة وأمره بقتلهم ، فحرب عبد الله وتخفى بالمدينة ، فام يقدر عليه ، وقتل . جميع من قبله من آل الأهم ، وكان فيمن قتل تسعة خطباء ، منهم شيبه بن عبد الله والد شبيب ، وبشير بن صفوان أخو خالد (٥) . وطملة الحجاج هذه تعطينا صورة واضحة عن مكانة هذه الأسرة الخطابية ، ومدى تأثيرهم في الناس ،

(١) و (٢) الأغاني : ٢٥٣/١٤ .

(٣) النقائض : ٣٥٠/١ .

(٤) النقائض : ٣٥٠/١ .

فتوح البلدان : ٤٢٦ .

(٥) النقائض : ٣٥٠/١ .

فتوح البلدان : ٤٢٦ .

الأغاني : ٢٥٣/١٤ .

حتى عدّهم بعض الباحثين معلماً بارزاً من معالم الخطابة العربية آنذاك ،
وتساءل فيما إذا كان يمكن أن يرسم بهم الخط البياني للأدب في البصرة
حينئذ (١) .

ويبدو أن خالد لم يكن بطاموح أخيه أو بني عمه ، فقد آثر البقاء مع أبيه في
البصرة ، بعيداً عن الصراع السياسي ، فنجاً من تلك المذبحة سنة ١٩٤٥ هـ ، وأعتقد
أن خالد كان ما يزال خطيباً ناشئاً لم يتقحم المحافل العامة أو مجالس الولاية
يومها .
ولم تنقل المصادر التي بين أيدينا أي خبر يوضح موقف خالد من أحداث
تلك الفترة أو مشاركته فيها .

ويظهر خالد بن صفوان فجأة سنة ١٩٤٥ هـ خطيباً فصيهاً مثقفاً ، يقوم بين يدي
عمر بن عبد العزيز يهتف بالخلافة (٢) ، وهذا أقدم موقف له تطبيع الاثني عشر إلىه
في حياة خالد الخطابية ، وجل ما روي من أخباره ومواقفه في مجالس الخفاء
والولاية قبل هذه الفترة ضعيفة لا تستطيع الاثني عشر إليها ، وخالد لم يصل
إلى هذه المقدرة البلاغية التي أحاطها في منطته عند عمر بن العزيز بين عشية
وضحاها ، فقد غلبت فترة ما قبله حتى استقام له البيان ، وأم يقم في مجلس
الخلافة بتلك البلاغة حتى آسرفي نفسه الكفاءة والمقدرة على التأشير في نفوس
من تدمر تلك المجالس من الفصحاء والنقاد ، ومنافستهم في تلك المقامات .

(١) النية الأدبية في البصرة : ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) زهر الآداب : ١٠٠٨ / ٢ .

ذكرت بعض المصادر غير شريفة يشير إلى أن صلة خالد بن قنانه بخلفاء بني أمية بدأت منذ وقت مبكر في عهد عبد الملك بن مروان ، وذكر المسمودي أن خالد وفد على عبد الملك مع الحجاج في أشرف أهل الصراق ، بعد وقعة دير الجماجم سنة ٨٤ هـ ، ونسب له كلاماً في فضائل البصرة (١) ، والرازي أن الذي وفد مع الحجاج آنذاك هو عبد الله بن عبد الله بن الأعمش ، ونسب ذلك الكلام له (٢) وأما ما ذكره ابن الفقيه من وفادة خالد على عبد الملك ومفاخرته لوفود الأمصار في مجلسه بحضور مسلمة بن عبد الملك ، فإنه يذكر تمام هذا الخبر في "باب اغتزار الشاميين على البصريين" من كتابه "مختصر كتاب البلدان" ، ويؤكد أنه حدث في مجلس هشام (٣) ، وهذا ما ذكرته المصادر الأخرى (٤) .

وزعم الصاملي أنه كان يدخل على عبد الملك فيلحن عنده ، فقال له عبد الملك : "اللحن في الكلام أتبع من الجدي في الوجه" (٥) . وأثبتت المصادر التي تحدثت عن لحن خالد أن الذي كان يلونه هو بلال بن أبي بردة زمن هشام ، فاختلط الأمر على الصاملي (٦) .

يظهر خالد سنة ٨٥ هـ خطيباً من أفصح خطباء زمانه وأبينهم ، وإن نراه قائماً بين يدي عمر بن عبد العزيز يمزيه بموت سليمان ويهنته بالخلافة ، فيقول : "الحمد لله الذي جعل نبوتكم رحمة ، وخلافتكم عصمة ، ومصائبكم آفة ، وجعلكم قدوة" (٧) وثبتت هذه الخطبة أن خالد قد قطع شأواً عظيماً في البلاغة والفصاحة آنذاك ، وهذه الخطبة أقدم نص نستطيع الاطمئنان إليه في حياة خالد الخطابية .

ويتألف نجم خالد في الفصاحة والبلاغة بعد ذلك ، ويحظى بلقب الخليفة وتقديره ، فأخذ يتردد على مجلسه ويقدم عليه ، ويعرض عمر بن عبد العزيز على أن يسأل خالداً الموعظة في كل مرة يدخل فيها عليه ، ويقوم خالد بذلك ،

-
- (١) مروج الذهب (طهران) : ٣٤٨/٥ .
 - (٢) مختصر كتاب البلدان : ١٠١ .
 - (٣) المصدر نفسه : ١٥٢ ، ١٢١ .
 - (٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٤/٥ .
 - (٥) الخلاصة : ٣ ، وجاء هذا القول في البيان والتبيين : ٦/٢١٦ ، غير منسوب لأحد .
 - (٦) الكامل : ٤٢/٢ (٧) زهر الإداب : ١٠٠٨/٢ .

على نهج أستاذنا الحسن البصري ، وبلغ كلامه من نفس عمر مبلغاً عظيماً ، حتى
بكى وعشى عليه ، وعظه مرة فقال : " إنا لله لم يرش أحدنا أن يكون فوقك ، فلا
ترش أحدنا أن يكون أولى بالشكر منك " فبكى عمر حتى غشي عليه ، فلما أفسق
أخذ يردد كلام خالد ويقول : " هيه يا خالد ، لم يرش أن يكون أحد
فوقي ، فوالله لأخافه خوفاً ولاأحذرنه حذراً ، ، ، " (١) ثم بكى حتى غشي
عليه مرة أخرى ، وأبى خطيب يقدر على ذلك إلا أن يكون قد ملك ناصية البيان
يتصرف بالقول حيث شاء ، فيسير على نغمة الخليفة فيبكيه حتى يفشى عليه
من شدة التأثر .

ولما ثار يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ هـ حاول
أن يقرب خالد بن صفوان إليه ليستعين به لاخته في كسب ود أهل البصرة
وتحريضهم على الأمويين ، وخرج خالد مع ابن المهلب إلى واسط لقتال مسلمة
ابن عبد الملك وكان خالد يحفظ خطبة يزيد التي قالها في الجيش قبيل وصول
جيش الشام (٢) ، ولم تذكر الأخبار لخالد شيئاً في تلك المواقف ، ويبدو أنه انسل
« هارباً » مع من « هرب في بداية القتال » ، قال الأهمم كما قال يزيد بن المهلب نفسه :
" أصحاب مقال وليسوا بأصحاب فعال " (٣) فكانوا يميلون إلى الثقة بالراجحة
دائماً ، لا يثبتون على ولاء .

وفي عهد هشام تبوأ خالد المكانة الأولى بين خطباء مجلسه ، وحتى
وكأنه انتعاج إليه في زمانه ، وهذه الفترة من أزهى فترات حياة خالد ، فداعت
شهرته الخطابية وكثرت وفادات خالد على هشام في الفترة الأخيرة من عهده ،
حتى أصبح بعد سنة ١٢٠ هـ من أقرب سكاره وجلسائه إليه (٤) .
وسبق اتصال خالد بهشام مرحلة أخرى في البصرة ، اتصل خالد فيها
بولاة المراق ، فقد تردد على مجلس خالد بن عبد الله القسري والي هشام
على المراق بين عامي (١٠٥ هـ و ١٢٠ هـ) (٥) . ولا أدان خالد
حظي عنده بشيء وهو الوالي المتصرب

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ١١٥ - ١١٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر

: ٥٣/٥ .

(٢) البيان والتبيين : ٢٦٢/١ .

(٣) الأغانى : ٢٩٣/١٤ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٣/٥ .

(٥) المصدر نفسه : ٥٣/٥ .

لليمانية ، الذي فتك بعمر بن يزيد الأسدي وقتل صبرا المصيرية، وهو أحد زعماء تعيم وخطبائهم (١)، ولم ينج خالد من أذى خالد القسري وعمله ، فقد روى أن بلال بن أبي بردة ناعبه على البصرة بين عامي (١٠٠ - ١٢٠ هـ) سجن خالدًا وجلده بالسياط ، وتم ذلك بعلم القسري وموافقته ، وثلا ذلك جفوة جفوة شديدة بين خالد بن صفوان وبين بلال بن أبي بردة ، ولم تصرح المصادر بسبب هذه الجفوة ، ولكن لا يصح على الباحث تخمين السبب في حال المصيرية التي أشعلها القسري وعمله هناك .

وروي أن خالدًا كان يأتي مجلس بلال في ولايته ويخشاها في سائر أيامه ، ثم يخطابه إذا غاب عنه ، وكان يقول فيه : " ما في قلب بلال من الإيمان إلا ما في بيت أبي الزرد الحنفي من الجوهر " (٢) - وأبو الزرد رجل مخلص - . وكان بلال بغيضا لخالد (٣) وكان يعتمد النبل من خالد حين يدخل مجلسه ، فيتبع كلامه ويتسقط همواته ، ليشفع بها عليه أمام الناس ، وذكر المبرد أن خالدًا كان يدخل على بلال فيلحن في مجلسه ، فقال له بلال : " أتعدني أحماد يث الخلفاء وتلحن لمن السقاءات " (٤) ، فأضمر كل منهما لصاحبه البغض والكره .

وذكر أبو عبيدة رواية أخرى في سبب هذه الشحنة ، وفيها أنه " اختصم خالد بن صفوان مع رجل إلى بلال بن أبي بردة ، فحضر للرجل على خالد " (٥) ، ولا يستبعد أن يكون قضى عليه جورا للمصيرية وقد أشرعنه ذلك (٦) . وترقب خالد زوال الأمر عن بلال بفارغ الصبر ، فكان إذا مر به موكب بلال قال : " سحابة صيف عن قليل تقشع " فعلم بلال بذلك ، فقال لـ : " والله لا تقشع حتى يصيبك منها شوء يوب برك " ونزبه مرة سوطا وأمر به فديس بـ . ثم حبسه ، فقال له خالد : " علام تمسك بي ؟ "

(١) تاريخ الطبري : ٢٦/٧ .

(٢) الحقد : ٣٦/٤ .

(٣) نكت السميان : ١٤٨ .

(٤) الكامل : ٤٢/٢ ، وفيات الأعيان : ١١/٣ .

(٥) عيون الأخبار : ٨٠/١ .

(٦) تهذيب التهذيب : ٥٠٠/١ .

(٧) الكامل : ٤٢/٢ .

فوالله ما جنيت جناية ، ولا خنت خيانة " فقال بلال : " يخبرك عن ذلك باب مصمت وأقياد شقال وقيم يقال له حفص " (١) .

ويشفي خالد غليله ويرى بلالا ذليلاً ، ففي سنة ١٢٠ هـ ولي هشام يوسف ابن عمر الثقفي الحراق ، وأمره أن يأخذ خالد بن عبد الله القسري وعالمه ، فسجن بلالا وعذبه ، وواثت خالداً الفرصة ليظهر شماته به ، فلما رآه في قيوده في مجلس يوسف بن عمر قال خالد ليوسف : " أيها الأمير ، إن عدو الله بلالا ضربني وحبسني ، ولم أفارق جماعة ولا غلعت يداي من أفاعه " ثم التفلت إلى بلال وقال : " الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهدأ أركانك ، وغير حالك ، فوالله لقد كنت شديد الحجاب ، مستخفاً بالشريف مظهرها لأخصبية " (٢) ولم يستطع بلال أن يكتم مرارة نفسه من شماته خالد به .

وأرجح أن صلة خالد بهشام بن عبد الملك قد بدأت بعد سنة ١٢٠ هـ ، أي في عهد يوسف بن عمر ، وكان يوسف يميل إلى المصيرية (٣) ، فأذن خالد إليه وجلسه ، ثم عمل على إيصاله إلى مجلس هشام وتقديره إليه ، فسأفده في وجوه البصرة إليه ، ونعته عنده بالبلاغة والفهم والحكمة ، وذكر له مكانته وقدره (٤) وكانت أشهر الوعادات التي أوفده فيها يوسف إلى هشام سنة ١٢٠ هـ على الأرجح ، وهي السنة التي ولي فيها يوسف بن عمر الحراق ، وكان هشام قد خرج في أمهله وحاشيته للسب والاحتجاج إلى بصرى بواحي الرماقة (٥) فدغل عليه خالد في فسطاطه ، وقام عنده بمقام مشهور يوعظه فيه وحذره من شرور الدنيا ولذاتها الزائلة ، وضرب له مثلاً قصة أحد ملوك الأعاجم بالخورنة ، مع بعض الزهاد ليتحفظ بها . وبلغ كلام خالد من نفسه هشام مبلغاً عظيماً حتى أجهش

-
- (١) الكامل : ٤٢/٢ ، المعقد : ٣٦/٤ ، عيون الأخبار : ١٠/١ ، زهر الآداب : ٨٦٥/٢ ، وفيات الأعيان : ١١/٣ ، تمام المتون : ٧٦ ، نكت البهيان : ١٤٨ .
 (٢) الكامل : ٢٤٢/٣ ، زهر الآداب : ٨٦٥/٢ ، نكت البهيان : ١٤٨ .
 (٣) تاريخ الطبري : ٢٧١/٧ .
 (٤) الإمامة والسياسة : ٣٦٥ .
 (٥) روضة هشام تقع غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ ، مجسم البلدان : ٧٨٤/٢ .

البكاء فذكر عليه مجلسه ، ونفصر لذته ، فقام من مجلسه وأمر بنزع أثنيته . فلام الناس خالد علي موعظته ، وحذروه من بطش هشام فقال : " إياكم عني فإني عاهدت الله ألا أغلو بملك ، إلا ذكرته الله - عز وجل - ونهيته وأرشدت به إلى منهاج السالكين المتقين " فلما ولي خالد جصل هشام يقول : " لله لله دَر ابن الأعمى ، أي رجل دنيا وآخره " (١) .

وعرف هشام لخالد قدره وبلاغته ، وأفسح له في مجلسه وأدناه منه ، وعشي كان أقرب الناس إليه في عزلته ، يسامره ويحدثه ، ودخل عليه مرة بعد عزل خالد القسري وقد خلا إلى نفسه ، فأمر أن يدني مجلسه منه ، وراح يناجي خالد بن صفوان بما يشغل باله من أمر خالد القسري ، وخالد يسري عنه ويسليه (٢) .

ولم يكن خالد ليفوت عليه مثل هذه المكانة التي ينظر بها دون أن يسمى إلى المصروف علي ما يقدر من المكاسب والحاجات ، فيروي أن هشام سألته مرة وقد دخل عليه : " حاجتك يا ابن صفوان " فسأله خالد أن يزيد عطاءه عشرة دنانير ، فأطرق هشام ثم قال : " ولم وفيهم ؟ " السبابة أحدثتها فنهيتك عليها ؟ أم ليلاء حسن أبلية عند أمير المؤمنين ؟ أم لماذا يا ابن صفوان ؟ : إذا أكثر السؤال ، ولا يحتمل ذلك بيت المال " فلما أيقن أن لا مأمع له يرجي عنده زين له الضع ، فقال : " يا أمير المؤمنين ، وفقك الله وسددك ، أنت والله كما قال أغو خراقة :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه قرابة تربي أو صدق توامقسه
منعت وبصر المنعهم وقسوة فلم يفتلك المال إلا قاققه (٣)

ولما سئل خالد عما حمله على تزيين الإصاك لهشام قال :

(١) عيون الأخبار : ٣٤١/٢ ، الإمامة والسياسة : ٣٦٤ ، الأغاني : ١٣٦/٢ ،

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٤/٥ .

(٢) أمالي المرتضى : ٢٦١/٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٣/٥ .

(٣) البيتان لكثير عزة وهما في ديوانه : ٣٠٨ - ٣٠٩ ،

الأغاني : ١١٢/١١ .

"أحببت أن يمنع غيري كما منعتي ، فبكثر من يلومني" فانتقم منه بهشام .

وكان هشام يضري خالدا بمفاخرة بعض اليمانية في مجلسه ، ويوجد في ذلك متعة عظيمة ، ويستغل خالد مثل هذه المواقف ليفخر على اليمانية بالخليفة المشري ، فلا يبقى لهم ما يقولونه في الفخر على الخليفة ، ومن ذلك مفاخرته للأبشرش الكلي في مجلس هشام (٢) .

وتزداد حظوة خالد في مجلس هشام بحضور مسامة بن عبد الملك وذلك لإعجاب مسامة الشديد ببيانته وبلاغته ، يروى أن خالدا قدم في وقت أسهل البصرة على هشام وعنده مسامة ، وقد اجتمعت وفود الأمصار في مجلسه ، وتفاخر غطباء الوفود بفضائل أمصارهم ، فتكلم خالد بفضائل أهل البصرة فبذهم جميعا ، فقال له هشام : "لله درك يا ابن صفوان ، لقد أوتيت لسانا وعلمنا وبياناً" (٣) .

وربما حاول هشام ومسامة الإيقاع بخالد وتوريثه مع فحول شعراء النقاض في زمانه لسلطة لسانه ونباهة البنتهم ، فزوي أن هشاما طامح منه أن يفاضل بين جرير والفرزدق والأخطل ، وكانوا في مجلسه وعنده مسامة بن عبد الملك ، فاستأج خالد بهشام وحكته أن يرضيهم جميعا ، فذكر أقبل غصاليهم ، وخير ما يمتاز به كل واحد منهم ، وتجنب ذكر مثالبهم أو القذح عليهم ، وأطرب في إماراتهم والشاء عليهم ، فاتقى شر ألسنتهم ، فأدهشهم مسامة ببراعته ، فقال له مسامة : "ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان في الأولين ولا رأينا في الآخرين..." ولم يكن هشام أقل إعجابا بفصاحته من مسامة فقال له : "ما رأيت مثلك يا ابن صفوان لتخلصك في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا ، وسلمت منهم" (٤) .

ويظهر أن خالدا لم يفد على أحد من خلفاء بني أمية بعد وفاة هشام سنة ١٢٥ هـ ، وذلك لاضراب أمر الخلافة في دمشق ، وتصارع الأمويين عليها حتى سقطت سنة ١٣٢ هـ ، وأثر خالد الاستقرار في البصرة وتدعيم علاقته

(١) أمالي المرتضى : ٢/٢٦١ .

(٢) الحقد : ٤٦/٤ ، بلوغ الأرب : ١/٢٨٧ .

(٣) مختصر كتاب البلدان : ١٢١ ، ١٢٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر

: ٥٧/٥ .

(٤) الأغاني : ٨١/٨ ، زهر الآداب : ٢/٦٣٤ .

بولايتها ، ورحب به الإملاء هناك وحفظوا له مكانته وقدره ، وكان قد أصبح أحد وجهاء البصرة ولسانها الناطق بفضائلها يومئذ .

فقد غشي خالد مجلس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي ولي الحراق سنة ١٢٦ هـ ، واشترك في مباراة خديبية مشهورة في مجلسه سنة ١٢٦ هـ ، وذلك في حفل جامع حشد له أقدر خطباء الحراق ، وأبرعهم آنذاك ، وكان خالد أول المتكلمين في ذلك المجلس ، وأعدّ لذلك المقام كلاماً انتزع به إعجاب الناس ، ثم تلاه قريبه شبيب بن شيبه ثم الفضل بن عيسى الرقاشي ، ثم راعيا ، ابن عمه في خديبته المنزوعة الرائ ، ففضل عبد الله وأجلا عليهم ، وأمّ تملنا خديبة خالد ولا خديبة شبيب أيضا (١) .

وفي هذه الفترة ازداد الصراع بين الأميين على الحكم ، وازدادت ضراوة الثورة العباسية في خراسان وتأججت ثورة الخوارج في الحراق والبصرة ، وتختفي أخبار خالد عنا في تلك الاضطرابات حتى سنة ١٢٩ هـ حين قدم يزيد بن عمر بن هبيرة واليا على الحراق بعد أن استطاع دحر الخوارج ، فيظهر خالد في وفد أهل البصرة الذين خرجوا إلى الكوفة لاستقباله وتجديد الولاء للأميين (٢) ثم توثقت عرى الصداقة بين خالد ويزيد ، فكان من سماره ورواه مجلسه ، وروى المدائني أن مفاخرة وقعت بين جماعة من أهل الكوفة وآخرين من أهل البصرة فيهم خالد بن صفوان في مجلس يزيد بن عمر بن هبيرة بينما كانوا يتسامرون عنده (٣) .

(١) البيان والتبيين : ٢٤ / ١ ، نوادر المخلوقات : ١٢٧ / ٢ ،

الأفاني : ٢٢٤ / ٣ .

(٢) تاريخ الطبري : ٣٥٠ / ٧ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٠ / ٥ .

(٣) عيون الأخبار : ٢٢١ / ١ ،

مختصر كتاب البلدان : ١٧٥ .

كانت مسامرات خالد ليزيد بن عمر بن هبيرة آخر ولاية الأمويين على العراق آخر ما وصلنا من أخبار خالد في فترة التحول واضطراب الأمور في الدولة الإسلامية، ومن المصيب أن لا يقع الباحث على أي موقف لخالد بن عقاب يوضح علاقته بهذه الأحداث العظيمة، وحتى بعد أن واثت جحافل المباسيين أرض العراق وتلاحمت بجنود مديقه يزيد ابن هبيرة ولم يرؤ له فيما بين أيدينا من الأخبار أي خبير عن موته في الوقت الذي نجد فيه قريبة وابن عمه شبيب ابن شيبه قد اتصل بأقطاب الدعوة المباسية سرا في فترة مبكرة، وكشف لهم عن ولائه لهم (١).

وما أن تنجلي تلك الأحداث ويصير الأمر إلى بني المباس حتى يظهروا خالد مرة أخرى في مجلس أبي المباس السفاح بالكوفة (٢). ولا يعني ما وصلنا من أخبار خالد في هذه الفترة على تكوين صورة واضحة للطريقة التي تمكن خالد من خلالها من الوصول إلى مجلس أبي المباس السفاح، في الوقت الذي اضطلع فيه معظم المقربين إلى الأمويين وولايتهم، وأظن أن ابتعاد خالد عن ميدان السياسة والحرب في زمن الأمويين قد سهل الأمر أمامه، مما جعل المباسيين يتفادون عن خلافاته الاجتماعية مع الأمويين، كما رغبوا في استقطاب ما يقدرون عليه من السنة الشعراء والبلغاء لتدعيم سلالتهم.

ونجد خالدًا في سمار أبي المباس المحبين وجلسائه المقربين (٣)، وربما حظي عنده بمكانة لم يبلغها عند غيره من قبل، وحتى ولا عند هشام بن عبد الملك، وله معه أحداث مألوفة، وأولع السفاح بصحافته حتى أنه لم يكن يدائق غيابه عن مجلسه (٤) وأظن أن خالدًا قد انتقل في هذه الفترة من البصرة ليستقر قريبًا من السفاح بالكوفة.

" وكان السفاح تعجبه الصحابة ثقتهم بغيره الصواب من نسيانهم "

(١) الإمامة والسياسة : ٤٠٨ ،

الحقبة : ١٠٦ / ٥ .

(٢) البيان والتبيين : ٢٤ / ١

(٣) المعارف : ٤٠٤

(٤) مروج الذهب ، (ط. طهران) : ١١٢ / ٦ .

واليمين ، والمذاكرة بذلك ، ولخالد بن صفوان [التميمي الحشري] (١) ولخيسره من قحطان أخبار حسبان ومفاخرات وضادات ومسامرات مع السفاح" (٢) .

وروى أن خالدا كان في مجلس السفاح وعنده وفد أسفاله بلمبارث بنين كسب من اليمين فسأله السفاح عنهم ، فأثنى خالد عليهم وسبب القول في فضائلهم فأخذ الحارثيين التيه وزادوا في الفخر على مضر ، وتمادوا في ذلك ، فأومأ أبو الصبار إلى خالد ليفاخرهم ويرد عليهم ، فخرج خالد من ذلك لأنهم أخوال الخليفة فقال له السفاح : " وأنت من أعوامه " فقام إليهم خالد وصحبهم بمفاخرة تحدث من أبلغ المفاخرات وأعواها ، ومن أشهر المفاخرات بين الخزارية والقحطانية آنذاك ، فلم يدع لهم فضيلة إلا جردهم منها ، ولم يترك مثلية إلا وصحبهم بها ، بعد ذلك إلا طبرا المهدب والمديح الضمق ، فلم يعيروا جواباً (٣) ، وأعجب الباحث بموقف خالد ذلك أيما إعجاب وقال : " ولو غلب اليماني بلسان سحبان وأهل محولا كريت ، ثم صك بهذه الفقرة ما قامت له قائمة " (٤) .

وكان السفاح صغراً بمناذمة خالد ومسامرته ، فيذكر له خالد أحداث يشهدها النساء وصفاتهن (٥) وكانت إحدى تلك المسامرات أن تودي بدياة خالد ، حيث تمكن من إقناع السفاح بأن يتزوج على زوجته أم سلمة المخزومية فأخذتها النفيرة وكانت تبذل به لولا سعة حيلته ودلافة لسانه (٦) .

وتعيب عنا أخبار خالد في أيامه الأخيرة ، وتسكت المصادر عن ذكر سنة وفاته أو مكانها ، ويستنتج من بعض الأخبار أن خالدا أدرك زمن المنصور ، وذكر المبرد أن جفوة وقعت بينه وبين سليمان بن علي عم الخليفة المنصور ، ووالي البصرة من قبله (٧) وولاية سليمان البصرة للمنصور امتدت من سنة ١٣٦ هـ

(١) هذه الزيادة من الباحث للتوضيح .

(٢) مروج الذهب (ط طهران) : ١٣٦/٦ .

(٣) البيان والتبيين : ٢/٢١٩ ، المعيان : ٣٩ ، عيون الأخبار : ١/٢١٧ .

المقد : ٤/٤٦ مختصر كتاب البلدان : ٣٩ ، مروج الذهب

(ط طهران) : ٣/٣٢٢ .

(٤) البيان والتبيين : ٢/٢١٩ .

(٥) المقد : ٦/١٠٧ .

(٦) مروج الذهب : (ط طهران) : ٦/١١٢ - ١١٨ .

(٧) الكامل : ٢/٤٣ .

الى سنة ١٣٦٠هـ، والأرجح أن خالدا توفي بعد سنة ١٣٦٠هـ، وقبل بناء بغداد سنة ١٤٥٠هـ إن لو شهد بناءها لوفد عليها ولترجم له الشذائيب البغدادية في " تاريخ بغداد " (١) .

وذكر المبرد في رواية نقلها من التوزي أن خالداً كُفَّ بصره في ولاية بلال بن أبي بردة على البصرة بين عامي ١١٠هـ و ١٢٠هـ (٢) .

وعلق الصفدي عنه هذه الرواية ، فترجم لخالد في الحميان في كتابه : " نكت الحميان في نكت الحميان " وزاد عليها أنه " كان قد كُفَّ بصره أخيراً " (٣) أي في آخر أيامه .

ولم تقع على أي خبر آخر أو إشارة تؤكد هذا الخبر، واستبعد كُفَّ بصره، إن لو وقع له مثل ذلك، لقالوا سلم من السنة ضيقه لسلالة لسانه وأكثر ما تعرض لضيوب الآخرين ومثالبهم ، وكذلك كثرة مفاخراته أيضاً .

(١) تاريخ بغداد : ١/٣، ٦٧ .

(٢) الأمل : ٤٢/٢ .

(٣) نكت الحميان : ١٤٨ .

كان خالد خطيب المحافل والمجالس في زمانه ، أدناه الولاية والخلفاء إليهم ، فسامرهم ونادى بهم ، وادتمسوا إلي أحاديثه ومما سببه إلى نفوسهم ملاحظة ظرفه ودعابته (١) ومن دعا بآله الضريقة أنه قال للفرزدق يمارحـــــــــــــــــه : " ما أنت يا أبا فراس بالذي لسا رأينه أكبره وقطاعن أبيديهم " فقال له الفرزدق : " ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لبيها : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين " (٢) فهو يستغل بعض المواقف القرآنية ببلاغة عناية ، ونهى خالد جلسائه عن المزاح الفاحش البذيء ، عين ذكر بمنزلة فقال لهم : " ينشق أحدكم أخاه مثل الخردل ، ويفرغ عليه مثل المرحل ، ويرميه بمشكال البندل ثم يقول إنما كنت أمح " (٣) .

ولد له لسان حاد سليل بارع في تجنب مثالب خصومه في مواعيد المفاخرمة ، فلم يتورع الأشرار عن رد الكثرة له بمثلها فتجاهش البلغاء عرضه على فرار أدب النقائض ، قال له رجل وقد تعرض خالد له : " إن أباك كان ذميما ، ولكنه كان حليما ، وإن أمك كانت حسنا ، ولكنها رعاء ، فإجاء مع شر أبويه " (٤) .

وكان خالد سبانا في إعلان رأيه في بعض المواقف فمؤثر عن هذا الضمير بالضيقة والتألم على خصومه من الخلف ، شأنه في ذلك مع بلال بن أبي بردة (٥) ، وربما دأرى بعض من يخشاهم وسكت على إهانتهم له ، فقد وعد الفرزدق شيئا آخره عنه ، فمر به الفرزدق وحده ، فأمدك عنه خالد حتى يجاز ، فقال لأصحابه : " إن هذا قد جعل إحدى يديه سوطا ، وملا الأخرى سلتا ، وقال : إن عمرتم سطحي ، ولأ نضحتكم بسلحي " (٦) .

واشتهر خالد بحسده الشديد لأهل صناعته ، ومنافسته لهم ، وحسبين يتوجس من أعد البلغاء خذلهم على مكانته لا يتوانى عن ثلبه وادمه واختلاف الميوب له ، ذكر أنه تكلم في بعض الأمر ، فأجابه رجل بكلام لم يثن خالد أن ذلك الكلام كان عنده ، فحضر به خالد وقال : " اعلم رعمك اللـــــــــــــــــه

(١) البيان والتبيين : ١ / ٣٤٠ ، عيون الأخبار : ٤ / ٢٢

(٢) عيون الأخبار : ١ / ٣١٦ .

(٣) زهر الآداب : ١ / ٤٧٦ .

(٤) زهر الآداب : ٢ / ١٠٠٨ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥ / ٦٦ .

(٥) الكامل : ٣ / ٢٤٢ ، عيون الأخبار : ١ / ٨٠ .

(٦) الكامل : ٢ / ٤٢ .

إن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان ، ولكنها بإصابة المصنئ والقصد إلى الحجة ، فقال له الرجل : " يا أبا صفوان ، مالي من ذهب إلا اتفاق الصناعتين " (١) .

ولهذا السبب كانت المنافسة قوية بينه وبين ابن عمه شبيب بن شيبانة ، ووصف الجاحظ الحال التي كانت بينهما فقال : " وقد كانت الحال بين خالد ابن صفوان وشبيب بن شيبانة التي تدعو إلى المفارقة بعد المنافسة والمعاداة ، للذي اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة ، والقراءة والمجادلة ، فكان يقال : لولا أنهما أحلم تميم لتباينا تباين الأسد والنمر " (٢) وكان خالد يحضر بشبيب فيقول فيه " ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية " (٣) أي أن الناس يداورونه لشده وقلوبهم تهففه .

وخالد أحد بخلاء العرب المشهورين ومن أشح الناس (٤) وكان من أسير أهل البصرة في زمانه (٥) وتندر أهل الأخبار والأدباء بأخباره ، وجمعوا له طائفة كبيرة منها ، وجملة الجاحظ أحد شخصيات بخلائه ، فقد روى الجاحظ أن رجلاً سأل خالداً فقال : " هب لي دريهم " فقال خالد : " أتصغره لقد صغرت عظيمًا ، الدرهم عشر المشرة ، والحشرة عشر المئة والمئة عشر الألف والألف عشر الديعة " (٦) .

ونذكر أنه كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال للدرهم : " أما واللحم لما أفرقت في البلاد وأنجذت ، والله لأأيلن رجعتك ، ولأدمن سرعتك " (٧) . وذكر أنه كان مطلقاً (٨) ، لم يتزوج بحرة أو مال عياله ، فقال له أحد أصحابه : " يا أبا صفوان ، إني لأكره أن تموت وأنت من أسير أهل البصرة ، فلا يبكيك إلا الإماء " (٩) .

-
- (١) البيان والتبيين : ١/١٧٣ ، العقد : ٢/٢٦١ ، شرح نهج البلاغة : ٧/٨٨ .
 - (٢) البيان والتبيين : ١/٤٧ .
 - (٣) البيان والتبيين : ١/٤٧ ، الحيوان : ٥/٥٠٢ ، عيون الأخبار : ٣/٧٣ .
 - (٤) الأثافي : ٢/١٦٣ .
 - (٥) أمالي المرتضى : ٢/٢٦٢ .
 - (٦) البخلاء : ١٤١ ، البيان والتبيين : ٢/٢٠٢ .
 - (٧) أمالي المرتضى : ٢/٢٦٢ .
 - (٨) المصارف : ٤٠٤ .
 - (٩) أمالي المرتضى : ٢/٢٦٢ .

وربما أوضح سبب عزوفه عن الحرائر فكان يقول : "إن الحرائر لو كنَّ معلميها وقلَّت مؤونتها ما ترك اللثام فيها للكرام بيته ليلة ، ولكن ثقل معلميها ، وعامت مؤونتها فابتها الكرام وحاد عنها اللثام " (١) .

ولم يكن خالد صاحب مبدأ ثابت يستقر عليه فيدعوله وينافح عنه ، فكان متقلب الولاء . يسير في ركاب كل من يلوح له بالجاه والمال يتملقه ، المتقلب ويدأمن على المدبر ، وربما كان تعصبه الشديد لقبيلته هو الولاء الوعيي الذي ثبت عليه خالد ، وحتى هذا الولاء فإن مبعثه مبعث فردي بخصيصته عن روح الجماعة ، وكان لهذه الروح الفردية في شخصيته أثر بالغ في طغيان تلك الجوانب السلبية على شخصيته ، ومع ذلك فإن هذه الجوانب لم تحل بين خالد وبين أن يصبح أحد أقطاب الفصاحة وسادة البيان في عصره ، وكان يدرك ذلك في قرارة نفسه فيقول : " أربح لا يدمع فيهن عندي : القرص ، والقرص (٢) ، والقرص (٣) ، وأن أسعى مع أحد في حاجة " ، فقل لــــه : " وما يُصنع بك بعد هذه يا أبا صفوان ؟ " فقال : " الماء البارد ، وحديث لا ينادى وليدة " (٤ ، ٥) .

-
- (١) أمالي المرتضى : ٢٦٢/٢ .
 (٢) القرص : أن يفرض على نفسه في ماله للناس فريضة .
 (٣) القرص : أن يفرض عليه إنسان حاجة .
 (٤) حديث لا ينادى وليده : يعني أنه سكن للنفوس يمين يهيج بها الشر ، قال أبو عبيدة في قولهم : " هو أمر لا ينادى وليدة " أي هو أمر جليل شديد لا ينادى فيه الوليد ، ولكن تنادى فيه الجيلة " وقيل : أنه من الفارة أي تذهل الأم عن ابنها أن تناديه وتنتجعه فتعرب عنه .
 اللسان : مادة (ولد) .
 (٥) المحارف : ٤٠٤ .

٥- خالد بن صفوان خطيب المحافل والمجالس :

كان خالد بن صفوان سيد الخطابة الاجتماعية في النصف الأول من القرن الهجري الثاني ، حتى أصبح من الخطباء المشهورين في الصوام ، المقدمين في الشواص (١) وبلغ في مكانته البلاغية ذروة البيان بين خطباء المحافل وعنده بعض الباحثين معلما من محالم الخطابة العربية آنذاك ، ومعنى استلذاوا أن يقدموا تميما عملاقة مرعوبة الجانب . (٢) .

والواقف على بلاغة خالد لا يصعب من أن تكون له هذه المقدرة البيانية المظلمة ، التي لم تتأت إلا لظلة من الخطباء العرب ، وذلك إذا عرفنا من أين جاءت خالد فصاحته ، وكيف اكتسب هذه المقدرة على الأداء الديالبي البليغ ، ومن أشهر الصوامل التي رفعت خالد إلى تلك المكانة نشأته وثقافته .

فخالد سليل آل الأهمم ، تلك الأسرة التميمية التي تحد من أعرق الأسر العربية في الفن الخطابي ، وأشهرها ، وكانت هذه الأسرة تحتكر خطاب المحافل في زمنها ، وتمتد جذور شهرتها الخطابية إلى العصر الجاهلي ، وتوارث أفراد هذه الأسرة الموهبة البيانية ، فتألق نجم خطباءها -أوال المصدرين- الإسلامي والأموي ، وفي الحقبة الأولى من العصر المباسي (٣) ، وقد ذكر الباحث ثبثا ديولا من خطباء هذه الأسرة في " البيان والتبيين " (٤) .

في أسرة البيان والبلاغة هذه نشأ خالد وترى ، فاكترسب منهم المقدرة البيانية التي عرفوا بها ، حتى أصبح لخطباء هذه الطائفة مذهب متميز في الخطابة الاجتماعية ، يقرب أن يشكل مدرسة خاصة في الخطابة ، نلاحظها في أسلوب خالد الخطابي من التأنق اللفظي والقدرة على اختيار المصانيسي والتلاعب بها وإيراد الممجج والبرامحين على الشيء ونقيضه في الوقت نفسه .

وكانت ثقافة خالد الواسعة من دواعي فصاحته وصحة بيانه ، وفهمه القيمة هذه الثقافات القرآن الكريم وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) البيان والتبيين : ٣٣٩/١ .

(٢) الحياة الأدبية في المدينة : ٢٢٤ .

(٣) الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٢٨٧ .

(٤) البيان والتبيين : ٥٣/١ .

وخطاب البلغاء من سبقوه أو عاصروه ، مثل خطاب الأحنف والحسن البصري ، وثابت قنانة ، وعبد الله بن عبد الله بن الأعمش ، ويزيد بن المهلب . وقد كان يحفظ لهم الغنم من الخطاب البليغة وبروبها (١) . وشالذ ذو حافظاتة قوية ، وهو مشهور برواية الأخبار (٢) ، وجهد خالد في تثقيف نفسه وتوسيع أفقه مما أعانه على التصرف في القول حيث شاء ، وحبب ذلك أحياناً إلى الولاة والخلفاء ، لما كان يضمنها من طرائف الأفكار وتنوعها . قال البصري : " وكان خالد حافظاً لأخبار الأسلام وأيام الفتن وأحداث الغلفاء ، ونواز الرواة ، وكل ما تصرف فيه أهل الادب " (٣) .

وكان خالد يقضي وقتاً أويلاً في مذاكرة القصص والأخبار ، ومدارسة الشعر والآثار ، وروي أن رجلاً قال له وكان مشغلاً في تدارس الأخبار مع أصحابه : " مالي إذا رأيتم تذاكرون الأخبار ، وتدارسون الآثار وتتناشدون الأشعار وتقع علي النوم " فقال له خالد : " لأنك حصار في صلاح إنسان " (٤) . وكانت هذه الثقافات تكسب خالد الثقة بنفسه فلم يرو أنه اعتراه شيء من البهرا والارتماش ، وساعده على ذلك أنه " كان أذكر الناس لأول كلامه وأحفظهم لكل شيء سلف من منطقه " (٥) .

وكان لخالد عادات دقيقة بشيوخ الفصاحة والملم بالقرآن والحدِيث واللغة وكبار المتكلمين في عصره أمثال الحسن البصري الذي تلمذ له خالد في حلقة درسه ، وكان شديد الإعجاب به (٦) . والأعمش سليمان بن مهران الكوفي المتوفي سنة ٤٨ هـ وهو من أعلم أهل زمانه بقراءة القرآن ورواية الحديث (٧) واتصل بيونس بن حبيب شيخ نحاة البصرة (٨) ، واتصل كذلك بخمرو بن عبيد الزاهد شيخ المعتزلة في زمانه ومفتيهم (٩) ولا يغفى ما لهذه الصلات من الأثر في توسيع أفقه وتنويع ثقافته وقدرته على الجدل والمجادلة .

-
- (١) البيان والتبيين : ١١٨/٢ ، ٢٠٢/١ .
 - (٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٣/٥ .
 - (٣) زهر الآداب : ٨٨٣/٢ .
 - (٤) البيان والتبيين : ٧٠/١ .
 - (٥) البيان والتبيين : ٣٤٠/١ .
 - (٦) المقصد : ٢٣٠/٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٢/٥ .
 - (٧) عيون الأخبار : ٢١٣/٢ ، تاريخ بغداد : ٣/٩ .
 - (٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٢/٥ .
 - (٩) تاريخ بغداد : ١٦٦/١٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٣/٥ .

ولم ينجُ خالد من آثار العجمة واللحن التي تسربت إلى البيئات العربية ، حيث اختلط العرب بغيرهم من الشعوب الأخرى ، فتسرب اللحن إلى لحنه وقال فيه الباحث رائد " من اللحنين البلغاء " (١) وكان يلحن في مجلسهم . بلال بن أبي بردة فلامه فأقبل ، خالد على تعلم الأعراب بمسجد البصرة (٢) وذكر أبو عبيدة أن خطاباً آخر من آل الأعمى قد لحنوا قبل خالد ويحده (٣) .

ونظراً لخالد إلى البيئة البدوية الأعرابية على أنها موطن الفصاحة الأصيلة والبيان العربي الناصح ، فوفد على بادية قومه ليقيم لسانه بمشاهدة أهلها على يبرأ من شوائب العجمة واللحن فكانت فصاحة الأعراب مثله الأعلى ، حدث رجل من بني منقر قال : " تكلم خالد بن صفوان في علاج بالام لم يسمع الناس قبله مثله ، فإذا أعرابي في بيت (٤) ما في رجليه هذا ، فأجابه بكلام ودت والله أني كنت مت وأنا ذلك لم يكن ، فلما رأى خالد ما نزل به قال : يا غامق كيف تجاريهم ، وإنما نحكيهم ، وكيف نسايقهم ، وإنما نجري على ما سبق إلينا من أعرائهم ، فليفرخ روعك ، فإنه من مقاعس ومقاعس لك " (٥) .

ورأى خالد أن الفرق بين الإنسان والبهيمة هو اللسان الفصيح ، وكان يقول : " ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ، أو بهيمة ممهطة " (٦) .

وأثر عن خالد بعض الوسايا البلاغية للخطباء ، تكشف لنا جانباً من تجربة خالد وممارسته في هذا الفن الخالير ، واستمد ذلك من أسلوب تربيته وقيامه على المنابر وفي المحافل ، حتى راح الجماهير وعرفوا ما يرضي ذوقهم ، وهذه الوسايا بمثابة جهد مبكر لوضع أصول الفن الخطابة العربية ، فكان يقول : " لا تكون بلينا حتى تكلم أمتك السوداء في الليلة العالمة في الحاجة المهمة ،

(١) البيان والتبيين : ٢ / ٢٢٠ .

(٢) الكامل : ٢ / ٤٢ .

(٣) الحقد : ٣ / ٤١٥ .

(٤) بت : كساء غليظ مربع .

(٥) البيان والتبيين : ١ / ١٧٣ .

(٦) المصدر نفسه : ١ / ٣٥٣ .

بما تتكلم في نادي قومك فإنما اللسان عضو إذا مرنته من ، وإذا أهملته غار ، كاليد التي تخشنها بالممارسة " (١) لذا فقد كان خالد شراراً ، إذا عرض له القول قال ، فلما أخذ عليه ذلك قال : " أكثر لضريبي : أحدهما فيما لا تخفي فيه القلة ، والاخر لترمين اللسان ، فإن حبسه يورث العتلة " (٢) فهو يرى أن الخطابة راحة يجب أن نتلمس لها الأسباب ، وأن يسهق ممارستها عملية إعداد وذكورية لخلق القدرة على تحبير القول وسكبه ، فمخاطباته قريبة من فصاحة الأولين من البلغاء الأحنف والحسن البصري ، ولأن تراخت عنهم قليلاً (٣) .

وتشهد وصايا خالد البلاغية بمقدرته البلاغية متى قيل فيه : " وإنه لا يتحذر على خالد أن يتكلم في شيء " (٤) وشهد له الجاحظ بتفوقه على خطباء عصره فقال : " ما علمت أنه كان في الخطباء أحد كان أجود من خالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبة ، والذي يحفظه الناس ، ويدور على السمسم من كلامهما ، وما أعلم أن أحداً ولد لهما جرماً واحداً " (٥) وأعجب الجاحظ ببلاغة خالد أعجاباً شديداً ، وعبر عن ذلك في مواضع كثيرة من كتابه " البيان والتبيين " ، فقد علّق الجاحظ على مفاخرة خالد البيهقي في مجلس السفاح ورد عليه عليهم رداً مفجماً بقوله : " فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام ، إنه للسرّواية الخافض " ، والمؤلف المديد ، ولئن كان هذا شيئاً حذر به حين حرّك وبسطل ، فما له نظير في الدنيا ، فتأمل هذا الكلام ، فإنك ستجده مليحاً مقبولا ، وعظيم القدر جليلاً ، ولو خاب اليماني بلسان ستمبان وائل حولاً كريماً (٦) ثم عكس بهذه الفقرة ما قامت له قائمة " (٧) . وعرف خالد بأنه من أئمة المشايخ على مدح الشيء ونمجه في الوقت نفسه ، وله في ذلك أقوال رقيقة في وصف الحسين (٨) ،

- (١) الكامل : ٢٠ / ٢ .
- (٢) المصدر نفسه : ٢٠ / ٢ .
- (٣) الحياة الأدبية في البصرة : ٣٢٥ .
- (٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٧ / ٥ .
- (٥) البيان والتبيين : ٣١٧ / ١ .
- (٦) حول كريت : تام .
- (٧) البيان والتبيين : ٣٣٥ / ١ .
- (٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٠ / ٥ .

ووصف الزواج من الصراغر واتخاذ الجواري (٧) ، والجاحظ وابن أميب ببيان
خالد وفصاحته فقد كره منه هذا المذهب وقال : " فالذين كرهوا البيان
إنما كرهوا مثل هذا المذهب ، فأما نفس البيان فليس يذمه إلا من عجز عنه " (٨) .

ويلحق أن خالداً أتجه إلى الوعظ والخطابة الدينية في بداية أمره ،
وأظن أن ذلك كان بتأثير أستاذه المعين البصري (٩) ، ثم مال بعد ذلك
إلى الخطابة الاجتماعية والمجتمعية حتى أصبح زعيم هذا الحزب من الخطابة
في زمانه غير منازع .

وكان خالد شديد العناية بتحضير كلامه وإعداده قبل القاءه ،
فجده يحرص على انتقاء الألفاظ مراعيًا التأني والدقة وسلامة الجرس وقوة الإيحاء ،
وحرص على الإيقاع الموسيقي في ألفاظه وتراكيبه فشاع في كلامه السجع والتوازن ،
وكان بارعا في تقسيم كلامه وهذه العبارة تنالنا بعض الشيء وانصب أبو بـ
، قال يرثي صديقه : " رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ الصين حـ
والأذن بيانا ، ولقد كان يُرجى ولا يُخشى ، ويُخشى ولا يُخشى ، ويمحلي ولا
يمحلي ، قليلا لدى الشرّ حـ ، سليما للصديق ضميره " (١٠) .

بهذه القدرة البلاغية ارتفعت منزلة خالد الأدبية لدى محاسنهم
ومن جاء بعدهم من الأدباء والنقاد ، فحمد بعض المقامع من بعده
إلى محاكاته والتشبه به مثل شبيب بن شيبه (١١) ، وعبد الله بن عروة بن
الزبير (١٢) ، وكاننا من أغراب الناس ، ألا أنهما لم يلبثا شاو خالد ،

(١) مروج الذهب : (ط طهران) : ١١٢/٦ .

(٢) البيان والتبيين : ٣٩٥/١ .

(٣) الخطابة المربية في عصرنا الذهبي : ٣٦١ .

(٤) البيان والتبيين : ٩٢/٤ .

(٥) زهر الآداب : ٨٨٢/٢ .

(٦) البيان والتبيين : ٣١٧/١ .

المعارف : ٢٢٢ .

وُضِرَ بِبَلَاغَةِ خَالِدِ الْمَثَلِ فَقَالَ أَبُو تَمَامٍ لِمَالِي بِنِ الْبُحْمِ :

أَوْ قَدْ مَتَكَ السَّنُ خِلْتُ بِأَنْفُسِهِ

من لفظك اشتقت بلاغة خالداً (١)

والله در الشاعر مكي بن سوادة إذ يقول في وصف بلاغة خالد :-

عليه يتنزّل الكلام مُلَقَّـنـ

ذَكَوْرٌ لِمَا سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلَا (٢)

يبذ قريع الغوم في كل مَحْفِلٍ

وإن كان سحبان الفطيل يود ففساد (٣)

تروى خباياها الناس يوم ارتحالها

فأنهم الكروان عاين أبجد لا (٥٤٠) .

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٤٠٣ / ١ ،

زهر الآداب : ٨٨٣ / ٢

(٢) سواه : نسجه .

(٣) يبذ : يفسد ،

قريع : السيد والرئيس .

(٤) الكروان : جمع كراوان ، وهو ذكر الحباري ،

والأبجد : الصقر

(٥) البيان والتبيين : ٣٤٠ / ١ ، زهر الآداب : ٨٨٣ / ٢ .

ملحق، غاصر، بـخـاب تـيـلـة تـيـم حـتى نـهـايـة العـصـر الـامـوي

* * *

يشتمل هذا الملحق على ثلاث وستين ومئتي خطبة تقريباً، مغربية ومشرقية، موزعة على تسعة وثمانين خطيباً. ورُتبت خطب هذا الملحق حسب أسماء الخطباء على حروف الهجاء، وحين تتعدد اتجاهات الخطابة عند الخطيب الواحد ترتب خطابه على النحو التالي :-

الخطاب السياسية والحربية ثم الخطاب الاجتماعية، ثم الخطاب الدينية، ثم الواقع المألوم، ويراعى التدرج الزمني في تسلسل خطب كل اتجاه قدر الإمكان.

وقد اعتمدنا في تحقيق نصوص الخطب على أقدم الروايات لكل خطبة وبخاصة إذا جاءت في مصدر موثوق محقق، فنجعلها أصلاً ونعارضها على الروايات الأخرى، فنثبت الاختلافات والزيادات في الحاشية، وإذا وجدنا في بعضها الروايات الموثوقة الأخرى زيادة ضرورية لاستقامة النص على نحو ما أولاهتمامه أثبتنا هذه الزيادة في المتن بين معكوفتين. وقد نشأت في الحاشيتين غير رواية للخطبة الواحدة إذا وجدنا بينها اختلافات بينية.

واعتمدنا في شرح الضريب في هذه النصوص على ما جاء من شروطها في متون المصادر التي أخذت منها وإن وجدت، ونقول فيما عدا ذلك على أساس المعاجم اللغوية.

ونبهننا في الحواشي على ما نُحِل على بعض الخطباء من الخطب، وما طال بعض الخطب من العبث والتحريف، وناقشنا ذلك قدر جهدنا.

ويحسن بنا أن نشير إلى أننا قد استعملنا مدلول الخطابة بشيء معين المتوسع ليشمل كل كلام يُخاطب به جمهور من الناس احتشداً ولسماعة أو يتوجه منه به إلى شخص ما بحضور جمهور من الناس احتشداً ولسماعة، يقصد به إقناعهم بفكرة ما واستمالتهم إليها.

(١) خطب الأحنف بن قيس الصنقرى السعدي :

خطب الأحنف السياسية والعربية :

١- لما علم الأحنف بقدم الحلة والزبير وعائشة نحو البصرة وكان عليهما عثمان بن حنيف الأنصاري واليًّا لعلي فقال له الأحنف (١) :

" إنهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان ، وهم الذين ألبسوا علي عثمان الناس ، وسفكوا دمه ، وأراهم والله لا يزايلون حتى يلقوا العداوة بينهم ، ويسفكوا دماءنا ، وأظنهم والله سيركبون منك خائفة ما لا قبل لك به إن لم يسم تتأصب لهم بالنهوض إليهم فيمسح معك من أهل البصرة ، فانك اليوم الوالي عليهم ، ورأيت فيهم مائع ، فسر إليهم بالناس ، وبأدرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة ، فيكون الناس لهم أروع منهم لك " .

٢-

وقال الأحنف حين دعاه الحلة والزبير ليعينهم على دم عثمان قبيصة بن الميمون : (٢) -

" والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا أقاتل رجلا ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أمرتوني ببيمته ، اختاروا مني واحدة من ثلاث خصال : إما أن تفتحوا لعملي الميسر فالحق بأرض الأعاجم حتى يقضي الله من أمره ما قضى ، ولما أن الحق بمكة فأكون فيها حتى يقضي الله من أمره ما قضى ، أو أعتزل فأكون قريبا " .

(١) شرح نهج البلاغة : ٣١١/٩
أشك في صحة هذه الخطبة لما فيها من التنبؤ بالمستقبل ، وما حوته من الميول الشيعية .

(٢) أنساب الأشراف : ٢٣٢/٢ ،
تاريخ الطبري : ٤٩٨/٤ ،
المعقد : ٣١٤/٤ .

ولما دخل علي البصرة بعد الجمل ، قام إليه بعض زعماء جنده ، فبادلوه في أمر أهل البصرة ، وما يحمل لهم فيهم بعد أن ظهروا عليهم ، فبحث علي في إلى الأعنف وعرض عليه الأمر فقال له الأعنف (١) : -

"إنهم قد أعطوا وخالفوا كتاب الله وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - ، إنما كان السبي والغنيمة على الكفار الذين دارهم دار كفر ، والتفر لهم جامع ولذرائعهم ، ولسنا كذلك ، وإنما دارنا دار إيمان ينادي فيها بالتوحيد ، وشهادة الحق ، وإقام الصلاة ، ولنا بفت طائفة أسماؤهم معروفة أسماء أهل البيت ، والثانية محبتنا أنا لم نستجمع على ذلك البغي ، فإنه قد كان من أندارك من أثبتهم بصيرة في حقك ، وأعطاهم غناء عنك طائفة من أهل البيت البصرة (٢) ، فأنتى أولئك بجهل حقه ونسي قرابته ، إن هذا الذي أتتاك به الأشتر وأصحابه قول متعلمة أهل الكوفة ، وإيم والله لئن تعرضوا لهم لبيكرهم عاقبتها ، ولا تكون الآخرة كالأولى " .

فقال علي : " ما قلت إلا ما نصرف ، فهل من شيء تغصون به " .

قال : " نعم ، أعدايتنا في بيت المال ، ولم نكن لنصرفها في عدلنا ، عنا ، فقد صناعنها أنفسنا في هذا العام ، فاقسمها فيهم " .

وقال الأعنف لملي عيين وفد عليه بالكوفة في أشرف تميم البصرة قبيل

صفين (٣) : -

"يا أمير المؤمنين ، إنهم إن تلك سعد لم تنصرك يوم الجمل ، فإنها أعم تنصرك عليك ، وقد عجبوا أس من من نصرك ، وعجبوا اليوم من خذلك ، لأنهم شكبوا في طاعة والزبير ، ولم يشكوا في معاوية ، وعشيرتنا بالبصرة ، فلو بحثنا إليهم فقد موا إلينا ، فقاتلنا بهم المدو ، وانتدنا بهم ، وأدركوا اليوم ما فاتهم أس " .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساکر : ١٢/٧ .

(٢) في النص غموض في هذا الموضع .

(٣) وقعة صفين : ٢٨-٢٩ .

الإمامة والسياسة : ٤٠ .

٥- وقال الأحنف حين دعا علي أهل البصرة إلى النفير معه إلى صفين : (١)
 " نعم والله لنبييّنك ، ولنخرجن منك على الصّسر والنّسر ، والرضسسا
 والمزّه ، نحتسب في ذلك الأجر ، ونأمل به من الله العظيم . حسن الثواب " .

٦- وقال الأحنف في صفين يحضر أصحاب علي على مناجزة أهل الشام (٢) :
 " يا أهل العراق ، والله لا تصيبون هذا الأمر أنزل عنقا منه الـيـوم ،
 قد كشف القوم عنكم قناع الحياء ، وما يقاتلون على دين ، وما يـصـيرون
 إلا علي حياء ، فتقدموا " .

٧- قام الأحنف إلى علي في صفين حين استحر القتل ، وانقسم أصحاب
 علي بين داع إلى المواجهة وداع إلى الحرب فقال (٣) : -
 " يا أمير المؤمنين ، إن الناس بين ما ضوا وقف ، وقائل وساك ، وكل في
 موضعه لحسن ، وإنه لو نكل الآخر عن الأوّل لم نكل شيئا ، لأننا لا نقسول اليوم
 ما قد قيل أمس ، ولكنه حق يقضى ، ولم نقاتل القوم لنا ولا لك ، إنما قاتلناهم
 لله ، فإن حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله ، فإنك أولى بالحق ، وأحقنا
 بالتوفيق ، ولا أرى إلا القتال " .

٨- وقال الأحنف يوم صفين : (٤) :
 " ملكك الحرب "
 فقال له أصحابه : " وإن غلبنا أبا بكر ؟ " قال : " نعم "
 قالوا : " وإن غلبنا " قال : " نعم " قالوا : " والله ما جعلت
 أنا مخرجا " قال : -
 " إن غلبنا لم نترك بها رئيسا إلا ضربنا عنقه وإن غلبنا لم يخرج بعدها
 رئيس عن مصيبة الله أبدا " .

(١) وقعة صفين : ١٣٠

شرح نهج البلاغة : ١٨٧/٣ .

(٢) وقعة صفين : ٤٦٢ .

(٣) الإمامة والسياسة : ١٢٦

(٤) وقعة صفين : ٤٤٠ .

وقال لملي بن أبي طالب حين رضي بمسح لقب " أمير المؤمنين " من اسمه في صحيفة التحكيم بعد صفين (١) :
 " أيها الرجل مالك وما لرسول الله (٢) - صلى الله عليه وسلم - وأنا والله ما عييناك ببيعتنا ، وإنما لمعلمنا أحدا من الناس أحق بهذا الأمر منك لبايعناه ، ثم قاتلناك ، وإني أقسم بالله لئن محوت هذا الاسم السني ببايحت عليه وقتلتهم ، لا يعود إليك أبداً " .

١٠- وقام الأحنف إلى علي حين أراد إرسال أبي موسى إلى التحكيم وقال له (٣) :

" يا أمير المؤمنين إنك قد رُميت بحجر الأرض (٤) ، ومن حارب الله ورسوله انف الأسلام (٥) وإني قد عجمت هذا الرجل (٦) ، وحملت أخطاره ، فوجدته قليل الشفاعة ، قريب القمر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجس يدينونهم حتى يكون في أكفهم ، ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم ، فإن تجعلني حكما فاجعلني وإن أبيت أن تجعلني حكما فاجعلني ثانيهما أو ثالثا ، فإنه لا يحقد عقدة إلا حلتها ، ولن يحل عقدة إلا عقدتها " .

فلما أبى الناس إلا إرسال أبي موسى قال :-
 " فان أبيتم إلا أبا موسى فادفعوا ظهره بالرجال " .

-
- (١) تاريخ الطبري : ٥٣/٥ .
 (٢) لما سمع معاوية أن يحو علي من اسمه لقب أمير المؤمنين في صحيفة التحكيم ووافق علي اقتداء بالرسول في صلح الحديبية مع كفار مكة .
 (٣) وقعة صفين : ٥٧٤ ، أنساب الأشراف : ٢٣٠/٢ ، جاءت مختصرة ، تاريخ الطبري : ٥٢/٥ ، شرح نهج البلاغة : ٢٣٠/٢ ، تاريخ ابن الأثير : ٣١٩/٣ ، مجمع الأمثال : ٣٣/١ ، جاءت مختصرة .
 (٤) رميت بحجر الأرض : إذا رُميت بداهية من الرجال ، اللسان : مادة (حجر) ويورد كلام الأحنف ، يقصد به عمرو بن العاص .
 (٥) أي في أول الإسلام .
 (٦) يقصد أبا موسى .

وفي رواية أخرى أنه قال (١) :

" يا أمير المؤمنين ، إنني خيّر لك يوم الجمال أن آتيك فيمسيك
أناعني أو اكف عنك بني سعد ، فقلت : " كف قومك ، فكفى بك نصيرا " فأقمت
بأمرنا ، وإن عبد الله بن قيس (٢) رجل قد جلبت أخطاره فوجدت في
قريب القصر كليل المدية ، وهو رجل يمان وقومه مع معاوية ، وقد رُميت
بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله ، وإن صاحب القوم من ينسب
حتى يكون مع النجم ويدنو حتى يكون في أكفهم ، فابحثني ، والله لا يحسن
عقدة إلا عقدت لك أشد منها ، فإن قلت : إنني لست من أصحاب رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - فابحث رجلا من أصحاب رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - غير عبد الله بن قيس (٣) ، وابحثني معه " .

(١) وثقة صفين : ٥٧٤ ، الإمامة والسياسة : ١٣٦ ،

شرح نهج البلاغة : ٢٣٠ / ٢ .

(٢) هو أبو موسى الأشعري .

(٣) في الإمامة والسياسة : " فابحث عبد الله بن عباس وابحثني معه " .

وكان الأحنف آخر من ودّع أبا موسى قبل التحكيم فأخذ بيده وقال له يومئذيه (١) :-

" يا أبا موسى ، اعرف خطب هذا الأمر ، واعلم أن له ما بعده ، وأنتك إن أجمعت الحراق فلا عراق ، فاتق الله فانها تجمع لك دنياك وآخرتك ، وإذا اقيت عمرا غدا فلا تبدأه بالسلام ، فانها وإن كانت سنة إلا أنه ليس من أهلها ، ولا تعطيه يدك فانها أمانة ، وإياك أن يتمدك على صدر الفرياش ، فانها بخدعه ، ولا تلقه وحده ، واحذر أن يكلّمك في بيت فيه مخدج تغيب فيه الرجال والشهود ، ودعه فليتكلم لتكون عليه بالخيار ، قالباىء مستفلق (٢) ، والمجيب ناطق * .

ثم أراد أن يصرف ما في نفسه لملي فقال له :-
" فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا لملي فخير له أن يختار أهل الحراق من قريش الشام من شاءوا ، فانهم يولونا الخيار فنختار من نريد ، وإن أبسوا فليغتر أهل الشام من قريش الحراق من شاءوا ، فإن فعلوا كان الأمر فينا " .
قال أبو موسى : " قد سمعت ما قلت ولم يتحاشر لقول الأحنف .

فرجع الأحنف فأثنى عليهما وقال له : " يا أمير المؤمنين ، أخشى عليك وأبو موسى زبدة كلامه - أو قال : " زبدة سقائه " - في أول مخضبة ، لا أرانا إلا بعد شأ رجلا لا ينكر لك " .

(١) وقعة صفين : ٦١٧ ، الإمامة والسياسة : ١٣٩ ،

شرح نهج البلاغة : ٢/٢٤٩ ،

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢/٢٢٩ .

(٢) مستفلق : ليمر له الخيار في رد ما قال .

وقال معاوية يوماً للأحنف وقد وفد عليه في وجوه أهل العراق : (١)
 " والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كنت حزاة في قلبي إلى يوم
 القيامة " ، فقال له الأحنف : -

" يا أمير المؤمنين ، لا تزد الأمور على أعقابها ، أما والله إن القلوب
 التي أبغضناك بها ليين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها لملس
 عواتقنا ، ولئن مدت فترا من غدر لنمدن باعاً من ختر ، ولئن شمسئت
 لتصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك " .

وفي رواية أخرى أنه قال له (٢) : -
 " والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن
 السيوف التي قاتلناك بها لفي أعقابها ، وإن تدن من الحرب فسترا
 تدن منها شبرا ، وإن تشر إليها نهول إليها " ثم قام وخرج ،
 وكانت أخت معاوية تسمع الكلام من وراء الحجاب فقالت لمعاوية :
 " من هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ "
 قال : " هذا الذي إذا غضب غضب لفضبه مئة ألف من بني تميم
 لا يدرون فيم غضب " .

وفي رواية أخرى أنه قال لمعاوية : (٣)
 " والله ما أتيناك يا أمير المؤمنين لتهدينا من ضلالة ولا لتميننا
 من هيلة ، ولا لتضمننا من ذلة ، ولكن للسمع والطاعة " .

-
- (١) المقد : ٢٨ / ٤ ، سرح الصيون : ١٠٦ ،
 تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٧ / ٧ ، نهاية الأرب في فنون الأدب :
 ٢٣٧ / ٧ .
 (٢) وفيات الأعيان : ٥٠٠ / ٢ .
 (٣) أنساب الأشراف : ١٦ / ١ / ٤ .

أنكر الأحنف على معاوية لعن رجل من أهل الشام لملي في مجلسه
وقال له (١) :-

" يا أمير المؤمنين ، إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رضاك فسي
لحسن المرسلين للمؤمنين ، فاتق الله ودع عنك علما ، فقد لقي ربه ، وأُفريد في
قبره ، وغلا بحمله ، وكان والده - ما علنا - المبرز بسبقه ، والناصر بملكه
الأميون نقيته ، العظيم مصيبتة " .

فقال له معاوية : " يا أحنف لقد أغضيت الدين على القذى ، وقلت بضمير
ما ترى ، وآيم الله لتضمن المنبر فلتلعننه طوعا أو كرها " .

فقال له الأحنف : " يا أمير المؤمنين ، إن تعفي فهو خير لك ، وإن
تبرني على ذلك فوالله لا تجري به شفتاي أبدا " .

فقال معاوية : " قم فاصعد المنبر " .

قال الأحنف : " أما والله مع ذلك لأُـنصفنك في القول والفعل " قال
: " وما أنت قائل يا أحنف ، إن أنصفتني ؟ " .

قال : " أصدق المنبر ، فاحمد الله بما هو أهله ، وأصلي على نبيه -
عليه السلام - ثم أقول : " أيها الناس ، إن أمير المؤمنين
معاوية أمرني أن ألعن عليا ، ألا وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا ، وأدعى
أحدُهما أنهُ بُغِي عليه وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله " .
ثم أقول : " اللهم ألعن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغسي
منهما على صاحبه ، واللعن الفئة الباغية ، اللهم المنهم لمنا كشيء - را -
أمنسوا رحمكم الله ، يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا -
واو كان فيه ذهاب نفسي " .

قال معاوية : " إذن نمنفك يا أبا بحر " .

(١) المقد : ٢٨/٤ ، وفيات الأعيان : ٥٠٤/٢ .

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٣٧/٢ .

المستطرف : ٤٣/١ .

وقال الأحنف لمعاوية حين استشاره فيمن استشار من زعماء أهل الأمصار في أخذ البيعة لابنه يزيد من بعده : (١)

" أصلح الله أمير المؤمنين ، إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان مؤتلف ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف ، وقد حابست الدهر أشرته يا أمير المؤمنين ، فأعرف من تسند إليه الأمر من بعدك ، ثم اعص رأي من يأمرك ولا يقدر لك ، ويشير عليك ولا ينظر لك " (٢) .

١٦- ويروى أن الضحاك بن قيس غضب من كلام الأحنف السابق ، فقام خطيباً ، فأغلق القول للأحنف واتهم أهل المراق بالشقاق والنفاق ، وحذرهم من عصيان أمر معاوية ومعارضة هواه فيما عزم . فقام الأحنف ثانية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (٣) :-

" يا أمير المؤمنين ، إنا فررنا عنك قريشاً فوجدناك أكرمها زنداً ، وأشدّها عقداً ، وأوفاهما عهداً ، وقد علمت أنك لم تفتح المراق عنوة ، ولم تظلمهم عليه قهراً ، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت ، أيكسمن الأمر له من بعدك ، فإن تفرقت أهل الوفاء ، وإن تفدر تعلم والله إن وراء الحسن غيولاً غيولاً ، وأزرعاً شداداً ، وسيوفاً حداداً ، إن تدن له شجراً من غدر ، تجد وراءه باجاً من نصر (٤) ، وإنك لتعلم أن أهل المراق صفاً أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحببوا ، وما نزل عليهم في ذلك أمر من السماء ، وإن السيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين لمالين عواتقهم ، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم ، وإيم المسلمين إن الحسن لأحب إلي أهل المراق من علي " (٥) .

(١) الإمامة والسياسة : ١٧٦ ، مروج الذهب (ط طهران) : ٧٠ / ٥
(٢) وزاد على ذلك في الإمامة والسياسة قوله : " وأنت أنظر للجماعة ، وأعلم باستقامة الطاعة ، مع أن أهل المراق والحجاز لا يرضون بهذا ، ولا يبايعون يزيد ما كان الحسن حياً " وأشك في هذه الزيادة لما فيها من الميل الشيعي .

(٣) الإمامة والسياسة : ١٧٧ .
(٤) هذا الجزء من الخطبة نسب إلى جارية بن قدامة السعدي ، انظر أنساب الأشراف : ٢٨ / ١ / ٤ ونسب إلى زيد بن جبلة أيضاً ، انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٥٤ / ٥ ، وأضاف إليه في هذا النص : " إن وراء الحسن " .
(٥) وهذا الجزء من الخطبة عبارة عن خطاب مفردة للأحنف قالها لمعاوية حين ذكره بيوم صفين : " انظر العقد : ٢٨ / ٤ أنساب الأشراف : ١٦ / ١ / ٤ ، وقد حُرِّمت الخطبة بما يتفق والميول الشيعية فاضيفت إليها التعابير التي تذكر علياً وابنه الحسن .

- ١٧ -

ولما أظهر معظم زعماء الأمصار موافقتهم لمعاوية على توليته يزيد الأمر من بعده، والأحنف ساكت فقال له معاوية: " ما تقول يا أبا بكر ؟ " فقال: (١) :

" نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلايته ، ومدخله ومخرجه ، فإن كنت ستصالحه لله رضا ولهذه الأمة فلا تشاور الناس فيه ، [ولا تقم له الخطباء والشعراء] (٢) وإن كنت تعلم منه غير ذلك ، فلا تزوده الدنيا وأنت متأثر إلى الأخرة (٣) ، وإنما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا " .
فتفرق الناس ولم يذكروا إلا كلام الأحنف .

- ١٨ -

وقال الأحنف لزياد لما انتهى من خطبته البتراء الشهيرة بالبصرة: (٤)
" أيها الأمير، إنما المرء بجده ، والسيوف بحدده ، والجواري بشده ، وقسود بلطفك شدةك أيها الأمير ما ترى ، وإنما الشاء بعد البلاء ، والحمد بعد الخطاء ، وإنما لن نشفي حتى نبتلسي " .

فقال له زياد : " صدقت " .

1

(١) الإمامة والسياسة : ١٧٦ ، الحقد : ٣٦٤/٤ ، زهر الآداب :

٦٤٥/٢ ، تاريخ ابن الأثير : ٥٠٨/٣

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٥٤/٢٠ .

(٢) الزيادة من زهر الآداب .

(٣) زاد في الإمامة والسياسة بعد ما : " وأعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت

يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم من هما ، وإلى من هما " ووضح أنها زيدت لإثبات تشييع الأحنف .

(٤) الأخبار الموفقيات : ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، البيان والتبيين : ٦٥/٢ ، أنساب الأشراف

: ١٨١/١/٤ ، عيون الأخبار : ٢٤٦/٢ ، تاريخ الطبري : ٢٢١/٥ ، المسند

١١٢/٤ ، النوادر : ١٨٦ ، زهر الآداب : ١٠٢٥/٢ ، شرح نهج البلاغة :

٢٠٣/١٦ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣١٤/٢٠ .

قال الأحنف عين كتب إليه الحسين يدعوه إلى نفسه (١) :
 " قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إيالة للملك ، ولا جمعاً
 للمال ، ولا مكيدة في الحرب " .

وفي رواية الشعبي أنه قال (٢) :
 " ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحببناهم قتلونا ، وإن أبغضناهم
 أدخلونا النار " .

-٢٠-

وقال لما بحث إليه عبد الملك بن مروان يدعوه إلى نفسه في فتنة
 ابن الزبير (٣) :
 " يا عجباً لابن الزرقاء ، يدعوني إلى نفسه وأجل الشام ، واللمسة
 لو دلت أن بيننا وبينهم بهراً (٤) من نار ، من أئانا منهم احترق فيهم ،
 ومن أئاهم منا احترق فيه ، اللهم أميت الأحنف قبل أن يرى لأهله
 المصراق غدرا " .

-٢١-

وقال الأحنف لمصعب بن الزبير (٥) :
 " لا تلق بأهل المصراق عدداً فإنهم كالنمصة ترصد كل يوم بصيلاً ،
 وهم يريدون كل يوم أميراً " .

(١) عيون الأخبار: ٢١٢/١ ، سرج الصيون : ١١٠

الدر المخزون : ٢٦١ .

(٢) عيون الأخبار : ٢١٣/١ .

(٣) الطبقات الكبير : ٦٦/٢/٧ ، أنساب الأشراف : ٢٨٨/٥ .

(٤) في الطبقات الكبير : " جبل " .

(٥) أنساب الأشراف : ٣٣٨/٥ .

قال الأحنف لجنوده في خراسان وقد عبر إليهم خاقان وأصحابه
 نهر بلخ لقتالهم سنة ٢٢٤ هـ (١) :

" إنكم قليل ، وإن عدوكم كثير ، فلا يهولنكم ، " فكم عن فتنة
 قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين " (٢) ارتحلوا من مكانكم
 هذا واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم ، وقتلوه من وجوه واحد " .

وقال الأحنف لقومه حين أرسلهم مع الأقرع بن حابس لطلب حنيفة
 فلول أهل طخارستان والجوزجان وغيرهم (٣) :

" يا بني تميم ، تعابوا تجتمع كلمتكم ، وتبذلوا تمتدل أموالكم ،
 وأبدأوا بجهاد بآؤنكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغفلوا بسلامتكم
 لكم جهادكم " .

(١) تاريخ الطبري : ٤ / ١٦٩ ،

البداية والنهاية : ٧ / ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٤١

(٣) البيان والتبيين : ٢ / ١٠٣ ،

نهاية الارب في فنون الادب :

٧ / ٢٣٩ ، ١٩ / ٤٢٣ .

وقال الأحنف لعمر بن الخطاب يشير عليه أن يأذن للمسلمين بالانسياح في خراسان (١) :

" يا أمير المؤمنين ، أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وأمرتنا بالاعتصام على ما في أيدينا ، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم ، وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجمع ملكان فافتقا حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعثهم ، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا رابعهم حتى تأذن لنا ، فانسح في بلادهم حتى نزله عن فارس ، ونخرجه من مملكته وعز أمته ، فبنالهم ينقطع وجاء أهل فارس ، ويضربون جاشا (٢) " .

وقال لأهل البصرة لما فزعوا إليه حين خرج نافع بن الأزرق بالأهوز ونشأ أمر الخوان بالسواد (٣) :

" إن فعلهم في مصركم إن ظفروا به كفعلهم في سوادكم ، فجدوا فسي جهاد عدوكم " .

وقام الأحنف في قومه يحرضهم على الأزد في الليلة التي اقتتلوا فيها في صبيحتها في فتنة مسعود فقال (٤) :

" إنكم تلقون عدوكم غدا ، فأصبروا فإنهم يألمون كما تألمون " .

(١) تاريخ الطبري : ٨٩/٤ .

(٢) يضربون جاشا : أي يسكنون

(٣) الكامل : ٢٩٣/٣ ،

الأغانى : ١٤٢/٦ ، ١٤٣

شرح العميون : ١٩٦ .

(٤) أنساب الأشراف : ١٢٢/٢/٤ .

- ٢٧ -

وفد الأحنف على عمر بن الخطاب في وجوه تميم البصرة فسأل كل واحد منهم حاجة نفسه إلا الأحنف فقد قال لعمري (١) :

"يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص قائد الحرمان ، فتأمر الله فيما لا يفتني عنك يوم القيامة ، قبلاً ولا قالاً ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف سبباً يكفيك وفادة الوفود ، واستماعة المحتاج ، فإن كل امرئ إنما يجمع في وعائه ، إلا الأقل ممن عسى أن تفتحه الأهلين ، وتغنونهم الألسن ، فلا يوغد إليك يا أمير المؤمنين "

- ٢٨ -

وفد الأحنف على عمر بن الخطاب في وجوه أهل العراق ، فتكلم كل واحد بحاجة نفسه ، إلا ما كان من الأحنف ، فقال لعمري (٢) :

"يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأم الخالصة ، والطلوك الجارية منازل كسرى وقيصر ، وبني الأبرار ، فهم من المياه الحذبة ، والجنان المخصبة (٣) ، في مثل جِولاء السلي (٤) ، وحنقة البعير ، تأتيسهم شاربهم غضية لم تتغير ، وإننا نزلنا أرضاً ناشئة ، طرف في فلاة ، وألف في

(١) البيان والتبيين : ١٤٤/٢

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٣٩/٧ .

(٢) مختصر كتاب البلدان : ١٨٩ ، وردت فيه مختصرة ، المقتد : ٦٦/٢ ، شرح الصيوني : ١٠٥-١٠٦ ، الفائق : ٤٥/١ ، تهذيب تاريخ ابن عساکر :

١٢٠/٧ .

(٣) في مختصر كتاب البلدان : "إن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأم الخالصة بين المياه المذبة والجنان الملتفة" .

وفي الفائق : "إن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل جِولاء الناقة من شار متهدلة ، وإنها متفجرة" .

(٤) جِولاء السلي : جِولاء الناقة ، كالشيمة عند المرأة ، وقيل الماء الذي يخرج مع الولد عند الولادة ، والسلي : الجلد الرقيقة التي يكون بها المولود ، ويكنى بها عن الغضب .

ملح أجاج (١) ، جانب منها منابت القصب ، وجانب سبخة نشاشة (٢) لا يجف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مريء النخامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يستغذب الماء من غرسخين ، وتخرج المرأة بعثل ذلك ، ترتسست ولدها ترنيق (٣) الخنز ، تخاف عليه العدو والسبع ، فلا ترفع خديستنا (٤) ، وتشمس ركبيستنا (٥) وتجهر فاقتنا ، وتزبد في عيالنا عبلا ، وفي ربالنا رجسالا ، وتشفّر (٦) درهمنا ، وتكبر قفيزنا (٧) وتأمرلنا بحفر نهر نستعذب به الماء شلتنا .

- ٢٩٠ -

وفي رواية أخرى أنه قال (٨) :
” يسا أمير المؤمنين ، إنك لكما ذكرنا ، ولقد يحزب عنك ما يحق علينا إنهاره
إليك ما فيه صلاح العامة ، وإنما ينظر الرائي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ،
ويسمع بأنهم ، وإنما لم نزل نزل منزلا بعد منزل حتى أرزنا إلى البصر ،
وإن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الفاسقة من الحيسسون
العذاب (٩) والجنان الخصاب ، فتأتيهم ثارهم ولم تغضد (١٠) إلوانا معشر أهل
البحرة نزلنا سبخة مشاش (١١) زعقة نشاشة (١٢) لارف لها في الفلاة

- (١) في الفائق : ” بالبحر الأجاج ” ، وفي مختصر البلدان : ” ناءيتها من المشرق البحر الأجاج ، وناحتها من المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع ”
- (٢) سبخة نشاشة : ينز ماؤها فينش ويمود ملحاً .
- (٣) ترنيق : تديم النثار ، وفي مختصر كتاب البلدان ” تربق ”
- (٤) أي : يرفع حالهم بعد انحطاطها .
- (٥) الركيس : الضعيف يمني الحال الضعيفة .
- (٦) أي تجعل درهمنا ذهباً .
- (٧) القفيز ، مكيال .
- (٨) تاريخ الطبري : ٢٥ / ٤ ، مختصر كتاب البلدان : ١٦٦ ، وردت فيه منتصرة ، زمر الآداب : ٦٤٢ / ٢ ، تشبيف اللسان : ١٩٢
- (٩) شبه بلادهم في خصوبها وكثرة ماؤها بعدقة البعير
- (١٠) غضد الشيء : شاء ، أي تأتيتهم ثارهم غضة لم تنش أو تنكسر .
- (١١) مشاش : لبنه
- (١٢) زعقة : ماؤها مر ، نشاشة : لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها .

وأرف لها في البحر الأجاج ، يجري إليها ما جرى في مثل مري النخامة دارنا
فحمه ، ووثافتنا ضيقة وعدنا كثير ، وأشرافنا قليل ، وأمل البلاء فينا كثير
ودرهمنا كبير ، وقفيزنا صغير ، وقد وسع الله علينا وزادنا في أرضنا ، فوسّع
علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا وثايفة توظف علينا ، ونعيش بها " .

٣٠- وقد الأحنف مع زياد في أهل العراق على معاوية ، فذكر زياد معاوية مكانة
من معه ، فغضب بهم معاوية ، فقال الأحنف (١) :

" والله يا أمير المؤمنين لا نخدم منكم قائلاً ، جزيلاً ورأياً أصحماً (٢)
ووعدا ناجراً ، وزياد عاملك المستن بسنتك ، المحتذي لمثالك (٣)
فستمتع الله بالأمير والمأمور ، فما نقول إلا كما قال زهير ، فإنه ألقم
عن الماء حين فقه قول الكلام حين قال :

وما يلك من خير أتوه فإنما توارث آباء آبائهم قبيل
وعدل منبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (٤)

(١) أنساب الأشراف : ١٢٩/١/٤ ،

زهر الآداب : ٥١/١ ،

(٢) في أنساب الأشراف : " قائلاً جزيلاً ، وبلاءً جميلاً " .

(٣) في زهر الآداب : " ولن أخاك زياداً لم تبع أثارك فينا " .

(٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ١١٥ ،

الوشيح : القنا ، جمع وشيجة .

وقد الأحنف في وجوه أهل المراق على معاوية ، فخرج الآذن وقال (١) :
 إن أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه ، فلما وصلوا إليه قسما
 الأحنف : - " لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته ان دافة دفت (٢) ونارلمسة
 نزلت ، ونائبة نابت ، ونابطة نبتت (٣) كلهم به حاجة إلى مصروف أمير المؤمنين
 وسره " .

فقال معاوية : " حسبك يا أبا بحر ، قد كفيت الشاهد والغائب " .

ودخل الأحنف على معاوية وافدا لأهل البصرة ، ودخل معه النمسير
 ابن قنابة ، وعلى النمر عبادة قنطوانية (٤) ، وعلى الأحنف مدرعة (٥) صيوف
 وملة ، فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتها عينه ، فقال النمر : " يا أمير المؤمنين ،
 إن الصباة لا تكلمك ، وإنما يكلمك من فيها " فأومأ إليه فجلس ، ثم أقبل على
 الأحنف فقال : " ثم منه " .
 فقال الأحنف (٦) :

" يا أمير المؤمنين ، أهل البصرة عدد يسير ، وعظيم كسير ، مع ثيابهم
 من المحول ، واتصال من الذحول (٧) ، فالكثير فيها قد أطرق ، والمقل قد أملق (٨) ،
 ويلزم منه المختلج فـيـان رأى أـمـسـير
 المسـيرـونـين أن ينمشر الفقير ، ويجبر الكسير ، ويسير المسير ،
 ويصفح عن الذحول ، ويدأوي المحول ، ويأمر بالمعاش ، ليكشف البسالة ،

-
- (١) البيان والتبيين : ٢ / ٨٨ ، زهر الآداب : ٢ / ٦٤٥ ، شرح العيون : ١٠٩ ،
 نهاية الأرب في فنون الأدب : ٧ / ٢٣٨ ، اللسان طادة (دفت) .
 (٢) دافة دفت : أي أتاهاهم قوم من البادية .
 (٣) نابطة نبتت : أي نشأ فيهم صغار فزاد والعدد .
 (٤) قنطوانية : نسبة إلى قنطوان موضع بالكوفة .
 (٥) المدرعة : ثوب من الصوف .
 (٦) زهر الآداب : ١ / ٥٠ .
 (٧) الذحول : جمع دخل ، وهو الثأر .
 (٨) أملق : اغتقر .

وبزيل اللأواء (١) ، ولئن السيد من يحم ولا يخضر ، ومن يدعو الجفلسي ، ولا يدعو النقرى (٢) ، وإن أحسن إليه شكر ، وإن أسى إليه غفر ، ثم يكسسون وراء ذلك لرعيته عماداً ، يرفع عنها الملحقات ، ويكشف عنهم المعضلات " .

- ٣٣ -

قال الأحنف بن قيس للأزد وربيعة بالبحرة يدعوهم إلى السلاح بصمت أن اقتتلوا في فتنة مسعود سنة ٦١ هـ (٣) :-
 " يامعشر الأزد وربيعة ، إنكم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الدنيا ، وأشدقنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ، واللحم لأزد البصرة ، أحسب إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ، فإن استشرى شأنكم (٤) ، وأسى حرك صدركم (٥) ، ففسي أموالنا وأحلامنا سمة لنا ولكم " .

- ٣٤ -

وفي رواية أخرى أنه ذهب إلى الأزد في وجوه مضر يسألهم المصلح فقال لهم (٦) :-
 " يامعشر الأزد ، أنتم جيراننا في الدار ، وإخواننا عند القتال ، وقسمنا أئتناكم في رجالكم لنأفي حسيكتكم ، ونسل سخيمتكم (٧) ، ولكم المعكسكم فمولوا على أموالنا ، فإننا لا يتعاضدنا منها شيء يكون فيه صلاح ذات بينا ، ولأنتم أحسب إلينا من تميم الكوفة " .

-
- (١) اللأواء : الشدة .
 (٢) الجفلى : الدعوة العامة ، والنقرى : الدعوة الخاصة .
 (٣) النقائص : ٧٤٠ / ٢ ، البيان والتبيين : ١٣٥ / ٢ .
 أنساب الأشراف : ١١٤ / ٢ / ٤ ، العقد : ١٣٤ / ٤ ، زهر الآداب : ٦٤٤ / ٢ .
 (٤) استشرى شأنكم : عاثمت عداوتكم ، وتفاقم بغضكم ، في النقائص ، وأنساب الأشراف : " استشرت شافتكم " .
 (٥) الحسك : الحقد .
 (٦) أنساب الأشراف : ٦٩ / ٢ / ٤ .
 (٧) الحسيكة : الحقد والعداوة .
 السخيمة : الحقد والصفينة والموجدة في النفس .

وفي رواية أخرى أنه قال لهم (١) :

" يا معشر الأزد وربيعة من أهل البصرة ، أنتم والله أحببنا من تميم الكوفة ، وأنتم خيرنا في الدار ، ويدنا على الحدو ، وأنتم بدأتمونا بالأمر ، ووأتمم حرينا (٢) ، وحرقتم علينا ، فدفعنا عن أنفسنا ، ولا حاجة لنا في الشر ما أحبنا في الخير مسلكا ، فتيموا بنا طريقة قاصدة " (٣) .

- ٢٥٥ -

ولما جنح الأحنف وقومه إلى الصلح في فتنة مسمود حاول الأزد أن يستغلوا صلحه ، فصرخوا عليه ثلاثة خيارات ، إما أن تخرج من البصرة وتهدر الدماء ، وإما أن يدوا قتلى الأزد وربيعة ويدوا مسمودا عشر ديات وإما أن ينزلوا على حكمهم ، فقال لهم الأحنف : (٤) :-

" إنكم خيرتمونا خلافاً ليس فيها خيار ، أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقارن ما ؟ وأمسأ تراء ديارنا ؟
فهموا أخو القتل ، قال الله تعالى : " ولو أنا تكنا عليهم أن اتلوا أنفسكم أو أخرجهوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل " (٥) ولكن الثالثة إنما هي حمل على المال ، فنحن نبتل دماءنا ، ونندي قتلاكم ، وإن مسمود رجل من المسلمين ، وقد أذهب الله أمر الجاهلية " .

(١) الكامل : ١٤٠/١ ،

شرح نهج البلاغة : ١٣٥/١٥ .

(٢) أرجح أنها " حرمتنا " .

(٣) قاصدة : مستقيمة .

(٤) الكامل : ١٤١/١ ،

أنساب الأشراف : ١١٤/٢/٤ مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٥) سورة النساء آية : ٦٦ .

لما أرسل المختار الشنقي بن مخزومة الحيدري ليدعوه بالبصرة، خرج إليه الأعنف على بني تميم، فخرج إليهم الأزدي وربيعة ليحموه بسبب الحربية، وكانت الحرب تقع بينهم، فسعى عمر بن عبد الرحمن المخزومي بالصلح بينهما، فقبلت الأزدي وربيعة الصلح، وأباه الأعنف، فاستهجن عمر منه ذلك لحلمه فقال له الأعنف (١) :-

" إن ربيعة والأزدي كثير عدوهم بالمصر، وقد تحالفوا وصاروا يسيرون علينا، فإن أريناهم الهيبة لهم ركبونا، والله ما هم بأعرض على السلم، والصلح حني، اذهب يا ابن أخي فاصنع ما أحببت "

- ٣٧ -

وقال الأعنف لمعاوية حين سأله أن يصف له الناس (٢) :

" رؤوسهم الحظ، وأكتافهم التدبير، وأعجازهم الشهادة، المال، وأدياءهم الحقهم بهم التأديب، ثم الناس بعدهم أشباه الجبال، إن دعاوا ساموا، وإن شبعوا ناموا "

- ٣٨ -

وقال الأعنف في مدح الولد تركان قد دخل على معاوية ويزيد بين يديه وشو ينأر إليه إعجاباً به، وسأله معاوية " يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ " فقال لهم ما أراد فقال (٣) :

" يا أمير المؤمنين، هم عماد ظهورنا، وشارق قلوبنا، [وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا لمن بعدنا] (٤)، فكن لهم أرضاً ذليلة، وسماً ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، وإن غضبوا فأرضهم، ولا تنصهم رفدك، فيملوا قُربك، ويكرهوا حياتك، ويتمنوا موتك "

(١) أنساب الأشراف : ٢٤٥/٥ .

(٢) مختصر كتاب البلدان : ١ .

مواسم الأدب : ٣/١ .

(٣) عيون الأخبار : ٢٢/٣، العقد : ٤٣٧/٢ .

الأطلي : ٤٠/٢، زمر الآداب : ٦٤٣/٢ .

(٤) زيادة في الأطلي .

وَكَلَّمَ الْأَحْنَفَ مَصْصَبَ بْنِ الزَّبِيرِ فِي أَنَاثِهِمْ فَقَالَ لَهُ : (١)
 " أَعْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ كَانُوا حَبَسُوا فِي بَاطِلٍ فَالْحَقُّ يَفْرُجُهُمْ ،
 وَإِنْ كَانُوا حَبَسُوا فِي حَقٍّ فَالْعَفْوُ يَسْمَعُهُمْ " .

كَلَّمَ الْأَحْنَفَ قَوْمًا فِي دَمِ فَالْبُوا دَيِّتِينَ فَقَالَ لَهُمْ (٢) :
 " ذَلِكَ لَكُمْ ، أَنَا أَعْدَايُكُمْ مَا سَأَلْتُمْ غَيْرَ أَتَى قَائِلُكَ شَيْئًا ، إِنْ أَلَسْتُ
 عَزِيزًا قَضَى بِدِيَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنْ أَلَسْتُ نَبِيًّا - عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَضَى
 بِدِيَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ طَالِبُونَ ، وَأَخْشَى أَنْ تَكُونُوا غَدًا مَطْلُوبِينَ ، فَسَلَا
 تَرْضَى النَّاسَ مِنْكُمْ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَنَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ " .
 فَرَدَّهَا إِلَى دِيَّةٍ وَاحِدَةٍ .

قَالَ الْأَحْنَفُ لِقَوْمٍ كَانُوا فِي مَجْلِسِهِ (٣) :
 " إِنْ الْكَرَمُ مَنَعَ الْمُعَرَمَ ، مَا أَقْرَبَ النِّعْمَةُ مِنْ أَهْلِ الْبُغْيِ ، لَا خَيْرَ فِي لَمَذَةٍ
 تَحْقِيقِ نَدَمًا ، لَنْ يَهْلِكَ مَنْ قَصَدَ ، وَلَنْ يَفْتَقِرَ مَنْ زَمَدَ ، رَبُّ شَرِّكَ قَدْ عَادَ جَدًّا ،
 مِنْ أَمَنِ الزَّمَانِ خَانَهُ ، وَمَنْ تَعَظَّمَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ ، دَعَا الْمِرَاجَ فَإِنَّهُ يُؤَرِّثُ النِّعْمَةَ اثْنًا ،
 وَخَيْرَ الْقَوْلِ مَا رَدَّ قَهَ الْفَصْلِ ، احْتَمَلُوا لِمَنْ أَدَلَّ عَلَيْكُمْ ، وَاقْبَلُوا عَذْرَ مَنْ اعْتَذَرَ
 وَإِلَيْكُمْ ، إِيَّاكَ وَأَخَاكَ وَإِنْ عَصَاكَ ، وَصَلِّهِ وَإِنْ جَفَاكَ ، أَنْصَفْ مِنْ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْتَصَفَ
 مِنْكَ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُشَاوِرَةَ النِّسَاءِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ كَفَرَ النِّعْمَةِ لَوْءٌ ، وَصَحْبَةُ الْجَاهِلِ شَوْءٌ ،
 وَمِنْ الْكَرَمِ الْوَفَاءُ بِالذِّمِّ ، مَا أَتْبَحَ الْقَدَائِمَةُ بِمَدِّ الصَّلَةِ ، وَالْجَفَاءُ بِمَدِّ اللَّطْفِ ،

(١) عيون الأخبار : ١٠٢ / ١ ، أنساب الأشراف : ٢٨٢ / ٥ ،

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٣٨ / ٧ ، المخلاة : ٨٠ ،

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٨ / ٧ ،

وفيات الأعيان : ٥٠١ / ٢ ،

(٣) الأمالي : ١٩ / ٢ ، زهر الآداب : ٦٤٣ / ٢ ،

شرح العيون : ١١١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٨ / ٧ ،

نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٠٢ / ١ ، الدر المكنون : ٢٥٨ .

والصدادة بعد الود، لا تكوننَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا المس
اليفعل أسرع منك إلى البذل، وأعلم أن لك من دنياك ما أملت به
مثواك، فأنفق في حق، ولا تكوننَّ خازنا لخيرك، وإذا كان الخذر في الناس
موجوداً، فالثقة بكل أحد عجز، أعرف الحق لمن عرفه لك، وأعلم أن قضايمسة
الباطل تعدل حيلة الماقل " .

- ٤٢ -

ولما حشرت الأحنف الوفاة أوصى من حوله فقال : (١) -
" لا تنديني نادية ، ولا تبكييني باكية ، ولا يُملنَّ بموتي أحسده ،
وأسرعوا إخراجي " .

- ٤٣ -

ومن أقوال الأحنف المأثورة عنه :
قال : (٢)
" لا تنقبضوا عن السلطان ، ولا تهالكوا عليه ، فإنه من أهمرف للسلطان
أذاره ، ومن تفرَّع له أخطاه " .
وسأله رجل " بم سدت قومك ولست بأشرفهم ؟ " فقال (٣) " بتركسي
من أمرك ما لا يعنيني ، كما عناك من أمري ما لا يعنيك " .
وسأله رجل أن يدلّه علي الحمد بلا مرزعة فقال له (٤) :-
" النلق السجيج ، والكف عن القبيح ، ثم أعلم أن أدوأ الداء اللسان
المذيء والخلق الرديء " .

(١) أنساب الأشراف : ٢٨٨/٥ .

(٢) عيون الأخبار : ٢٣/١ .

(٣) عيون الأخبار : ٢٢٥/١ ، زهرة الآداب : ٦٤٨/٢ .

شرح الصيون : ١٠٤ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٧/٧ .

(٤) البيان والتبيين : ١١٥/٢ ، الكامل : ١٢٧/١ ، شرح الصيون : ١١١ .

مجمع الأمثال : ٢٠١/١ ، شرح نهج البلاغة : ٣٣٨/٦ .

وفيات الأعيان : ٥٠١/٢ .

وقال (١) :-

" ثلاث في ما أقولهن إلا ليمتبر معتبر : ما دخلت بين اثنين حسبي
يدلاني بينهما ، ولا أتيت بأحد من هؤلاء - يعني السلطان - مالم
أدع إليه ، ولا حلت حبوتي إلى ما يقوم إليه الناس " .

وقال (٢) :-

" لا تزال الحرب عربا ما تقلدوا السيوف ، وشدوا الصائم ، وركبوا
الخيول ، ولم تأخذهم حمية الأوغاد " فليل له : " وما حمية الأوغاد " قال :
" أن يحدوا التواهب فيما بينهم ذل " .

وقال (٣) :-

" من فسدت بطائفة كان كمن غر بالمال ، فلا مداع له ، ومن خانته ثقاته
فقد أتى من مأمنه " .

وقال (٤) :-

" إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها " .

وقال (٥) :-

" رب رجل لا تغيب فوائده وإن غاب ، وآخر لا يسلم منه إلا يسره
وإن احترس " .

وقال (٦) :-

" يضيق صدرا عبدكم بسره حتى يحدث به ، ثم يقول : أكتمه علي " .

(١) الكامل : ١٢٧/١ ، مجمع الأمثال : ٢٠١/٢ ، ٢٤٤/٢ ،

(٢) البيان والتبيين : ٨٨/٢ ، ٩٨/٣ ، الكامل : ١٧٥/١ ،

(٣) المقصد : ٣٨/١ ،

(٤) البيان والتبيين : ١٤١/٢ ،

وفيات الأعيان : ٥٠٠/٢ ،

(٥) المقصد : ٣٣٨/٢ ،

(٦) المخلاق : ٨٢/٢ ،

وقال : (١)

" ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه "

وقال : (٢)

" إذا أردت أن توثق أخيك رجلاً فأغضبه ، فإن أنصفك وإلا فاعذره " .

وقال : (٣)

" الكامل من عدت نفقاته " .

وقال : (٤)

" السوء دور مع السوء "

وقال : (٥)

" ما آتت أخت الأبناء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء شيئاً أغنى من المعروف عند ذوي الأوصاف والآداب " .

وقال : (٦)

" آفة الحلم الدال " .
" لا حِلْم لمن لا سفيه له " ، " ما تَلَّ سفهاء قوم إلا ذلوا " .

وقال : (٧)

" لأن أدعى من بعيد فأجيب ، أحب إلي من أن أقضى مسن قريب " .

(١) المغلاة : ٧٨ .

(٢) المغلاة : ٨٠ .

(٣) عيون الأخبار : ٢٢٧/١ .

(٤) البيان والتبيين : ٢٧٤/١ .

المقد : ٢٨٩/٢ .

(٥) المقد : ٢٧٠/١ ، وفيات الأعيان : ٥٠١/٢ .

(٦) المقد : ٢٨٠/٢ ، ١١٠/١ .

(٧) عيون الأخبار : ٣٠٦/١ .

وقال : (١) -

" حُتِفَ الرَّجُلُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ " .

وقال : (٢) :

" وَجِدْتُ الْحِلْمَ أَنْصُرَ لِي مِنَ الرِّجَالِ " .

وقال (٣) :

" مَا نَارَعَنِي أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا أَخَذْتُ أَمْرِي بِأَحَدِي ثَلَاثَ : إِنْ كَانَ فَوْقَ نَفْسِي عَرَفْتُ قَدْرَهُ ، وَإِنْ كَانَ دُونِي أَكْرَمْتُ نَفْسِي عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ مِثْلِي تَفَضَّلْتُ عَلَيْهِ " .

وقال (٤) :

" أَسْرَعَ النَّاسُ إِلَى الْفِتْنَةِ أَقْلَهُمْ حَيَاءً مِنَ الْفِرَارِ " .

وقال (٥) :

" مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ " .
" رَبِّ غَيْظٍ تَجِرَعُنْهُ مَخَافَةً مَا عَمَّا أَشَدُّ مِنْهُ " .

وسئل ما المروءة فقال (٦) :

" الصِّفَةُ وَالْجَرَفَةُ " .

وسئل مرة ما المروءة ؟ فقال (٧) :

" الْفَقْهُ فِي الدِّينِ وَالصَّفَافُ ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ " .

وقال (٨) :

" لَا شَيْءَ أَثْقَلَ مِنْ حَمْلِ الْغَضَبِ " .

(١) عيون الأخبار : ٣٣١/١ .

(٢) المقد : ٢٨٣/٢ ، عيون الأخبار : ٢٨٥/١ .

وفيات الأعيان : ٥٠١/٢ .

(٣) المقد : ٢٨٣/٢ ، شرح الميرون : ١١١ تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١٧/٧ .

(٤) البيان والتبيين : ٧٢/٢ ، البخلاء : ١٠ ، أنساب الأشراف : ١٠٨/٢/٤ .

(٥) البيان والتبيين : ٧٦/٢ ، عيون الأخبار : ٢٨٤/١ .

(٦) البيان والتبيين : ١٧٦/٢ ، المقد : ٢٩٢/٢ .

(٧) أنساب الأشراف : ٢٠/١/٤ .

(٨) تمام المتن : ٦٤ .

- وقال (١) :
 " إن رأيت الشر يتركك ، إن تركته ، فتركه " .
- وقال (٢) :
 " أحق الناس بالمفوأقدرهم على المقوبة " .
- وقال (٣) :
 " لا تشاور الجائع حتى يشبع ، ولا الظمان حتى ينقع ، ولا الضال حتى يجد ، ولا الغضبان حتى يرضى ، ولا المحزون حتى يفيق " .
- وقال (٤) :
 " ما خان شريف ، ولا كذب عاقل ، ولا اغتاب مؤمن " .
- وقال (٥) :
 " لا صدق لملول ، ولا وفاء لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة لبعيل ، ولا سوء دلسي ، الخلق ، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ذلدهك ويتجمل " .
- وقال (٦) :
 " ثلاثة لا أناة فيهن عندي : المبادرة بالعمل الصالح ، وإرخس راج ميئك ، وأن تتكح الكفة أيماك " .
- وقال (٧) :
 " لعاب الناس الماء ، ما شربته " .

-
- (١) المقد : ١١٦/١
 (٢) المقد : ١٨٩/٢ .
 (٣) أمالي المرتضى : ٣٨٨/١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٧٦/٦ .
 (٤) عيون الأخبار : ٢٦/٢ ، وفيات الأعيان : ٥٠١/٢ .
 (٥) عيون الأخبار : ١٠/٢ ، البيان والتبيين : ١٩٩/٢ ، المقد : ٢٩٦/٢ .
 النوادر : ٢١٤ ، الأمالي : ٢٢٩/١ ، صفوة الصفوة : ١٢٥/٣ .
 (٦) البيان والتبيين : ١٩٩/٢ ، الطبقات الكبير : ٦٨/٢/٧ ، لمسابب الأدب : ٨٠ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢١/٧ .
 (٧) الأمالي : ٢٢٠/١ ،
 شرح الميرون : ١٠٦ .

وقال (١) :
” من لم يسخ نفساً عن الحظّ الجسيم للمحب الصغير ، لم يمسد شقيقاً على نفسه ، ولا صائناً لمرضه . ”

وقال (٢) :
” خير الإخوان من إن استغنى عنه لم يزدك في المودة ، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها ، وإن عثرت عضدك ، وإن احتجت إلى موؤنته رفدك . ”

وقال (٣) :
” إن الله جعل أسعد عباد ، وأرشد هم لديه وأحظاهم يوم القيامة ، أبذلهم للمعروف بذا ، وأكثرهم على الإخوان فناء ، وأحسنهم له على ناسك شكراً ”

وقال (٤) :
” من حق الصديق أن يتحمل ثلاثاً : -
ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة . ”

وقال (٥) :
” العقل خير قرين ، والأدب خير ميراث ، والتوفيق خير تائب . ”

وقال (٦) :
” رأب الأدب المنزلق ، ولا خير في قول إلا بفعل ، ولا في مال إلا بجد ، ولا في صديق إلا بوفاء ، ولا في فقه إلا بورع ، ولا في صدق إلا بنيه ”

-
- (١) الأمازي : ٢٢٦ .
(٢) عيون الأخبار : ٤ / ٣ ،
المقد : ٣٠٤ / ٢ .
(٣) الأمازي : ٢٣٨ / ١ وفيه ” أخطأهم يوم القيامة ” والأرجح ما أثبتنا .
(٤) المقد : ٣١٠ / ٢ .
(٥) الأمازي : ١٦٣ / ٢ .
(٦) المقد : ٤٢١ / ٢ .

٤٤-

قام الأسود بن سريخ حين سمع رجلاً من قبيز يدعو أهل البصرة إلى رد عائشة وأصحابها عنهم حين قدمت البصرة قبل وقعة الجمل ، وكان عثمان بن حنيف والي علي على البصرة قد أمره بذلك ليختبر الناس ، فقال الأسود يرد علي القيسي (١) :

" أَوْ زَعَمُوا أَنَّا قَتَلْنَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّمَا فَزَعُوا إِلَيْنَا يَسْتَعِينُونَ بِنَا عَلَى قَتْلَةِ عُثْمَانَ مِنَّا وَمِنْ غَيْرِنَا ، فَإِنْ كَانَ الْقَوْمُ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ كَمَا زَعَمْتَ ، فَمَنْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِخْرَاجِهِمُ الرِّجَالَ أَوْ الْبُلْدَانَ " .

*

*

*

٣- خطاب أسيد بن أوس التميمي :

٤٥-

وقال أسيد بن أوس التميمي يوصي قومه (٢) :
" إِنَّمَا يُوَثِّقُ فِي الشَّدَةِ بِذِي الْقُرَابَةِ ، وَبِصَفَاءِ الْإِخْوَانِ ، وَبِمُصَدِّقِ أَهْلِ الْوَفَاءِ ، إِنْ خَيْرَ السَّجِيَةِ مَا لَمْ يَتَكَلَّفْ ، وَخَيْرَ الْأَعْوَانِ عَلَى الْبَخْلِ السَّخَاءُ (٣) وَمَنْ اتَّخَذَ أَدَاءَ الْحَقِّ الْحَيَاطَةَ (٤) فَقَدْ كَمَلَ ، وَالْعَفْوُ مُنْتَهَى الْبِرِّ ، الزُّمُوءُ الْبَرِّ يَبْرِكُ سِمَ بَنُوكُمْ ، أَخْرَوْا الْفَضْلَ وَادْفَعُوا بِالْأَنَاةِ ، فَإِنَّ الرَّفْقَ أَبْلَغُ ، وَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيْ ، وَخَيْرُ الثَّوَابِ الشُّكْرُ ، وَخَطْلُ الْقَوْلِ عَوْرَةٌ ، وَبِالْمُرْسِلِ يَحْتَبِرُ الْمُرْسِلُ ، وَمُنْتَهَى الْبَرِّ الْهَوَى ، وَالصَّدَقُ تَمَامُ الْمَرْوَةِ ، وَالْكَذِبُ يَفْسُدُ الْفَعَالَ ، وَبِالْقُرْنَاءِ تَحْتَسِبِرُ الرِّجَالُ ، وَأَغْنَى الْخِيَالِ عَنِ الْمَادَّةِ الْعَفَافُ ، وَخَيْرُ الشَّيْرِ الصَّفْوُ ، وَتَرَكُ الْمَقْوِيَةِ يَسِلُ السَّخِيمَةُ " .

(١) تاريخ الطبري : ٤/٤٦٣ . تاريخ ابن الأثير : ٣/٢١٢

شرح نهج البلاغة : ١/٣١٤

(٢) المصرون والوصايا : ٢٤ ، ٧٤ ، ١٤٦ .

(٣) في المصدر نفسه : ٢٤ ، " خَيْرُ الْأَعْوَانِ عَلَى الْبَخْلِ النَّسَاءُ " .

(٤) الْحَيَاطَةُ : غَايَةُ الْحَفَظِ .

وقال أسيد بن أسير التميمي يوصي بنيه (١) :
 " يا بني إني رأيت مُطْلعا تزايلت حجارته وقد رأيتك أحمس ليس فيه صدح ،
 ورأيت الدهر قل الصخور ، فليقترب بمضكم من بعض في المودة ، ولا تتكلموا
 على القرابة ، فإن القريب من قرب نفسه ، والأمر بدوات " .

*

*

*

٤ - خطاب الأصمخ بن نباتة المجاشعي :

وقال الأصمخ بن نباتة المجاشعي لملي في صفين وقد احتدم أهل
 العراق وأهل الشام ، وكان على شرطة علي :
 " يا أمير المؤمنين ، إنك جعلتني على شرطة الخيبر ، وقد متني في الثقة
 دون الناس ، وإنك اليوم لا تفقد لي صبرا ولا نصرا ، وأما أهل الشام فقد هدم
 ما أصبنا منهم ، وأما نحن ففينا بعض البقية ، فأطلب بنا أمرك وأن لي في التقدم ؟
 فقال له علي : تقدم باسم الله " .

(١) المصمرون والوصايا : ٧٤ .

(٢) وقعة صفين : ٤٤٢ ، ٤٤٠ .

- ٤٨ -

انضم بنو تميم في البصرة إلى ابن الحضرمي فأرسل إليهم علي رضي الله عنه - أعين بن ضبيعة المجاشعي ليكفيه أمرهم ، فلما قدم عليهم أعين محمد الله وأثنى عليه ، ثم قال لهم (١) :
" يا قوم ، على ماذا تقتلون أنفسكم ، وتهربون دماءكم على الباطل مسع السفلة الأشرار ؟ وإني والله ما جئتكم حتى أُعَبِّت إليكم الجنود ، فإذا تبيسون إلى الحق يُقْبَل منكم ، ويُكْف عنكم ، وإن أبيتم فهو والله استئصالكم وبواركم "

- ٤٩ -

فسمع إليه جماعة منهم ، فخرج بهم إلى ابن الحضرمي ومن تبعه من تميم ، فواتقهم عامة يومه يناشد هم الله ويقول : (٢)
" يا قوم ، لا تنكثوا بيمينتكم ، ولا تخالفوا إمامكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا ، فقد رأيتكم جريتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيمينتكم وخلافكم " (٣) فدَفَّوْا عنه ، ثم غدروا به وقتلوه غيلة .

(١) نهج البلاغة : ٥٣/١

• شرح نهج البلاغة : ٤٦/٤

(٢) شرح نهج البلاغة : ٤٧/٤

• مصبرة خطب العرب : ٢٤٦/١

- ٤٩ -

استشار رؤسائه تميم أكنم بن صيفي حين سار إليهم أهل اليمن يوم الثلاثاء الثاني فقال لهم : (١)

"أقبلوا الخلاف على أمرائكم، وأعلموا أن كثرة السباح من الفضل، والمرء يصور لا محالة، تثبتوا فإن أحزم الفريقين الشركين (٢)، وزب عجالة تهيب ريثا، وأبرزوا للحرب، وأدبروا الليل فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف".

- ٥٠ -

وقال أكنم بن صيفي يوصي قومه بدخول الإسلام (٣) :-
 "يا بني تميم، لا تحضروا إلي سفيها، فإن السفه يوهن من فوقه (٤)، ويتبب (٥) من دونه، ولا خير فيمن لا عقل له (٦)، وإن بقي شاهد هذا الرجل الذي ظهر بمكة وشافه، [إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهي عن ملامها] (٧)، ويدعو إلى توحيد الله عز وجل، وخلع الأوثان، وقد عرف

- (١) المصمرون والوصايا : ١٦، مع بعض الزيادات ،
 النقائص : ١٤٦/١، عين الأخبار : ١٠٨/١، المعقد : ١١٣/١ ،
 الأغاني : ٣٢٩/١٦، تاريخ ابن الأثير : ٦٢٢/١
 يذكر الخطبة مع كثير من الزيادات والتفاصيل التي لم ترد في غيره ،
 شرح نهج البلاغة : ١٠٦/١٥، الجمان : ٣٣٩، وذكرت هذه الخطبة
 ضمن كلام طویل جدا في جمهرة الأمثال : ٣٢٠/١، ومجمع الأمثال : ١٤٥/٢ .
- (٢) الركين : المميز المتوسع .
- (٣) شرح الصيون : ٣٢-٣٣، مجمع الأمثال : ١٢٨ ووردت نتف من هذه الخطبة
 في : الاستيعاب : ١٤٦/١، أسد الغابة : ١١٢/٢، تفسير ابن كثير .
- (٤) في مجمع الأمثال : " فإنه من يسمع يخل أن السفه يوهن من فوقه
 ويثبت من دونه " .
- (٥) يتبب : يهلك .
- (٦) زاد مجمع الأمثال بعدها : " كبرت شي ، ودخلتني ذلة ، فإذا
 رأيتم مني عسنا فاقبلوه ، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني استقم " .
- (٧) ورد في هذا الجزء من الخطبة في : الاستيعاب : ١٤٦
 أسد الغابة : ١١٢/٢، تفسير ابن كثير : ٨٤/٥، الإحابة : ١١١/١ .

أهل الرأي منكم أن الفضل فيما يدعوا إليه ، وإن أحق الناس بمعاونته لأنتم ، فإن
كان الذي يدعوا إليه حقاً فهو لكم [دون الناس] (١) وإن كان باطلاً
كنتم أحق من كتم وستر ، وقد سمعت أسقف نجران يذكره ويترجى أن يكون لسه
[ويحدث بصفته] (٢) .

وكان سفيان بن مجاشع يحدث به قبله ، وسمى ابنه محمداً [مها في هذا
الرجل] (٣) [فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ولا تكونوا أذناباً] (٤) ،
وكونوا فيه أولاً ولا تكونوا فيه آخراً ، اثبتوه طائفتين قبل أن تأتوه كارهين ، والله
إن هذا الذي يدعوا إليه [محمداً] (٥) لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق
الحرب حسناً ، فأطيعوا أمري ، فمن سبق فاز ، ومن تأخر ندم ، [أسأل
لكم أشياء لا تنزع منكم أبداً ، وأصبحتم أعز حبي في الحرب ، وأكثرهم عيشة
وأوسعهم داراً ، فإني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا ذل ، ولا يلزمه ذليل إلا عسر ،
وإن الأول لم يدع لآخر شيئاً ، وهذا أمر له ما بعده ، من سبق إليه فمر الحاصل المسمى
واقتردى به التالي ، والمزيمة حزم والاختلاف عجز] (٦) ،

فقال مالك بن نويرة :
" قد خرف شيخكم ، فلا تتمرشوا للبلاء " فقال أكثم :
" ويل للشجبي من الخلي ، لهفي على أمر لم أشهده ولمسم
يسبقني " .

(١) الزيادة من مجمع الأمثال .

(٢) الزيادة من مجمع الأمثال

(٣) الزيادة من الإصابة ، أرجح أن هذا الجزء من الخطبة الذي
يبدأ فيه بالنبي نمل عليه في الإسلام لأسباب دينية .

(٤) الزيادة من الاستيعاب

(٥) الزيادة من مجمع الأمثال

(٦) الزيادة من مجمع الأمثال .

وعزى أكنم بن عفيف عمرو بن هند عن أخيه فقال له (١) :
 "أيها الملك ، إن أهل هذه الدار سَفَرٌ ، لا يُحلُّون عُقد الرِّحال إلا في غيرهما (٢)
 وقد أتاك ما ليس يردود عنك ، وأرتحل عنك ما ليس يراجع إليك ، وأغاثم محلك مَنْ
 سيظلم عنك ويدعك ، وأعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمر عظة وشاهد عَسَدٌ
 فحرمك بنفسه ، وأبقى لك عليه حُكْمَكَ ، واليوم غنيمة وحديق ، أتاك والسَّيِّم
 تأتته ، طالت عليك غيبته ، وسُتُسرِعَ عنك رحلته ، وغدا لا تدري من أهله ، وسيا تيمك
 إنَّ وَجَدَكَ ، فما أحسن الشكر للنعيم ، والتسليم للقادر ، وقد مضت لئلا
 أنول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ، وأعلم أن أعظم من الصبيصة
 سوء الخلف منها ، وغير من الخير مُعطيه ، وشر من الشر فاعلمه " .

- ٥٢ -

وقال للقمقاع بن حميد بن زُرارة وخالد بن مالك بن سلم النهشلسي
 حين تنافرا إليه أيهما أقرب إلى المجد والسودد (٣) :
 " سفيهان يريدان الشر ، أزعجما ، فإن أبيهما فإني لست مفضلاً أحداً
 من قومني على أحد ، كلهم إلي شرع سواء " ،
 فلما أبيا ، بصت مضمهما رجلاً إلى ربيعة بن مُذَار الأسدي وقال لهما (٤) :
 " انطلقا مع رسولي هذا ، فإنه ثلث أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عالمها ،
 الرِّفق حسن الأناة ، وموئاة الأولياء ، واللوم منع السدائد وذم الجواد ، والندقة
 منع الميسر ، وطلب الحقير ، والخرق طلب القليل والرضاعة الكثير ، صادق صد يقك
 هونا ما عسى أن يكون عدوك يوماً ما ، وعاد عدوك هونا ما عسى أن يكون
 صد يقك يوماً ما " .

(١) المقد : ٣٠٧/٣

نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦٧/٥ .

(٢) فكرة الحياة الأخرى إسلامية ، فاعتقد أن هذا الجزء قد نحل عليه أو حُرِّف
 بعد الإسلام .

(٣) المصمرون والوصايا : ١٩ .

(٤) ورد قسم من هذه الخدابة في مجمع الأمثال : ٢٠١/٢

ونهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٠٦/١ .

وقال أكثم النخعي للمندر حين وفد عليه في أسارى لتمييم أناسوا عنده ، وقد عرض عليه النخعي أن يشي : إلا الأسرى (١) :-
 " أبيت اللعن ، قد علم تومي أنني من أكثرهم مالا ، ولم أسأل أحدا شيئا ، إن المسألة من اخمص المكسبة ، وقد تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها ، إن مسن سلك الجدار (٢) أمن العثار ، ولم يجز سالك القصد ، ولم يطم على القاصد مذقه ، ومن شدد نقر ، ومن تراخي تألف ، والسرو (٣) التفاضل ، وأحسن القول أوجزه ، وخير الفقه ما حاضرت به " .

ورفعوا أنه كتب إلى النخعي من المنذر يشير عليه وينصحه (٤) :
 " لن يهلك امرؤ حتى يندب الرأي عند فعله ، ويستبد على قومه بأمره ، ويحبب بها ظهر من مروءته ويغتر بقوته ، والأمر يأتيه من قوته ، وليس من المصالح في حسن الشاء نصيب ، والجهل قوة الخرق والخرق قوة الخشب ، والى الله تصير المصائر (٥) ، ومن أتى مكروها إلى أحد فبنفسه بدأ ، إن الهلكة إضاعة الرأي ، والاستبداد على المشيرة يجز البريرة ، والمحبب بالمروءة دليل عامس القسولة ، ومن اغتر بقوته فإن الأمر يأتيه من قوته ، لقاء الأهمية مستسالة للمسي ، من أسر ما لا ينبغي إعلانه ، ولم يحل للأعداء سريره سلم الناس عليه ، والمسي أن تكلم بفوق ما تسد به حاجتك ، وينبغي لمن عقل ألا يشق بإخاء من لم تظفره إليه حاجة ، وأقل الناس راحة الحقود ، ومن أتى على يديه غير عامد فأغفه من الملامة ، ولا تعاقب على الذنوب إلا بقدر عقوبة الذنب فتكون مذنبا ، ومن تحمد الذنب لم تحل الرحمة دون عقوبته ، والأدب رفق ، والرفق يمن ، والمشرق شوم ، وخير السخاء ما وافق الحاجة ، وخير المفو ما كان مع القدرة ، ومن سوء الأدب كثرة المتاب ، ومن اغتر بقوته ومن مروءة الخاش ، ومن سفه حلمه هان أمره ، والأحداث تأتي بختة ، وليس في قدرة القادر حيلة ولا صواب مع الحبيب ولا بقاء مع بغي ، ولا تثق بمن لم تختبره " .

(١) المصرون والوصايا : ٢١ .

(٢) الجدار : ما استدق من الرمل .

(٣) السرو : المروءة .

(٤) المصرون والوصايا : ٢٤ .

(٥) هذه الفكرة إسلامية .

وزعموا أن النعمان بن المنذر أوفده على كسرى ونسبوا له قوله لكسرى (١) :

" إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها .
 نفعا ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخيالات أصدقها ، والصدق منجاة ، والكذب
 مهواة ، والشر حاجة (٢) ، والحزم مركب من حب ، والحجز مركب من ولي ، آفة الرأي المروءة
 والمهز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن وردة ، وسوء الناس من
 عصاة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي ، من فسدت بالانتسابه
 كان كالخاصر بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافسه
 البري ، البرء يصبر لا المحالة ، أفضل الأولاد الهررة ، غير الأعوان من لسم
 براء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريره ، يكفيك من الزاد صسا
 بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله ، البلاغسة
 الإيثار ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف " (٣)

-
- (١) المقد : ١١/٢ - ١٢ ، وسبق أن أبدينا شكنا في صحة هذه
 الوفاة .
- (٢) الحاجة : الخصومة والاضطراب ، القاموس : مادة (ل ج) .
- (٣) لقد نسبت المصادر الأخرى معظم ما ورد في هذه الخطبة
 من الأمثال والحكم إلى أكثر سواء أوردتها منفردة أو أوردت
 بعضها ضمن ما نسبت من الخطب له ، فقد يصح نسبة
 بعضها له إلا أن بعض الرواة جمع هذه الأمثال والحكم على هيئة
 خطبة ، ونحل عليه موقف الوفاة على كسرى .
 انظر خطب أكثر في هذا الملحق .

ورفعوا أن أكثم كتب إلى الحارث بن أبي شمر الفسائي ملك عرب الشام (١) :

"إن المرأة أن تكون عالما كجاهل ، وناذاقا كصبي ، والمعلم مرشدة ، وترك
ادعائه ينفي الحسد ، والتعت بكسب المحبة ، وفضل القول على الفعل لو لم ،
وفضل الفعل على القول مكرمة ، ولم يكثر الكذب بشي ، إلا غلب عليه ، وشعر
الصدق الكذب ، والصديق من الصدق سعي ، والقلب يتهم وإن صدق اللسان ،
والإنقباض من الناس مكسبة للعداوة ، والتقرب من الناس مجلبة للجحيم السوء ، فكن
من الناس بين المنقبض والمستترسل ، وخير الأمور أوساؤها ، وأفضل القرناء المرأة
الصالحة ، وعند الخوف حسن العمل ، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن لسمه
من علمه زاجر ، ومن أهمل نفسه أمكن عدوه على أسوأ عمله ، وفسدوا من
الوزراء أضر من بعض الأعداء ، وأول الفيض الوهن ."

٥٧ - روي أن أكثم بحث إلى أحد ملوك هجر ، أو نجران ينصحه ويرشده (٢) :

"إن أحقق الحق الفجور ، وأمثل الأشياء ترك الفضول ، وثلة المسقط
لزم الصواب ، وخير الأمور مغبة ألا تنفي في استصلاح المال ، ولربك والتبذير
فإن التبذير مفتاح البؤس ، ومن التواني والمجز نتجت الهلكة ، وأحوج الناس إلى
الغنى من لا يصلحه إلا الغنى وأولئك الملوك ، وحب المديح رأس الشيع ، وفي الحشورة
صلاح الرعية ومادة الرأي ، ورضا الناس غاية لا تدرك ، فتحرر الخير بجهدك ، ولا تحفل
سخط من رضاء الجور ، ومعالجة العقاب سفه ، وتعوم الصبر ، لكل شيء ضراوة ،
فصبر لسانك بالخير ، وتوكل بالمهم ، ووكل بالصغير ، وأخر الغضب فإن القدرة من
ورائك ، وأقل الناس في البخل عذرا أقلهم تخوفا للفقير ، وأقبح أعمال المقترين
الانتقام ، جاز بالحسنة ، ولا تكافي بالسيئة ، فإن أغنى الناس عن الحق من عظم
خطره عن المجازاة ، وإن الكريم غير المدافع إذا صال بمنزلة اللثيم ، البطر من حسد من
دونه قل عذره ، ومن حسد من فوقه فقد أتعب نفسه ، من جعل لحسن الظن
نصييا روح عن قلبه ، وأعدر به أمره ."

(١) المصمرون والوصايا : ٢٣ .

(٢) المصمرون والوصايا : ٢٢ .

وقال أكثم يوصي قومه (١) :

" يا بني تميم ، لا يفوتنكم وعظاي إن فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين يدي ومدي
الكلام لا أجد له مواقع إلا أسماعكم ، ولا مقار إلا تلويكم ، فتلقوه باسماء مصفحة ،
وقلوب راعية ، تحمدوا مغبته ، الهوى يفتان ، والمقل راقد ، والشبهوات مطلقة ،
والهوى معقول ، والنفس مهمل ، والروية متبدة ، ومن جهة التواني وترك الروية يظف
الحزم ، ولن يعدم المشاور مرشدا ، والمستبد برايه موتوف على مداخني (٢) الزامل ومن
سمع سمع بـ ، ومصارع الرجال تحت هروق الطمع ، ولو اعتبرت مواقع المحسن
ما وجدت إلا في مقاتل الكرام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجَدَد (٣)
أمن العثار ، ولن يعدم الحسود أن يتحب قلبه ، ويشغل فكره ، ويورث فيه ،
ولا تجاوز مضرته نفسه .

يا بني تميم ، الصبر على جرع الحلم أعذب من جني شر الندامة ، ومن
يجعل هوضه دون ماله استهدف للذم ، وكلم اللسان أنكس من كلم المنيان ،
والكلمة مرهونة مالم تنجم (٤) من الفم ، فإذا نجمت خرجت ، فهي أسد محرب ،
أو نار تلهب ، ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز ، ونفان الراي في الحسرب
أجدى من النامن والنارب .

- ٥٩ -

وجمع أكثم بنيه وقال لهم (٥) :

" تباروا فإن البر يبقى عليه المدد ، وكفوا السنتكم فإن مقتل الرجال بين
فكيه ، إن قول الحق لم يدع في حديقا ، الصدق منجاة ، لا ينفع التوقسسي
ما هو واقع ، في طلب المعالي يكون المعناء ، الاقتصاد في السمي أبقى للبعثام (٦)
من لم يأسي على ما فاته ودّع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه ، التقصير قبل
التندم ، وأبغ عند رأس الأمر أحب إلي من أن أصبح عند ذنبه ، لم يهلك من
مالك ما وعظاك ، ويل للعالم أمر من جاهله ، يتشابه الأمر إذا أقبل ، وإذا أدبر

(١) شرح الصيون : ٣٣ ، شرح نهج البلاغة : ١٧ / ١٢١ ، بلوغ الأرب : ١٧٢ / ٣ .

(٢) مداخني مزالق ، القاموس : مادة (د خ ن) .

(٣) الجَدَد : ما استدق من الرمل .

(٤) تنجم : تتحرك أي تخرج من الفم ، القاموس : مادة (نجم) .

(٥) المصرون والوصايا : ١٤ - ١٥ ، وفيها بعض الزيادات ، مفهوم الأمثال : ١٩٥ / ٧ .

بلوغ الأرب : ٣١٠ / ١ .

(٦) السجم : الكثير من كل شيء ، القاموس : مادة (ج س م) .

عرفه الكيسر والأحمق ، البطار عند الرخاء ، عمق ، والمجزع عند البلاء أفن (١) ،
لا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير ، لا تجيبوا فيما لا تسألوا عنه ، ولا تضحكوا
مما لا يضحك منه ، تناوؤوا في الديار ولا تهافضوا ، فإنه من يجتمع يتحقق عمدة (٢)
الزمو النساء الصباة ، نعم لهو الحرة المفزل ، حيلة من لا حيلة له الصبيسر ،
إن تعيش ترسم له المكنار كحالب ليل ، من أكثر أسقطا ، لا تجعلوا سرا إلى أمة .

-٦٠-

وقال أكثم (٣) :

" يا بني ، لا حكمة إلا بعصمة ، ولا تكونوا كالكلب ، أحب أهله اليسير
الظاعن ، أرى الكيس نصف الميثر ، ولا تمنفوا برقة طلب الرزقة ، ولا دواء
لن لا حياء له ، وفي كل صباح صبح ، وأذل للحق تمرر ، ولا تبجر فيما لا تدري ،
وفي الاعتبار غنى من الاختبار ، وكل ما يبذل بحمد ، وإنما يمسك من استحسنك ،
وكاد ذو الخبرة يكون في كربه ، والمنية تأتي على البقية ، واستر سوءة لما تصرف
فيك ، والذئب مضبوط بذي بطنه "

-٦١-

وقال أكثم يوصي قوما (٤) :

" إياكم ونكاح الحمقاء ، فإن نكاحها غرر ، وولدها ضياع ، وعليكم بالتيثيل
فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تشبهوا رقاب الإبل في غير حقها ، فإن فيها
شن الكريمة ، ورفق الدم ، وبألبانها يتحف الكبير ، ويفذي الصغير ، ولميسر
أن الإبل كلفت الناحن لداخت ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، والقُدُم عدم الحقل
لا عدم المال ، ولرجل غير من ألف رجل ، ومن عتب على الدهر طالت مصيبته ، ومن
رضي بالقسم طابت معيشته ، وآفة الرأي الهوى ، والمادة أملك ، والمجانسة

(١) أفن : ضعف ، القاموس : مادة (أفن) .

(٢) جاء في القاموس مادة (قمع) : " وفي المثل من يجتمع يتحقق عنده
... وصفناه إذا اجتمعوا أو تقاربوا وقع بينهم الشر ففترقوا " .

(٣) الممرون والوعايا : ١٨ .

(٤) مجمع الأمثال : ٨٧/٢ .

مع المحبة خير من البغض مع الفنى ، والدنيا دُول ، فما كان لك أُنّاك على الحفك ، وما كان عليك لم تدفمه بقوتك ، والحسد داء ليس له دواء ، والشماتة تمقصب ، ومن ير يوماً ير به ، قبل الرّماء تملأ الكنائس ، الندامة مع السفاهة ، دعاية الحقل ، العلم ، خير الأمور مغبية الصبر ، بقاء المودة عدل التماهد ، من يزرغباً يزدن حباً .
التفريز مفتاح البؤس ، ومن التواني والمجزئ تجت الهلكة ، لكل شمسى ضراوة ، فضر لسانك بالخيل ، عي الدمت أحسن من عي المنطق ، الحزم حفيظ . ما كلفت وترك ما كفيت ، كثير النصح يهجم على كثير الظنة . من الحف فمسي المسألة ثقل . من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، الرفق يعن ، والغرق شؤم ، خير السخاء ما وافق الحاجة ، خير المفو ما كان بعد القدرة .

- ٦٦ -

وقال أكتّم (١) :

"والمافية غلف من الواقعة ، وستساق إلى ما أنت لاق أراني غنيا ما دمت سويًا ، إن رمت المحاجة فقبل المناجزة ، عاداك من لا حاك ، خل الوعيد بذهاب في المبد ، إنك لا تبلغ بلداً إلا بزاد ، لا تسخر من شيء فيجور بك ، إنك ستخال ما لا تتال ، رب لائم مليم ، لا تهرف بما لا تعرف ، وإذا تكلفت في النساء كنت أغواهم ، ليس من القوة التورط في الهوة ، وإلى أمه يجزع من لهف ، جسدك لا كدك ، اسع بجسد أودع إن بعد الحول أولاً ، وإن مع اليوم غداً ، وإن أخاك من أُنّاك ، من يطال ذيله ينتطق به ، إن أخا النالم أعشى بالليل ، وممن حنك موضع حنك ، لا تلزم أخاك ما ساءك ، ومن خير خبر أن تسمع بشار ، وناصح أخاك الخبر وكن منه على حذر ، ول الشك غيرك فإن المقوق ثكل من لم يشكك ، ومن لك بأخيك كله ، والتجرد لغير نكاح مثله ، ولا تكونن راضياً بالقول ، المحرم يلهم الضرر ، لا تحمدن أمة عام اشتراها ، ولا فتاة عام هدائها ، لا تلم أخاك ما آساك ."

(١) المصرون والوصايا : ١٣ ،

جاءت هذه الخطبة في أول ترجمة أكتّم
مبتورة هكذا من أولها .

قال أكنم : (١)
 " أتصبر لما أبصر ، وهذا خبر إن كان له أثر ، وفي الجبرية تشرك المشيرة ،
 وربّ قول أنفس من صول ، والحرحر وإن مسه الضر ، وإذا أفرغ الفؤاد ذهب
 الرقاد ، هل يهلكني فقد ما لا يموت ، وأعوز بالله أن يرميني أبسروء بدائه ، رب
 كلام ليس فيه اكتنام ، حافظ علي الدقيق ، ولو في الحريق ، وليس من العدل سرعة
 العدل ، وليس بيسير تقويم المسير ، وإذا أردت النصيحة تاهب للذات ، ولو أنصرف
 المظلوم لم يبق فينا ملام ، متى تما لج مال غيرك تسام ، وغثك خير من سمين غيرك ،
 لا تنطح جهلاً ذات قرن ، وقد يبلغ الخشم بالقضم (٣) ، وقد صدع الفراق بين
 الرفاق ، واستأنوا أخاكم فإن مع اليوم أخاه ، وكل ذات بعمل ستثيم ، وقد غلب عليك
 من دعا إليك ، والحر عزوف (٤) لما يئلى ، ولا تطمع في كل ما تسمع " .

ومن أقوال أكنم الماثورة :

قال (٥) :
 " إياكم وصحبة الأحقر فإنه إلى أن يشركم أقرب منه إلى أن ينفحكم " .

وقال (٦) :
 " نالوا أخلاقكم للمطالب ، وثودوها إلى المحامد ، وعلوها المكارم ،
 ولا تقيموا على خلق تدمونه من غيركم ، وعلوا من رغب إليكم ، وتحلوا بالجهود
 يأسبكم الصحة ، ولا تقيتموا البخل فتتمجلوا الفقر " .

وقال (٧) :
 " خير السخاء ما وافق الحاجة ، ومن عرف قدره لم يهلك ، ومن عبر بالفقر ،
 وأكرم أخلاق الرجال العفو " .

(١) المصمرون والوصايا : ١٦ ،

بسمرة الأمثال : ١٠٣/٢ .

(٢) الشاة الجماء ، التي لا قرن لها .

(٣) الخشم : الأكل بالقتى الأضراس ، والقضم بأدناها .

(٤) عزون ، فسرها أبو حاتم (أي صبور) .

(٥) عقلاء المجانين : ٤٥ .

(٦) المعقد : ٢٦٣/١ .

(٧) الأمالي : ١٦٨/٢ .

وقال (١) :

" الكرم حسن الفتنة وحسن التفاضل، واللؤم سوء الفتنة وسوء التفاضل " .

وقال : (٢) :

" الانقراض من الناس مكسبة للمداوة، وإفراد الأنس مكسبة لقرناء السوء " .

وقال (٣) :

" سوء حمل الفاقة يحرق الحساب، ويقوي الضرورة، ويذئب أفعال الشامتة " .

وقال لولده (٤) :

" يا بني لا يفلتكم جمال النساء عن صراحة النسب، فسيان المناكح الكريمة مدرجة للشرف " .

*

*

*

٧- خطاب أوس بن جابر الجشمي :

- ٦٥ -

لما فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة دخل عليه أوس بن جابر الجشمي التميمي فقال له (٥) :

" إن عدوك منك هارب، وهو لك هائب، والبلاد واسمة ففسد فإن الله ناصرك، وممّر دينه " .

(١) البيان والتبيين : ٢٠ / ٢ .

(٢) عيون الأخبار : ٣٢٦ / ١ .

(٣) الأمالي : ٢١١ / ١ ، يحرق : يفسد .

(٤) المصرون والوصايا : ١٥ ، ثمار القلوب : ٦٤١ .

(٥) تاريخ الطبري : ٣٠١ / ٤ .

وذكر الطبري : ٣٠٠ / ٤ ، الخبايا نفسها وذهب إلى أن اسمه أوس بن حبيب .

١٨٠. خطاب إياس بن زهير بن حبان بن قميسة المدوي :

- ٦٦ -

ولما ثارت بنو تميم وقبائل خراسان على قتيبة بن مسلم ، أمر بأخذ ذراري من صم إلى سمرقند دون غرغانة ليكونوا رهائن في يده ، وكان إياس بن زهير المدوي التميمي من المقربين إليه ، وأمله فيهم فقام إليه وقال (١) :

" أصلح الله الأمير قد عرفت ذريعتي لك ، وانقاذي إليك ، ولم أشعر بمسا أردت ، ولم يصلحني الأمير ، ولم أكن أعلم بالذين بعثتهم إلى ذراريهم ~~بهم~~ وإن لي أضيعة صغاراً وضيفة ومالا ، وليس لهم من يفتني شيئاً ولا يجوزي ، فإن رأى الأمير أن يأذن لابني الهنيد فيكتب له جوازاً فيضم مالي وضيعتي ويحصل عييتي فليفعل . "

*

*

*

١٨١. خطاب بشير بن صفوان . الأهمسي

- ٦٧ -

وقام بشير بن صفوان بن عمرو بن الأهم إلى قتيبة بن مسلم حين أراد أن يستخلف عبد الله بن عبد الله بن الأهم على مرو ، فقال له (٢) : " أصلح الله الأمير إنك تريد أن تستخلف عبد الله ، وهو رجل مريض خسر غدير آفور ، متى تستخلفه يخونك ويكفر بك ويفدرك ، فخير منزلتنا عندك وأفسد عليك . "

*

*

*

١٨٢. خطاب البعيث خدائش بن بشر المجاشعي :

- ٦٨ -

قال البعيث خدائش بن بشر المجاشعي ، وكان من الخلباء : (٣) -
" إني والله ما أرسل الكلام قضيلاً خشياً ، وما أريد أن أخطب يوم العفول إلا بالباطل المحكك . "

(١) النقائض : ٣٥٧/١ .

(٢) النقائض : ٣٥٠/١ .

(٣) البيان والتبيين : ٢٠٤/١ .

١- خطبة جارية بن قدامة بن مالك السعدي :

-٦٦-

وقال جارية بن قدامة لعائشة أم المؤمنين حين خرجت مع طلحة والزبير إلى البصرة للطلب بدم عثمان (١) :

" يا أم المؤمنين ، والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملمون عرضة للسلاح ، إنه قد كان لك من الله ستر وعزيمة ، فميتك سترك وأبحت حرمتك ، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك ، وإن كنت أتيتنا نائمة فارجمي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس " .

-٧٠-

ووفد جارية بن قدامة على علي في وجوه بني سعد من البصرة بعد البلاء ، وفيهم الأحنف وحارثة بن بدر ، فاستنفرهم علي لقتال أهل الشام ، فأجابهم الأحنف ، وحارثة بن بدر فقال جارية وكان رجل تميم بعد الأحنف يومها (٢) :

" أقول هذا جمع حشره الله لك بالتقوى ، ولم تستكره فيه شاخصاً ، ولم تشخص فيه مقيماً ، والله لولا ما حضرك فيه من الله لقمك سياسته ، وليركك من كان معك نافعك ، ورب مقيم خير من شاخص ، ومضرك خير لك وأنت أعلم " .
وكانه كره إشخاص قومه عن البصرة إلى الشام .

-٧١-

وقام جارية في الأزد حين نصره على ابن الحضرمي الذي حماه قيسوم جارية بنو تميم ، فقال للأزد (٣) :

" جزاكم الله من حيي خيراً ما أعظم غناكم وأحسن بلاءكم ، وأطوهمكم لأصيركم ، لقد عرفتم الحق إن ضيمه من أنكره ، ودعوتكم إلى الهدى إن تركته من لم يعرفه " .

-
- (١) تاريخ الطبري : ٤/٤٦٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٣/٢١٣ .
(٢) وقعة صفين : ٢٩ ، وفي الإمامة والسياسة : ٩٠ ، دمجت مع خطبة الأحنف ونسبت للأحنف .
(٣) شرح نهج البلاغة : ٤/٤٩ .

وفد جارية بن قدامة والأحنف بن قيس وغيرهم من رؤساء تميم عيسى
معاوية، فقال معاوية لجارية (١) "أنت الساعي مع علي والموقد النار فسي
نصرته".
فقال جارية: "يا معاوية، دع عنك عليا وذكره فوالله ما أبغضناه مذ أحببناه،
ولا غششناه مذ نصحناه".
قال: "ويحك يا جارية، ما كان أمونك على أهلِكَ إن سموك جارية".
فقال: "أنت كنت أمون على أهلِكَ إن سموك معاوية".
فقال معاوية: "اسكت لا أم لك".
قال: "أم لم تلدني، إن توائم السيوف التي لقيناك بصفين لفي أيدينا،
إنك لم تملكنا قسرا ولم تفتحنا عنوة، ولكننا أعطينا عهدا ومواثيق، فإن وفيت لنا
وفينا، وإن نزعنا إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالا أنجادا، وأن رعا شدادا،
وأبنة جدادا، فإن بسطت لنا فترا من غدر، دلفنا إليك بهاع من ختر".
فقال لمعاوية: "اسكت فلا أكثر الله في الناس أمثالك".
فقال: "قل معروف يا أمير المؤمنين، فقد بلونا قريشا، فوجدناك اليوم
أوراما زندا، وأكثرها زبدا، وأحسنها رفدا، فآزرنا رويدا فإن شمر
الرعاء الحطمة".

وفد جارية على معاوية، فطالب منه معاوية أن يسأل حاجته فقال جارية (٢):
"تقر الناس في يموتهم، فلا توفدهم إليك، فإنما يوفدون إليك الأغنياء،
ويزدرون الفقراء".

(١) أنساب الأشراف: ٤/١/٤٨، العقد: ٤/٢٧، المستدرج: ١/٥٨،
وقد نسب كلام قريب من هذا مع معاوية للأحنف بن قيس،
انظر العقد: ٤/٢٨، شرح الميمون: ١٠٥، وفیات الأعيان: ٢/٥٠٠
وكذلك نسب مثله إلى زيد بن حنبل، انظر تهذيب تاريخ ابن عساکر:
٥/٤٥٤.

وكلهم سمعوني من تميم وفدوا عليه في وفادة واحدة بعد صفين،
الحطمة: الراعي الظلوم للطاشية بهشم بعضها بعضا.

(٢) الإصابة: ١/٢١٨.

١٢ - خطب حاجب بن زرارة بن عدس :

-٧٤-

وزعموا أن حاجب بن زرارة كان في الوفد الذي أرسله النعمان بن مسعود
المندرج إلى كسرى ، ونسبوا له أنه قال لكسرى (١) :-
” ربي زندك ، وعلت يدك ، وهيب سلطانك ، إن العرب أمه قسود
غلغات أكبادها ، واستحصدت مرثها ، ومنعت درثها ، وهي لك وامة ما تألفتها ،
ومسترسلة ما لا ينتها ، سامعة ما سامحتها ، وهي العلقم مرارة ، والصحاب
غشابة ، والمسل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة ، نحن وفودها إليك ، وألسنتها
لديك ، نذمتنا محفوظة ، وأحسابنا بمنوعة ، وعشائنا فينا سامعة مطيعة ،
إن نوب لك حامدين خيرا فلك بذلك عموم محمد ثنا ، وإن ندم لم تختص بالندم
دونها ” .

-٧٥-

وزعموا أن النعمان بن المنذر ، دعا أعز بيوتات العرب في زمانه للمفاخرة
في مبالسه وهذه البيوت هي : آل حذيفة بن بدر ، وبيت بسطام بن قيس
وآل الأشعث بن قيس ، وبيت زرارة بن عدس ، فقام حاجب بن زرارة فتكلم
بحاثر قومه وقال (٢) :
” قد علمت العرب أنا فرع دعامتها ، وقادة زحفها ، لأننا أكثر الناس
عديدا ، وأنجبهم طرا ، وليدنا ، وأنا أعطاهم للجزيل ، وأحملهم
للثقل ” .

(١) المقعد : ١٢ / ٢ .

وسبق أن شككنا بصحة خطاب الوفد جميعها .

(٢) صحيح الأعشى : ٣٧٩ / ١ .

بلوغ الأرب : ٢٨٢ / ١ .

وأشك في صحة هذه المفاخرة أيضا وأظنها وضعت في الإسلام
بسبب الصراع القبلي للمفاخرة بالأمجاد السابقة .

١٣- خطاب الحارث بن سريج المجاشعي :

- ٧٦ -

وقال الحارث بن سريج لأصحابه حيث خرج لغزو الترك سنة ١١٠ هـ
فقلع الترك عنهم الماء (١) :
"أيها الناس ، القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله
من الموت عطشاً " .

- ٧٧ -

وقال الحارث بن سريج حين أعاد بالأمان من أرض الترك سنة ١٢٧ هـ ،
وقد استقبله محمد بن الفضل المصبي ، أحد عمال نصر بن سيار (٢) :
" يا بني ، أما علمت ان الكثير إذا كانوا على محبة الله كانوا قليلاً ،
وأن القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيراً ، وما قررت عيني منذ خربت إلى
يومي بهذا ، وما قررة عيني إلا أن يطاع الله " .
فلما دخل مرو قال :
" اللهم إني لم أنو قط في شيء مما بيني وبينهم إلا الوفاء فإن أرادوا
الخدر فأنصرني عليهم " .

- ٧٨ -

وقال الحارث لنصر بن سيار حين عرض عليه أن يوليه ولاية (٣) :
" إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ، ولا من تزويج عتات ،
الحرب في شيء ، وإنما أسأل كتاب الله عز وجل ، والعمل بالسنة ، وإن تصمسوا
أفيل الخير والفضل ، فإن فعلت ساعدتك على عدوك " .

-
- (١) تاريخ الابهري : ٥٨ / ٧ .
 - (٢) تاريخ الابهري : ٣٠٢ / ٧ .
 - (٣) تاريخ الابهري : ٣١٠ / ٧ .

١٤ - خطاب حارثة بن بدر بن حنين الفداني اليربوعي :

- ٧٦ -

وفد حارثة بن بدر الفداني مع الأحنف وجارية بن قدامة في وجوه
تميم البصرة إلى علي - رضي الله عنه - بالكوفة فاستنفرهم علي لقتال
أهل الشام معه بعد الحمل فقال حارثة (١) :

" يا أمير المؤمنين ، إنا نشوب الرجاء بالمخافة والله لوددت أن أمواتنا
رجعوا إلينا فاستمعنا بهم على عدونا ، ولسنا نلقى القوم بأكثر من عددهم ، وليس
الموت إلا من كان معك ، وإن لنا في قومنا عددا لا نلقى بهم عدوا أعصى
من معاوية ، ولا نستأ بهم ثغرا أشد من الشام ، وليس بالبصرة بظانسة نرصدهم
لها ، ولا عدو نعددهم له " .

* * *

١٥ - خطاب أبي حاضرة بن جرير الأسدي :

- ٨٠ -

وفد أبو حاضرة الأسدي (٢) والأحنف بن قيس مع مصعب بن الزبير
إلى أخيه عبد الله سنة ٧١ هـ فتكلم أبو حاضرة (٣) وكان خطيبا بليلا فقال له
عبد الله بن الزبير (٤) :-
" اسكت فوالله لوددت أن لي بكل عشرة من أهل المراق رجلا من أهل
الشام ، عرف الدينار بالدرهم " .

قال أبو حاضرة :-
" يا أمير المؤمنين ، إن لنا ولك مثلا ، أفتأذن في ذكره " .
قال :- " نعم " .
قال أبو حاضرة :

-
- (١) وقصة صفين : ٢٩-٣٠ ، وفي الإمامة والسياسة : ٩٠ ، وصحبت هـ : ٤٠
الخطبة في خطبة الأحنف ونسبت للأحنف .
(٢) ذكر ابن جرير في الاشتقاق : ١٢٧ أن اسمه : عبدة بن جرير ، وفي النقائض :
٢٤٩/٧ ، أن اسمه صبرة بن شبيب .
(٣) في المقد : ٢٨/٢ ، نسب الكلام إلى عبد الله بن ثبيان .
(٤) البيان والتبيين : ١/٣٠٠ ، ٣/٣٠٠ ، المقد : ٢٨/٢ ،
الإمامة والسياسة : ٢٥٧ .

" مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام ، كقول الأعشى : -
 خلقتُها عرضاً وعلقتُ رجلاً غيري وعلقتُ أخرى غيرها الرجال
 أحبك أهل العراق ، وأحببت أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبد الملوك
 ابن مروان " .

* * *

١٦ - خطاب الحر بن يزيد الرياحي :

× ٨١

كان الحر بن يزيد الرياحي على ربع تميم وهمدان في جيش عمر بن عبد
 حين سيرة ابن زياد لقتال الحسين بن علي فانضم الحر بن يزيد إلى الحسين ،
 فلما مال إليه بفرسه قال له : (١) :

" جعلني الله فداك يا ابن رسول الله ، أنا صاحبك الذي عهدت لك عن
 الرجوع ، وسأبترك في الطريق ، وجمعت (٢) بك في هذا المكان ، والتمسك
 الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ، ولا
 يبلغون منك هذه المنزلة ، فقلت في نفسي : لا أبالي أن أبيع القوم في بعض
 أمرهم ، ولا يرون أنني خرجت من ما عتصمت وأما هم فيقبلون من الحسين
 هذه المنزلة التي يصرحون عليها ، والله لو ظننت أنهم لا يقبلون مني شيئاً
 منك ما ركبتها منك ، وإنني قد جئتكم تائباً ما كان مني إلى ربي ومواسيماً
 لك بنفسي حتى أموت بين يديك ، أفترى ذلك لي توبة ؟ " فقال الحسين
 : " نعم يتوب الله عليك ويغفر لك " .

(١) تاريخ الطبري : ٤٢٨/٥ ،

تاريخ ابن الأثير : ٦٤/٤ ،

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٤٢٨/٢٠ .

(٢) مجمع بفلان : حبسه وضيق عليه .

ويحمد أن عرض الحُر بن يزيد الرياحي على أهل الكوفة في جيش عمر بن سعد أن يقبلوا من الحسين ما عرض عليهم من الرجوع عنهم ، بعد أن بذلوه فيما فيهم الله من حربه وقتاله ، فقال له عمر بن سعد :

" قد حُرمت لو وجدت إلى ذلك سبيلا : " فقال الحر لهم (١) :

" يا أهل الكوفة ، لأكم الهبل والمُبر (٢) ، إن دعوتهم حتى إذا أتاكم إمامهم ، وزهمت أنكم قاتلو أنفسكم دونه ، ثم عد وتم عليه لتقتلوه ، أمسكتم بنفسه ، وأخذتم بأكظمه (٣) ، وأحطتم به من كل جانب ، فمنعتموه التوجه في بلاد الله الحريضة ، حتى يأمن ويأمن أهل بيته ، فأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ، ولا يدفع عنها ضرا ، وحالتموه (٤) ونساءه وأحبيبتيه وأصحابه عمن ماء الفرات الجاري ، الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنهراني ، وتغرغ فيه غنازير السواد وكلابه ، وهاهم قد صرعهم العطش ، بثسا خلفتم محمدا في دربهم ، لا سقاكم الله يوم الظأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا ، في ساعتكم هذه "

فرماه رجالهم بالنبل فانحاز إلى الحسين .

* * *

١٧- خطبة حر قوص بن زهير السعدي :

دخل حر قوص بن زهير بعد صفين على علي في جماعة من الخوارج حين أراد علي إرسال أبي موسى إلى التحكيم فقال له (٥) :

" لا حكم إلا لله - تعالى - " فقال علي : " لا حكم إلا لله - تعالى - "

فقال له حر قوص :

" تب من خطيئتك ، وارجع عن قضيتك ، وارجع بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا " .

وفي رواية أخرى أنه قال له (٦) :

(١) تاريخ الأبري : ٤٢٨/٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٦٥/٤ ، نهاية الأرب في

فنون الأدب : ٤٤٥/٢٠ .

(٢) الهبل : الشكل ، والمُبر : سخنة الصين .

(٣) الكظم : مخرج النفس .

(٤) حالتموه : صدرتموه ومنعتموه إياه .

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦٤/٢٠ .

(٦) أنساب الأشراف : ٣٥٥/٢ .

" اتق الله ، وسر إلى عدوك وعدونا ، وتب إلى الله من الضلالة ، وأربع عسرين القليلة " .

فأبى علي فخرج حرقوص من عنده يحكم .

- ٨٤ -

وقال حرقوص بن زهير السعدي بحث أعمامه من الخوارج في البصرة على الخروج وقد اجتمعوا في بيت عبد الله بن وهب الراسبي قبيل النهروان (١) :

" إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تدعوكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلويثكم عن طلب الحق وإنكار الباطل ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (٢) .

يا قوم إن الرأي ما قد رأيتم بالحق ما قد ذكرتم ، فولوا أمركم ربلا منكم فإنه لا بد لكم من عطاء وسناد ، ومن راية تحفون حولها ، وترجمون إليها " (٣) .

- ٨٥ -

وقال حرقوص بن زهير لأصحابه من الخوارج حين اجتمعوا في منزله قبيل الخروج من البصرة إلى النهروان ، وكانوا قد عزموا على الخروج في ليلة الجمعة (٤) :

" بل أقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا فيها ربكم ، وأوصوا فيها بوعاياكم ، ثم أخرجوا ليلة السبت مني ، ووحدانا ، لا يشمركم أحد " .

(١) الإمامة والسياسة : ١٤٧ تاريخ الطبري : ٧٤/٥ ، تاريخ ابن الأثير : ٣/٣٣٥ .

(٢) سورة النحل : ١٢٨ ، وفي الأخبار الأول نسب هذا الجزء من الخطبة لمحمد بن عبد الله بن وهب الراسبي .

(٣) نسب الطبري هذا الجزء من الخطبة إلى حمزة بن سنان الأسدي وذكر أنه تكلم في الخوارج بعد حرقوص يومها .

(٤) الإمامة والسياسة : ١٤٨ ، وجاءت هذه الخطبة في تاريخ الطبري : ٧٥/٥ ، وتاريخ ابن الأثير : ٣/٣٣٦ في سياق يختلف قليلا عن هذا منهجية يزيد بن حصين الثاني .

- ٨٦ -

وقال الحريش بن هلال السعدي للمهلب حين عزم على مواصلة قتال
المعوارج بعد سولاف (١) :
" أنشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك ، فإن بالقسم
بجرائل وقد أشختهم هذه الجولة " فقبل منه ، وقال الحريش :
" ارتحل عن هذا الموضع " فارتحل .

* * *

١٩ - خطب الحنّاف بن يزيد بن جَعْفَوْنَة المنبري :

- ٨٧ -

كان الحنّاف في مجلس عبد الله بن عامر والي البصرة زمن عثمان وزمن معاوية
فتصرف له دغفل بن حنظلة النسابة المشهور وقال له (٢) :
" متى عهدك بسجاح أم عادر " .
فقال له الحنّاف : " طالي به عهد منذ أهدت أم حلس " .
وهي بعنبر أمهات دغفل
فقال له دغفل : " نشدتك بالله أنحن كئنا لكم أكثر غزوا في الجاهلية
أم أنتم لنا " .
قال الحنّاف : " بل أنتم فلم تغلحوا ولم تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيدكم
وابن سيدكم فهزمناه مرة وأسرناه مرة وأخذنا في فدائه خدر أمه (٣) ، وغزانا أدشركم
غزوا ، وأنبهكم في ذلك ذكرنا فأعرجناه ثم أرجلناه (٤) " :
فقال لهما ابن عامر : " أسألكما بالله لما كفتما " .

(١) الكامل : ٣/٣١٦ ، شرح نهج البلاغة : ٤/١٥٠

(٢) البيان والتبيين : ٣/٣١٨ .

(٣) يقصد بسطام بن قيس ، فقد فرعن أصحابه يوم " الإياد " حين هزمت يربوع

بني شيبان ، وأسره عتيبة بن الحارث فارس بني حنظلة في الجاهلية

في يوم " غبيط المدرة " وفدى نفسه بثلاثمائة بدير وخدر أمه .

(٤) يقصد اليوفزان الحارث بن شريك ، هفزه قيس بن عامر بالرمح يوم

" جدود " وأسره بنو يربوع في يوم " ذي طلوح " .

٦٠ - خطاب حنظلة بن الربيع بن عفيف بن رياح الأسدي :

- ٨٨ -

قام حنظلة بن الربيع يوم القادسية يحدث الناس على الجهاد والصبر فقال : (١)

" تَرَجَّلُوا أيها الناس ، وافعلوا كما نفعل ، ولا تجزعوا ما لا يسعد منه ، فالصبر أنجى من الفزع " .

- ٨٩ -

قام حنظلة بن الربيع إلى محمد بن أبي بكر حين أسي أن يتبع عائشة لما استتبعت في حصار عثمان وقد خرجت إلى مكة .

فقال له (١) :-

" يا محمد تستبئك أم المؤمنين فلا تتبمها ، وتدعوك ذوات الصرب إلى ما لا يدل فتبهمهم .

يا ابن الخثمية ، إن هذا الأمر إن صار إلى الثغالب غلبت عليه بنو عبد مناف " .

وانصرف وهو يقول :-

عجبت لما يخوض الناس فيه	يرومون الخلافة أن تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم	ولا قوا بعد ما ذلوا ذليلا
وكانوا كاليهود أو النصارى	سواء كلهم ذلوا السبيلا
ولحق بالكوفة .	

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٥٦٠ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤ / ٣٨٦ .

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥ / ١١ .

ودخل حنذلة بن الربيع في نفر من الناس على علي - رضي الله عنه -
لما أمر بالمسير إلى الشام قبيل صفين فقال لعلي (١) :

" يا أمير المؤمنين إنا قد مشينا إليك بنصيحة فأقبلها منا ، ورأينا لك
رأيا فلا تردّه علينا ، فإننا نثارنا لك ولمن معك ، أقم وكاتب هذا الرجل ، ولا تصجل
إلى قتال أهل الشام ، فإني والله ما أدرى ولا تدري لمن تكون إذا التقيتم
الغلبة ، وعلى من تكون الدبرة " .

* * *

٢١ - خطاب غارم بن خزيمة النهشلي :

- ٢١

كان غارم بن خزيمة النهشلي أحد رجال دعوة بني الصياص وقادتهم
المشهورين حين قامت دولتهم ، فلما ثار أبو مسلم في خراسان أراد غارم
إظهار دعوة بني الصياص في مرو الروذ ، فحاولت تعيم منعه فقال لهم (٢) :
" إنما أنا رجل منكم ، أريد مرو لملي أن أغلب عليها ، فإن أفسرت
فبهي لكم ، وإن قتلت فقد كفيتمهم أمري " .
فكفوا عنه .

* * *

٢٢ - خطاب خالد بن عرفوان الأهمتي :

- ٢٢

ودخل خالد مرة أخرى على عمر بن عبد العزيز ، وغلب عمر منه أن يحفظه
فقال له (٣) :-
" إن الله لم يرزأ أحدا يكون فوقك ، فلا ترزأ أن يكون أحد أولى بالشكر
منك " .
فبكي عمر حتى غشي عليه .

(١) وقعة صفين : ١٠٧ ، شرح نهج البلاغة : ١ / ١٧٥ .

(٢) تاريخ الأبري : ٣٦ / ٧ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ١١٥ - ١١٦ .

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥ / ٥٣ .

دخل خالد على عمر بن عبدالمزيز ، فقال له عمر : " هلاني وأوجسز"
فقال خالد (١) :

" يا أمير المؤمنين ، إن أقواما أغرهم ستر الله ، وفتنهم حسن الثناء ،
فلا يفلحون بهل غيرك بك علمك بنفسك ، أعاننا الله وإياك أن تكون بالستر مضررين ،
وبثناء الناس مفتونين ، وعما افترض الله علينا متخلفين ، وإلى الله وما ألسين " .
فبكي عمر وقال : " أعاننا الله وإياك من اتباع الهوى " .

أوفد يوسف بن عمر الثقفي والي هشام على المراق خالد بن صفوان فسي
أهل البصرة على هشام ، فقدم عليه بالكرامة وقد خرج للزهة والاستبصار في أهله
وعشقه ، فلما دخل عليه نظر هشام إلى خالد كالمستطيق له فقال خالد (٢) :

" يا أمير المؤمنين : أتم الله عليك نعمه ، ودفع عنك نقمه ، هذا مقام زعيم
الله به ذكرى ، وأجاب به شري ، إن أراني وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لهما
هذا شيئا هو أفضل من أن أنسبه أمير المؤمنين لفصل نعمة الله عليه ، ليعمد
الله على ما أعطاه ، ولا شيء أحضر من حد يشي سلف لملك من ملوك العجم ، إن أذن
لي فيه حدثته به " قال : " هات " قال خالد : " كان رجل من ملوك الأعاجم
يجمع له فتاة السن وصحة الطابع ، وسعة الملك ، وكثرة المال ، وذلك بالخورنق (٣) ،
فأشرف يوما فنظر ما حوله ، فقال لمن حضره : هل علمتم أحدا أوتي مثل الذي
أوتيت ؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجة : إن أذنت لي تكلمت ، ففقال :
قل ، فقال : أرايت ما جمع لك شيء هو لك لم يزل ولا يزول ، أم هو شيء
كان لمن قبلك ، زال عنه وصار إليك ، وكذلك يزول عنك ؟
قال : لا بل شيء كان لمن قبلي ، فزال عنه وصار إلي ، وكذلك يزول عني ،
قال : فسررت بشيء تذهب لذته ، وتبقى تبصته ، تكون فيه تليلا ، وترتهن به

- (١) سيرة عمر بن عبد المزيز لابن الجوزي : ١١٥ ، تهذيب تاريخ ابن عساکر : ٥٣/٥ .
(٢) عيون الأخبار : ٣٤١/٢ - ٣٤٢ .
(٣) الخورنق : قصر بناه الكوفة بناء النعمان بن أمية القيس ، والاسم فارسي
مصر ب يسمى (الضرنكاه) مختصر كتاب البلدان : ١٧٧ ، المعجم مصرب ،
(دار الكتب) : ١٢٧ ،
الألفاظ الفارسية المصربة : ٥٤ .

- ٣٣١ -

طويلاً ، فبكى وقال : أين المهرب ؟ قال : إلى أحد أمرين : إما أن تقيم فسي
ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك ، وإما أن تلقي عليك أسماحاً ثم تلحق بجيش
تصيد فيه ربك حتى يأتي عليك أجلك ، وقال : فمالي إذا أنا فعلت ذلك ؟
قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم ، وصحة لا تسقم ، وملك جديد لا يبلى ،
فأبى ، فكان فيه حتى مات .

وأشده قول عدي بن زيد :-

وتفكر رب الخورنق إذ أصبحـــــــــــــــــــــــــح يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يـــلك والبحر مريضاً والسدير
فارصوى قلبه فقال وما غـــطة حي إلى الممات يصير (١)

فبكى هشام وقام ودخل (٢) .

- ٢٥ -

وفي رواية أخرى أنه قال (٣) : " أتم الله عليك يا أمير المؤمنين
نعمة ، وجعل ما قللك من هذا الأمر رشداً ، وعاقبة ما يؤول إليه ميسداً ،
وأخلص لك بالتقى ، وكثره بالنما ، ولا كدر عليك منه ما صفا ، ولا غالمسداً
سروره بالرؤى ، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقة ومستراحاً ، اليك يقصدون فسي
ما الصم ، ويفزعون في أمورهم ، وما أجدر شيئاً يا أمير المؤمنين هـــــــــــــــــو
أبلغ في قضاء حقك ، وتوقيع مجلسك ، وما من الله - عز وجل - علي به من
مجالستك ، من أن أذكرك نعم الله عليك ، وأنبهك لشكرها ، وما أجدر
في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك ، فإن أذن أمير
المؤمنين أخبرته به ، قال خالد : " فاستوى جالساً وكان متكئاً ثم قال :
" هات يا ابن الأهمم " قال خالد : " يا أمير المؤمنين : إن ملكاً من الملوك
قبلك خرج في عام مثل عامك هذا إلى الخورنق والسدير ، في عام قيسد
بكر وسمية ، وتتابع عليه (٤) وأخذت الأرض فيه زينتها على اختلاف ألوان
نبتها ، في ربيع مونق ، فهو في أحسن منار ، وأحسن مختبر ، بصميص

(١) ديوان عدي بن زيد المبادي : ٨٩ .

(٢) مختصر كتاب البلدان : ١٧٧-١٧٨ ، ذكر القصة نفسها مع الملك

النعمان بن امرئ القيس ، ولم يشر إلى حديث خالد .

(٣) الأغاني : ١٣٦/٢-١٤٦ ، الإلمامة والسياسة : ٣٦٤-٣٦٧ ، بيروت

زيادات وتفاصيل كثيرة في النص ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٤/٥-٥٦ .

(٤) الوسمي : مطر الربيع الأول ، والولي ، المطر الذي يلي الوسمي .

كأن ترابه قطع الكافور، وقد كان أعطي فتاة السن مع الكثرة والفلبية والقهس،
فندار فأبعد النظر، ثم قال لجلسائه : لمن مثل هذا، هل رأيتم مثل ما لنا فيه ؟
وهل أعطي أحد مثل ما أعطيته ؟ وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضيبي
على أدب الحق وضهاجه، ولم تخل الأرض من قائم لله بحجة في عباده، فقسم :
أيها الملك : إنك سألت عن أمر، أفأذن في الجواب عنه ؟ قال : نعم،
قال : رأيته هذا الذي أنت فيه، أشي لم تزل فيه، أم شي صار اليه منك
ميراثا، وهو زائل عنك، وصائر إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو، قال :
فلا أراك إلا عجب بشي يسير، تكون فيه قليلا وتغيب عنه أويلا، وتكون غدا
بحسابه مرتبنا، قال : ويحك أين المهرج، وأين المطلب ؟ قال : إنما أن تقم
في ملكك، فتعمل فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك، وأمسك وأرضك (١)
ولما أن تضع تاجك، وتخلع أطمارك (٢)، وتلبس أمساك (٣) وتحمس
ربك حتى يأتيك أجلك، قال : فإذا كان السحر فاقرع علي بابي، فإنني
مختار أحد الرأيين - ربما قال : راكدي المنزلتين - فإن اخترت ما أنا
فيه، أنت وزير لا يحصى وإن اخترت فلوات الأرض، وتفر البلاد كنت رفيقنا
لا يخالف، قال : فقرع عليه عند السحريه، فإذا هو قد وضع تاجه وخلع
أطماره، ولبس أمساكه، وتهدأ للسياحة، فلزم والده الجبل حتى أتاهما أجامعا،
وهو حيث يقول عدي بن زيد أخو بني تميم :-

وتذكر رب الغورنق إذا أشرف يوما والمهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر مفرضا والسديس
فارغوى قلبه فقال وما غبيرة حتى إلى المات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والإمامة وارتهم هناك القهور (٤)
ثم عاروا كأنهم ورق جفف فألوت به السما والدبور

فبكي هشام حتى أخذ لحيته، وباع عمامته وأمر بنزع أبنيته، وأمر بنقسل
قرايته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ولزم قصره، فلام الناس بالسب
فيقال لهم : "إليكم عني فاني عاهدت الله - عز وجل - ألا أدخلو بطنك
إلا نكرته الله عز وجل".

- (١) أمضه الامر : شئ عليه، وأرضني الأمر أو معني .
- (٢) الأطمار : الكساء من غير الصوف، اللسان، مادة (طمر)
- (٣) الحشح : الكساء من الشعر، اللسان، مادة (مسح)
- (٤) ديوان عدي بن زيد الصبادي : ١٧٧ - ١٧٨ .

نرى خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز ومناه بالخلافة فقال له (١) :
 " الحمد لله الذي منّ على الخلق بك ، والحمد لله الذي جعل نبوتكم راحة
 وتلافتكم عصمة ، ومصابكم أسوة ، وجعلكم قدوة " .

وقال خالد حين رأى غريمه بلال بن أبي بردة مقيداً في مجلس يوسف بن
 عمر الثقفي وقد نكبه فيمن نكسب من عمال خالد القسري (٢) :
 " أيها الأمير - يقصد يوسف بن عمر - إن عدوّ الله بلالا فربني وديمتني ،
 ولم أفارق جماعة ، ولا خلعت يدا من جماعة " (٣) ، ثم التفت إلى بلال وقال : -
 " الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهدّ ركنك (٤) وغير حاله " (٥) ،
 فوالله لقد كنت شديد الحجاب ، مستخفا بالشريف ، مظهراً للعصبة " .

وقال خالد ليعلى الولاة (٦)
 " قدمت فأعليت كلاً بقسطه من نازك ومجلسك ، وملائك وعدائك ، حتى كأنك
 من كلاً أحد ، أو كأنك لست من أحد (٧) " .

-
- (١) زهر الآداب : ١٠٠٨/٢ ،
 (٢) الكامل : ٢٤٦/٣ - ٢٤٣ ، زهر الآداب : ٨٦٥ ، نكت الهميان : ١٤٨ .
 (٣) هذا الجزء من الخبايا لم يذكر في رواية الكامل
 (٤) في زهر الآداب ونكت الهميان : " أركانك " .
 (٥) في زهر الآداب ونكت الهميان زيد بعدها : " وأزال جمالك " .
 (٦) العقد : ١٣٥/٢ ، الأمالي : ٢١٠/١ .
 زهر الآداب : ٨٤٧/٢ ، ١٠٠٢ .
 (٧) في الأمالي : " قدمت فأعليت كلاً بقسطه من وجهك وكرامتك ،
 حتى كأنك لست من أحد ، أو حتى كأنك من كل أحد " .

روى أن الأبرش الكلي (١) قال لخالد بن صفوان (٢) : " هلم أفاخسرك ،
وهما عند هشام بن عبد الملك ، فقال له خالد ، قل ، فقال :
" لنا ربع البيت - يريد الركن اليمني - ومنّا حاتم أبي ومنّا
المهلب بن أبي صفرة " .
فقال خالد : " منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الغليظة
المرسل " .

فقال الأبرش : " لا فاخرت مفسرياً بحدك " .

وفاخر رجل من بني عبد الدار خالداً فقال لخالد (٣) :
" إن اسمك لكذب ما خلد أحد ، وإن أباك لصفوان وهو حجر ، وإن جسدك
لأعقم ، وإن الصحيح خير من الأعمى " .

فقال له خالد (٤) :
" فمثلك يشتم تهما في عزها وحسبها [(٥) ، وقد شتمت بك
هشام ، وأمك أمة ، [وجمعت بك جمع] (٦) وخزمتك مخزوم [وأقمتك
تصني] (٧) ، وأنت من عبد دارها ، ومنتهى عارها ، تفتح لها الأبواب
إذا أقبلت ، وتغلقها إذا أدبرت " (٨) .

-
- (١) الأبرش الكلي : هو سعيد بن بكر الكلي ، كان مقرباً من هشام بن عبد
الملك ، حتى قيل فيه إنه وزير هشام ، انظر جمهرة أنساب العرب : ٤٥٨ ،
تاريخ الطبري : ٥٤/٤ ، ١٨١/٦ ، ٣٦/٧ .
(٢) المقند : ٤٦/٤ ، بلوغ الأرب : ٢٨٧/١ .
(٣) المذاعتين : ٣٢٣ .
(٤) البيان والتبيين : ٣٣٦/١ ، المذاعتين : ٣٢٣ .
(٥) زيادة في المذاعتين .
(٦ و ٧) زيادة في المذاعتين أيضاً .
(٨) " في المذاعتين : " إذا دخلوا " و " وإذا خرجوا " .

دخل خالد على أبي العباس السفاح وعنده أناس من بلحارث بن كعب
أخوال السفاح ، فسأله السفاح عنهم فقال خالد (١) : يا أمير المؤمنين ، هم
هامة الشرف ، وعزّين الكرم ، وفيهم خيال ليست في غيرهم من قومهم ، هم أحسنهم
أمنًا (٢) ، وأكرمهم شيعًا ، وأطيبهم طعامًا ، وأوناهم ذمًا ، وأبددهم شتمًا ، هم
الجمرة في الحرب ، والرأس في كل خطاب ، وغيرهم بمنزلة الصّجب " (٣) .

فزار بنو الحارث في الفجر فطلب أبو العباس من خالد أن يرد عليهم
فقال (٤) : " أخوال أمير المؤمنين وأهلهم " قال السفاح : " فأنتم أعمام أمير
المؤمنين وعصبته ، فقل " .

فقال : " وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ، ودابع جلد ، وسائس
قرد ، وراكب عرد (٥) دلّ عليهم همد مد ، وقرّتهم فأرة ، وملكتهم امرأة " .

وقال يوهنّ صديقاً له (٦) :
" رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ الصين جمالا ، والأذن بيانا ، ولقد كان يُرْجَى
ولا يُخْشَى ، ويُخْشَى ولا يُغْشَى ، وَيُحْرَبُ ولا يُفْكَى ، قليلا لدى الشرّ خصمه
سليما للمصديق ضميره " .

-
- (١) زهر الآداب : ١٠٠٨ ، ٨١٦/٢ .
(٢) الأمة : بكسر أولها وضممة ، الشأن ، أو الأهل ، أو غفارة الصيغر .
(٣) الصّجب : مؤنّث كل شيء ، القاموس : (عجب) الجمرة : كل قوم
يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أمدا ولا ينضمون إلى أحد .
(٤) البيان والتبيين : ٣٢٩/١ ، الحيوان : ١٥٢/٦ ، عيون الأخبار : ٢١٧/١
المقد : ٤٦/٤ ، مروج الذهب ، (ط : طهران) : ٣٧٢/٣ ، الأخبار الموفقيات :
١٢١ مختصر كتاب البلدان : ٣٩-٤١ ويورد خبرا مأثورا عن هذه المفارقة ،
وزهر الآداب : ١٠٠٨ ، ٨١٦/٢ ، معجم البلدان : ٣٨٧/٤ ، تهذيب
تاريخ ابن عساكر : ٥٨/٥ - ٥٩ وينقل الرواية عن مختصر كتاب البلدان بدلولها .
(٥) القرد : الحمار
(٦) البيان والتبيين : ٩٢/٤ ، الأمالي : ١٦٨/٢ ،
تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٢/٥ .

وخطاب خالد في خطبة مولى له على أمته فقال (١) :
 " أمّا بعد ، فإن الله أجلّ وأعز من أن يذكر في نكاح هذا يمين
 الظلمين ، و [أنا أشهدكم] (٢) أنني زوجت هذه الفاعلة من هذا المومن
 الفاعلة " (٣)

وخطاب امرأة لنفسه فقال (٤) :
 " أنا خالد بن صفوان ، والحسب على ما قد علمته ، وكثرة المال على ما
 قد بلغك ، وفيّ خصال سأبينها لك ، فتقدمين عليّ أو تدعين " قالت : " وما هي ؟ "
 قال : " إن الحرية إذا دنت مني أملتني ، وإذا تباعدت عني أعلتني ، ولا
 سبيل إليّ درهمي وديناري ، ويأتي عليّ ساعة من اللال لو أنّ رأسي في يدي
 نبذته " .
 فقالت : " قد فهمنا مقالتك ووعينا ما ذكرت ، وفيك بحمد الله غصال لا نرضاها
 لبنات بلبر ، فانهرف رحمك الله " .

وقال خالد لامرأة تدل على النساء : " ابغني امرأة " فقالت : " صفها
 لي " فقال (٥) :
 " أريد ما يكر كتيب ، أو ثيابا كبر ، لا عسرة صغيرة ، ولا عجوزا كبيرة
 كانت في نعمة فأصابتها فاقة ، فمعهها أرب النعمة ، وذال الحاجة ، عسبي من
 مالها أن تكون ضخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، [أعلاها قضيب ، وأسفلها
 كتيب] (٦) [حسبي من حسنها أن تكون واسطة في قومها ، ترضيني
 مني بالسنة ، وإن عشت أكرمتها ، وإن ميت ورثتها] (٧) [فإننا لا نتمننا
 كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخر] (٨) " .
 قالت : " أصبتها لك في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها " .

(١) البيان والتبيين : ٢/٢٥٠ ، المحقّد : ٤/١٥١ .

(٢) زيادة في المحقّد .

(٣) في المحقّد : " هذه الزانية من هذا ابن الزانية " .

(٤) عيون الأخبار : ٤/٤٤ .

(٥) عيون الأخبار : ٤/٥٠ ، المحقّد : ٦/١٠٧ ، أمالي المرتضى : ٢/٢٦٢ .

(٦) الزيادة في المحقّد .

(٧) الزيادة في عيون الأخبار .

(٨) الزيادة في المحقّد .

وقال (١) :
 " من تزوج امرأة فليتزوجه عزيزة في قومها ، ذليلة في نفسها ، أنبها
 الخبي ، وأذلها الفقر ، حصاناً جارها ، ماجة على زوجها " .

وقال خالد يصف الحسن البصري (٢) :
 " كان أشبه الناس علانيةً بسريّة ، وسريّةً بعلانية ، وأخذ الناس انفسه
 بما يأمر به غيره ، ياله من رجل استغنى عما في أيدي الناس من دنياههم ،
 واحتاجوا إلى ما في يديه من دينهم " .

سأل عبد الملك العجاج بن يوسف عن خلقه ، فقال : " حسود ، كئوسون ،
 عتقون " ، فقال عبد الملك : " ما في إبليس شرّ من هذه الخلال " ، فلبس
 خالد بن عفوان ذلك ، فقال (٣) :
 " لقد انتحل الشرّ بحذافيره ، ومرق من جميع خلال الخير ، وتأنسق في
 ذم نفسه ، وتجرّد في الدلالة على لوّم طبعه ، وأفرط في إقامته
 الحسبة على كفره ، وخرج من الخلال الموجبة رضى الله " .

(١) عيون الاخبار : ٤ / ٤

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٩ / ٥

(٢) السقند : ٢ / ٢٣٠ .

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣ / ٢٦٧ .

وقال خالد بن صفوان يصف جريرا والفرزدق والأخطال في مجلس هشام بن عبد الملك (١) :

" [يا أمير المؤمنين] (٢) أما أعظامهم فخرا ، وأبعد هم ذكرا وأحسبهم عذرا ، وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ، وأحلامهم عللا ، الطامي إذا زخر ، والعامي إذا زار (٣) والسامي إذا خدار ، الذي إن عذر قال (٤) ، وإن خدار صال ، الفصيح اللسان ، الطويل الحنان ، فالفرزدق .

وأما أحسنهم نعتا ، وأمدحهم بيتا ، وأقلهم فوتا ، الذي إن هجا وشتمج ، فإن مدح رفع ، فالأخطال :

وأما أغزهم بحرا ، وأرقهم شمرا ، [وأكثرهم ذكرا] (٥) [وأكثرهم لمدحهم سترا] (٦) الأغتر الأبلق [الذي إن طالب لم يسبق ، وإن المسبب لم يلق] (٧) ، فجرير ،

وكلهم ذكي الفؤاد ، رفيع الحمار ، واري الزناد " .

فقال مسلمة بن عبد الملك وكان حاضرا : " ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ، ولا رأينا في الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم نعتا ، وألينهم عفا ، وأعفهم حسما مقالا ، وأكرمهم فعلا " .

فقال خالد : " أتم الله عليكم نعمته ، وأجزل لديكم قسمه ، [وانسركم الفرية ، وفرج بكم الكربة] (٨) ، وأنت واللهما علمت - أيها الأمير كريم الخراس ، عالم بالناسر - في المحل ، بسام عند البذل ، حليم عند الطيش ، فسي ندوة قريش ، ولباب (٩) عبد شمس ، ويوطئ خير من أمس " .

فضحك هشام وقال : ما رأيت تتخلصك يا ابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا ، وسلمت منهم " .

(١) الأغاني : ٨١/٨ ، زهر الآداب ٢/٦٣٤ .

(٢) زيادة في زهر الآداب .

(٣) في زهر الآداب : " زعر " .

(٤) في زهر الآداب : " جال " .

(٥) زيادة في زهر الآداب .

(٦) زيادة في الأغاني .

(٧) زيادة في زهر الآداب .

(٨) زيادة في الأغاني .

(٩) في زهر الآداب : " من أشرف عبد شمس " .

وقال خالد بن صفوان يصف البصرة ويفاخر بها حين سأله هشام عنها (١) :
 " أخبرك يا أمير المؤمنين ، يخرج قنصان ، فيجيء هذا بالخير والخليل
 وهذا بالسك والشبول ، ونحن أكثر الناس ساجا وعاجا ، وعزا وديباجا ، وبرنا
 حملاجا ، وجارسة هخاجا ، بيوتنا الذهب ، ونهرنا الصب ، أوله راسب ، وآخره
 عذب ، فالخيل في مكاربه كالزيتون عندكم في منابته ، ثم هو في أكامه كذاك في أغصانه ،
 ثم هو في إبانته كذاك في زمانه ، من الراسخات في الوحل ، المطعمات فسي
 النحل ، الملقحات بالفحل ، يخرجن أسفاطا عظاما ، وأساطنا نظاما ، كأنصسا
 ملئت رباطا ، ثم تفتقر عن قضبان اللجين ، منظومة باللؤلؤ الأخضر ، ثم يصير
 منها منظوما بالزبرجد الأخضر ، ثم يصير عسلا معلقا في الهواء ، ليس في قريضة
 ولا سقاء بعيدا من التراب ، كالشهد المذاب ، ثم يصير في أكيسة الرجال ، فيستمان
 به على الحبال .

وأما نهرنا الصب ، فإنه يقبل عند حاجتنا إليه ، ويدبر عند رينامته ، وله
 عباب لا يحجبه ، ولا يخلق عنا دونه حجاب " .

فقال هشام : " بلدكم أكرم بقاع الأرض يا أبا بني تميم " .

وقال يصف الأبلّة (٢) :
 " ما رأينا أرضا مثل الأبلّة أقرب مسافة ، ولا أطيب نطفة (٣) ولا
 أولاد مائة ، ولا أربح لتاجر ، ولا أخفى لعابد " .

(١) مختصر كتاب البلدان : (١٢١) ،

البيان والتبيين : ٢/٢٣ ،

عيون الأخبار : ١/٢١٧ ، ووردت في المصدرين الآخرين مختصرة جدا

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥/٥٧ ، مع بعض الزيادات .

(٢) البيان والتبيين : ٢/٢٥٧

عيون الأخبار : ١/٢٢٣

(٣) النطفة : الماء الصافي ، أو الكثير .

- ١١٢ -

وقال لملي بن أبي الجهم بن حذيفة المدوي (١) وقد ألفاه يريد الركوب على حمار (٢) : "أما علمت أن الميرغار ، والحمار شنار منكر الموت ، قبيح الموت (٣) و متزلج في الضحل ، مرتطم في الوحل ، ليس بركوبة فحل ، ولا بصطية رجل ، راكبه مقرف (٤) ومسايره مشرف " .

فاستوحش ابن أبي الجهم من ركوب الحمار ونزل عنه ، وركب فرسا ، ودفع الحمار إلى خالد فركبه ، فقال له : "ويحك يا خالد ! أتنتهي عن شيء وتأتي مثله ؟" . فقال : "أمر لك الله عير من بنات الكريال (٥) واضح السريبال ، مغتليج القوائم (٦) ، يحمل الرجل ، ويبلغ المقبة ، ويمنعي أن أكون بمساراً عنيدا ، إن لم اعترف بمكاني فقد ظلمت إذا ووا أنا من المهتدين " .

- ١١٣ -

وسمع خالد رجلا يتكلم ويكثر فقال له (٧) : "اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان ، وكثرة التهذيमान ، ولكنها براهمة المعنى ، والقصد إلى الحجة " .

-
- (١) اغتلط الأمر على محقق (زهر الآداب) فاشتبه الاسم على أنه : علس ابن الجهم بن أبي حذيفة ، والصحيح ما أثبتناه ، وقد جاء ذلك فمسي أميلين من أصول الكتاب المخطوطة ، انظر ، زهر الآداب : ١١٣/٢ ، هامش : ١ ، ٥ ، أسلم أبوه في فتح مكة ، وهو أحد أشهر القرشيين الذين روى الأشعار ، ومن علماء الأنساب والأخبار توفي سنة ٦٠ هـ . انظر البيان والتبيين : ١/٣٦٢ ، ٢/٣٦٣ ، الامامة : ٤/٤٦ .
- (٢) زهر الآداب : ١١٣/٢ .
- (٣) فاته الأمر : ذهب عنه ، وهو فوت يده : أي براه ولا يصل إليه .
- (٤) مقرف : محيب .
- (٥) الكريال : كورة بفارس .
- (٦) قليلة اللحم رشيقة .
- (٧) المعقد : ٢/٢٦١ ، شرح نهج البلاغة : ٧/٨٨ .

وقال رجل لخالد : " إنك لتكثر، فقال (١) :
 " أكثر لضربين : أحدهما فيما لا تخفي فيه القلّة، والآخر لتمرين
 اللسان ، فإن حبسه يورث المقلّة " .
 وكان يقول : " لا تكون بليفا حتى تكلم أمّك السوداء في الليلة الثامنة ،
 في الحاجة البهجة بما تتكلم به في نادي قومك ، فإنما اللسان عضو
 إذا مرّنته مرّة ، وإذا أهملته خار ، كالسيد التي تخشنها بالمارسة ، والبدن
 الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه ، والرجل إذا عوّدت المشي مشّت " .

- ١١٥ -

ومدح خالد رجلا فقال (٢) : -
 " كان والله بديع المناق ، [ذلق البراءة] (٣) جزل الألفاظ ،
 عربي اللسان (٤) ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشمايل ، كثير (٥)
 الآلاوة ، سموتا قوولا ، يهنا الجرب ، ويدأوي الدبر ، ويقل الحزّ ، ويطلق
 المفصل ، ولم يكن بالزمر في مروءته ، ولا بالهذر في منطقته ، متبوعا غير تابعت ،
 " كأنه علم في رأسه نار (٦) " .

- ١١٦ -

ومن أقوال خالد بن عفوان المأثورة عنه : -
 قال (٧) : -
 " أحسن الكلام ما شرفت مبانيه ، وطارت ممانيه ، والتدّه سمع سامحيه ،
 وازداد حسنا على مر السنين ، تحتجته (٨) الرواة ، وتفتنيه السراة " .

(١) الكامل : ٢٠ / ٢

(٢) المعقد : ١٣٦ / ٢ ، ٢٢٠ ، زهرة الآداب : ٨٤٧ / ٢ ،

نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٨٠ / ٣ .

(٣) الزيادة في زهر الآداب ، زلق : حاد .

(٤) وجاء في زهر الآداب بعدها : " ثابت المقدّة ، رقيق الحواشي ، خفيف

الشفتين ، بليل الريق ، رّحب الشرف " .

(٥) في زهر الآداب : " حسن الطالوة ، حيا جريفا " .

(٦) ديوان الخنساء ، (دار صادر) : ٤٠ : والبيت :

لأن صخر التأم الهداة به كأنه علم في رأسه نار .

(٧) لباب الآداب : ٣٥٤ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٨ / ٥ .

(٨) احتجبت الشيء ، شمه واحتواه .

وقال خالد (١) :

" من يحب السلطان بالصحة والنصيحة كان أكثر عدواً من يحبه بالفساد والخيانة ، لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد ، فعدو السلطان ينافسه في مرتبته ، وعدوه يهينه نصيحته " .

وقال (٢) :

" إن جعلك الوالي أخاً فاجعله سيدياً ، ولا يحدثن لك الاستئناس به غفلة ولا تهاونا " .

وقال (٣) :

" ولا تصحب من صحبت من الولاة إلا على شعبة مودة قد آتت ، فإن استطعت أن تجعل صحبتك لمن قد عرفك بمصالح مودتك قبيل ، ولا يتنه فافصل " .

وقال (٤) :

" لا تالبوا الحوائج في غير حينها ، ولا تالوها إلى غير أهلها ، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل ، فتكونوا للضعفاء خلقاً " .

وقال (٥) : مفتاح نجاح الحاجف للصبر على أول المدة ومفلاقتها اعتراض الكسل ومنها " وقال (٦) :

" ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهتلة " .

وقال (٧) :-

" اتقوا مجانب الضعفاء " .

وقال (٨) :-

" لا يستجاب إلا لمخلص أو مظلوم " .

(١) المقعد : ١٣/١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٠/٥

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦٠/٥

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦١/٥ .

(٤) عين الأخبار : ١١٦/٣ ، المقعد : ٢٧٦/١ .

(٥) المقعد : ٢٧٦/١ .

(٦) البيان والتبيين : ١٧٠/١ ، ٣٥٣ ، شرح نهج البلاغة : ١٥/١٣

(٧) البيان والتبيين : ٣٥٢/١ ، ٢٧٤/٣ ، يريد الدعاء .

(٨) البيان والتبيين : ٢٧٤/٣ .

وقيل لخالد : "أي إخوانك أحب إليك ؟"

فقال : (١) "الذي يغفر زللي ، ويقبل علي ويسد خللي" .

وقال (٢) :-

"الناس ثلاث طبقات : طبقة علماء وطبقة خطباء ، وطبقة أدباء ، ورابعة بين ذلك يفلون الأسعار ، ويضيقون الأسواق ، ويكدرون المياه" .

وقال (٣)

"لا تصنع المعروف إلى ثلاثة : الفاحش ، واللئيم والأحمق ، فأنت إما الفاحش فيقول : إنا صنع هذا بي اتقاء لفحشي ، وأما الأحمق فلا يحرف المعروف فيشكره ، وأما اللئيم ، فكل الأرض السبخة لا تثمر ولا تنمي ، فإذا رأيت السفسيفساء فدع المعروف عنده ، واستحصد الشكر ، وأنا لك الضامن" .

وأوصى خالد ولده فقال (٤) :

"كن أحسن ما تكون في الظاهر حسالاً ، أقل ما تكون في الباطن مالا ، ودع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية" .

وقال يذم المزاح (٥) :

"يُنشِقُ أحدكم أخاه مثل الخَرَّال ، ويفرغ عليه مثل المرجل ، ويرمي به بمثل الجندل ، ثم يقول : إنما كنت أمزح" .

وقال (٦) :

"بت ليلتي كلها أتمنى ، فكسيت البحر الأغصان بالذهب الأعظم ، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان ، وكوزان وطمران" (٧) .

(١) عيون الأخبار : ١٧/٣ ، الأمل : ١٢/١

تطام المتن : ٢١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٦٠/٥

(٢) المققد : ٢٠٣/٢

(٣) لباب الآداب : ٣٥٤

(٤) المققد : ١٥٣/٣ ، شرح نهج البلاغة : ١٦٣/٣

(٥) زهر الآداب : ٤٧٦/١

(٦) البيان والتبيين : ١٦٤/٣ ، عيون الأخبار : ٣٦٧/٣

شرح نهج البلاغة : ٢٣٦/٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٦١/٥

(٧) الطمر : الثوب الخلق .

٦٣- خطاب خالد بن مالك النهشلي :

- ١١٧ -

وذكر الجاحظ أن خالد بن مالك النهشلي قال للقمقاع بن معبد بن
زرارة (١) :

" أنا فرك على أيّنا ألحق بالرماح ، وألحق للسحاح (٢) ، وأفلح بالبراح "
قال القمقاع : " لا بد عن أيّنا أفضل أبا وجدا وعمما ، قديما وحديثا . "
قال خالد : " أعطيت يوما من سأل وأطعمت حولا من أكل ، وطعمت فارسا
طعمته شككت فخذيه بجانب الفرس . "

قال القمقاع - وأخرج يعقوب - : ربيع عليهما ما أبي أربعين مربعا (٣)
لم تشكل فيهن نصيبه ولدا

- ١١٨ -

وفي رواية أخرى :
أن القمقاع بن معبد بن زرارة وخالد بن مالك النهشلي تنافرا إلى أكرم
فأرسل بهما إلى ربيعة بن حذار الأسدي لينفر بينهما ، فقال ربيعة للقمقاع :
" ما عندك يا قمقاع " فقال (٤) :

" أنا ابن معبد بن زرارة ، وأمي مماندة بنت ضرار ، رأس من أعطاني عشرة ،
ومن أخوالي عشرة ، وهذه قوس عمي رهنها عن العرب ، وجدي زرارة أجسمار
ثلاثة أملاك بعضهم من بعض . "

فقال ربيعة لخالد بن مالك : " ما عندك يا خالد " : قال : " أنا ابن مالك "
قال : " لم تصنع شيئا ثم أين من ؟ " قال : " ابن ريمي " قال : " لم تصنع شيئا ثم
أين من ؟ " قال : " ابن سلم " قال : " الآن ، فمن أمك ؟ " قال : " فرقة " قال :
" ابنة من ؟ " قال : " ابنة مندوس . "

فنقر القمقاع عليه ، فقال خالد : " أتجعل معبد ابن زرارة كمثل سلم بن جندل . "
قال ربيعة : " ما جعل المعبد كريس . "

(١) البيان والتبيين : ٢ / ٢٧٢ .

(٢) السحاح : بكسر السين وضمها ، جمع ساح : وهو الجزور السمين .

(٣) المرباع : ما كان يأخذه الرئيس وهو ربيع الفريعة .

(٤) مجمع الأمثال : ٢ / ٢٠١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ١ / ٣٠٦ .

٢٤ - خطاب خَلِيد بن المَنْذَر بن سَاوَى التَّمِيمِي :

- ١١٦ -

وَقَامَ خَلِيدُ بْنُ الْمَنْذَرِ بْنِ سَاوَى التَّمِيمِي خَطِيْبًا فِي جَيْشِ الْمَلَاءِ بْنِ الْعَشْرِوسِي
الَّذِي أَرْسَلَهُ لَفَزُو فَارِسَ مِنَ الْبَحْرِ، فَجَاءَهُمُ الْفَرَسُ فِي اصْطَاحِرٍ، فَقَالَ خَلِيدٌ
لَهُمْ (١) :-

"أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى أَمْرًا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ حَتَّى تَصِيْبَهُ ، وَإِنْ
دَعَا لِقَوْمٍ لَمْ يَزِدْهُمْ إِلَّا ضَعْفًا ، وَإِنْ دَعَا لِقَوْمٍ لَمْ يَنْقُصْهُمْ إِلَّا ضَعْفًا ، وَإِنْ دَعَا
لِلْأَرْضِ لَمْ يَغْلِبْ ، فَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَلِئِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْغَاشِقِينَ (٢)"

٢٥ - خطاب رَبِيعِي بن عَامِر بن خَالِدِ الْمَنْبَرِي :

- ١٦٠ -

وَقَامَ رَبِيعِي بْنُ عَامِرٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ يَحْرُسُ النَّاسَ عَلَى الْفَرَسِ فَقَالَ (٣) :-
"إِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ ، وَجَمَعَكُمْ بِهِ ، وَأَرْأَكُمْ الزَّيَادَةَ ، وَفِي الْعَمِيرِ
الرَّايَةَ ، فَصَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ الصَّبْرَ تَعْتَادُوا ، وَلَا تَصَوِّدُوا الْجَزَعَ فَتَحْتَادُوا " .

- ١٦١ -

وَقَالَ رَبِيعِي بْنُ عَامِرٍ لِرَسْمِ مِمَّنْ أَرْسَلَهُ سَعْدٌ إِلَيْهِ لِيَدْعُوا الْفَرَسَ إِلَى الْإِسْلَامِ
أَوَ الْبَزِيَّةِ قَبْلَ الْعَرَبِ (٤) :-
"اللَّهُ ابْتَدَعَنَا ، وَاللَّهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الصُّمَّانِ إِلَى عِبَادَةِ
اللَّهِ ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا ، وَمَنْ جَوَّرَ الْأَكْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ ،
فَأَرْسَلْنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَصَنَ قَبْلَ مَا ذَكَرْنَا قَبْلَنَا ذَلِكَ مِنْكُمْ ،
وَرَجَعْنَا عَنْهُ ، وَتَرَكْنَاهُ وَارِثَةً لِيَلْبِهَا دُونُنَا ، وَمَنْ أَبِي قَاتِلْنَاهُ أَبَدًا ، حَتَّى نَقْضِي
إِلَى مَوْعِدِ اللَّهِ الْجَنَّةَ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبِي ، وَالظُّفْرَ لِمَنْ بَقِيَ " .

(١) تاريخ الطبري : ٨٠ / ٤

(٢) سورة البقرة : آية ٤٥ .

(٣) تاريخ الطبري : ٥٣٥ / ٣

(٤) تاريخ الطبري : ٥٢٠ / ٣

تاريخ ابن الأثير : ٢٢٧ / ٢

فقال له رستم : " هل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا " قال ربيعي بن عامر :-

" إن مما سنّ لنا رسول الله - على الله عليه وسلم - وعمل به أئمتنا ، ألا نمكّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فنهض من مكرهم ، ونعزم ثلاثاً ، فانظر في أمرك وأمرهم ، واختر واحدة من ثلاث ، بمسند الأجل ، اختر الإسلام وندك وأرضك ، أو الجزاء ، فنقبل ونكف عنك ، وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجا منعناك ، أو المناظرة فمسي اليوم الرابع ، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، أننا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى " .

قال رستم : " أسيدهم أنت ؟ " .
قال ربيعي : " لا ، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ، يجسروا أقدامهم على أعلاهم " .

*

*

*

٦٦ غتاب ربيع بن البلاء السعدي :

- ١٦٦ -

قال ربيع بن البلاء السعدي يوم القادسية (١) :
" يا معاشر العرب ، قاتلوا للدين والدنيا ، " وسارعوا إلى مفسرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين " (٢) وإن عظم الشهداء سبيلهم إلى الأمان فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل " .

(١) تاريخ الطبري : ٥٣٤ / ٣

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ .

٢٧ - خطاب رياح بن الربيع بن صيفي الأسدي :

- ١٢٣ -

أوصى رياح بن الربيع (١) بنبيه عند موته فقال (٢) :
 " يا بني ، سَوِّدْ وَأَعْقِلْكُمْ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْقَوْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا كَانَ آفَةً لِمَنْ دُونَهُ ،
 وَجُودًا عَلَى قَوْمِكُمْ ، وَلِيَاكُمُ الْبُخْلُ ، فَإِنَّهُ دَاءٌ وَنَعْمُ الدَّاءِ السَّخَاءُ ، وَالتَّخَافُ سِلَاقُ
 فَحْلِ الْكَرَامِ ، وَالصَّمْتُ جَمَاعُ الْحُلْمِ ، وَالصَّدْقُ فِي بَعْضِ الْمَوَالِكِ عِجْزٌ ، وَاسْتَمِينُوا
 عَلَى مَنْ لَا تَقْوُونَ عَلَيْهِ بِالْجَمُوحِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَيِّدَ الْقَوْمِ أَشَقَّاهُمْ ، وَلِيَاكُمُ الْإِمْنُ فَإِنَّهُ
 مَهْدَمَةٌ لِلصَّنِيعةِ " .

* * *

٢٨ - خطاب الزُّهْرَقَانِ بْنِ بَدْرِ السَّعْدِيِّ :

- ١٢٤ -

وكان الزُّهْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ إِذَا زَوَّجَ ابْنَةً لَهُ دَنَا مِنْ خَدَّيْهَا وَقَالَ (١) :
 " أَتَسْمِينِ ؟ لَا أَعْرِفَنَّ مَا طَلَبْتَ ، كُونِي لَهُ أُمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا " .

- ١٢٥ -

وَقَالَ الزُّهْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ (٣) :

" أَبِغْضِ صَبِيَانَنَا إِلَيَّ الْأَقِيمِ سِرَ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَمَا يُطَلِّعُ فِي حَجَرِهِ ، طَرَنَ
 سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ ، هَرَفَ فِي وَجْهِهِمْ وَقَالَ : - " وَمَا تَرِيدُونَ مِنْ أَبِي ؟ " -
 وَأَحْبَبَ صَبِيَانَنَا إِلَيَّ الطَّوِيلَ ، الثُّغْلَةَ ، السَّبِيحَ ، الْخُزَّةَ ، الصَّرِيضَ ، الْوَرَكَ ، الْأَبْلَسَ ،
 الْحَقُولَ ، الَّذِي يُبَارِيعُ عَمَّهُ وَيَحْمِلُ امَّهُ ، وَأَنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ ، قَالَ : " مَعَكُمْ " .

(١) ذكر السجستاني : (رياح بن ربيعة) والصحيح ما أثبتناه ، وهو أخو هذالة

الكاتب بن الربيع الأسدي ، الاستيعاب : ٤٨٦/٢ .

(٢) المصمرون والوعايا : ١٣٠ .

(٣) عيون الأخبار : ٧٧/٤ .

(٤) عيون الأخبار : ٢٢٣/١ .

وكان الزبيران يقول : (١)

" أحبّ كنانني إليّ الذليلة في نفسها ، المزينة في رملها ، البرزة (٢) الحبيّة ،
التي فني بطنها غلام ويثمنها غلام ، وأبغض كنانني إليّ الدائمة
البرزة (٣) التي تمشي الدفقي ، وتجلس الهنقم (٤) الذليلة في رملها ،
المزينة في نفسها ، التي في بطنها جارية وتتبعها جارية " .

* * *

٢٦ : خطاب الزبير بن علي السليطي المربوعي الخارجي :

١٦٧

قال الزبير بن علي السليطي المربوعي حين بايعه أصحابه بأرجان بمسند
مقتل زعيمهم الزبير بن الماحوز السليطي في يوم سركي وسكبري ، وقد رأى فيهم
انكسارا شديدا وشعفا بيّنا ، فحمد الله وأشفي عليه وعلى علي محمد — علي
الله طاه وسلم — ثم أقبل عليهم فقال (٥) :-

" إن البلاء للمؤمنين وتحميم وأجر ، وهو على الكافرين عقوبة وخزي ، وإن
يذهب منكم أمير المؤمنين (٦) ، فما عار إليه خير ما خلف ، وقد أعيتهم فيهم مسام
ابن عيمر ، وربيعا الأجدم ، والعجاج بن باب ، وحارثة بن بدر ، وأشجيتهم المصليب
وقتلتم أخاه المصارك ، والله يقول لاخوانكم من المؤمنين :-
" إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس (٧)
فيوم سركي كان لكم بلام وتحميم ، ويوم سولا ف كان لهم عقوبة ونكالا ، فلا تغابن
على الشكر في حينه ، والسيف في وقته ، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض ،
والعاقبة للمتقين " .

(١) عيون الأخبار : ٤ / ٤
(٢) البرزة : الموشق برأيها وعفافها ، وعي أيضا الجليلة المتجاهرة ، التي
تبرز للرجال .

(٣) التي تطلع كثيرا ثم تختفي .
(٤) الدفقي : المشي الواسع ، والهنقم : تبريع وتمد إحدى رجليها .
(٥) الكامل : ٣ / ٣٣٠ ، شرح نهج البلاغة : ١٥٦ / ٤ .
(٦) يقصد به الزبير بن الماحوز ، قتل يوم سركي .
(٧) سورة آل عمران ، آية : ١٤٠

٣٠ - خطب الزبير بن الماحوز السليطي الخارجي :

- ١٢٨ -

لما بلغ الزبير بن الماحوز أن مصعب بن الزبير قد خرج إليهم من البصرة
ومعهم عبيد الله بن ممر عامل ابن الزبير على فارس في أثرهم، وهم
بالأشواز قام في الخوارج ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١) : أما بعد
فإن من سوء الرأي والحيرة وقومكم فيما بين هاتين الشوكتين ، انهضوا بنسبنا
إلى عدونا نلقهم من وجه واحد .

- ١٢٩ -

وقال الزبير بن الماحوز لأصحابه من الخوارج حين بلغهم قدوم المهلب
إليهم وهم بسرلى وسليزي ، وذلك بعد وقعة سولاف (٢) : " ما تحفظون بعد ، وهم
مزمتموهم بالأمر ، وكسرتم حدهم " .

*

*

*

٣١ - خطب زارة بن عدس الدارمي :

- ١٣٠ -

وأوصى زارة بن عدس الدارمي بنيه فقال (٣)

" لا تؤكلوا العرب أنفسكم ، ولا تزيدوا بفداكم على فداء رجسكم
من قومكم ، فيذوب بكم ذوبان العرب " .

(١) تاريخ الطبري : ١٢٠ / ٦

(٢) الكامل : ٣١٩ / ٣

شرح نهج البلاغة : ١٥١ / ٤ .

(٣) النقائق : ٢٢٨ / ١

الكامل : ١٨٠ / ٢

المعتمد : ١٤٠ / ٥ .

وزعموا أن زُرارة بن عدس أوصى بنيه فقال (١) :

" يا بني إنكم قد أصبتم بيت تميم ، بل بيت مضر ، يا بني ، ما هجمت على قوم قتال من العرب لا يصرغوني إلا أحلونني ، فإذا نسبهوني ازدت عندهم شرفا ، وفي أعينهم علما ، ولا وفدت إلى ملك إلا آثرني وشقمني ، خذوا من أبي واشتوا عند أمري ، واحفظوا وصيتي .

إياكم أن تدخلوا علي في قبوري حوية أسب بها ، فوالله ما شايحتني نفسي قبل علي أيتان ربية ، ولا عمل بفاحشة ، ولا ضمتي وماهرة سقف بيت قتال ، ولا عسنت لي نفسي الفدر منذ شئت يداي مئزري ، ولا فارقتي جار علي قلبي ، ولا عطني موابي على أمر يصيبني في مضر .

يا بني إن القالة إليكم سريحة ، فاتقوا الله في الليل ، إذا أظلم ، وحسبي النهار إذا انتشرت ، يكفكم ما أهمكم ، وإياكم وشرب الخمر ، فإنها مفسدة للمقول والأجساد ، نهابة بالطريق والتسلل .

يا بني زوجوا النساء الأكفاء ، ولا فانتظروا بهن القضاء .

يا بني ، قد أدركت سفيان بن مجاشع بن دارم شيخا كبيرا معجوبا ، فأخبرني أنه قد حان خروج نبي بمكة من مضر ، يقال له أحمد ، يدعو إلى عبادة الله ، فإن أدركتموه فاتبعوه تزدادوا بذلك شرفا ، وعزا إلى عزكم ،

إنه ليس فيكم سقط رجل واحد ، ولا تمنيتكم أني بُدلتكم بعدتكم من الحرب ، وأولا عجلة لقيط إلى الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيب لشرفته عليه ، وهو بعد فارس مضر ، وعليكم بحاجب ، فإنه حليم عند الغضب ، قسراج للثرب ، يهود إذا طلب إليه ، ذورأي لا ينكش (٢) وزماع لا يفحش ، فاسمعوا له ، وأطيعوا أمره " .

(١) المصمرون والوصايا : ١٢٠-١٢١ ، وأرجح أن هذه الخطبة قصيدة نعت عليه في الإسلام ، لما فيها من التهشير بالنبي - صلى الله عليه وسلم - قبل بعثته وجاءت إسلامية في معناها أيضا لما فيها من ذكر الله والحث على التقوى .

(٢) لا ينكش : لا ينضب ولا يستقصي ،
الزماع : القزم .

٣٢- خطاب زُهْرَةَ بن حَوَّية بن قتادة السعدي :

- ١٣٢ -

وقال زُهْرَةُ لرستم حين طلبه رستم ليصالح المسلمين ويجعل لهم جُلًا ،
وذاكر لزُهْرَةَ فضلهم على من كان من العرب تحت سلطانهم ، فقال له زُهْرَةُ (١) :
” بعدت وقد كان ما تذكر ، وليس أمرنا أمراً أولئك ، ولا طَلَبتنا ، إنا لم
نأتكم لطلب الدنيا ، إنا طَلَبتنا ومِمَّتْنَا الآخرة ، كنا كما ذكرت ، يد يد من
الكم من ورد عليكم منا ، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم ، ثم بحث الله
تبارك وتعالى إلينا رسولا ، فدعانا إلى ربه ، فأجبناه ، فقال لنبيه - صلى
الله عليه وسلم - : ” إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يكن يدري بدينتي ،
فإنما مفتقهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة ما داموا متقين به ، وهو من المتقين ،
لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به أحد إلا عز ” .

فقال له رستم : ” وما هو ؟ ”
قال : ” أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به ، فشهادة أن لا إله
إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإلا قرار بما جاء من عند الله تعالى ،
وأخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى ، والناس بنو آدم وحواء
إخوة لأب وأم .

- ١٣٣ -

وقال زُهْرَةُ بن حَوَّية للحجاج حين استنفرهم لقتال شبيب الطاهري (٢) :
” أدله الله الأمير إننا تبعنا إليهم الناس متقلعين ، فاستنفر
الناس إليهم كافة ، فلينفروا إليهم كافة ، وابعث عليهم رجلاً ثباتاً شجاعاً
سيرياً للعرب ، من يرى الفرار هضماً وعاراً ، والصبر مجدداً وكرماً ” .
فقال الحجاج : ” فأنت ذاك فاخرج ” .
فقال : ” أصلى الله الأمير إننا يصلح للناس في هذا رجل يحميهم
الرمح والدرع ، ويهز السيف ويثبت على متن الفرس ، وأنا لا أطيق من هذا
شيئاً وقد ضعف بصري وضعفت ، ولكن أخرجني في الناس مع الأمير ، فإنهم
إنما أثبت على الراحلة فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي ” .
فدعا له الحجاج وأثنى عليه .

(١) تاريخ الطاهري : ٥١٢/٣ .

(٢) تاريخ الطاهري : ٢٥٨/٦ .

شرح نهج البلاغة : ٢٦٢/٤ .

٣٣ - خطب زهير بن ذؤيب المدوي :

- ١٣٤ -

كان زهير بن ذؤيب المدوي مع فرسان تميم حين حاصرهم عبد الله بن خازم في قصر فرتنا ، وأبى أن يهادنهم إلا أن ينزلوا على حكمه ، فوافق أصحابه فقال لهم زهير (١) :

" ثألتكم أمهاتكم : والله ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طبتن بالموت أنفسن فموتوا كراما ، أخرجوا بنا جميعا فإما أن تموتوا جميعا ، ولما أن ينجو بعضكم من يهلك بعضكم ، وإيم الله لئن شددتم عليهم شدة مائة ليفرجن لكم عن مثلك طريق المربد ، فإن شئتم كنت أأمامكم ، وإن شئتم كنت خلفكم " فأبوا عليه ، فقال :

" أما إني سأريكم ."

وأراد ابن خازم أن يمين عليهم ولكن ابنه موسى هدده أن ينتقم من الوعاظ عنهم ، فقتلهم ابن خازم جميعا إلا ثلاثة ، منهم زهير ، فقال موسى لأبيه : " اتخذ فملا لبناتك ففضب ابن خازم وأمر بقتل زهير ، فقال له زهير :

" إن لي حاجة " قال : " وما هي ؟ " قال : " تقتلني على حدة ، ولا تغلظ بي بداء هؤلاء اللئام ، فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراما ، وأن يخرجوا عليكم مصلتين ، وإيم الله أن لو فعلوا لدعروا بتيك هذا ، وشغلوه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبوا ، ولو فعلوا ما قتل منهم رجلا . حتى يقتل رجلا ."

فأمر به فنحى ناحية فقتل .

*

*

*

٣٤ - خطاب زيد بن جيلة السمدري :

- ١٣٥ -

وقد زيد بن جيلة على عمر مع الأحنف وهلال بن وكيع فقال لعمرو (٢) :

" يا أمير المؤمنين ، سؤد الشريف ، وأكرم المسيب ، وأزرع عندنا من أياد يابك ما نسد به الخصاصة ، ونطرد به الناقة ، فإننا بقف (٣) من الأرض يابس الأكفاف ، مقشعر الذروة ، لا شجر فيه ولا زرع ، ولنا من الحرب اليوم إن أتيناك برأى ومسمع ."

(١) تاريخ الطبري : ٨٠ / ٦

(٢) البيان والتبيين : ١٤٤ / ٢ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٣٩ / ٧ .

(٣) القف : ما غلظ من الأرض وارتفع .

وفد زيد بن جبيلة السعدي على معاوية، فلما دخل عليه قال له معاوية
« وكان زيد من أصحاب علي يوم صفين - (١) :

” إياه ياريد بن جبيلة (٢) :

فقال له زيد :

” مهلاً يا أمير المؤمنين ، بل زيد بن جبيلة ، يا أمير المؤمنين ، ألا وإننا
فررنا (٣) قريشاً كلها ، فوجدناك آمنها عهداً وأوفاهما عهداً ، فإن تغد فأهل
الرفاء أنت ، وإن تغدر فأنا خلفنا خلفنا خيلاً جباراً ، وأزرعاً شداداً ، وأسنة
جباراً ، وإن شئت لتصفين روعة صدوزنا بفذل رأيك وحلمك ” ،
فقال : ” إزاً نفذل فأعرج غني ” .

*

*

*

٣٥ خطب زيد بن منية الحنظلي :

- ١٣٧ -

وفد زيد بن منية (٤) على معاوية وشكا إليه دينا لزمه ، فأمر له بثلاثين
ألفاً ، فلما ولي من عنده ، قال معاوية : ” وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى ” - وكان
أخوه يعللى صاحب جمل عائشة - وأمره أن يلحق بعتبة بن أبي سفيان بمصر ،
فلما قدم على عتبة قال له (٥) : ” إني سرت إليك شهرين أخوض فيهما القتال صفاء
البحر اريدية الليل مرة ، وأخوض في لجج السراب أخرى ، موقراً (٦) من حسن الثنا
بك ، ومعارباً من دهر قَطْم (٧) ، ولدين لزم ، بعد غنى جدد عنا به أنوف الناسدين ،
فلم أجد إلا إليك مهرباً ، وعليك ممولاً ” ، فأكرم وفادته وأعطاه مثلما أعطاه معاوية .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥ / ٤٥٠ ، ونُسبت هذه الخطبة في الإمامسة

والسياسة : ١٧٧ ، إلى الأحنف بن قيس ، وانظر الإحصاء : ١ / ٥٨٢ .

(٢) في الأصل : ” جليبة ” وهو تصحيف .

(٣) في الأصل : ” مرنا ” وهو تصحيف أيضاً (انظر الإمامة والسياسة :

١٧٧ وفي أنساب الأشراف : ٤ / ١ / ٤٨ ” بلونا ” وينسب الخطبة لجارية بن

قدامة السعدي .

(٤) منيه : بنت الحارث من بني مازن وهي أمه نسب إليها ، وأبوه أمية بن أبي عبيدة

ابن همام الحنظلي حليف قريش ، وهو أخو يعللى بن منيه وتوفي زيد سنة ٤٧ هـ

الاصابة : ٣ / ٦٦٨ ، تهذيب التهذيب : ١ / ٣٩٩

(٥) العقد : ١ / ٢٥٩ ، ٢ / ٦٨ ، صبح الأعشى : ١ / ٢٥٧ .

(٦) موقر : مزود

(٧) قَطْم : صؤول .

٣٦ - خطب سجاح بنت أوس اليربوعية (١) :

- ١٣٨ -

قالت سجاح لمالك بن نويرة وقد دعاها لقتال بعض بني تميم حين تنبأت
بعد وفاة النبي (٢) - صلى الله عليه وسلم :-
" نعم ، فثأرك بمن رأيت ، فاني إنما أنا امرأة من بني يربوع ، ولن كـسـان
ملك فاحلك ملككم . "

- ١٣٩ -

قالت سجاح لقومها بني تميم تدعوهم لغزو البعثة (٣) :
" عليكم بالبيعة ، ودعوا دغيف الحامة ، فإنها غزوة عرامة ، لا يلحقكم
بعدها ملامة . "
ولما صالحها مسيلمة على نصف غلات البعثة قالت : " لا يرد النصف إلا من
عنف ، فاحمل النصف إلى خيل تراها كالسيف " (٤) .

- ١٤٠ -

وقالت سجاح تحرض بني تميم على غزو الرّباب سنة ١١ هـ (٥) :
" أهدوا الرّكاب ، واستعدوا للنهب ، ثم أغبروا على الرّباب ، فليسر
دونهم عجاب ، "

ولما قصدت الأحفار قالت لبني تميم :
" إن الدهناء حجاز بني تميم ، ولن تعدو الرّباب إذا شدّها الحُصَاب
أن تلوذ بالدجاني والدهاني فليزلها بكم . "
فتوجه إليها مالك بن نويرة في أمسية .

(١) في تاريخ الطبري : ٢٦٩/٣ ، والأغاني : ٢٩٩/١٥ ، بنت الحارث بن

سويد بن عققان .

(٢) تاريخ الطبري : ٢٦٩/٣ ، الأغاني : ٢٩٩/١٥ ، نهاية الأرب في فنون

الأرب : ٧٦/١٩ .

(٣) تاريخ الطبري : ٢٧٢/٣

(٤) السّيف : شدة المطاش ، وتشحط القتيل في نزعها واضطرابه وتقصد الخيل
النّامرة السريمة .

(٥) تاريخ الطبري : ٢٧١/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأرب : ٧٨/١٩ .

٣٧ - خطاب سلمة بن ذؤيب بن عبد الله الرياحي :

- ١٤١ -

قال سلمة بن ذؤيب الرياحي يدعو أهل البصرة لبيعة ابن الزبير بعد وفاة

يزيد (١) :

" يا هؤلاء من ينصر الله ، من ينصر الكعبة ، من يعين علي ابن سمية ، سارعوا
إليها الناس إلى مفقرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ، أجيئوا هذه الدعوة ،
وأقيموا أود هذه البيعة ، فإنها بيعة عدى ، فإنه من قد علمتم ، عبد الله بن الزبير ،
حواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن عمته ، وابن أسماء بنت أبي بكر
الصديق ، أما والله لو أن أبا بكر علم أنه بقي على وجه الأرض من هو خير منه ،
وأولى بهذه البيعة ، ما مد إليها يده ، ولا نازعته إليها نفسه ، أما والله لقد علمتم
ما أخذ على وجه الأرض خير منه ، ولا أحق بها منه ، إلا هذا الشيخ عبد الله
ابن عمر ، الصبري من الدنيا ، المعتزل عن الناس ، الكاره لهذه الأمور .

- ١٤٦ -

وفي رواية أخرى أنه دعا أهل البصرة لابن الزبير فقال (٢) :

" أيها الناس ، هلموا إلي أدعوكم إلى ما لم يدعكم إليه أحد قبلي ،
اني أدعوكم إلى العائد بالحرم عبد الله بن الزبير ، ابن حواري رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - " .

*

*

*

٣٨ - خطاب سلمة المنقري :

- ١٤٣ -

لما وصل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الزاوية من البصرة لقتال
الحجاج ، تكلم سلمة في المسجد أمام الحجاج وكان منطبقاً له شوى فسيحي
الفرار ، فخشي الحجاج منه فاستدناه وطلب منه أن يخطب بالناس
مجاناً ولا له لعبد الملك ثم له ، خوفاً من أن يميل إلى ابن الأشعث ، فصعد
سلمة المنبر ، وقال : " (٣) :

(١) الإمامة والسياسة : ٢٥١ .

(٢) النقائص : ٢/٧٢٣ ، أنساب الأشراف : ١٠٢/٢/٤ .

تاريخ الطبري : ٥٠٧/٥ .

(٣) الإمامة والسياسة : ٢٧٦ .

" والله لو كنا زَمَعًا وبني زَمَعٍ (١) ، مَرْضِينَا أَنْ نَكُونَ تَبَعًا لِهَذَا الْحَاكِمِ (٢) ،
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ ، وَأَعَزَّ أَمْرَهُ ، أَقْرَبُ وَأَوْجِبُ حَقًّا ، وَنَحْنُ أَلْزَمُ لَطَاعَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ نَسَارِعَ لَهُ فِي مَعْصِيَةٍ ، أَوْ نَبْتَليَ عَنْهُ فِي
طَاعَةٍ ."

فَأَبَاهُ الْحِجَاجُ : " يَا سَلَمَةَ ، هَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ ، لَا أَدْخُلُهُ فِي صَدْرِي وَلَا رَأْسِي .
فِي نَحْرِكَ حَتَّى نَبْتَليَ حَقِيقَتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " .

* * *

٣٩ - خُطْبَةُ سُرُورَةَ بْنِ أَبِي جَرِّ بْنِ نَافِعِ الدَّارِمِيِّ :

- ١٤٤ -

قَالَ سُرُورَةُ بْنُ أَبِي جَرِّ التَّمِيمِيِّ لِأَصْحَابِهِ ، حِينَ وَجَّهَهُ الْحِجَاجُ لِقِتَالِ شَيْبَةَ وَالْمُشَوَّرِجِ
وَعَلَّمَ أَنْ يَنْزِلَهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ (٣) :

" إِنَّهُمْ قَلَمًا يُلْقُونَ مُمْحَرِّجِينَ أَوْ عَلَى ظَاهِرٍ إِلَّا انْتَصَفُوا مِنْكُمْ ، وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ ،
وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنْهُمْ لَا يَزِيدُونَ عَلَيَّ مِثْلَ رَجُلٍ إِلَّا قَلِيلًا ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ انْتَصَبَكُمْ
فَأَسِيرُ فِي ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ أَتَوِيَّاتِكُمْ وَشَجَعَانِكُمْ فَاتَيْبُهُمُ الْآنَ ، وَإِنْ هُمْ آمَنُوا
لَبِئْسَ تَكْمٌ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَسْرِعَهُمُ اللَّهُ مَصَارِعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ سَرَّعُوا مِنْهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ
مِنْ قَبْلُ " فَقَالُوا : " اصْنَعْ مَا أَحْبَبْتَ " .

٤٠ - خُطْبَةُ شَيْبَةَ بْنِ رُمَيْحٍ بْنِ حَصَيْنِ الرِّيَّاحِيِّ :

- ١٤٥ -

وَقَالَ شَيْبَةُ لَزَيْدِ بْنِ صُوحَانَ الْمُبْدِيِّ عَيْنِ قَامٍ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ يَحْيِي سَبَّ
عَلَى هَاشِمَةَ خُرُوجَهَا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عِثَانَ قَبِيلِ الْجَمَلِ (٤) :

" يَا عِمَانِي ، سَرَقْتَ بِجُلُودًا فَقَطَعَكَ اللَّهُ ، وَعَصَيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَتَلَكَ
اللَّهُ ، مَا أَمَرْتُ إِلَّا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ بِإِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ " .

-
- (١) الزَّمَعُ : رِذَالُ النَّاسِ وَتَبَاعُهُمْ ، بِمَنْزِلَةِ الزَّمَعِ مِنَ الظُّلْفِ .
(٢) يَقْصِدُ بِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَكَانَ أَهْلُ عَمَانَ يَمِيرُونَ بِذَلِكَ .
(٣) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ : ٢٢٩ / ٤ .
(٤) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ : ٤٨٣ / ٤ .
شرح نهج البلاغة : ١٩ / ١٤ .
تاريخ ابن الأثير : ٢٢٨ / ٣ .

وكان علي قد أوفده في جماعة إلى معاوية في شهر ربيع الأول قهيسيل
صفين ليدعوه إلى الجماعة ، فتكلم بشير بن عمرو بن محمّن الأنصاري من الوفدة
أولاً ، فرد عليه معاوية متذرعاً بدم عثمان ، فقام إليه شتّ فحمد الله وأثنى
عليه وقال (١) :

" يا معاوية ، قد فهمت ما رددت علي ابن محمّن ، إنه لا يخفى علينا
ما تقرب (٢) وما تطلب ، إنك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس ، وتستميل به
أهواءهم وتستغلي به طاعتهم إلا أن قلت (٣) لهم : " قتل إمامكم مظلوماً ، فهلما
تطلب بدمه " فاستجاب لك سفيهاً طامعاً زذالاً ، وقد علمنا أنك قد آتت منه
بالخسر ، وأحببت له القتل بهذه المنزلة التي تطلب ، وربّ مبتغى أمراً وطالبه
يحول الله دونه ، وربما أوتي المتغي أمنيته (٤) ، وربما لم يؤثّر . ووالله
مالك في واحدة منها خير ، والله لكن أخطأك ما ترجو إنك لشّرّ الحرب حلاً ،
ولئن أصبست ما تنناه لا تصيبه حتى تستحقّ صليّ النار ، فأتق الله
يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله . "

وقال شتّ لملي حين اختلف عليه أصحابه في إرسال أبي موسى
الأشجري إلى التحكيم (٥) :

" إنا والله إن خفنا على أبي موسى الأشجري من عمرو ما لا يخافه
أهل الشام على عمرو من أبي موسى ، فلعل ما خفناه لا يضرنا ، ولعل ما رجوا
لا ينفعهم ، فإن قلت في أبي موسى ضعف ، فضعفه وتقاءه خير من قوة عمرو
وفجوره ، فاعلق به البلاء . "

(١) وثقة صفين : ٢١٠ ، تاريخ الطبري : ٥٧٣/٤ ، شرح نهج البلاغة :
٣٤٤/١ ، تاريخ ابن الأثير : ٢٨٦/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب :
١٠٦/٢٠ .

(٢) في تاريخ الطبري : " ما تفزوا "

(٣) في تاريخ الطبري " الاقولك " .

(٤) زاد بعدها في تاريخ الطبري : " وفوق أمنيته "

(٥) الإمامة والسياسة : ١٣٣ .

- ١٤٨ -

وقال شيث لمالي حين بلغه انضمام تميم البصرة إلى ابن الحضرمي حسين
قدم إليهم داعياً إلى معاوية (١) :
” يا أمير المؤمنين ، ابعث إلى هذا الحي من تميم ، فادعهم إلى طاعتك ،
ولزوم بيعتك ، ولا تسلط عليهم أزد عمان البعداء ، فإن واحداً من قومك غير لك
من عشرة من غيرهم ” .

- ١٤٩ -

وقال شيث لمن حوله يوم قتلوا مسلم بن عوسجة من أصحاب الحسين يوم
كربلاء ، وكان شيث قد كرهه ، قتاله (٢) :-
” شكلكم امهاتكم ، إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم ، وتذللون أنفسكم لنيركم ،
تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة ؟ أما والذي أسلمت له لربّ موثق اسمه
قد رأيته في المسلمين كريم ، لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين
قبل تمام خيول المسلمين ، أفيقتل منكم مثله وتفرحون ؟ ” .

- ١٥٠ -

وسمع شيث في إمارة مصعب يقول (٣) :-
” لا يعطي الله أهل هذا المصير خيراً أبداً ، ولا يسدّ لهم لرحمتك ،
ألا تصبّون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي طالب
سفيان خمسين ، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض ، نقاتله مع آل معاوية
وابن سمية الزانية ؟ ضلال يالك من ضلال ” .

(١) شرح نهج البلاغة : ٤٤/٤

(٢) تاريخ الطبري : ٤٣٦/٥ ،

تاريخ ابن الأثير : ٦٨/٤

(٣) تاريخ الطبري : ٤٣٧/٥ ،

تاريخ ابن الأثير : ٦٩/٤ .

قال شَيْثُ بْنُ رَبِيعٍ لَابْنِ مَطِيحٍ وَالْيَ بْنَ الزَّيْبِرِ عَلَى الْكُوفَةِ حِينَ هَسَمَ
الْمَخْتَارَ بِالْخُرُوجِ بِهَا عَلَيْهِ (١) :

" اِبْعَثْ إِلَى أُمَرَاءِ الْجَبَابِينِ ، فَمُرَّهُمْ فَلْيَأْتُواكَ ، فَاجْمَعْ إِلَيْكَ جَمِيعَ النَّاسِ ، ثُمَّ
انْهَدِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، فَقَاتِلْهُمْ ، وَابْعَثْ إِلَيْهِمْ مَنْ تَثِقُ بِهِ فَلْيَكْفِكَ قِتَالَهُمْ ،
فَإِنَّ أُمَرَ الْقَوْمِ قَدْ قَوِيَ ، وَقَدْ خَرَجَ الْمَخْتَارُ وَظَاهِرٌ وَاجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ " .

وَلَمَّا اشْتَدَّ حِصَارُ الْمَخْتَارِ لَابْنِ مَطِيحٍ وَأَصْحَابِهِ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ
قَامَ إِلَيْهِ شَيْثُ بْنُ رَبِيعٍ وَقَالَ لَهُ (٢) :-

" أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، انْظُرْ لِنَفْسِكَ ، وَلِمَنْ مَعَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ فَنَاءٌ
عَنكَ وَلَا عَنِ أَنْفُسِهِمْ ،

الرَّأْيُ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ أَمَانًا وَلَنَا ، وَتَخْرُجَ وَلَا تُهْلِكَ نَفْسُكَ
وَمَنْ مَعَكَ فَتَخْرُجَ لَا يَشْعُرُ بِكَ أَحَدٌ تَنْزِلَ مَنْزِلًا بِالْكُوفَةِ عِنْدَ مَنْ تَسْتَعِذُّ بِهِ
وَتَشْرُقُ بِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ بِمَكَانِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَتُلْحِقَ بِصَاحِبِكَ " .

وَلَمَّا عَزَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَطِيحٍ عَلَى تَرْكِ الْكُوفَةِ لِلْمَخْتَارِ ، قَالَ لَهُ شَيْثُ يُوْدَعِ (٣) :

" جِزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَمْسِيرٍ خَيْرًا ، فَقَدْ وَاللَّهِ عَفَفْتَ عَنْ أَمْوَالِنَا ،
وَأَكْرَمْتَ أَشْرَافَنَا ، وَنَصَحْتَ لَصَاحِبِكَ ، وَقَدَّسْتَ الَّذِي عَلَيْكَ ، وَاللَّهُ مَا كُنَّا
لِنَفَارِقَكَ أَبَدًا إِلَّا وَنَحْنُ مَعَكَ فِي إِذْنٍ " .

(١) تاريخ الطبري : ٢٢/٦

(٢) تاريخ الطبري : ٣٠/٦

(٣) أنساب الأشراف : ٢٢٧/٥

تاريخ الطبري : ٣١/٦ .

اجتمع زعماء أهل الكوفة بعد خروج ابن مطيع والي ابن الزبير على الكوفة منها إلى شيث بن ربيعة ، وعزموا على محاربة المختار ، فجاء فيهم حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثمي (١) ، فتكلم شيث فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك ، وقال فيما يجيب به على المختار (٢) : " إنه تأمر علينا بغير رضا منا ، وزعم أن ابن الحنفية بمثله إلينا ، وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل ، وأطعم مواليننا فيئنا ، وأخذ عبيدنا ، فعرب بهم يتامانا وأرامنا ، وأظهر هو وسببته البراءة من ألافنا الصالحين . "

وندب أشراف الكوفة شيثاً ليحكم المختار فيما أحدثه فيهم فجاءه وقسمال له (٣) :-

" عمدت إلى موالينا ، وهم فيهم أفاء الله علينا ، وهذه البسائر جميعها ، فأعتقنا رقابهم ، نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم نرض لهم بهذا حتى جعلتهم شركائنا في فيئنا . "

وأوصى شيث بنيه حين حضرته الوفاة فقال (١) :
" هذا ما أوصى به شيث بن ربيعة ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجواز في الجنة ، وأن البخيل في النار .
انثاروا ابنتي فلا تزوجوها إلا كريماً ، ولا تدفنوني عند مقابر بني طلبة . "

-
- (١) زعيم خشم بالكوفة آنذاك .
 - (٢) تاريخ الطبري : ٤٤ / ٦ .
 - (٣) تاريخ الطبري : ٤٣ / ٦ .
 - (٤) المصرون والوصايا : ١٤٠ .

(٤) - خطب شبيب بن شيبه الأهمدي :

- ١٥٦ -

قال شبيب بن شيبه يمحظ المهدي : (١) " يا أمير المؤمنين ، إن الله إن قَسَمَ الأقسام في الدنيا ، جمعـــــــــــــــــل لك أسنانها وأعلاها ، فلا ترضَ لنفسك في الآخرة إلا مثل ما رضى لك به مسن الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله ، فمليك نزلت ، ومنكم أخذت ، ولليكم ترد " .

- ١٥٧ -

قال شبيب بن شيبه يمحظ المهدي (٢) : " يا أمير المؤمنين ، إن الله لم يرش أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فمسلا ترض بأن يكون أحد أشكر له منك " .
وفي رواية أخرى أنه قال : (٣) : " يا أمير المؤمنين إن الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعل فوق شكسره شكرا (٤) " .

- ١٥٨ -

وعزى شبيب المنصور بأخيه أبي الصبار السفاح فقال (٥) : " أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزقت به أجرا ، وأعقبك عليه عيسرا ، لا أجهد الله بلاك بنعمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خير لك من نفسه ، ورحمة الله خير له منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده " .

(١) الأخبار الموفقيات : ٣٩٩ ،

المعقد : ١٦٥ / ٣ .

(٢) عيون الأخبار : ١٠٦ / ١

(٣) زهر الآداب : ١٠٣ / ١ ، ذكرها له مع المنصور .

(٤) نسبت هذه الغطبة إلى خالد بن صفوان يمحظ بها عمر بن عبد العزيز ،

انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ١١٥ .

(٥) تاريخ الطبري : ١٨٦ / ٨ ، وذكر أنه عزى بها المهدي بابنته البانوقة .

المعقد : ٣٠٨ / ٣ ،

نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦٨ / ٥ .

١٥٩ .

وعزى شبيب بن شيبه المهدي لما ماتت ابنته البانوقة فقال (١) :
 " يا أمير المؤمنين ، الله خير لها منك ، وثواب الله خير لك منهما ،
 وأنا أسأل الله ألا يحزنك ، ولا يفتك . "

١٦٠ .

وعزى شبيب يهودياً فقال له (٢) :
 " أعياك الله على مصيبتك أفضل ما أعيا أحداً من أهل ملّة . "

١٦١ .

وقال شبيب بن شيبه يصف صالح بن منصور وقد أقامه أبوه ليتكلم
 في شيء فأحسن (٣) :
 " تالله ما رأيت كالهم أبين بيانا ، ولا أغرب لسانا ، ولا أربط جأشا ، ولا أبعدا
 ريتا ، ولا أحسن طريقا ، وحق لمن كان المنصور أباه ، والمهدي أخاه
 أن يكون كما قال زهير :

هو الجواد فإن يلحق بشأوها
 على تكاليفه فمثلة لحيقها
 أو يسبقه على ما كان من مهمل
 فمثل ما قد ما من صالح سبقا (٤)

(١) تاريخ الطبري : ١٨٦/٨

(٢) عيون الأخبار : ٥٩/٣ .

(٣) العقد : ١٣٨/٢ .

(٤) شرح ديوان زهير : ٥١-٥٢ ،

من قصيدة يمدح بها هجرم بن سنان .

وقيل لبحر الأبرار: "إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ويستعمل لسانه، فلو أمرته أن يصعد الضيف فجأة لافتضح" فأمر شبيباً أن يصعد الضيف ففعل، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم - ثم قال: (١)
 "إن أمير المؤمنين أشباهاً أربعة، فمنها الأسد الخادر، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والريبع الناضر، فأما الأسد الخادر فأشبهه منه بهولته ومهيبته، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وعطاءه، وأما القمر الباهر فأشبهه منه نوره ونشأته، وأما الريح الناضر فأشبهه منه حسنه وبهاه" ثم نزل.

وقال لما زوج ابنه من ابنة سوار القاضي (٢):
 "الحمد لله، وصلى الله على رسوله، أما بعد فإن المصرفة منا ومنكم - وبنا وبكم تمننا من الإكثار وأن فلانا ذكر فلانة".

وقال شبيب يروى من يزيد مسامرة السلطان (٣):
 "ينبغي لمن سائر خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله من شيء لم يحتج إلى أن يلتفت، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سنن الريح التي تودي بالخيل سار إلى وجهه".

(١) المقد: ١٣٨/٢، ١٣٦/٤،

زهر الآداب: ٨٨٢/٢،

وأظن أن هذا الحديث وقع لشبيب مع المهدي.

(٢) عيون الأخبار: ٧٤/٤.

(٣) عيون الأخبار: ٢٢/١،

المقد: ٢١/١.

وقال شبيب في الإطالة والإيجاز (١) :

"إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فتقدم إحصاء البلوغ في طلب السلامة من الخطأ قبل التقدم من إحصاء البلوغ من شرف التجويد ، ثم رايته أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فتلبي كافر غير لك من كثير غير شافئ".

ومن مآثر القول عن شبيب :

قال (٢) :

"من سمع كلمة يكرهها فسكت عنها انقطع عنه ما يكره ، فإن أجاب عنهما سمع أكثر مما يكره".

وقال (٣) :

"إخوان الصدوق خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرخاء ، ومعدة في البلاء ومعونة على الأعداء".

وقال (٤) :

"اطلبوا الأرب فإنه مادة للمقل ، ودليل على المروءة ، وصاحب في الخبرة ، ومونس في الوحشة ، وحلية في المجلس ، ويجمع لكم القلوب المختلفة".

*

*

*

١٦٤ - كتاب الشمردل بن شريك المربوعي :

كان الشمردل وثلاثة من إخوته في جند خراسان وعليهم وكيع بن أبي سؤد الغدائسي ففرقهم بالبعوث ، فقام إليه الشمردل وقال له (٥) :

"إن رأيت أيها الأمير أن تغتدنا معا في وجه واحد ، فإننا إذا اجتمعنا تماونا ، وتناصرنا وتناصبنا ، فلم يفدنا ، ما سأل فبهجاه بشعر".

(١) البيان والتبيين : ١/١١٢ ، زهر الآداب : ١/١٥٧ .

(٢) عيون الأخبار : ١/٢٨٥ .

(٣) الحقد : ٢/٣٠٤ ، الأمالي : ٢/٣٧ .

(٤) الحقد : ٢/٤٦١ .

(٥) الأغاني : ١٣/٣٥١ .

٤٣ - خطاب صالح بن مسرج التميمي الخارجي :

- ١٦٧ -

كان صالح بن مسرج التميمي رأس الصفرية في زمانه وكان يُقرى أصحابه القرآن ويفقههم ويُقرع عليهم ، ومن قصصه (١) :-

" الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الليل والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " (٢) . اللهم إنا لا نجد لك ، ولا نعبد إلا إيمانك ، ولا نعبد إلا إياك ، لك الخلق والأمر ، ومنك النفع والنصر ، وإليك المصير ، ونشهد أن محمدًا عبدك الذي اصطفيته ، ورسولك الذي اخترته ، وارتضيته لتبليغ رسالتك ، ونصيحة عبادك ، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة ونصح الأمة ، ودعا إلى المسسوق وقام بالقسط ، ونصر الدين ، وجاهد المشركين ، حتى توفاه الله - على المصية عليه وسلم - أوصيكم بتقوى الله، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت، وفراق الفاسقين ، ولحبب المؤمنين ، فإن الزهامة في الدنيا ترفع الصلب فيما عند الله ، وتفرغ بدنه لطاعة الله ، وإن كثرة ذكر الموت يخيف الصبد من ربه حتى يجأ إليه ، ويستكين له ، وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين ، قال الله في كتابه : " ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون " (٣) . وإن حبب المؤمنين للسبب الذي تنال به كرامة الله ورحمته وجنته ، جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين . ألا إن مسنحة نعمة الله على المؤمنين أن يمدح فيهم رسولا من أنفسهم ، فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وأهملهم ووفقهم في دينهم ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيما ، حتى قبضه الله ، علوات الله عليه ، ثم ولي الأمر من بعده التقي الصديق على الرضا مسنحة المسلمين فاعتدى بهديه ، واستن بسنته ، حتى لحق بالله - رحمه الله - واستخلف عمر ، فولاه الله أمر هذه الرعية ، فممل بكتاب الله ، وأحيا سنة رسول الله ، ولم يحنق في الحق على جرّته ، ولم يخف في الله لومة لائم ، حتى احسرت به رحمة الله عليه ، وولي المسلمين من بعده عثمان ، فاستأثر بالغي ، وعتل سبل المدون ، وجار في الحكم واستدل المؤمن ، وعزز المجرم ، فسار إليه المسلمون فقتلوه ، فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين ، وولي أمر الناس من بعده علي

(١) تاريخ الطبري : ٢١٦/٦ ، شرح نهج البلاغة : ٢١٢/٧

(٢) سورة الأنعام الآية : ١

(٣) سورة التوبة ، آية : ١٤ .

- ٣٦٦ -

ابن أبي طالب ، فلم ينشب أن يحكم في أمر الله الرجال ، وشك في أهل الضلال
وركن وأدهن ، فنحن من علي وأشياعه بُراء ، فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه
الأبواب المتحيزة ، وأئمة الضلال الظلمة وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ،
واللحاق بأخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، وانفقوا أموالهم
التماس رضوان الله في المأبقة ، ولا تجزعوا من القتل في الله ، فإن القتل أيسر من
الموت ، والموت نازل بكم غير ما ترجم الظنون ، فمفرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم ،
وملائكم وبنائكم ، وإن اشتد لذلك كرهكم وجزعكم ، ألا فيبصروا الله أنفُسكم
طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين ، وتسانقوا الحور العين ، جعلنا الله
ولياكم من الشاكرين الذاكرين ، الذين " يهدون بالحق وبه يعدلون " (١) .

- ١٦٨ -

وقال صالح بن مسرج لأصحابه ليلة خرج فيهم بالجزيرة (٢) :
" اتقوا الله عباد الله ، ولا تصجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا
قوما يريدونكم وينصبون لكم ، فإنكم إنما خرجتم غنمها لله حيث انتهكت محارمهم ،
وعصى في الأرض ، فسيفكت الدماء بخير حلها ، وأخذت الأموال بخير حقهم ،
فلا تصيبوا على قوم أعمالا ثم تصلوا بها ، فإن كل ما أنتم عاملون أنتم أنفسكم
مسؤولون ، وإن عظمكم رجالة ، وهذه دواب لصعد بن مروان في الرستاق ،
فابدأوا بها ، فشدوا عليها ، فاعملوا أراجلكم ، وتقووا بها على عدوكم " .

- ١٦٩ -

وكان شبيب بن يزيد الخارجي صاحب صالح بن مسرج يرى استعراض الناس
فقام إلى صالح ليلة خرجوا وقال له (٣) :
" يا أمير المؤمنين ، كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلمة ؟ أنقتلهم قبل
الدعاء ، أم ندعوهم قبل القتال ؟ "
فقال صالح :
" لا بل ندعوهم ، فلمصري لا يجيبك إلا من يرى رأيك ، وليقاتلنا من يُزري عليك
والدعاء أقطع لحجتهم ، وأبلغ في الحجة عليهم " .
فقال شبيب : " فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفنا به ؟ ما تقول في دمائهم
وأموالهم ؟ "
قال : " إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وعفونا فموسع علينا ولنا " .

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٨١

(٢) تاريخ الطبري : ٦ / ٢٢٠ .

(٣) تاريخ النابري : ٦ / ٢١٠ ، تاريخ ابن الأثير : ٤ / ٣٩٤ ،

ذكرت مختصرة ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ٢٢٧ .

وبينما أصحاب الحج يختلفون إليه قال لهم ذات يوم (١) : " ما أرى ما
تنتظرون ؟ حتى متى أنتم مقيمون ؟ هذا الجمر قد فشا ، وهذا الحدل قد
عفا ، ولا تزداد هذه الولاية على الناس إلا علواً وعتوا ، وتباعدوا عن المحاسن ،
وجرأة على الرب ، فاستعدوا واهبطوا إلى إخوانكم الذين يريدون من انكسار
الماطل والدعاء إلى الحق مثل الذي تريدون ، فيأتوكم فلتتقي وننظر فيهم
نعمن مانعمون ، وفي أي وقت إن خرجنا نحن خارجون "

* * *

٤٤- شاب مصمصة بن معاوية بن حصن المُنْتَرِي :

سلك الأحنف من خلقه وأسلمه فقال (٢) :

" إننا هذا شيء استفدته من عمي مصمصة بن معاوية بن حصن ، شكوت
إليه ويحيا في بطني فأسكتني مرتين ثم قال لي : " يا ابن أخي لا تشكك الذي
نزل بك إلى أحد ، فإن الناس رجلان : إما صديق فيسوءه ، وإما عاصم
فيستره ، ولكن أشك الذي نزل بك إلى الذي ابتلاك ، ولا تشكك قائل إلى مخلوق
مثلك لا يستأيع أن يدفع عن نفسه مثل الذي نزل بك ، يا ابن أخي إن لي عشرين
سنة لا أرى بعيني هذه سهلا ولا جبلا ، فما شكوت ذلك لزوجتي ولا لغيرها "

-
- (١) تاريخ الطبري : ٢١٨/٦
شرح نهج البلاغة : ٢٢٦/٤
(٢) الأخبار الموفقيات : ١٧٠
وفيات الأعيان : ٥٠٥/٢
الإصابة : ١٨٦/٢

٥- خطبة صفية بنت هشام المُنْقَرِيَّة :

- ١٧٢ -

جاءت صفية بنت هشام المُنْقَرِيَّة (١) - ويقال قرغانة بنت أوس بن حجر (٢) - على جمل لها حتى وقفت على قبر الأحنف بن قيس يوم دُفِنه فتالت (٣) :

" إنا لله وإنا إليه راجعون ، رحمتك الله أبا بحر من مُجِّن في جَنِّ (٤) ، ومُدْرَج في كفن ، [نسأل الله الذي فجَّعنا بموتك وابتلانا بفقدك أن يوسع لك في قبرك ، وأن يغفر لك يوم حشرنا ، وأن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشاد دليلك] " (٥) .

ثم أقبلت بوجهها على الناس وقالت :-

" [عباد الله ، إن أولياء الله في بلاده شهود على عباد ، وإنسانا ثاقبون عفا موتون صدقا ، وموأمل لحسن الثناء ، وطيب الدعاء] (٦) ، فوالذي ابتلانا بفقدك ، وأبلغنا يوم موتك ، [والذي كنت من أجلك في عساة ، ومن الغمان إلى غاية ، ومن الحياة إلى نهاية ، والذي رفع عملك عند انقضاء أهلك] (٧) ، لقد عشت حميدا ودودا ، وميت شهيدا فقيدا ، ولقد كنت عظيم الحاسم ، فاضل السلم ، رفيع العباد ، واري (٨) الزناد ، منيع الحریم ، سليم الأديم ، وإن كنت في الصحافل لشريفا ، وعلى الأرامل لمطوفا ، ومن النساء لقريبا ، وفيهم لغريبا ، وإن كنت لمسودا ، وإلى الخلفاء لموفدا ، وإن أنا لقولك مستحيين ، ولرأيتك لمتبعين " ثم انصرفت .

-
- (١) بلاغات النساء : ٧٥ ، وذكر أنها ابنة عم الأحنف .
 - (٢) البيان والتبيين : ٣٠٢/٣ .
 - (٣) بلاغات النساء : ٧٥ ، البيان والتبيين : ٣٠٢/٣ ، أنساب الأشراف : ٢٨٩/٥ ، ذيل الأُمالي : ٢٧ ، زهر الآداب : ٦٤٧/٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عسائر : ٢٤/٧ .
 - (٤) الجَنِّ : القبر .
 - (٥) مُدْرَج : مطوي .
 - (٦) الزيادة من بلاغات النساء ، وذيل الأُمالي ، وجاءت في نهاية الخطبة في بلاغات النساء .
 - (٧) الزيادة من بلاغات النساء ، وذيل الأُمالي .
 - (٨) يرى : اتقد واشتمل .

٤٦ - خطاب صيفي بن رباح الأسدي :

١٧٣-

وقال صيفي بن رباح أبو أكنم (١) :

" سدا لك على أخيك على كل حال ، فإذا أخذ السيف فلا سدا لك عليه ، وكفى بالمشرفية واعظا ، وترك الفخر أبقي للشاة ، وأسرع المجرم عقوبته البغي ، وشر النصرة التحدي ، واللام الأخلاق أضيقها ، ومن سوا الأديب كثرة لخطاب ، واقرع الأرض بالمصا (٢) " .

*

*

*

٤٧ - خطاب ضمرة بن ضمرة النهشلي :

١٧٤-

دخل ضمرة بن ضمرة النهشلي على النعمان بن المنذر فلما رآه النعمان ازدهراه وقال : " تسمع بالمعيدي لا أن تراه " . فقال له ضمرة (٣) : -
" أيها الملك ، إن الرجال لا يحالون بالصيحات ، وإنما المرء بأخبريته قلبه ولسانه ، وإن قاتل قاتل بونان ، وإن نطق نطق ببيان " (٤)

*

*

*

٤٨ - خطاب عاصم بن عمرو التميمي :

١٧٥-

وقال عاصم بن عمرو التميمي لقومه بني تميم في وقعة دومة الجندل ، وقد أمر خالد بقتل من أسر من أهلها ، وفيهم أسرى بني كلب حلفاء تميم في الجاهلية (٥) : -
" يا بني تميم ، حلفاءكم كلب ، أسودهم وأبيضهم فإنكم لا تقدرون إهم علمي مثلها " ففعلوا وكان ذلك سبب نهايتهم يومئذ .

(١) المصمرون والوعايا : ١٤٦

(٢) اقرع الأرض بالمصا : المراد أن ينبذ الإنسان صاحبه عند خيائه .

(٣) جمهرة الأمثال : ١٨٦/١ ، المقصد : ٢٨٧ ، زهر الآداب : ١٠٨٧/٢ ،

مع الأمثال : ١١٦/١ - ١١٨ .

(٤) يتبع في " جمهرة الأمثال " هذا القول حوار أويل ، أرجح أنه من صنع

الرواة حول المثل " تسمع بالمعيدي لا أن تراه " .

(٥) تاريخ الطبري : ٣/٣٧٩ .

وقال عاصم بن عمرو يوم القادسية أيضا (١) :
 " يا معشر العرب ، انكم أعيان العرب ، وقد صمدتم (٢) الأعيان من العجم ،
 وإنما تخاطرون بالجنة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم أجوا منكم
 على آخرتكم . لا تُحدثوا اليوم أمرا تكونون به شيئا على العرب غدا " .

وقام عاصم بن عمرو يوم القادسية خطيبا في مُجرّدة الجيوش . فقسّم قال (٣) :
 " إن هذه البلاد قد أحال الله لكم أهلها ، وأنتم تتألون منهم
 منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وأنتم الأعلون والله محكمكم ، إن عجزتم
 وندمتموهم الدّرب والطّين فلکم احوالهم ونساءهم وأبنائهم وبلادهم .
 إن عجزتم وفشتلستم - قاله لكم من ذلك جبار وحافظ - لم يبق هذا الجمع
 منكم باقية ، مخافة أن تعودوا عليهم بمساعدة علاك ، الله الله ! أنذكروا الأيام
 وما مضىكم الله فيها ، ألا ترون أن الأرض وراءكم تسابسون ققار ليس فيها شجر
 ولا قزّر يُعقل إليه (٤) ، ولا يمتنع به ، اجعلوا همكم الآخرة " .

✱

✱

✱

٤٩ - خطاب عامر بن أحيمر بن بهدلة السعدي :

روى أبو عبيدة أن النعمان بن ماء السماء أخرج بردي ممرق - وهو عمرو
 ابن هند - وعنده وفود العرب ، وقال : ليقيم أعز العرب قبيلة وأكثرهم عددا
 فليأخذ هذين البردين " .

(١) تاريخ الطبري : ٥٣٤ / ٣ .

(٢) صمدتم : قصدتم .

(٣) تاريخ الطبري : ٥٣٢ / ٣ .

المُجرّدة : الخيل في مقدمة الجيوش .

(٤) القمّر : ما يتوارى به من شجر وغيره ،

والقزّر : الممقل المنيع كالجبل .

فقام عامر بن أحمير بن بهدلة السعدي فأخذهما فأتى بواحد وأرتسبدي
بالآخر وقال (١) :

" أيها الملك (٢) ، الصرّ والمدد من الحرب في معدّ ، ثم في نزار ، ثم في
مضر ، ثم في خندوف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم سم
في بهدلة ، فمن أنكر هذا من العرب فليأفرني . "

فسكت الناس ، فسأله النعمان عن أهل بيته ونفسه ، فقال : " أنا أبو عشرة ،
وأخو عشرة ، وعمّ عشرة ، وخال عشرة ، [تميني الأصاغر على الأكابر ،
والأكابر على الأصاغر] (٣) ، وأما أنا في نفسي فشاءت الحزّ شاعدي " ثم وضع
قدمه على الأرض وقال : " من أزالها من الأرض فله مئة من الإبل . "
فلم يقم إليه أحد فذهب بالبردين وسمي " ذا البردين " .

*

*

*

٥٠ - خطب عامر بن عبد القيس العنبري :

- ١٧٩ -

أرسل أهل الكوفة عامر بن عبد القيس ، العنبري إلى عثمان بن
الاه عنه - ليكلّمه بما أحدث بعد صاحبيه ، فلما أتاه عامر قال له (٤) : -
" إن ناساً من المسلمين اجتمعوا فداروا في أعمالك فوجدوك تمسك
ركبت أمورا عظاما ، فأتى الله عز وجل وتب إليه وانزع عنها . "
فقال له عثمان : " والله ما تدري أين الله . "
فقال : " بلى والله إني لأدري ، إن الله لبالمرصاد . "

(١) النقاظ : ٧١٣-٧١٤ ، المقد : ١٩٤/٢ ، ٣٦٢/٣ ،
شرح الميوز : ٤٣٥ ، شرح نهج البلاغة : ١٢٨/١٥ ، ملسوغ الأرب :
٧٦/١ .

(٢) هذا التمييز في النقاظ فقط .

(٣) هذه الزيادة في النقاظ .

(٤) تاريخ الطبري : ٣٢٣/٤ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٤٦٦/١٩ ،
نفوة النفوة : ١٢٩/٣ - ١٣٠ .

وإن عامر بن عبد القيس يقول (١) :
 " أربعم آيات من كتاب الله ، إذا قرأتها مساء لم أبال على ما أمسى ، وإذا
 قرأتها صباحا لم أبال على ما أصبح " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
 لها ، وما يمسك فلا يرسل له من بعده " (٢) ، " وإن يردك بخير فلا راد لفضله
 يصيبه من مشاء من عباده " (٣) ، " وما من دابة في الأرض إلا على لحيته
 رزقها " (٤) ، " سيجعل الله بعد عسر يسرا " (٥) .

ووصف عامر رجلا فقال له (٦) :
 " عليك بما يرغبك في الآخرة ويهزئك في الدنيا ، ويقربك إلى الله
 عز وجل ، تقصر عن الدنيا همك ، وتشجعك إلى الآخرة نيتك ، وتباعد
 ذلك بفمك ، فإذا كنت كذلك لم يكن شي " أحب إليك من الموت ، ولا شئ
 أبغض إليك من الحياة " .

-
- (١) عيون الأخبار : ٣ / ١٨٤ .
 (٢) سورة غافر ، آية : ٢
 (٣) سورة يونس ، آية : ١٠٧
 (٤) سورة هود ، آية : ٦
 (٥) سورة الطلاق ، آية : ٧
 (٦) صفوة الصفوة : ٣ / ١٣٢ .

- ١٨٦ -

- ٣٧٣ -

وكان عامر شديد العبادة فقليل له :-

" إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع ، ولأن النار لتتقى بدون ما تصنع " فقال (١) :
" والله لا يستهدن ثم والله لا يستهدن ، فإن نجوت غير رحمة الله ، ولئن دخلت
النار فبعد جهدي " .

ولما احتضر بكى ، فقليل له : " تجزع من الموت وتبكي ؟ " فقال (٢) :
" مالي لا أبكي ، ومن أحق بذلك مني والله ما أبكي بجزء من الموت ، ولا أعرض
على دنياكم ، ولكنني أبكي على ظمأ السواجر ، وقيام ليل الشتاء " .

وكان يقول (٣) :
" اللهم في الدنيا الهموم والأحزان ، وفي الآخرة المذاب والمساب ،
فأين الروح والفرح " .

وكان يقول حين يقوم إلى الصلاة (٤) :
" يا فطر ، إنما خلقت للعبادة ، يا مارة بالسوء ، والله لأعلمن بك عملاً
لا يأخذ الفراش منك نصيباً " .

*

*

*

٥١ - خطب عبد الله بن إياض الصريمي :

- ١٨٣ -

كان نافع بن الأزرق الخارجي يرى أن من خالف رأيه من المسلمين كافر يحمل
له دمه وماله فلما خرج في أصحابه من البصرة أرسل إلى عبد الله بن إياض الصريمي
يدعوه إلى الدعرج على رأيه ، فلما وصله كتابه قال (٥) :
" قاتله الله ، أي رأي رأي ، صدق نافع بن الأزرق ، لو كان القوم مشركين
كان أصوب الناس رأياً وحكماً فيما يشير به ، وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله
عليه وسلم - في المشركين ، ولكنه قد كذب ، وكذبنا فيما يقول ، إن القوم تقار

(١) (٢) (٣) صفوة الصفوة : ١٢٧/٣ .

(٤) صفوة الصفوة : ١٢٨/٣ .

(٥) تاريخ الطبري : ٥٦٧/٥ - ٥٦٨ .

بالنعم والأحكام ، وهم برآء من الشرك ، ولا تحمل لنا إلا دماءهم ، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام .

وفي رواية ثانية أنه قال (١) :
 " لا نقول فيمن خالفنا إنه مشرك ، لأن معهم التوحيد والإقرار بالكتاب والرسول ، وإنما هم كفار للنعم ، وموارثهم ومناكيحهم وإقامة معهم حل ، ودعوة الإسلام تبعهم . "

*

*

*

٥٢ - خطاب عبدالله بن حكيم التميمي :-

١٨٤ -

لما قدم الحمة والزبير البصرة أتاهما عبدالله بن حكيم بكتيب كانا كتباه إليهم يؤلبانهم فيها على عثمان ، فقال للحمة (٢) : " يا أبا محمد أما هذه (٣) كتيبنا ؟ " قال : " بلى " قال : فكتب . أمرت دعونا إلى خلع عثمان وقتله . حتى إذا قتلته أتيتنا ثأرا بدمه ، فلعمرى ما هذا رأيك ، لا تريد إلا هذه (٣) الدنيا ، [مهلاً إذا كان هذا رأيك فلما قبلت من علي ما عرض طيبتك من البيعة ، أبايحتك طائفا راضيا ثم نأثت بيمتك ثم جئت لتدعنا في فتنة ؟] (٤) "

وفي رواية أخرى (٥) أنه قال للحمة : " يا طلحة ، أتصرف هذه الكتب ؟ " قال : " نعم " قال : " فما حملك على التأليب عليه أمس والطلب بدمه اليوم ؟ " فقال طلحة : " لم أجد في أمر عثمان شيئا إلا التوبة والطلب بدمه . "

(١) المعتمد : ٢٦١/١ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٣١٨/٩ .

(٣) في الأصل " هذا " .

(٤) أشك في صحة هذا الجزء من الخطبة لما يتضح فيه من النهي الشيعي ، ولم يرد هذا الجزء في رواية " أنساب الأشراف " التالية ،

(٥) أنساب الأشراف : ٢٢٦/٢ - ٢٣٠ .

- ١٨٥ -

دخل عبد الله بن عبد الله بن الأعمى على عمر بن عبد العزيز مع الحامصة ، فلم يفتأ يمرّ إلا وهو ماثل بين يديه يتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١) :
 " أما بعد ، فإن الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم ، أما لمصيبتهم ، والناس يومئذ في المنازل والرأي مختلفون ، والحرب بشرّ تلك المنازل ، أهل الوبر وأهل المدر (٢) تمتاز دونهم طيبات الدنيا ، ورفاغة عيشها (٣) ، مصيبتهم فسي النار ومصيبتهم أعمى ، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه ، والمزعوم فيه ، فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته ، ويسبغ عليهم نعمته ، بعث إليهم رسولا منهم عزيزا عليهم ، يا عنتوا ، حريصا عليهم بالمؤمنين رؤؤفا رحيم (٤) ، فلم ينصمهم لذلك مسامحا أن يرحوه في جسمه ، ولتقبوه في اسمه ، وسمعه كتاب من الله ناطق ، وبرهان من الله صادق ، لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل إلا بإذنه (٥) ، واضطروه السجود بأن غار ، فلما أمر بالصزم أسفر لأمر الله لوته ، فأفلج الله حجته ، وأطلسى كلمته ، وأظهر دعوته ، ففارق الدنيا نقيا تقيا مباركا مرغيا - على الله عليه - وبالحمد - (٦) .

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم : ١٠٨ ذكرها مختصرة ونسبها إلى خالد بن صفوان ، البيان والتبيين : ١١٨/٣ ، المقادير : ٢٣/٤ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ١١٣ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٤٣٦/٦ ، ٣٠٤/٧ .

(٢) عند ابن عبد الحكم : أهل دبر وأهل وثن وأهل حجر وعند ابن الجوزي وابن عساكر : أهل الوبر والشمر والحجر .

(٣) الرفاغة : سعة الميش ، وزاد بعدها ابن الجوزي وابن عساكر : لا يتلون كتابا ، ولا يعملون جماعة .

(٤) ذكر ابن عبد الحكم وابن الجوزي وابن عساكر الآية بنصها : " عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤؤفا رحيم " .

(٥) ذكر ابن عبد الحكم بعدها : " ويمده بما أفكته ويخبره بالظيب المكتوم من أمره ، وذه من له ظفر عاقبة الأمور " .

(٦) يعني هذا الجزء من كلامه عند ابن عبد الحكم وابن الجوزي وابن عساكر بالفاظ مختلفة . إلا أن الفكرة واحدة .

ثم قام بمدّه أبو بكر - رحمه الله - فسلّك سنته ، وأخذ بسبيله ، وارتدت الحرب (١) فلم يقبل منهم بمدّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا السدي كان تابلاً منهم ، فانتفضى السيوف من أعناقها وأوقد النيران من شملهم ، ثم ركب بأهل الحق أهلاً الباطل ، فلم يبرح يفصل (٢) أوداهم ، ويسقي الأرض دماءهم ، حتّى أدخلهم في الذي (٣) خرجوا عنه ، وقرّهم بالذي نفروا منه (٤) وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوي عليه ، وحشية ترضع ولداً مسيئاً فرأى ذلك غصّة عند موته في حلقه (٥) ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وبرى إليهم منه ، وفارق الدنيا نقياً نقياً ، على منهاج صاحبه ، رحمه الله .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب - رحمه الله - فمصر الأمصار ، وحلّط الشدة باللين ، فحسّر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعدّ للأموال أقرانها (٦) ، والمعرب آلتها ، فلما أصابه فتى (٧) الضفيرة بن شعبة (٨) ، أمر ابن عباس أن يسأل الناس هل يشبّون قاتله ، فلما قيل له : فتى الضفيرة ، استبهل بمدّ الله ألا يكون أصابه ذو حق في الفية فيستحلّ دمه بما استحلّ من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضاً وثانين ألفاً .

-
- (١) وعند ابن سعد الحكم وابن الجوزي وابن عساكر : " فارتدت عليه الحرب ، أو من ارتد منهم ، وعرفوا عليه أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة " .
- (٢) عند ابن عبد الحكم وابن الجوزي : " يخرق " .
- (٣) وفي جميع المصادر الأخرى : " في الباب الذي . . . " .
- (٤) بمدّها عند ابن عبد الحكم : " فلما أبطأ الأمر على أبي بكر رضي الله عنه ، وقد كان نال من فيئهم شيئاً ومي لقوح يرتضخ من لبنها " وعند ابن الجوزي وابن عساكر : " ثم حضرته الوفاة ، وقد أصاب من فسيحة المسلمين سنناً لقوحاً كان يرتضخ لبنها " .
- (٥) بمدّها عند ابن عبد الحكم وابن الجوزي وابن عساكر : " وثقل على كاهله " .
- (٦) وزاد بمدّها ابن الجوزي وابن عساكر : " فراضها ، فأذل أصحابها ، وترك الأمر فيها إلى يسر " ، وأقرانها : " أسبابها التي تقاد بها " .
- (٧) في العقد : " رن " وعند ابن عبد الحكم وابن الجوزي وابن عساكر : " قين " .
- (٨) زاد ابن عبد الحكم بمدّها : " يقال له فيروز ، يكنى بأبي الولوءة " .

ثم إنا والله ما اجتمعنا بعد هذا إلا على ظلم (٣) ثم إنك يا عمر ابن عبد
الدنيا ، ولدتك طوكها (٤) وألقمتك ثديها (٥) وليتك وضعتك حيث وضعتها
الله ، فالحمد لله الذي جلا بك حوبتها ، وكشف بك كربتها (٦) امض ولا تلتفت ،
فإنه لا يخفي من الحق شيء (٧) ، أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم
والمؤمنين والمؤمنات .

ولما قال عبد الله بن الأَعمش : " ثم إننا والله ما اجتمعنا بعد هذا إلا على شيء " سكت الناس كلهم إلا هشاماً فإنه قال له : " كذبتم " (١) .

- (١) الرباع : جمع ربيع وهو المنزل ، وكسر رباعه : باعها ربعا .
(٢) عند ابن الحكم : " ثم نظرت في دينه ، فلم يرش في ذلك بكفالة ولده متى كسر في ذلك رباعه ، وأدنى ذلك إلى بيت مال المسلمين " وعند ابن الجوزي وابن عساكر : " وكان قد أصاب من في المسلمين شيئا ، فلم يرش في ذلك بكفالة من أحد من ولده ، حتى باع في ذلك ربيعة ، وضم ذلك إلى بيت مال المسلمين " .
(٣) ظلع : جمع ظالع ، أراد به المتهم المائل عن الحق ، وفي المقصد : " على ضلع أعوج " ،
(٤) ذكر ابن عبد الحكم بعد ما : " وغدّك كالأها " وعند ابن الجوزي وابن عساكر ، " غدّك بأطاييبها " .
(٥) زاد ابن عبد الحكم بعد ما : " وأنت بتّ تلتسها من مظانها حتى إذا أفضت إليك أخطارك : [هكذا وردت] منها قدرتها ، وحقرتها وألقيتها سبيها ألقاها الله إلا ما تزوّدت منها " وزاد ابن الجوزي وابن عساكر : " تطايبها من مظانها " ، تصادى فيها وترضى لها ، حتى إذا ما أفضت إليك بأركانها من غير طلب منك لها ، رفضتها ورمى بها حيث رضى الله بها " .
(٦) عند ابن الحكم وفي المقصد : " حوبتنا " و " غنا " وعند ابن الجوزي وابن عساكر : " كربنا " و " غنا " (٧) عند ابن عبد الحكم وابن الجوزي وابن عساكر : " فإنه لا يذل مع الحق حقير ، ولا يكبر مع الباطل عزيز " .
(٨) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ١١٥ .
(٩) البيان والتبيين : ٢ / ١٢٠ ، المقصد : ٤ / ٣٤ .

- ١٨٦ -

لما قتل وكيع بن أبي سُرود تقيية بن مسلم بخراسان وبعث بإخوته الحسين
سليمان بن عبد الملك ، وقع ذلك من سليمان كل موقع ، وطامع يزيد بن المهلب
في ولاية خراسان ، فحصل لعبد الله بن الأَهمم مئة ألف درهم على أن ينقصر
وكيعا عند سليمان ، وأوفده عليه ، فقال عبد الله لسليمان (١) :

" أ صلح الله أمير المؤمنين ، والله ما أحد أوجب شكرا ، ولا أعظم عسدي
يدا من وكيع ، لقد أدرك لي بئاري ، وشفاني من عدوي ، ولكن أمير المؤمنين
أعظم وأوجب عليّ محقا ، ولن النصيحة لتلزمي لأمر المؤمنين ، إن وكيعا لم يجتمع
له مئة عنان قط . إلاّ حدث نفسه بغيره ، خامل في الجماعة ، نابه في الفتنة " .

- ١٨٧ -

لما حُزِمَ أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد في قتال أبي فديك الخارجي
بالبحرين لم يدر الناس كيف يصرونه فدخل عليه عبد الله بن الأَهمم فقال (٢) :

" مرحبا بالمرابط المخلول ، الحمد لله الذي نثار لنا عليك ، ولم ينظر لك
علينا ، فقد تعرضت للشهادة بجهدك ، إلا أن الله علم حاجة أهل الإسلام
إليك ، فأبقاك لهم بخذلان من كان معك لك " .

فصدر الناس عن كلامه .

- ١٨٨ -

وقال عبد الله بن الأَهمم يفاخر بفنائل البصرة وأهلها في مجلس عرس
الملك ، وقد وفد عليه مع العجاج بعد وقعة دير الجماجم وقد فاخر قبله قريبه
محمد عمير بفنائل الكوفة (٣) :

(١) الفرائد : ٣٦٦/١ ، تاريخ الطبري : ٥٢٦/٦ ،

وفيات الأعيان : ٢٥٨/٦ ،

وقد خلطت المصادر بين شخصية عبد الله بن الأَهمم الأب وشخصية
ابنه عبد الله بن عبد الله ، وكلاهما من الخطباء البلغاء ، وأصبح
المسير جدا التفريق بين خطبهما .

(٢) عيون الأخبار : ١٢٧/١ ، زهر الآداب : ٣٤٤/١ ، ونُسبت هذه الخطبة في

لباب الآداب : ٣٤١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر : ٥٧/٥ ، إلى خالد بن
صفوان ، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٣) مختصر كتاب البلدان : ١٦٦ ، ١٦١ ، مروج الذهب ، (١) طهران : ٣٤٨/٥ ،

ونسبها إلى خالد بن صفوان .

" أرحم الله أمير المؤمنين ، نحن أوسع منهم تربة وأكثر منهم ذرية وأعناهم منهم برية ، وأعدّ منهم في السرية ، وأكثر منهم قنذاً (١) ونقداً ، ومهاجراً وساجداً ، يأتينا ما يأتينا عفواً صفواً ، ولا يخرج من عندنا إلا سائق أو ناصب ، أو قائم . "

- ١٨٩ -

وأوصى عبد الله بن عبد الله حين ثقل فأظهر ماله وقال لهم (٢) : " يا بني ، دونكم فقد أفيئتم كده ، وصفا لكم ما اشتبهتكم منه ، ولزنا جمعت له لنفوة (٣) الزمان ، وجفوة السلطان ، ومباهاة المشيرة (٤) ، وإيم الله لو نزلت أنه كان بين ضاحي حصار بالقلا ، أو بقرء مقحل (٥) . "

سئل عبد الله بن الأهمتم " ما السرور " فقال (٦) :

" رفع الأولياء ، ووضع الأعداء ، وطول البقاء مع الصالحين والنساء . "

(١) التند : عمل قصب السكر إذا جمد ه أو الطيب .

(٢) المحزون والوصايا : ١٤١ ،

المقعد : ١٤٨/٣ .

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣٠٥/٧ .

(٣) في المقعد : " لروعة الزمان " .

(٤) في المقعد : " ومكاثرة المشيرة " .

(٥) قرء مقحل : الإناء المسدود .

(٦) عيون الأخبار : ٢٥٨/١ ،

المقعد : ٢١٥/٦ ،

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣٠٥/٧ .

٥٤ - خطب أبي جليل عبد القيس بن خفاف البرجمي :

١٩٠ -

قال أبو جليل عبد القيس بن خفاف البرجمي لحاتم الدائلي وقصد وفد عليه في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها فمجز عنها (١) :

"إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها، وإنني حملتها في مالي وأطعمتني ، فقدّمت مالي ، وكنت أُملي ، فإن تحملها فربّ حق قد قضيت ، وهم قد أخفّسوها ، وإنّ حال دون ذلك ماثل لم أدم يومك ، ولم أياسر من غداك " .

*

*

*

٥٥ - خطاب عبد المؤمن بن شَيْث بن رُثمي الرياحي :

١٩٠ - ب -

وقال عبد المؤمن بن شَيْث بن رُثمي يَسْرُضُ الناسَ على خلع الحُجُجِ ساج ومباحة بن الأشعث لما تارمعه في خراسان (٢) :-
"عباد الله ، إنكم إن أطعتم الحجاج ، جعل عذّة البلاد بلادكم ما بقيتم ، وعصّركم تجمير (٣) فرعون الجنود ، فإنه بلغني أنه أول من جمر البحوث ، ولن تصابنوا الأحيّة فيما أرى أو يموت أكثركم ، بايعوا أميركم ، وإن رفسسوا راي عدوكم ، فأنفوه عن بلادكم " .

(١) الأخبار الموفقيات : ٤٣٥ ،

ذيل الأُمالي : ٢١ ، الأغاني : ١٤٥ / ٧ ،

زهر الآداب : ١١٧ / ٢ .

(٢) تاريخ الطبري : ٣٣٥ / ٦ ،

تاريخ ابن الأثير : ٤٦٣ / ٤ ،

(٣) جمر الجيش : حبسهم في أرض العدو ولم يقللهم ،

القاموس ، مادة (جمر) .

- ١٩١

وقال لمن معه حين اشتد عليهم حصار الخوارج في أعفهان ، وأصابهم
الجهد الشديد ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (١) :
"أما بعد أيها الناس ، فإنه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون ، فوالله
إن بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه ، فيجيء أخوه فيدفنه إن استطاع ،
وبالحري أن يضمف عن ذلك ، ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ، ولا يملك
عليه ، فاتقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم ، وإن
فيكم لفرسان أهل المجر ، وإنكم لصلحاء من أنتم منه ، اخرجوا بنا إلى هؤلاء
القوم وبكم حياة وقوة ، قبل ألا يستطيع رجل منكم أن يمضي إلى عدوه من الجهد ،
وقبل ألا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته ، فوالله إنني لأرجو أن عدوكم
أن يفركم الله بهم ، وأن يباهركم عليهم " .

- ١٩٢

وفي رواية أخرى أنه قال لأصحابه حين اشتد عليهم حصار الخوارج في
أعفهان (٢) :

" ما تنتظرون ؟ والله ما توتون من قلة ، وأنكم لفرسان عشاكرهم ،
ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتهم منهم ، وما بقي مع هذا الحصار إلا أن تفتي ذخائركم
فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه ، فقاتلوا القوم وبكم
قوة ، من قبل أن يضمف أحدكم عن أن يمضي إلى قرنه " .

(١) تاريخ الطبري : ١٢٦/٦ .

(٢) الكامل : ٣٤٣/٣ ،

المقد : ٢٥٦/١ ،

شرح نهج البلاغة : ١٦٦/٤ .

لما خرج عتاب بن رزقاء لقتال الفجاءة وعليهم شبيب زمن الحجاج ، وتواقف
الفرهقان للقتال ، جعل عتاب يسير بين الصفوف ، يحثهم على تقوى الله ، ويأمر
بالصبر ، ويخصّ عليهم قصصاً كثيراً منه قوله (١) :

" يا أهل الإسلام ، إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس
الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ، ألا ترون أنه يقول :

" واصبروا ، إن الله مع الصابرين " (٢) فمن حمد الله فعلته فما أعظم
درجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ، ألا ترون أن عدوكهم
هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله ،
فهم شرار أهل الأرض ، وكلاب أهل النار أين القصاص ؟ " ،
فلم يجهه أحد ، فأدركه انه هالك ،

وقال عتاب بن رزقاء لزهرة بن حويّة وقد كان معه حين خرج لقتال
شبيب وقد ولي معظم الناس عنه (٣) :

" يا زهرة بن حويّة ، هذا يوم كثر فيه المدد ، وقل فيه الفناء ، والمهضي
على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم محبي من جميع الناس ، ألا عابسر
لحدوه ألا مواش بنفسه " .

(١) تاريخ الطبري : ٢٦٤/٦ ، شرح نهج البلاغة : ٢٦٦/٤ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٤٦ .

(٣) تاريخ الطبري : ٢٦٥/٦ .

شرح نهج البلاغة : ٢٦٧/٤ .

٥٧ - خطاب عروهم بن عبدالله بن قيس العدوي :

- ١٦٥ -

قام عروهم بن عبدالله بن قيس العدوي إلى خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد حين أراد أن يبعث أخاه عبدالعزيز لقتال الأزارقة، وقال له (١) :

" أبلغ الله الأمير، إن هذا الحي من تميم تخطى بقريش منهم رجم داسة ماسة، ولن الأزارقة ذو بيان الحرب وسباعها، وليس صاحبهم إلا المباكر المناكر، الحرب المجرب، الذي أرضعته الحرب بلبانها وجعستته، وذلك أن أنحو الأزدي المهلب بن أبي صفرة، والله إن فؤادك أحب إلينا من سمينه ولكسني أخاف عدوات الدهر وفخذه، وليس المجرب كمن لا يحلم، ولا الناصح المشفق كالغاش المتهم".

قال له خالد: " اسكت ما أنت وذا ؟ "

*

*

*

٥٨ - خطاب عروة بن أدية الخزرجي :

- ١٦٦ -

وقال عروة بن أدية للأشعث بن قيس حين مرّ به في جيش عيسى بن مرقان، صفيحة التمكيم (٢) : " أتحمكون الرجال في أمر الله، لا حكم إلا لله، فأين قتلنا يا أشعث؟ "

وفي رواية ثانية أنه قال (٣) :

" ما هذه الدنيا يا أشعث، وما هذا التمكيم؟

أشراط أوثق من شرط الله؟ "

وفي رواية أخرى أنه قال (٤) :

" أتحمكون في أمر الله الرجال، أشراط أوثق من كتاب الله وشروطه ؟ .

أنتم في شك حين قاتلتم ؟ لا حكم إلا لله . "

(١) نيل الأمالي : ٣٢ .

(٢) وثمة عفين : ٥٨٧، تاريخ الطبري : ٥٥/٥ .

تاريخ ابن الأثير : ٣٢١/٣ .

(٣) الدامل : ١٨٠/٣ .

(٤) أنساب الأشراف : ٣٣٦/٢ .

وقام عروة بن أدية الخارجي أخو مرداس إلى عبيد الله بن زياد وقد خرج
في رهان له ينتظر الخيل ، فقال له ، وقد اجتمع الناس (١) :
" خصلن في الأم قبلنا ، قد صرن فينا : " اتبنون بكل ربيع آية تعبتون ،
وتتخذون مضانكم لملككم تغلدون ، ولذا بلشتم بلشتم ببارين " (٢) وذكر
نصائين أخريين نصيهما الرواي .

*

*

*

٥٦ - خطب عطار بن حاجب بن زارة الدارمسي :

وقام عطار بن حاجب عند النبي - صلى الله عليه وسلم - اما قدم عليه في
وقته تميم في السنة التاسعة للهجرة يفاخرة فقال (٣) :
" الحمد لله الذي له علينا الفضل والمسن ، وهو اهلنا الذي جعلنا ملوكا ،
ومسب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعسروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثر
عددا ، وأيسره عدّة ، فمن مثلنا في الناس ، أسنا بروس الناس وأولمسي
فضلهم ؟ فمن يفاخرنا فليحدّد مثل ما عدّ لنا ، ولنا لو نشاء لأكثرنا الكسسلام ،
ولنا نحبنا من الاكثار فيما أعطانا ، ولنا نعرف ، أقول هذا الآن لأننا بمشعل
قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا " .

(١) أنساب الأشراف : ٨٨/٢/٤ ، تاريخ الطبري : ٣١٢/٥ ،

تاريخ ابن الأثير : ٥١٨/٣ ،

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٨٥/٢٠ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٢٠٧/٤ ، تاريخ الطبري : ١١٦/٣ ،

الأغاني : ١٤٦/٤ ، تاريخ ابن الأثير : ٢٨٧/٢ ،

أسد الغابة : ١٠٨/١ ، ١٠٩/٢ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٨٦/٣ ،

٣/٢٥٥ ، ٤/١٣٠ ، صحيح الأعشى : ٣٧٢/١ .

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٣/١٨ .

٦٠ - خطاب عمرو بن يزيد بن عمرو الأسدي :

- ١٩٩ -

قال عمرو بن يزيد الأسدي وقد دخل على هشام بن عبد الملك فسمع خالد ابن عبد الله القسري يذكر طاعة أهل اليمن (١) :

" تالله ما رأيت هكذا خيلاً ولا مثله خيلاً ، والله ما فتحت فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن ، هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان ، وهم خلصوا أمير المؤمنين عهد الملك ، وإن سيفنا لتقطر من دماء آل المهلب " .

قال عمرو بن يزيد الأسدي : " فلما قمت تبصني رجل من آل مروان كسان حاضراً ، فقال : " يا أخا بني تميم ، ورت بك زنادي ، قد سمعت مقاتلك ، وأمير المؤمنين مولاً خالداً الصراق ، وليست لك بدار " .

*

*

*

٦١ - خطاب عمرو بن الأحمم الحنقري :

- ٢٠٠ -

روى أن عمرو بن الأحمم تفاخر مع الزبرقان بن بدر عند النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وفدوا عليه فقال الزبرقان للنبي (٢) - صلى الله عليه وسلم - " يا رسول الله ، أنا سيد تميم المطاع فيهم ، والمجاب منهم ، أخذ الله مني بحقهم ، وأمنهم من الظالم ، وهذا يحلم ذلك " - وأشار إلى عمرو بن الأحمم - فقال عمرو :

" يا رسول الله ، إنه مانع لحوزته (٣) ، مطاع في أدنيه شديد المارضة " .

- (١) تاريخ الطبري : ٢٦/٧ ، تاريخ ابن الأثير : ١٢٤/٥ .
(٢) البيان والتبيين : ٢٣/١ ، الأبيات الكبير : ٢٥/١/٧ ، المحقق : ٦٤/٢ .
الاستيعاب : ١١٦٣/٣ ، زهر الآداب : ٥/١ ، شرح الصيغ : ١٤٨ ،
جمهرة الأمثال : ١٢/١ ، مجمع الأمثال : ٧/١ ، لباب الآداب : ٣٥٤ ،
إحكام صنعة الكلام : ٣٣ ، مجمع الزوائد : ١١٦/٨ ، أسد الغابة : ٨٧/٤ ،
شرح نهج البلاغة : ١٥/١٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٤٠/١٨ .
(٣) "وزة الرجل : ما يملك ، وفي الطبقات الكبير وشرح الصيغ : "مانع لما وراء ظهره" ، وفي الاستيعاب : "مانع لجانبيه" .

قال الزهرقان : " أما إنَّه قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شوقي .
فقال عمرو :

" لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدور ، زمر المروءة (١) ،
لئيم الخال ، أحق الولد ، مُبْقَر في الحشيرة ، حديث الفنى " فلما رأى
الإنكار في عيني النبي - صلى الله عليه وسلم - لا اختلاف قوله فيه قال : -
" يا رسول الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وفضيت فقلت أفتح ما علمت ،
فوالله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الآخرة " .

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم : " إن من البيان لسحرا " .

- ٢٠١ -

وزعموا أن مفاخرة وقعت بين عمرو بن الأعتم والأحنف بن قيس في مفاخرة
عمر بن الخطاب ، وقد أراد أن يقرع بينهما في رياسة بني تميم ، فقال الأحنف : (٢)

شوى قدح عن قومه طالما شوى فلما أتاهم قال قوموا ففاجروا (٣)
فقال عمرو بن الأعتم :

" إنا كنا وأنتم في دار جاهلية ، وكان الفضل فيها لمن جهل ، فسفكنا دماءكم
وسببنا نساءكم ، ونحن اليوم في دار الإسلام ، والفضل فيها لمن حلم ، فضفر اللدنة
لنا ولك (٤) :

فزعموا أن عمر غلب عمرا على الأحنف .

(١) المصاحف : مناخ الإبل حول الماء ، وضيق الصدور كناية عن البخل ،
وفي البيان والتبيين : " ضيق الصدر " ، وزمر المروءة : قليلها .

(٢) المقعد : ٦٤/٢ ، شرح الميمين : ١٤٦ .

(٣) في المقعد " تناجزوا " .

(٤) اعتقد أن هذه المفاخرة وضعت لتفسير قول عمرو بن الأعتم :

لما دعيتي للرياسة منقصر لدى مجلس أضحى به النجوم باليا
شدت لها أزرى وقد كنت قبلها لأمثالها ما أشد أزاريسا

-٢٠٦-

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، فقال له (١) :
 " من أنت ؟ " وتبعهم له كأنه لا يحرفه ، فقال له الفرزدق : " وما تصرفني يا أمير
 المؤمنين ؟ " قال : " لا " قال : " أنا من قوم (٢) منهم أوفى العرب ، وأسود
 العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأغزى (٣) العرب ، وأشعر العرب ،
 قال : " والله لتبينن ما قلت (٤) أو لا وجعن ناعرك ، ولا هدمن دارك " قال :
 " نعم يا أمير المؤمنين ، أما أوفى العرب ، فحاجب بن زارة ، [الذي] (٥) رخص
 قوسه من جميع العرب فوقى بها ، وأما أسود العرب ، فقيصر بن عاصم [السدي]
 وفد على الرسول - صلى الله عليه وسلم - فبسط له رداءه (٦) وقد سأل :
 " هذا سيد [أهل] (٧) البوئر " ، وأما أحلم العرب ، فالأحنف بن قيس ،
 يارب به المثل حلما (٨) ، وأما أغزى العرب ، فالحرث بن هلال السعدي ،
 و [أما أجود العرب فخالد بن عتاب الرياحي] (٩) ، وأما أشعر العرب
 فهاأنذا بين يديك يا أمير المؤمنين .
 فاغتم سليمان ما سمع من فخره ولم ينكره ، وقال : " أرجع على عقبيه " ،
 فقال له عندنا شيء من خير ، فرجع الفرزدق " وقال :

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا

إليك ولا من قلة في مجاشع .

(١) المقد : ١٦٣/٢ ، شرح نهج البلاغة : ١٣٠/١٥

(٢) في شرح نهج البلاغة : "حي" .

(٣) في شرح نهج البلاغة : (أشجع)

(٤) شرح نهج البلاغة : " والله لتحتجن لما ذكرت " .

(٥) زيادة في العقد .

(٦) زيادة في العقد .

(٧) زيادة في شرح نهج البلاغة .

(٨) في المقد : "أما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحي "

(٩) زيادة في شرح نهج البلاغة .

٦٣- خطب قدامة بن الحريش التميمي :

- ٢٠٣ -

وخرج قدامة بن الحريش التميمي وكان من أصحاب ابن الأشعث يوم ديسر
اليمامة فوقف بين الصفين وقال (١) :-
"يامعشر جرامة أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ،
فإن أبيتُم فليخرج إلي رجل".
فخرج رجل من أهل الشام فقتله ، حتى قتل أربعة ، فأمر الحجاج أن لا يخرج
إليه أحد .

*

*

*

٦٤- خطاب قطري بن الفجاءة المازني :

- ٢٠٤ -

محمد قطري بن الفجاءة منير الأزارقة وألقى خطبته المشهورة في ذم الدنيا ،
فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال (٢) :
" أما بعد ، فإني أذكركم الدنيا ، فإنها حلوة خفيفة ، حفت بالشهوات ،
ورقت بالقليل ، وتحببت بالمعاجلة ، وحليت بالآمال (٣) ، وتزينت بالفرور ، لا تدوم
خيرتها (٤) ، ولا تؤمن فبعمتها ، غرارة ضلالة ، حائلة زائلة ، نافذة بائسة ،
أداة غواية (٥) ، لا تعدوا - إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها ، والرضا
عنها - أن تكون كما قال الله : " كما أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الأرض
فأصبح هشيمًا تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرًا " (٦) .

(١) تاريخ الطبري : ٣٦١/٦ .

(٢) البيان والتبيين : ١٢٦/٢ - ١٢٦ ، عيون الأخبار : ٢٥٠/٢ ،
المقد : ١٤١/٤ - ١٤٣ ، صبح الأعشى : ٢٢٣/١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب :
٢٥٠/٧ - ٢٥٣ ، وفي نهج البلاغة : ٢١٦/١ - ٢١٩ ، شرح نهج البلاغة :

٢٢٦/٧ - ٢٢٨ نسبت للأمام علي .

(٣) في المقد : " وغمرت بالآمال وتحلت بالآماني " .

(٤) الخبر السرمووفي صبح الأعشى ونهاية الأرب : " نضرتها " وفي المقد " خذرتها " .

(٥) بمدها في البيان والتبيين : " بدلة نقالة " .

(٦) سورة الكهف آية : ٤٥ .

سمع أن امرأ لم يكن منها في حبرة، إلا أعقبته بمدى عزة، ولم يلق من سرائها
بطناً إلا ضحكت من ضرائعها ظهراً، ولم تبالغ غيبة^(١) راحاً إلا هطلت عليه مزنّة بلاء،
وحرّياً إذا أصبحت له منتصرة أن تُسبّي له خاذلة متكررة، وإن جانب منها أعدو ذب
واحلولي، أمر عليها جانب ورسى، وإن آتت امرأ من غفارتها ورقاها نهما،
أرهقته من نوائبها نقماً (٢)، ولم يمسرا مروء منها في جناح أمنٍ إلا أصبح منها على
قوارم غوف، غرارة غرور ما فيها، فانية فان من (٣) عليها، لا خير في شيء مسن
زادها إلا التقوى، من أقل منها استكثر ما يؤمنه، ومن استكثر منها استكثر
ما يؤيقنه (٤) ويطل حزنه، ويكي عينه، كم واثق بها قد فجمته (٥)، وذي
طمانينة إليها قد صرعه، وذي اختيال فيها قد خدعته، وكم ذي أبهة فيها قد
حيرته حقيراً، وذي نخوة قد ردته ذليلاً، وذي تاج قد كبته لليدين والغسم.
سلا انهادول، وعيشها رنق، وعذبها أجاج، وحلوا صبر (٦)، وغداؤها سمام،
وأسيابها رمام (٧)، وقطافها سلق (٨) خبها بقرض موت، وصحيحها بقرض سقم،
وضيحها بقرض اعتضام، مليكها مسلوب، وسليمها منكوب، وجامعها مهروب (٩) مع أن
مراء ذلك سكرات الموت، وهول المظالم، والوقوف بين يدي الحكم العدل، "الجزري
الذين أساءوا بما عملوا ويجزري الذين أحسنوا بالحسنى" (١٠).

الستم في مساكن من كان أطول منكم أعصاباً، وأوضح آثاراً (١١) وأعدّ عديداً
وأكشف عنوداً، وأعدّ عنوداً (١٢)، تصبوا للدنيا أيّ تصب، وأثروها أيّ إيشار،
وظامنوا عنها بالكرة والصفار (١٣)، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً

- (١) طيل : أمابة مطر خفيف، والقبية : الدفمة من المطر .
- (٢) في صبح الأعشى : " فإن آتت امرأ من غصونها ورقا، أرهقه من نوائبها تصبا " وكذلك في نهاية الأرب في فنون الأدب، وفي شرح نهج البلاغة : " لا ينال امرؤ من غفارتها رغباً "
- (٣) في العقد : " ما " .
- (٤) وجاء في شرح نهج البلاغة بعدها : " وزال عما قليل عنه " .
- (٥) زاد بعدها في صبح الأعشى : " وذي حكم تنبه إليها قد صرعه " وفي نهاية الأرب في فنون الأدب " وذي حلم تنبه إليها قد صرعه " .
- (٦) في العقد : " مر " .
- (٧) السبب : المبل، والرمة : القاطعة البالية .
- (٨) السلق : نبات مرسم .
- (٩) في العقد " صحيحها وسليمها منكوب، وحائزها وجامعها مهروب " .
- (١٠) سورة النجم آية : ٣١ .
- (١١) زاد بعدها في شرح نهج البلاغة : " وأبعد آمالاً " .
- (١٢) عند عنودا : الخاوعا، وفي العقد : " وأعدت عتادا وأناول عيادا " .
- (١٣) في صبح الأعشى ونهاية الأرب في فنون الأدب " أشدّ عنودا " وفي شرح نهج البلاغة : " ثم امنوا عنها بنير زاد صلب، ولا شبر قاطع " .

بفديّة، وأغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب (١)، بل قد أرهقتهم بالقوارح،
 وضعضعتهم بالنوائب، وعقرتهم بالمصائب (٢)، وقد رأيتم تنكرها لمن وإن لها
 وآثرها وأغلد إليها حين ظمنوا عنها لفراق الأبد إلى المسند (٣)، هلك زودتهم
 إلا المشقاء (٤)، وأهلكتهم إلا الضنك، أو نورت لهم إلا الظلمة، وأعقتهم إلا الندامة،
 أفهذه توءثرون أم عليها تحرمون، أم إليها تطمئنون؟ يقول الله تعالى: "من
 كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّا إليهم أعمالهم فيها ألا يبخسون، أولئك
 الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون" (٥)،
 فبئست الدار لمن أقام فيها، (٦) فاعملوا (٧) وأنتم تعلمون أنكم تاركوهم
 لا بدّ، فإنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو، وقد قال الله تعالى "أثبنون
 بكل ربيع آية تمبثون، وتتخذون ممانع لملككم تخلدون، وإذا بدشتم بطشتم
 جبارين" (٨)، وبالذين قالوا: "من أشد منا قوة" (٩) واتمظوا بمن رأيتمهم
 من إخوانكم كيف عملوا إلى قبورهم، فلا يدعون ركبانا، وأنزلوا فيها فلا يدعون
 ضيفانا، وجعلوا لهم من الضريح أجنانا (١٠)، ومن الشراب أكفانا، ومن الرفاق حيرانا،
 فهم حيرة لا يبيسون داعيا، ولا يضمنون ضيعا، إن أخذوا لم يفرحوا (١١)،

- (١) في المقعد: "وأغنت عنهم فيما قد أهلكتهم به بخطب" وزاد في شرح نهج البلاغة:
 "وأعانتهم بمصونة، أو أهدنت لهم صحبة".
- (٢) في المقعد: "وعقرتهم للنوائب"، وفي شرح نهج البلاغة: "وأوهنتهم بالقوارح،
 وضعضعتهم بالنوائب، وعقرتهم للنوائب، ووطأتهم بالمصائب، وأعانت عليهم ريب
 الحزن" وفي صبح الأعشى ونهاية الأرب في فنون الأدب: "بالفجائع".
- (٣) المسند: الدهر، وفي المقعد وصبح الأعشى: "حين ظمنوا عنها لفراق الأبد
 إلى آخر الامد".
- (٤) في صبح الأعشى "السفب".
- (٥) سورة هود، الآية ١٥: ١٦.
- (٦) في المقعد: "فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها".
- (٧) ذكرت جميع المصادر "فاعلموا" وسقطت من الخطابة في البيان والتبيين.
- (٨) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٨، ١٢٦، ١٣٠.
- (٩) سورة فصلت، آية: ١٥.
- (١٠) الجن: القبر، وفي شرح نهج البلاغة: "وجعل لهم من الضريح
 أجنان".
- (١١) في شرح نهج البلاغة: "ولا يبالون مندبة". وإن جيدوا لسم
 يفرحوا.....

ولن أقمطوا لم يقنطوا ، جميعهم آحان ، وجيرة وهم أبعاد ، متناوون لا يزورون ، ولا يزرون (١) ٤ حلما قد ذهبت أضفانهم ، وجهلاء قد ماتت أعتادهم ، لا يخشى فجمهم ، ولا يرجي دفعهم ، وكما قال عز وجل : " فذلك مساكنهم لم تشكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين " (٢) . استبدلوا بناهر الأرض بطننا ، وبالشفقة ضيقا ، وبالأهل غربة ، وبالنور ظلمة ، فجاءوها كما فارقوها . عفاة عراة ، قرادى ، غير أنهم ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، واليسى غلود الأبد (٣) يقول الله - تعالى - " كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إنا كنا فاعلين " (٤) .
فاحذروا ما حذركم الله ، وانتفعوا بنواعظه ، واعتصموا بحبله ، عمننا الله وإياكم بطاعته ، ووزقنا وإياكم أداء حقه " (٥) .

-
- (١) في شرح نهج البلاغة : " متدانون لا يتزاورون ، وقريبون لا يتقاربون " .
(٢) سورة القصص ، آية : ٥٨ .
(٣) في شرح نهج البلاغة : " والدار الباتية " .
(٤) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤ .
(٥) وعقب ابن أبي الحديد " في شرح نهج البلاغة " : ٢٣٦ / ٢ ، على هذه الخطبة بقوله : " وأعلم أن هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين " رواها قطاري بن الفجاءة ، والناس يروونها .
لأمير المؤمنين - عليه السلام - وقد رأيتها في كتاب " المونق " لأبي عبيد الله المرزباني مرويّة لأمير المؤمنين - عليه السلام - وهي بكتام أمير المؤمنين أشبه ، وليس يبعد عندي أن يكون قطاري قد خطب بها بعد أن أخذ منها من بعض أصحاب أمير المؤمنين - عليهم السلام - فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقي قطاري أكثرهم " وأرجح أن خطبة قطاري قد أضيفت فيما أضيف على الإمام علي في " نهج البلاغة " وما أكثر ما حصل عليه في هذا الكتاب ، وأما أن ابن أبي الحديد رآها في كتاب " المونق " للمرزبانسي مرويّة له ، فقد رواها الجاحظ وابن قتيبة وابن عبدبره لقطاري ، وكلهم ثقة أقدم من المرزباني ، كما استبعد أن يخطب قطاري بن الفجاءة رأس الخوارج في زمانه واشهر خطبائهم المصالح بخطبة لملي ، مع موقف الخوارج من علي والشبهة .
وانار الخطبة في صدر الاسلام : ٢ / ٣٧٢ - ٣٧٧ .

وقال قطاري لأصحابه وقد بلغه مشورة مصعب بن الزبير لأهل البصرة
فيمض يرسلكم إلى الخوارج (١) :

"إن جاءكم عتاب بن رزاة ، فهو فاتك يطالع في أول الحُتَب (٢) ، ولا يذافر
بكبير ، وإن جاءكم عبيد الله بن أبي بكر ، أتاكم سيد سمع جواد كريم ما يتسرع
لصركه ، وإن جاءكم عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ، أتاكم شجاع بطل فارس جاء ،
يتقاتل لدينه ومملكه ، [يقدم فإما له ولما عليه] (٣) وبطيعة لم أر مثلهما
لأحد ، فقد شهدته في وقائع ، فما نودي في القوم لحرب إلا كان أول فارس
يطالع متى يشد على قرنيه فيضربه ، وإن رُدَّ المهلب فهو من قد عرفتموه ،
إن أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر ، يمدّه إذا أرسلتموه ، ويرسله إذا
مددتموه ، لا يبدؤكم إلا أن تبدؤوه ، إلا أن يرى فرصة فينهزها ، فهو
الليث المُبرِّ (٤) ، والمهلب الروّاع ، والبلاء المقيم "

قال قطاري بن النجاء للخوارج وقد اختلفوا عليه ، بكرمان ، وكان جيسش
المهلب بأزاعهم يتربص بهم (٥) :

"أرى بأول المهد قد غيركم ، وأنتم بصدد عدوكم ، فاتقوا المفسد
واقبلوا على شأنكم ، واستعدوا للقاء القوم "

-
- (١) الكامل : ٣/٣٣٥ ، ٣٤١ .
(٢) الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، القاموس ، مادة (حُب) .
(٣) الزيادة في الكامل : ٣/٣٤١ .
(٤) المُبرِّ : الفالِب .
(٥) الكامل : ٣٩٢ .

- ٢٠٧ -

وقال القمقاع بن عمرو يحض المسلمين على القتال يوم جلولاء (١) :
 " أهالكُم ما رأيتمُ أيها المسلمون ؟ " قالوا : " نعم ، إنا كآلون وهم
 مريجون " فقال : " إنا حاملون عليهم ومجادوهم ، وغير كافين ولا مقلصين
 حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فاحملوا عليهم عملة رجل واحد حتى تغالطوهم
 ولا يكذبَ أحدٌ منكم " .

- ٢٠٨ -

وخطب الناس يوم القادسية حين قدم عليهم بإصحابه من الشام فقال (٢) :
 " أيها الناس إني قد جئستكم في قوم ، والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسنوكم
 حسداً وكم خلطوتها وخاوتلوا أن يظفروا بها دونكم فاصنعوا كما أجمع " . فتقدم
 نحو جمع الفرس وطلب المبارزة .

- ٢٠٩ -

وقال حين اختلف الناس في مسجد الكوفة بين مناصر لعلي ، ومناصر لعائشة ،
 وداع إلى الاعتزال ، بمسدد أن أرسل علي وعائشة إلى أهل الكوفة ، كل يدعوهم
 إلى نفسه قبل الجمل (٣) :

" إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن تُرشدوا ، ولا تولن لكم قولا هوسو
 الحقير ، أما ما قال الأمير فهو الأمر لو أن إليه سبيلا ، وأما ما قال زيد فزيت
 في الأمر ، فلا تستنصحوه فإنه لا ينتزع أحدٌ من الفتنة طعن فيها وجرى إليه مسد
 والقول الذي هو القول إنه لا بد من إمامة تنظم الناس وترزع الظالم وتمز المظلوم ،
 وهذا علي يلي بما ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ،
 فانفروا وكونوا من هذا الأمر برأى ومسمع " .

(١) تاريخ الطبري : ٢٧/٤

البداية والنهاية : ٦٦/٧ .

(٢) تاريخ الطبري : ٥٤٣/٣ .

(٣) تاريخ الطبري : ٤٨٤/٤

تاريخ ابن الأثير : ٢٢٨/٣ .

ولما نزل عليّ - رضي الله عنه - بذي قار قبيل وقعة الجمل، دعا القمقماق ابن عمرو وأرسله إلى طلحة والزبير يدعوهم إلى الالف والجماعة، ويحظم عليهما الفرقة، وقال له عليّ يختبره: "كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني". فقال القمقماق (١):

"للقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء مضطأمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي، وكلناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي" قال علي: "أنسست لهما".

ولما قدم البصرة بدأ بمأشئة - رضي الله عنها - فسلم عليهما وقسمال: "أي أمّة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟" قالت: "أي بني، إصلاح بين الناس". قال: "فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فلما جاء قال لهما: "إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟" فقالت: "إصلاح بين الناس فما تقولان أنتما؟ أمتايعان أم مغالغان؟" قال: "متابعان". قال: "فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن، ولئن أنكرناه لنصلح". قال: "قتلة عثمان - رضي الله عنه - فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، وإن عمل به كان إحياءاً للقرآن".

قال: "قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتما ستائة إلا رجلاً، ففضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وغربوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلت - يعني سرقوس بن زهير - ففحصه ستة آلاف، وعيّن على رجل، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأدبلوا عليكم، فالذي حذرتهم وقربتهم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون، وأنتم أعضيتهم من ربيعة من هذه البلاد، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير".

فقالت أم المؤمنين: "فتقول أنت ماذا؟" قال: "أقول هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فملاحة خير، وتباشير رحمة، وتذكر بئار هذا الرجل

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٨،

تاريخ ابن الأثير: ٣/٢٣٢.

وعافيةً وسلامةً لهذه الأمة، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرةً هذا الأمر واعتسافه، كأنتم علامة شرٍّ، ونهاب هذا الثأر، وبعثة الله في هذه الأمة همزاً مزمهاً، فاشروا الحافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تعرضونا للبيسلاء ولا تعرضوا له، فيصرعنا ولياكم.

وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل، فإن شدا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر، وليس كالأمور، ولا تقتل الرجل الرجل، ولا النفس الرجل، ولا القبيلة الرجل.

فقالوا: "نعم، إذا قد أحسنت وأجبت المقالة، فارجع فإن قدم علي وهمسو على مثل رأيك صلح هذا الأمر".

٦٦-خطاب قيس بن عاصم المنقري :

رُغموا أن قيس بن عاصم كان فيمن تفاخر في مجلس النعمان حين دعا النعمان أمتع بيوت العرب وأعزها للمفاخرة في مجلسه، ونسبوا له قوله (١) :

"لقد علم هؤلاء أنا أرفمهم في المكرمات، وأثبتهم في الناقصات مقادير، لأننا أدركهم للثأر وأمنعهم للجار، وأنا لا ننكل إذا حملنا، ولا نسرام إذا حملنا "

(صبح الأعشى : ٣٧٩/١)

بلوغ الأرب : ٢٨١/١

وأرجح أن هذه المفاخرة منحولة عليه شأنها في ذلك شأن مفاخرة حاجب ابن زرة وأكثم بن صيفي عند كسرى .

وقال قيس بن عاصم وهو ينتظر ما يصنع الزبرقان بن بدر بعد وفاة النجاشي
- صلى الله عليه وسلم - ليخالفه ، وكانا يتنافسان على رئاسة بني سعد (١) :
" وأويلنا من ابن الحَكيلة ، والله لقد مَرَّقني فما أدري ما أصنع ، لأن أنسا
تأبعت أبا بكر وأتيت بالصدقة لينحرنها في بني سعد ، فليسودني فيهم ، وأئن
نحرتها في بني سعد ليأتين أبا بكر فليسودني عنده " .

وقال قيس بن عاصم يودع امرأة له من بني حنيفة حين أكرهه أهلها طمسي
طالقتها بعد أن أسلم (٢) : -
" أما والله لقد صحبتني سائرة ، ولقد فارتقتني غير عائرة ، لا صحبتك مطولـة
ولا أخلاقك مذمومة ، ولولا ما اخترت ما فَرَّق بيننا إلا الموت ، ولكن أمر الله ورؤاه
- صلى الله عليه وسلم - أحق أن يطاع " .
فقال له :
" أتيت بحسبك وفعلك ، وأنت والله إن كنت للدائم المحبة ، الكثير الحودة ،
القليل اللائمة ، المعجب الخلوة ، البعيد التوبة ، ولتعلمن أي لا أسكنكم من
بعدك ، إلى زوج " .

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٢٦٨ .

(٢) الأغاني : ١٤ / ٨٦ .

لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة جمع بنيه وقال يومئذهم (١) :
 " يا بني ، احفظوا عني (٢) فلا أحد أنصح لكم مني (٣) ، وإذا (٤) بيت
 فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيحقر (٥) الناس كباركم ، وتهونوا عليهم (٦)
 [فإن القوم إذا سودوا أكبرهم لم يفقدوا أباهم ، وصغروا كرائكم فسي
 أعقابكم ، وتزوجوا في مثل ذلك ، فإنكم إذا فعلتم مثل ذلك خلفتم أباكم] (٧) .

-
- (١) الطبقات الكبير : ٢٣/١/٧ ، المصرون والوصايا : ١٣٥ ،
 الكامل : ٢١٠/١ ، العقد : ٢٨٩/٢ ، ٢٠٤/٣ ،
 الأغاني : ٨٢/١٤ ، ٨٧ ، أمالي المرتضى : ١٠٨/١ ، الاستيعاب : ١٢٩٦/٣ ،
 الفائق : ١٣٥/٣ ، أسد الغابة : ٢٣٠/٤ ، الإصابة : ٢٥٢/٣ .
- (٢) في الكامل : " احفظوا عني ثلاثا " .
- (٣) جاءت هذه المقدمة في الكامل ، والعقد ، والاستيعاب ، وأسد الغابة ،
 وجاءت في أمالي المرتضى : " يا بني ، خذوا عني ، فإنكم لن تأخذوا
 عن أحد هو أنصح لكم مني " .
- (٤) في الكامل والعقد وأسد الغابة : " إذا أنا " .
- (٥) في الأغاني وأسد الغابة : " فيسفه " .
- (٦) اشتقنا هذا الجزء من الكامل والعقد والأغاني ، والاستيعاب ، وأسد
 الغابة ، وجاء في الطبقات الكبير : " يا بني ، سودوا عليكم أكبركم ، فإن
 القوم إذا سودوا عليهم أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سودوا أصغرهم
 أنزى بهم عند أكفائهم " .
- وجاء في المصمرين والوصايا : " أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، وسودوا أكبركم
 فإن القوم إذا سودوا أكبرهم لم يفقدوا أباهم ، ونزل عنه ابن حجر
 ذلك في " الإصابة " .
- وجاء في أمالي المرتضى : " وسودوا أكبركم ، فإنكم إذا سودتم
 أكبركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة ، وإذا سودتم أصغركم هان أكبركم
 على الناس ، وزهدوا فيكم " .

(٧) هذه الزيادة من " المصمرين والوصايا " .

عليكم بحفظ (١) المال [واصلنا] (٢) فإنه منبهة (٣) للكرام ، ويستغنى
به عن اللثيم ، وإياكم والمسألة (٤) ، فإنها آخر كسب الرجل (٥) ، [وإذا صيرت
فاد فنوني في ثيابي التي كنت أعملي فيها وأعموم] (٦) [ولا تتوجهوا عاصي
فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يُنح عليه] (٧) ، ولا تدفنوني عاصي
ميت تشمر بي بكر بن وائل ، فإنني كنت أغاؤهم (٨) في الجاهلية (٩) [فقد
كانت بيننا وبينهم تخمشات] (١٠) [فلا آمن سفيها منهم أن يأتي أمرا يدعهم
عليكم عيا في أبيكم] (١١) .

(١) في المصمرين والوصايا : " بطل " وفي الطبقات الكبير " عليكم بالمال "
وفي الأغاني والاصتياب ، وأسد الغابة : " بإصلاح " وفي الفائق : " عليكم
بالمال واحتجانه " .

(٢) زيادة في المصمرين والوصايا ، والطبقات الكبير ،

(٣) في الطبقات الكبير : " مأبهة " .

(٤) في الطبقات الكبير : " مسألة الناس " وفي المصمرين والوصايا : " مسألة
الرجال " .

(٥) في الطبقات الكبير : " فإنها من آخر مكسبة الرجل " وفي المصمرين والوصايا
وأما المرتضى : " آخر كسب المرء " وفي الأغاني : " فإنها آخر مكسب
الحيد ، وإن أمرا لم يسأل إلا ترك مكسبه " .

(٦) زيادة من الأغاني ، وفي أمالي المرتضى : " وكفوني " وجاء هذا الجزء بعد
المقدمة مباشرة .

(٧) زيادة من الطبقات الكبير ، والمصمرين والوصايا ، وأما المرتضى ، وفي أسد
الغابة : " ولا تقيموا علي نائحة ، فإنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه
عليه وسلم - نهى عن النائحة " .

(٨) المفاولة : المبادرة ، يريد معاليته إياهم بالشر والفارة ، انظر : الفائق :

٠١٣٥ / ٣

(٩) أثبتنا هذه العبارة عن الطبقات الكبير ، وجاء في المصمرين والوصايا : " ولا
يحملن بمدفني بكر بن وائل ، فإنني كنت أغاؤهم في الجاهلية ، وفي الأغاني
وأما المرتضى : " وإذا دفنتوني فاخفوا قبوري عن هذا الحي بكسر
ابن وائل " ، وفي الفائق : " وإذا ميت فحسبوا قبوري عن بكر بن وائل " .

(١٠) زيادة من المصمرين والوصايا ، والأغاني ، وأما المرتضى ، والفائق ،

(١١) زيادة من أمالي المرتضى ، وجاء في المصمرين والوصايا : " فأعاف أن يفتوكم
في دينكم ، أو يدخلوا عليكم غضاضة " .

وفي رواية أخرى أنه أوصى بنيه فقال لهم : (١) :
 " يا بني ، خذوا عني فلا أحد أنصح لكم مني ، وإذا دفتنوني فانسرفوا
 إلى رجالكم ، فسودوا أكبركم ، فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا
 سودوا أصغرهم أزدى ذلك بهم في أكفائهم ، ولأيامكم ومصيبة الله وقايمه
 الرحيم ، وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفقوا ارتفع ، ومن وضعوا اتفصح ،
 وعليكم بهذا المال فأصلحوه ، فإنه منبته للكرام ، وجنة لمرضى اللئيم ، ولأيامكم والمسألة
 فإنها آخر كسب الرجل ، وإن أحدًا لم يسأل إلا ترك الكسب ، ولأيامكم والنيابة
 فإنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينهى عنها ، وادفوني في شيبي
 التي كنت أملي فيها وأصوم ، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني ، فقد كانت بيبي
 وبينهم مشاحنات في الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يدخلوا عليكم
 بي عارا ، وخذوا عني ثلاث خصال : أيامكم وكل عرق لئيم أن تلبسوه ، فإنهم
 إن يسروكم اليوم يسوءكم غدا ، واكظموا الفيظ ، واحذروا بني أعينهم
 آباءكم فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال : -

أيها الضعفاء آباء لنا سلفوا

فلن تبيد ولا آباء أبائهم

(١) شرح نهج البلاغة : ١٢٢ / ١٧ ،

بلوغ الأرب : ١٧٣ / ٣ ،

ويلاحظ أن وصية قيس بن عاصم في هذه الرواية قد

لحققتها زيادات كثيرة بفصل عبث الرواة وتبريفهم -

في المصهور المتأخرة .

- ٤٠٠ -

- ٢١٦ -

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية فأشار له معاوية إلى الوساد ، فقال له : " اجلس " فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : " وما ضمك يا أحنف من الجلوس على الوساد ؟ " فقال : " يا أمير المؤمنين إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده أن قال (١) : "

" لا فشرّ السلطان حتى يملك ، ولا تقاطعه حتى ينسأك ، ولا تجلس له على فراش ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين ، فإن نسأك عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له ، فيكون قيامك زيادة له ، ونقصانا عليك " . حذني بهذا المجلس يا أمير المؤمنين ، لعلمك أنه أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني " .

فقال معاوية :

" لقد أوتيت تيمم الحكمة مع رقة هواشي الكلام " .

- ٢١٧ -

وكان قيس بن عاصم يوصي بنيه (٢) :
" إياكم والبني ، فما بغي قوم قط إلا قتلوا وذلوا " .

وقال : (٣) :

" الشيب خطام المنية " .

وسئل قيس (٤) : " بم سدت قومك (٤) :

فقال :

" بجذل القرى ، وترك المكار ، ونصرة المولى " .

(١) البيان والتبيين : ٥٣/١ ، المقد : ٤٢٦/٢ .

(٢) الأغاني : ٧٧/١٤ ، أمالي المرتضى : ١١٣/١ .

(٣) عيون الأخبار : ٣٢٤/٢ ، المقد : ٧٨/٢ .

زهراء الآداب : ٦٠٠/٢ .

(٤) عيون الأخبار : ٢٢٥/١ ، المقد : ٢٨٦/٢ .

الأغاني : ٧٦/١٤ ، الأمالي : ١٥٣/٢ .

أمالي المرتضى : ١١٣/١ .

٦٦٠ - خطاب مالك بن نويرة اليربوعي :

— ٢١٨ —

قال مالك بن نويرة لقومه حين بلغه خبر وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - يحثهم علي منع الزكاة (١) :

" يا بني تميم ، إنكم قد علمتم بأن محمد بن عبد الله قد كان بهامسني حين صدقاتكم قبل موته ، وقد هلك محمد ومضى إلى سبيله ، ولا بد لكم من هذا الأمر من قائم يقوم به ، فلا تطمئئوا أحدا في مالكم ، فأنتم أحق به من غيركم ."

— ٢١٩ —

وقال مالك بن نويرة لقومه حين علم بقدم خالد إليهم (٢) :

" يا بني يربوع ، إنا قد كنا عذينا أمراءنا ، إذ دعونا إلى هذا الدين ، [وطلبنا الناس عنه ، فلم نفلح ولم ننجح ، ولإني قد نظرت في هذا الأمر] (٣) فوجدت الأمر يتأتى لهم بغير سياسة ، ولذا أمر لا يسوسه الناس ، فإياكم ومناوأة قوم صُنع لهم ، فتفرقوا إلى دياركم وأدخلوا في هذا الأمر ."

(١) كتاب الفتوح لابن اعثم : ٢١ / ١ .

(٢) تاريخ الطبري : ٢٧٧ / ٣ ،

شرح نهج البلاغة : ٢٠٥ / ١٧ .

نهاية الأرب في فنون الأدب : ٨٣ / ١٩ .

(٣) الزيادة في شرح نهج البلاغة ، ونهاية الأرب في فنون الأدب .

- ٢٢٠ -

قال متعم بن نويرة يصف أخاه مالكا حين سأله عمر بن الخطاب عنه (١) :

" كان والله أخي [مالك] (٢) في الليلة المظلمة ذات الأريز والصراد (٣) ، يركب الجمل ، الثفال (٤) ، ويجنب الفرس الجرور (٥) ، وفي يده الرمح الثقيل (٦) وعليه الشملة الفلوت (٧) ، وهو بين المرات تسعين [المضرجتين] (٨) حتى يصبح ، فيصبح أهله متبسما " .

- ٢٢١ -

وفي رواية أخرى أنه قال يذكر أخاه : (٩) :

" كان يخرج في الليلة الصنبر عليه الشملة الفلوت ، بين المرات تسعين (١٠) ، على الجمل الثفال ، صحتل الرمح الخطل (١١) " .

-
- (١) الكامل : ٨٠ / ٤ ، الأغاني : ٣٠٧ / ١٥ ، شرح الميرون : ٨٨ .
 شروح سقط الزند : ٥٨٧ / ٢ / ٢ ، فوات الوفيات : ٢٣٤ / ٣ .
- (٢) من شروح سقط الزند .
- (٣) الصراد : الريح الباردة مع ندى ، وفي الأغاني : " الباردة " ، وفي شرح الميرون : " الصرير " وفي فوات الوفيات : " القرّة " . والأريز : البرد الشديد .
- (٤) الثفال : البطيء السير ،
- (٥) الجرور : الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه ، وإنما يجرّ الحبل ، وفي شرح الميرون ، وفوات الوفيات : " الحرون " .
- ويجنب الفرس : يقوده إلى جنبه .
- (٦) في الأغاني : " الخطي " وفي شروح سقط الزند " الخال " .
- (٧) الشملة : كساء ، أو مئزر يتشح به ، والفلوت : التي لا ينضم طرفاها لصخرها .
- (٨) من الأغاني ، والمضرجتان : المشققتان .
- (٩) البيان والتبيين : ٢٥ / ٣ ، المقادير : ١٤١ / ١ .
- (١٠) مزادة نضوح : تنضح الماء .
- (١١) الرمح الخطل : الطويل الذي يضطرب في يد صاحبه ويذكر الرجل
- بذلك إذا كان حادقا بالطن .

-٢٢٢-

قام مُحَرِّز بن شهاب السعدي حين اختلف أصحاب علي بعد عَفْسِيين بين دِاعٍ إلى قتال الخوارج أولاً ، ودِاعٍ إلى قتال أهل الشام ، فقال لحلي (١) :
 " يا أُمير المؤمنين ، شيعتك كقلب رجل واحد في الاجتماع علي نُصرتك ،
 والبدد في جهاد عدوك ، فأبشر بالنصر ، وسر بنا إلى أبي الفريقين أحببت ، فإنما
 شيعتك الذين نرجوا في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب ، ونخاف ففسسي
 غداً لانك والتخلف عنك شدة الويل " .

*

*

*

٧٠ - خطاب محمد بن عُمير بن عَطَّار الدارمي :

ولما اختلف أصحاب علي في موقعة أهل الشام في صفين قام محمد بن عمير
 ابن عطار إلى علي وقال له (٢) :
 " يا أُمير المؤمنين ، إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب إلى الناس من معاوية
 ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم - خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية
 اليوم ، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب وعيب السواقف فقاتل القوم إننا معك " .

(١) تاريخ الطبري : ٨٠ / ٥ .

(٢) الإمامة والسياسة : ١٢٦ ،

كتاب الفتوح لابن أعثم : ١٦٤ / ٣ - ١٦٦ .

ونسبت هذه الخطاب في صفين لعُمير بن عَطَّار بن حاجب والد محمد
 علي أنه سيد تميم الكوفة وصاحب لوائها يومئذ ، انظر : وقعة صفين : ٣٤٦ ،
 والإمامة والسياسة : ١٢٦ ، ولكن الأرجح كما أثبتناه أن سيد تميم الكوفة
 في صفين هو محمد بن عمير ، كما ذكر في تاريخ خليفة بن خياط : ١٧٧ / ١
 والإصابة : ٥١٧ / ٣ ، بالإضافة إلى أن عمير بن عطار لم يذكر له شأن
 في الإسلام ولم يمتد في الخطباء .

- ٢٢٤

قال محمد بن عمير بن عطار لعمالي في صفين وقد أبلت مضر يومها بملاة
عظيما (١) :

" يا أمير المؤمنين ، قد كان ضئي بالناس حسنا ، وقد رأيت منهم ففسوق
ضئي بهم ، قاتلوا من كل جهة وبلغوا من عفوهم جهد عدوهم ، وهم لهم وإن شاء
الأسسه " .

- ٢٢٥

قال محمد بن عمير بن عطار يفاخر بالكوفة في مجلس عبد الملك بن مروان
وقد وفد عليه مع الحجاج في وجوه أهل العراق بعد وقعة دير الجماجم (٢) :

" إن الكوفة قد سفلت عن الشام وبائها ، وارتفعت عن البصرة وحدها ،
[وجاورها الفرات ، فعذب ماؤها وأب ثمرها] (٣) فهي مريضة مريضة ،
عذبة شرية ، إذا أتتنا الشمال ذمبت مسيرة شهر على مثل رخصاير الكافور ،
وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السواد وورده وباسمينه وأترجه ، طوعنا
عذبنا وعيشنا خصب " .

*

*

*

٢٢٦ - خطاب محمد بن مسلم الحنبري :

- ٢٢٦

لما استدعاه عاصم بن عبد الله والي هشام على خراسان سنة ١١٦ هـ في قتل
الحارث بن سريج بعث الحارث بن سريج إليه محمد بن مسلم الحنبري رسولا ،
فقال محمد لعاصم (٤) :

" إن الحارث ولجوائكم يقرئكم السلام ، ويقولون لكم : قد عاشتم
وعطشت دوابنا ، فدعونا ننزل الليلة ، وتختلف الرسل فيما بيننا ، ونتناظر
فإن وافقناكم على الذي تريدون ولولا كنتم من وراء أمركم " .

-
- (١) وقعة صفين : ٣٤٦ ، شرح نهج البلاغة : ٢٤٥/٥ .
(٢) عيون الأخبار : ٢٢٠/١ ، مختصر كتاب البلدان : ١٦٤ ، ١٦٣ ، والمقصد
: ٢٤٥/٦ ، مروج الذهب ، (ط طهران : ٣٤٨/٥ ، معجم البلدان :
٣٢٤/٤ .
(٣) الزيادة من مختصر البلدان : ١٦٣ ، مروج الذهب (ط طهران) :
٣٤٨/٥ .
(٤) تاريخ الطبري : ١٧/٧ .

٧٦- خطب مخاشن بن معاوية بن شريف الأسدي :

٢٢٧-

قال مخاشن بن معاوية بن شريف الأسدي يوصي قومه (١) :
 " يا بني تميم ، أتل النار رحمة الملوك ، وإن الملوك يبتلون بالشقي (٢)
 السعيد ، ومنجاة من نأوا الملوك الصبر وكتمان السر ، وأول الظفر الابتناع ،
 وأول البلاء الغشيل ، وآفة الكرم جوار الثام ، وقد غلب على الكرم من سبق إليه
 استأوا ألسنتكم يعم على عدوكم ، فإنه من كتم سره عي كيده على عدوه " .

*

*

*

٧٧- خطب أبي بلال مرداس بن أدية الخارجي :

٢٢٨-

وقال أبو بلال مرداس لزياد بن أبيه حين انتهى من خطبته المسترأ
 المشهورة في البصرة (٣) :
 " أنبأنا الله بخير ما قلت (٤) ، فقال : " وإبراهيم الذي وقى ، ألا تزر
 وزارة وزير أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى " (٥) . وأنت تزعم أنك تأخذ
 البري بالسقيم والصالح بالصافي ، والمقبل بالمدير " .
 فسمعه زياد فقال : -
 " إنا لا نبليخ ما نريد فبك وفي أمحابك حتى نخوض إليكم الباطل
 خوضاً " .

وفي رواية أخرى أنه قال (٦) :

" قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان (٧) ، وما هكذا ذكر الله - عز وجل - نبيه
 إبراهيم فقال : " وإبراهيم الذي وقى ، ألا تزر وزارة وزير أخرى ، وأن ليس للإنسان

(١) المصرون والوصايا : ١٤٥ .

(٢) هكذا وردت وهي مضطربة .

(٣) البيان والتبيين : ٢ / ٦٥ ، عيون الأخبار : ٢ / ٢٤٢ ، المقصد : ٤ / ١١٢ .

(٤) في عيون الأخبار : " قد سمعنا مقالته ، أيها الأمير ، وإن خليل الله إبراهيم
 عليه السلام أتى عن الله غير الذي أدبته " .

(٥) سورة النجم آية ٣٧-٣٦ .

(٦) الكامل : ٣ / ٢١٤ ، النوادر : ١٨٦ ، الأخبار الموفقيات : ٣٠٤ ، ٣٠٦ .

(٧) في النوادر : " يا أيها الإنسان ، إنا قد سمعنا ما نعت به ، وما أريت
 عن نفسك ، وإن الله ذكر ولبه وخليله إبراهيم " .

إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى " وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالمعاصي ، وتقتل بعضنا ببعض " .

وفي رواية أخرى أنه قال (١) :

" أنبا الله بخير ما قلت ، قال الله تعالى : " وإبراهيم الذي وفى ، ألا تذر وزارة ووزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى " فأوعدنا الله عسيراً مما وأعدت يازيان " .

- ٢٢٩ -

وقال أبو بلال مرداس حين سمع بخروج قريب بن مرة الأزدى وزخاف بمن زحر الطائي ، واستعراضها الناس بالبصرة سنة ٥٣ هـ (٢) :

" قريب لا قرب الله من كل خير ، وزحان لا عفا الله عنه ، لقد ركباهما عشواء مظلمة " .

وفي رواية أخرى أنه قال (٣) :

" قريب لا قرب الله ، وآيم الله لأن أتع من السماء إلى الأرض ، أحسب إلي من أن أضع كما صنع " .

- ٢٣٠ -

وقال أبو بلال لأصحابه لما عزم على الخروج (٤) :

" إنه والله ما يسمنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجري علينا أحكامهم ، مجانين للعدل ، مفارقين للفصل ، والله إن الصبر على هذا لمظيم ، ولن تجريد السيف وخافة السبيل لمظيم ، ولكننا ننتبذ عنهم ، ولا نجرد سيفنا ، ولا نقاتل، إلا من قاتلنا " .

-
- (١) تاريخ الطبري : ٢٢١ ، شرح نهج البلاغة : ٢٠٣/١٦ ،
نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣١٤/٢٠ .
(٢) أنساب الأشراف : ١٥١/١/٤ ، المقصد : ٢٢١/١ .
(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ٢١٠/١ ، تاريخ الطبري : ٢٣٨/٥ .
(٤) الكامل : ٢٤٩/٣ ، المقصد : ٢١٦/١ ، ٣١٩/٢ ، شرح نهج البلاغة : ٨٤/٥ .

وفي رواية أخرى أنه قال لأصحابه (١) :

"إن الإقامة على الرضا بما يرى لذنب ، وإن تجريد السيف وقتل الغاصب ،
لما ظلم ، ولكننا نخرج من بين أظهرهم ، ولا نهيج أحداً ونمنع من قدرنا على من
منعه من الظلم ، فإن أرادنا قوم بظلمهم امتنعنا منهم " .

-٢٣١-

وقال أبو بلال لحيثن مر بهم بأسك كان قاصدا خراسان (٢) :

" فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفس في الأرض ، ولا لنزوع العبد ،
ولكن هربا من الظلم ، ولسنا نقاتل إلا من يُقاتلنا ، ولا نأخذ من الفسسي
إلا أعطياتنا " .

-٢٣٢-

وقال أبو بلال لأصحابه حين اصطف أصحاب أسلم بن زرعه الكلابسي
لقتالهم : (٣) :

" استمينا بالله واسبروا ، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ،
وقد بدا لكم القوم " .

-٢٣٣-

وقال أبو بلال لأصحابه حين لقيهم جيش أهل البصرة وعليهم عباد بن
الأخضر المازني بتوج (٤) :

" من كان منكم إنما خرج للدنيا فلينذهب ، ومن كان منكم إنما أراد الآخرة
ولقاء ربه ، فقد سبق ذلك إليه ، وقرأ " من كان يريد حرث الآخرة نزله في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منيها ، وما له في الآخرة من نصيب " (٥) :

فنزل ونزل أصحابه معه ولم يفارقه منهم إنسان ، فقتلوا من عندهم
أغرضهم .

-
- (١) أنساب الأشراف : ١٥٨/١/٤ ، معجم البلدان : ٦٢/١ .
(٢) الكامل : ٢٥١/٣ ، العقد : ٤٠٠/٢ ، ٢١٨/١ شرح نهج البلاغة : ٨٥/٥ .
(٣) أنساب الأشراف : ١٥٨/١/٤ .
(٤) تاريخ الطبري : ٤٧١/٥ .
(٥) سورة الشورى : آية : ٢٠ .

٢٣٤- وقال أبو بلال لأصحاب قافلة مرت بهم بعد أن خرجوا من البصرة وأصابتهم خصاصة (١) :
 " قد رأيتم ما كان يوءى إلينا ، ولعلنا لو صبرنا كان خيراً لنا ، وقد أصابتنا خصاصة ، فتمدّدوا فإن الله يجزي المتمدّدين " .

* * *

٧٤- خطاب مسعر بن فدكي بن أعبد المنقري الخارجي :

٢٣٥- لما رفع معاوية المصاحف على الرماح يوم عفيف حذر علي أصحابه من الخدمة فدخل عليه مسعر بن فدكي في عصابة من القراء وقال له : (٢) :
 " يا علي أجب إلي كتاب الله - عز وجل - إن رُعيت إليه ، وإلا ندفعك يومئذ إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان ، إنه علينا أن نصل بما في كتاب الله - عز وجل - فقبلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك " .

* * *

٧٥- خطاب مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس الدارمي :

٢٣٦- كان مسكين بن عامر في جيش معقل بن قيس الرياحي حين خرج لقتال الخوارج من أصحاب المستورد ، فلما فشيت الخوارج أصحاب معقل ، أنجلت عنه شباهه ، وكان مسكين بن عامر يومئذ من أشجع الناس وأشدّهم بأساً ، فشبت مع معقل و...
 بالناس (٣) :-
 " يا أهل الإسلام ، أين الفرار وقد نزل أميركم ، ألا تستحيون ، إن الفرسار مشرقة وتار ولوهم " فرجعت إليه خيل عظيمة .

-
- (١) تاريخ خليفة بن خياط : ٢٥١/١
 (٢) وقعة صفين : ٥٦٠ ، تاريخ الطبري : ٤٩/٥
 تاريخ ابن الأثير : ٣/٣١٧ .
 (٣) تاريخ الطبري : ٥/١٩٧ .

-٢٣٧-

وقال المسيب بن بشر الرياحي لمن انتدب معه من أهل سمرقند
لا نقاذ أهل قصر الباهلي لما حصرهم الترك سنة ١٠٢ هـ (١) :
" إنكم تقدمون على حلبة الترك ، حلبة خاقان وغيرهم ، والحوش إن صبرتم
الجنة ، والعقاب النار إن فررت ، فمن أراد النزو والصبر فليقدم " .
ولما صار على نصف فرسخ من الترك قام في أصحابه خطيباً فأمرهم أن يشدوا
على خيولهم ، " فحثبهم على الصبر ، وحثبهم فيما يصبر إليه أهل الاحتساب
والصبر ، ومالهم في الدنيا من الشرف والفنية إن شافوا " (٢) وقال لهم (٣) :
" اكتموا دوابكم وقودها ، فإن دنوتم من التوم فاركبوها ، وشدوا شدّة
صادقة ، وكبروا ، وليكن شعاركم : يا محمد ولا تتبعوا مولياً ، وهايكم بالدواب
فامضوها ، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشدّ عليهم منكم ، والقليل الصابر خير من
الكثير الفشل ، وليست بكم ثلّة ، فإن سبعمائة سيف لا يضرّ بها في عدكم
إلا أوهنوه طان كثر أهلها " .

-٢٣٨-

وقال لأصحابه لما هزموا الترك عند قصر الباهلي ، وقد خشي أن يكسروا
عليهم (٤) :
" لا تتبعوهم ، فإنهم لا يدرون من الرغب أتبعتموهم أم لا ، واقصدوا
والقصر ، ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ، ولا تحملوا من يقدر على
الحشي ، من حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حقة فأجره على الله ، ومن أبس
فله أربعون درهماً ، طان كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاهملوه " .

(١) تاريخ الطبري : ٦/٦٠٨ .

(٢) ساق الطبري هذا الجزء بالمعنى هكذا .

(٣) تاريخ الطبري : ٦/٦٠٩ .

(٤) تاريخ الطبري : ٦/٦١٠ .

-٢٣٩-

قام معقل بن قيس في أهل الكوفة حين تناقلوا لما ندبهم على - رضي الله عنه - معه لقتال يزيد بن شجرة الرهاوي ، الذي أرسله معاوية إلى مكة لإقامة الحج سنة ٣٧ هـ فقال (١) :

"أيها الناس ، انتدبوا فإنما هي أيام قلائل حتى ترجعوا إن شاء الله ، فإني أرجو أن لو سمعوا بنفيكم إليهم تفرقوا تفرق ممزى الفز (٢) فوالله إن البهائم شي سبيل الله خير من المقام تحت سقوف البيوت والتضييع خلف أعجاز النساء " .

-٢٤٠-

وقام معقل إلى علي - رضي الله عنه - لما عزم الخريت بن راشد الناجي زيات بن خصفة وجيشه بالمذار فقال (٣) :

"أصلحك الله يا أمير المؤمنين ، إنما كان ينبغي أن يكون مع من هذا المسبب هؤلاء مكان كل رجل منهم عشرة من المسلمين ، فإذا لحقوهم استأصلوهم ، وقد أصابوا دابرتهم ، فأما أن يلقاهم أعدادهم فلمعري ليصيرن لهم ، هم قوم عرب والحصنة تسير المحنة ، وتغصق منها " .

-٢٤١-

وقام معقل في أصحابه حين بلغ الأهواز لقتال الخريت بن راشد وتأخر عنه بحث أهل البصرة فقال لهم (٤) :

"يا أيها الناس ، إنا قد انتظرنا أهل البصرة ، وقد أبأوا علينا ، وإسمر، محمد الله بناقلة ولا وحشة إلى الناس ، فسيروا بنا إلى هذا الصد والقليل ، الذليل ، فإني أرجو أن ينهركم الله وأن يهلكهم " .

(١) أنساب الأشراف: ٢/٤٦٣ .

(٢) الفز : لقب لسعد بن زيد مائة بن تميم ، وقصة هذا المثل أن سعدا أبي أولاده أن يرعوا الممزي ، فوافي بهما في الموسم ويأج بالناس : " من أخذ منها واحدة فهي له ولا يؤخذ منها فزرا " (أي أكثر من اثنتين) فشرى به المثل فقالوا : " لا آتيك ممزى الفز " أي حتى تجتمع ، وهي لا تجتمع أبدا ، اللسان : مادة (فز) .

(٣) أنساب الأشراف: ٢/٤١٤ ، تاريخ النابري : ١٢١/٥ .

شرح نهج البلاغة : ٣/١٢٨ .

(٤) تاريخ النابري : ١٢٢/٥ ، شرح نهج البلاغة : ٣/١٣٦ .

-٢٤٢-

وقال معقل يخرجه أصحابه على قتال الشريث بن راشد وأصحابه من الخوارج حين أرسله علي - رضي الله عنه - إليهم (١) :

"عباد الله ، لا تعدلوا القوم بأبصاركم ، غفوا الأبصار ، وأقلوا الكلام ، وواثوا أنفسكم على الناصب والخرب ، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم ، وأنصبا ثلاثون مائة مائة من الدين ، وعلووا منصرف الخراج ، وأكراداً ، أنظروني في إذا سمعت فشتوا شدة رجل واحد " .

-٢٤٣-

وقال معقل لأصحابه وقد لحقوا بالشريث ومن معه من الخوارج (٢) :

" أيها الناس المسلمون ، ما تريدون (٣) أفضل مما سيق لكم في هذا الموقف من الأجر العظيم ، إن الله ساقكم إلى قوم منحوا الصدقة ، وارتدوا عيسى بن الإمام ، ونكثوا البيعة لما وعدوا ، فأشهد لمن قتل منكم بالجنة ، ومن عاشر فإن الله مقرر عنه بالفتح والخليفة " .

-٢٤٤-

وقام معقل إلى المغيرة بن شعبة حين خطب المغيرة في الناس وحدثهم أن يخرج أي من جماعة المستورد في قبائلهم فقال له معقل (٤) :

" أيها الأمير ، هل سمي لك أحد من هؤلاء القوم ؟ فإن كانوا قتلوا لله فأعظمنا من هم ؟ فإن كانوا منا كفيناكم ، فإن كانوا من غيرنا أمرت أشجعنا المظلة من أهل مصرنا ، فأنتك كل قبيلة بسفهاها " .

فقال المغيرة : " ما سمي لي أحد منهم ، ولكن قد قيل لي إن جماعة يريدون أن يخرجوا بالمصر " فقال معقل له :

" أرحك الله ، فإني أدير في قومي ، وأكفيك ما هم فيه ، فليكنكم كمن أدير من الروءساء قومه " .

(١) تاريخ الطبري : ١٢٣/٥ ، شرح نهج البلاغة : ١٣٦/٣

(٢) تاريخ الطبري : ١٢٦/٥ ، شرح نهج البلاغة : ١٤٢/٣

(٣) في الأصل " تريدون " .

(٤) تاريخ الطبري : ١٨٤/٥ - ١٨٥

وقام معقل إلى المفيرة حين استشار المفيرة الناس بالكوفة، فيمن يرسل إلى المستورد والخوارج الذين خرجوا عليه، فقال له (١) :

"رأيتك لا تبحث إليهم أحدا ممن ترى حولك من أشراف المير إلا وجهته مائلا مائلا، ولهم مفارقا، ولهم مفاقرا، ولا أرى أصلحك الله أن تبحث إليهم أحدا من الناس. أعدى لهم ولا أشد عليهم مني، فابحثني إليهم فانسي أكفيكم بإذن الله ."

وقال معقل بن قيس لجيشه حين بحثه المضرة بن شمعة لقتال الخوارج وعليهم المستورد التميمي، وجدّ الخوارج بالمسير حتى يتقطع أهل الكوفة (٢) :

"إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم إرادة أن تتعجلوا في آثارهم، فتقطعوا وتبيدوا، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تعبتهم، وأنه ليس شيء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله ."

ولما جدّ الخوارج بالمسير عن الكوفة، أرسل إليهم معقل بإطاعة من يشهه ليلدعوا بهم، فخطب عليهم المستورد، وعلم معقل بذلك، فدعا إليه محرز بن شهاب البجلي التميمي وقال له (٣) :

"تخلف في ضعة الناس، ثم سر بهم على مهل حتى تقدم بهم علمي، ثم ناز في أهل القوة ليتعجل كل ذي قوة معي، اعجلوا إلى إغوانكم، فإنهم قد لا قوا عدوهم، ولاني لأرجو أن يهلكهم الله قبل أن تصلوا إليهم ."

(١) تاريخ الطبري : ١٨١/٥ .

(٢) تاريخ الطبري : ١٥٤/٥ .

(٣) تاريخ الطبري : ١٦٦/٥ .

وقام محتل في جيشه حين خشي عليهم البيات من أصحاب المستورد
بالحدار فقال لهم (١) :

" أيها الناس ، لو أتوكم فبدوا (٢) بغيركم ، فقاتلوهم ، فلا تبرعوا
أنتم مكانكم أبدا حتى يأتكم أمري ، وليضرب كل رجل منكم الوجه الذي هو فيمسه
حتى ندرى فري رأينا " .

٧٨- خطاب المنيرة بن زارة بن النباش بن حبيب الأسدي :

قال المنيرة بن زارة بن النباش ليزيد جرد حين أوفده سعد بن أبي وقاص
إليه في جماعة من أهل المهابة والرأي والجلد بأمر من عمر بن الخطاب قبيل القادسية ،
ليدعوه إلى الإسلام ، فلما قدموا عليه ، غاب يزيد جرد العرب وتعرض لهم (٣) :

" أيها الملك ، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشرف يستعينون
من الأشراف ، ولما يكرم الأشراف الأشراف ، ويحظون حقوق الأشراف ، ويغفم
الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا به جمعه لك ، ولا كل ما تكلمت به أبا بؤك
عائيه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ، فجاءوني لأكون الذي أبلغك
ويشهدون على ذلك ، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما ، فأما ما ذكرت مسن
سوء الحال ، فما كان أسوأ حالا منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا
نأكل الخنافس والجفان (٤) والمقارب والسميات ، ففري ذلك طعامنا ، وأما المنازل
فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الضم ، نبتنا
أن يقتل بعضنا بعضا ، ويغير بعضنا على بعض ، وإن كان أحدا لا يدفن ابنه
وشي حياة كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ،
فبعض اللهمالينا رجلا مصروفا ، نصرف نسية ، ونصرف وجهه ومولده ، فأرضه خسير
أرضنا ، وحسبه خير أعسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو بنفسه

- (١) تاريخ الطبري : ٢٠٠ / ٥
(٢) النصف في الأصل (فدا) والأرجح ما اشتباه من تاريخ الطبري ، (طه طهران)

٥٣ / ٢ :

- (٣) تاريخ الطبري : ٤٦٥ / ٣ - ٥٠٠

تاريخ ابن الأثير : ٢٢٣ / ٢

- (٤) الجفان : دوية ، القاموس ، مادة (جفان)

كان غيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحسنا ، فدعانا إلى أمر فلسس
 بوجه أحد قبل ترب (١) كان له ، وكان الخليفة من بعده ، فقال وقتلنا ، وسس
 وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئا إلا كان فخذف الله في قلوبنا التصديس
 واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا
 فهو أمر الله ، فقال لنا : " إن ربكم يقول : " إني أنا الله وحدي لا شريك لي ،
 كنت إذ لم يكن شيء ، وكل شيء عاك ، آلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، والي يصير
 كل شيء ، وإن رحمتي أدرتكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل
 التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأجلكم داري ، دار السلام ، فنسب
 عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال (٢) : " من تابعكم على هذا فلسس
 ما لكم ، وعليه ما عليكم ، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ، ثم امنموه ما تمنعون منه
 أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جنتي ، ومن
 بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه " فاختران شئت الجزية عن يدٍ وأنست
 ماخر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتتجى نفسك .
 فقال يزدجرد : " لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم
 عندي " .

(١) يقصد به أبا بكر .

(٢) يقصد الله تعالى ، ويروي ذلك بالمعنى .

٢٤٠ - خطاب هلال بن وكيع بن بشر الدارمي :

- ٢٥٠ -

وقال هلال بن وكيع بن بشر الدارمي لصبر بن الخطاب حين وفد عليه مع الأحنف وزيد بن جيلة (١) :

" يا أمير المؤمنين ، إنا لباب من خلفنا من قومنا وفرة من وراءنا من أهل مصرنا ، ولزناك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا ، والفرائض لمعيلاتنا ، يزيد ذلك من الشريفة تأميلا ، وتكن لذوي الأحساب أبا وبولا ، فإننا إن نكن مع ما نصصت به من فضائلك ، ونبدلي به من أسبابك ، كالجد الذي (٢) لا يحل ولا يرحد ، نرجس بانف مملومة (٣) ، وجدود عائرة (٤) لمحننا (٥) وأهالينا ، بسجل من سجل المسئلة المحترمة " .

*

*

*

٢٤١ - خطاب وكيع بن أبي سود الفداني (٦) :

- ٢٥١ -

وقال وكيع يوم قتل قتيبة (٧) :-

انا ابن خندف تصني قبائلها
للصالحات وعمي قيس عيلانسا
ثم أخذ بلحيته وقال :

شيخ إذا حمل مكروهة شد الشراسيف لها والحزيم (٨)
والله لأقتلن ، ثم لأقتلن ، ولأصلبن ، ثم لأصلبن ، إني والقدما ، وإن مرزباننم
هذا ابن الزانية قد أغلى عليكم أسماركم ، والله ليصيرن القفيز في السوة غدا
بأربعة أو لأصلبنه ، علوا على نبيكم " .

(١) البيان والتبيين : ١٤٣ / ٢ ، نهاية الأرب في فنون الأدب : ٢٣٩ / ٧ .

(٢) الجد : البئر القليلة الماء ، أو الماء يكون في أرف الفلاة ، يعني أنه ليس بموضع حلول وارتحال لقلة جدواه .

(٣) المملومة : المقطوعة من أصلها .

(٤) العائرة : الحناوة ، والعائرة : كل ما أعل الصين ، يقصد خيبة الأمل .

(٥) الصطاء .

(٦) اسمه وكيع بن حسان بن قيس بن أرمي سود ، النقائض : ٣٥٠ / ١ .

(٧) تاريخ الطبري : ٥١٧ / ٦ .

(٨) الشراسيف : أراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن ، والحزيم : موضع

الحزام من الصدر والظاهر ، وذكر الطبري صدر البيت برواية أخرى :
" قرم إذا حمل مكروهة " .

تاريخ الطبري : ٥١٤ / ٥ .

وعهد وكيع المنير بمد أن قتل قتبية بن مسلم فقال : (١) :
" مثلي ومثل قتبية كما قال الأول :

من ينك القبر ينك نيكاكـا (٢)

أراد قتبية أن يقتلني وأنا قتال .

قد جرّوني ثم جرّ بوني من غلوتين ومن المئين
حتى إذا شبت وشيوني خلوا عاني وتكبونني

أنا أبو مطـر فـ " .

طلب وكيع رأس قتبية وخاتمه بمد أن قتله ، ف قيل له : " إن الأزد أخذته " (٣) :
فصعد المنير [فلم يحمد الله عز وجل ولم يصل على النبي - صلى الله عليه وسلم] (٤) وقال :

" كده درين سعد القين (٥)

في أي يوم من الموت أفر أيوم لم يقدرام يوم قسدر
لا خير في أحزم جيات القرع في أي يوم لم أزع ولم أزع

والله الذي لا إله غيره لا أبرج حتى أوتى بالرأس ، أو يذهب برأسي

مع رأس قتبية (٦) " .

وجاء بخشب وقال : " إن هذه الخيل لا بد لها من فرسان - يتمدد
بالصاحب - " .

(١) تاريخ الأبري : ١٧/٦ ، تاريخ ابن الأثير : ١٨/٥ .

(٢) مثل يضرب في مغالبة الغلاب ، التاج .

(٣) النقائص : ٣٦٣/١ ، وقد دمجت فيه خطاب وكيع الثلاثة التي قالها في مقتل قتبية
في خطبة واحدة .

تاريخ الأبري : ١٨/٦ ، تاريخ ابن الأثير : ١٨/٥ ، لم يذكر الشعر .

(٤) الزيادة من النقائص .

(٥) مثل يضرب في الباطل ، وجاء في اللسان ، مادة (سعد) : " وفي المثل في
الباطل : كده درين سعد القين ، ومعناها عندهم الباطل . . . قال ابن
سيده : " كأنه قال بطل سعد القين " .

(٦) وانظر اللسان مادة (دجده) أيضا : " أين الرأس والله لا أنزل حتى أتى برأس سعد بن نجر
وجاء في النقائص : " أين الرأس والله لا أنزل حتى أتى برأس سعد بن نجر
أو يخرج الرأس " وسعد بن نجر ، هو الأزد الذي أخفى الرأس .

أوسى وكيع بن أبي سؤد الفدائي بنيه لما حضرته الوفاة فقال : (١)
 " يا بني إني لأعلم أن قوما سيأتونكم غداً أقرحوا جباههم ، وعرضوا لحاهم ، يدعون
 أن لهم على أبيكم ديناً ، فلا تغضوهم فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر
 الله له لم تضرره ، وإلا فهي مع ما تقدم " .
 وفي رواية أخرى أنه قال (٢) :

" يا بني إني لو قد علكت أتاكم قوم قد شمروا ثيابهم ، وحلقوا شواربهم ،
 وعفروا جباههم ، فقالوا : إن لنا على أبيكم ديناً ، فاقضوا دين أبيكم ، ألا وإن قبلك
 أبيكم تبهات إن يغفرها الله له فالدين أحسن مما هنالك ، وإن تكن الأخرى ،
 فلا يهلكن وتذهب أموالكم " .

*

*

*

٨١ — خطاب يزيد بن عمير الأسدي :

قال يزيد بن عمير الأسدي يوصي بنيه (٣) :

" يا بني تعلموا الرد فإنه أشد من الإعطاء ، ولأن يعلم بنو تميم
 أن عند أحدكم مئة ألف درهم أعظم له في أعينهم من أن يقسمها فيهم ، ولأن يقال
 لأحدكم : بخيل وهو غني خير له من أن يقال سخي وهو فقير " .

(١) عيون الأخبار : ٦١ / ٢ .

(٢) المعمرين والوضايا : ١٤٠ .

(٣) عيون الأخبار : ١٣٨ / ٣ .

- ٢٥٦ -

لما حضرت الحجاج الوفاة دخل عليه أبو الصذر يعلى بن مخلد المجاشعي ، وقال له (١) : " كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت ، وسكراته ؟ " فقال : " يا يعلى غماً شديداً ، وجهداً جهيدا ، وألماً مريضاً ، ونزعاً جريئاً ، وسفراً طويلاً "

فقال له يعلى : " يا حجاج إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء ، أولي الرحمة والراقة والتحنن على عباده وخلقه ، وأشهد أنك قرين فرعون وهامان لسوء سيرتك ، وترك ملتك وتنكيبك عن قصد الحق ، وسنن المحجة ، وأثار المالعين . قتلت عالمي الناس فافنيتهم ، وأبرت (٢) عثرة التابعين ففتبرتهم ، وأطعمت المخلوق في محمية الخالق ، وهرقت الدماء ، وضربت الأبخار ، وهتكت الأستار ، وسُستت سياسة متكبرين بار ، لا الدين أبقيت ، ولا الدنيا أدركت ، أعزرت بني مروان ، وأذلت نفسك ، وعمرت دورهم وأخربت دارك فالיום لا يُنجونك ولا يفيثونك ، إن لم يكن لك في هذا اليوم ولا لما بعده نذار ، لقد كنت لهذه الأمة اهتماماً واغتماماً وحناءاً وبلاءاً ، فالحمد لله الذي أراحها بعوتك ، وأعطاهم منها بخزيك . (٣) . وكانما قطع لسانه عنه فلم يحصر جواباً ، وتتفرع السمداً ، وخنقة العبرة ، ثم رفع رأسه فنذر إلى يعلى ، وأنشأ يقول :

ربَّان العباد قد أياسوني
ورجائي لك الفداة عظيم

*

*

*

٨٣ - خطبة لامرأة من يربوع :

- ٢٥٧ -

لما ضرب ضرار بن الأزور عنق مالك بن نويرة وجعل رأسه أشغيبه للقدر ، ووجهه مما يلي النار ، قالت امرأة من قوم مالك (٤) : " اصرفوا وجه مالك عن النار ، فإنه والله كان غضيف النار عن الجارات ، حديد النار في الفارات ، لا يشبع ليلة يذاف ولا ينام ليلة يخاف . "

- (١) ذيل الأمالي : ١٧١ .
(٢) أبرت : أهلكت وهو من أبرت الكلب إذا أطمعته الإبرة بالخبر .
(٣) أشك في مدى صحة موقف هذا الخطيب من هذه الخطبة مع الحجاج ، حتى ولو كان على فراش موته ، وذلك لما اتسم به موقفه من الجراءة الحمائية عليه .
(٤) شرح العميون : ٨٧ .

- ٢٥٨ -

لما قدم طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بحجة الابل بدم عثمان ، خرج
إليهم شاب من بني سعد فقال (١) :
" أما أنت يا زبير فحواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأما أنت
يا طلحة فوقيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيدك ، وأرى أمكما محكما فميسل
ببنتكما بنسائكما ؟ "

قال : " لا " .

قال : " فما أنا منكما في شيء " واعتزل وقال :

عنتم حلائلكم وقد تم أمكم

هذا لعمرك قلة الإنصاف

أمرت بجور ذيولها في بيتها

فهوت تشق البيد بالاحفاف

عرضا بقاتل دونها أبناؤها

بالنيل والخطي والأسيافر

دنتك بطلحة والزبير ستورعا

هذا المخبر عنهم والكافي

(١) تاريخ الأبرار : ٤٦٥ / ٤

تاريخ ابن الأثير : ٢١٣ / ٣ .

٨٥ - خداية لرجل من بني سمد يرى رأى الخوارج :

- ٢٥٩ -

طلب زياد رجلاً من بني سمد يرى رأى الخوارج ، فلما أدخل عليه
 ذكر زياد الله ثم صلى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بغير ، ثم قال للمهدي (١) :
 " قدمت عني فأكرمت ذلك " .
 فقام السمدى فذكر ربه فحمده ووحدّه ، ثم ذكر النبي - صلى الله عليه
 عليه وسلم - ثم ذكر أبا بكر وعمر بغير ولم يذكر عثمان ، ثم أقبل على زياد وقال (٢) :
 " أنك قد قلت قولاً فصداً لله بفمك ، وكان من قولك : " ومن تحد عنا لم نهجه
 فقدمت " .

فأمر له زياد بمريلة وكسوة فلما خرج من عنده تلقاه الناس يسألونه فقال :-
 " ما كلكم أستطيع أن أخبره ، ولكني دخلت على رجل لا يملك خيراً ولا نفماً
 لنفسه ، ولا موئلاً ولا حياة ولا نشوراً ، فرزق الله منه ما تزون " .

٨٦ - خداية لأعرابي من بني تميم :

- ٢٦٠ -

وقال أعرابي من بني تميم يرد على خداية الفضل بن عيسى الرقاشسي
 وقد غطب امرأة منهم لنفسه (٣) :-
 " توسلت بجرمة ، وأدليت بحق ، واستندت إلى خير ، ودعوت إلى سنة
 فحرضك مقبول ، وما سألت مبدول ، وحاجتك مقبولة إن شاء الله " .

(١) الكامل : ٢٦٠ / ٣ .

(٢) هكذا أورده المبرد هذا الجزء بالمعنى .

(٣) البيان والتبيين : ٧٣ / ٤ .

- ٢٦١ -

وقال شيخ من بني المنبر من تعيم (١) :

"النساء ثلاث : فهينة ليندة عفيفة مسلمة ، تمين أهلها على الميث ولا تمين الميث على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وأخرى غل تمل ينحسه الله في عنق من يشاء ، ويكفه عن من يشاء ."

والرجال ثلاثة : فهين لين ، عفيف مسلم ، يُصدر الأمور مردها ، ويورد ما مواردها ، وآخر ينتهي إلى رأي ذي اللب والقدره فيأخذ بقوله وينتهي إلى أمره ، وآخرها حائر بائر لا يأتمر لرشد ، ولا يطيع المرشد ."

*

*

*

٨٨- خطبة لرجل من بني رياح :

- ٢٦٢ -

وقال رجل من بني رياح في خطبة له بالمرشد (٢) :

"بابني رياح لا تحقروا صغيرا تأخذون عنه ، فإني أخذت من الشطب روغانه ، ومن القرد حكايته ، ومن السنور رعه ، ومن الذلب سمته ، ومن ابن آوى حذره ، ولقد تعلمت من القمر سير الليل ، ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين ."

(١) الأمازي : ١٥٦/٢ وفي اللسان غل قلبه أنهم كانوا يفلون الأسير بالقد وعليه الشعر ، فيقل القيد في عنقه ولا يستأيع دمه عنه .
وذكر جزء من كلام العنبري ، ونسب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -
اللسان : مادة (قمل) .

(٢) الحشد : ٢٥٨/٢ .

قال أحد بني تميم للأزد في فتنه مسعود بالبصرة سنة ٦١ هـ (١) :

" الله الله يا مشر الأزد في دماننا ودمانكم ، بيننا وبينكم القسـران ،
أو من شئتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم عاينا بقتل مسعود بينة فاختاروا أفضل
رجل منا فاقتلوه به ، وإن لم تكن بينة فنحن نحلف لكم بالله أنا ما قتلنا
ولا أمرنا ، وأن الخوارج اعتمدت صاحبكم من قبل أنفسهم ، وأنا لا نعترف قاتله ،
وإن كرهتم ذلك فنحن ندي صاحبكم مئة ألف درهم . "

الخاتمة

وبعد

فهذه قبيلة تميم التي أغنتك الأدب العربي بخطائها كما أعنته بشعرائها ، فقد مها هو لاء البلقاء قوية عملاقة مهيبة الجانب ، وفي محاولتنا لفهم هذا التراث الخطابي ودراسته كان لا بد لنا من أن نستقصي الظروف التي أنتجت ، فمهدنا لذلك بدراسة شخصية هذه القبيلة فاتضح لنا أنها تتكون من ثلاثة فروع كبرى رئيسة هم : بنو سعد وبنو عنظلة وبنو عمرو ابن تميم واستطاعت هذه الفروع أن تحافظ على تماسكها في وحدة قبيلة من أكبر قبائل العرب وأعواها ، وربما عاد هذا التماسك إلى طبيعة حياتهم الأعرابية التي تعتمد على الغزو في كسب رزقها ضمن الجاهلية وإلى تجدد الأحلاف والخصومات الجاهلية بينهم وبين بكر والأزد في العصر الأموي .

واستطاعت هذه القبيلة أن تحمي دياراً امتدت من عمان إلى شاطيء الفرات في الجانب الشرقي من الجزيرة العربية لتشمل رمال يبرين ومعظم نواحي البحرين واليمامة ونجد ، والدخلاء والحرث والصمان ، وصهد هذا الامتداد الحيوي الشاسع لأن تكون تميم من أكثر قبائل العرب التي تحركت في الأيام قبيل الإسلام ، وكسان الدافع الاقتصادي من أجل الغنمة أو الطمع في الأمواه والمراعي وما يتبع ذلك من الثأر ، المحرم الأول لتلك الأيام ، ووقعت معظم أيامهم مع جيرانهم بكسر والقبائل القيسية ، وقبائل اليمن وأعنفها يوم شغب قبيلة مع القبائل القيسية ، ويوم الكلاب الثاني مع القبائل اليمنية .

ووقفت تميم من الإسلام موقفاً معادياً في بداية أمره ، وإن كانت لهم امتيازات اقتصادية ودينية عظيمة عند قريش ، فتأخر دخولهم في الإسلام حتى السنة التاسعة للهجرة بعد فتح مكة ، ثم امتنعوا عن دفع الزكاة لأبي بكر بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأنفت من الخضوع لسلطان قريش ، ولما استنفر عمر العرب للجهاد تناقلت معظم القبائل عن النهوض إلى العراق رهبة من بطش الفرس ، وكانت تميم من أجبر القبائل العربية على الفرس ، لقرب ديارهم منهم واحتكاكهم بهم قبيلاً في الإسلام ، فتوجهت جميعهم إلى العراق ، وكانت لهم هناك مع الفرس مواقف مشهودة فيرت نتائج كثير من المواقف لصالح المسلمين بفضل شجاعتهم ، مثل القادسية وجلولاء ونهاوند وغيرها . وأخذت البطون القيسية التي شاركت في الفتوح تستقر في الأمصار الجديدة ، فشكلا الغالبية العدد في البصرة وغراسان ، واستقر عدد كبير منهم في الكوفة ، ومن أبرز القبائل التي شاركتهم في هذه الأمصار بكر والأزد اللتان تحالفتا على تميم هناك في العصر الأموي ، وكان لذلك أثر عظيم في الأحداث .

ولتصميم مشاركة فعالة في أحداث الفتنة بعد مقتل عثمان ، فقد اعترل لها معظم رجال تميم البصرة برأي الأحنف قبيل الجمل ، واشتركت تميم الكوفة مع علي ، ثم عادت معظم تميم الحصريين لتشارك مع علي في صفين وكان لموقفهم هناك أثر بالغ في نفس معاوية لم ينسها لهم ، ثم سئمت تميم الصراع بين الأسر القرشية على الخلافة فكانت أشد القبائل رفضاً لطريقة التحكيم ، ثم انفصل عدد كبير منهم بسبب ذلك عن جيش علي ، ودعوا لقتال الجانبين ، فشكّلوا بذلك النواة الأولى لحزب الفوارج ، أتوى الأحزاب الإسلامية التي ظهرت في العصر الأموي ، وكان معظم قادته رجالاً من تميم ، كما كان لتميم أثر بالغ في قيام كثير من الفتن والثورات على الأمويين وفي إخمادها أيضاً ، ويلاحظ أن الصراعات القبلية بين تميم وبين حلف الأزدي وربيعة في العراق وبلاد فارس كانت تشتد ضراوة في فترات الضعف والتحول السياسي للدولة الأموية ، فبدأ أول كلا الجانبين أن يفرض هيئته على الجانب الآخر وأن يحصل على أكبر قدر من المكاسب السياسية والاقتصادية هناك ، ومن ذلك الصراع الذي وقع بينهما في البصرة وخراسان بعد موت يزيد ، والصراع الذي وقع بينهما زمن نصر بن سيار حين صار الأمويون على السلطة في الشام . وكانت الدولة تستغل هذا الصراع وتوجهه لتثبيت سلطانها ، ولكنها تعرض في جميع الأحيان على إيجاد توازن بين هاتين الكتلتين هناك .

وكان الأمويون يحسبون ألف حساب للقوة التي يتكئ عليها زعماء هذه القبيلة ، فخشوا من طموحاتهم فلم يصعدوا إليهم على قوتهم بأية ولاية ذات بال ، أو بقيادة مباشرة لميوشهم ، فاستغلوا طاقتهم في ظل نفوذ غيرهم من الولاة ، الذين تمصب كثير منهم عليهم وبخاصة اليمانية منهم . وكشف البحث عن أنه قد غلب على مواقف خطابهم في الجاهلية الاتجاه الاجتماعي وجاء معظمها على هيئة الأمثال والحكم ، وقد ضاعت معظم خطبهم في هذا العصر ، ولأغناء فيط وصلنا منها .

وفي صدر الإسلام كان للشورة التي أحدثها الإسلام في مختلف جوانب حياتهم أثر عظيم في مواقف خطابهم ، إلا أن الفكر الإسلامي كان أكثر وضوحاً في مواقفهم الخطابية زمن الأمويين منها في صدر الإسلام ، ويظهر ذلك جلياً في خطاب الوعاظ والقصاص ، وخطب الخوارج منهم وبعض خطب الجهاد .

وقد شغلت حركة الفتوح الإسلامية في العراق وخراسان مواقف خطابهم في هذه الفترة حتى نهاية عهد عمر بن الخطاب ، وبرز بعد ذلك أثر التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على حياتهم بعد الفتوح ، فاحتك أبناء هذه القبيلة بالشعوب الأخرى المغلوبة في الأمصار الجديدة ، وتدقت عليهم الفنائم والسبي ، فأفاد زعماء القبائل والتجار وأفراد الأسر القرشية من ذلك إفادة عظيمة ، وأثروا ثراءً فاحشاً ، ولم تحسن الغالبية العظمى من أعراب تميم وغيرها الاستفادة من هذه الخيرات ، فلم يضير ذلك من فقرهم كثيراً ، فترك ذلك صدى في خطاب

الأحنف وغيره من خطباء هذه القبيلة الذين وفدوا على عمر بن الخطاب يشكون إليه سوء حال العامة ويستعينون به على حاجتهم ، وتكررت مثل هذه المواقف في خطبهم عند الخلفاء الأمويين فيما بعد .

وزاد ذلك من تدمير الناس زمن عثمان ، فكان من أبرز أسباب الثورة عليه ومقتله ، وغلبت تطورات الفتنة والصراع على الخلافة بين الأسر القرشية على مواقف خطبائهم فيما بعد ، فصوروا لنا تردد هذه القبيلة يوم الجمل واندفاعها مع علي يوم صفين ثم تراجع عدد كبير من أبنائها بعد التحكيم مشككين حزبا ثالثا نافس الحزبين القرشيين الآخرين على الخلافة ، وهو حزب الخوارج ، ولا نكاد نذكر في خطب الخوارج مسن تميم على فكر سياسي واضح في هذه الفترة المبكرة ، وكانت القضية الأولى التي شغلتهم هي رفض التحكيم وقضية مصير قتلائهم في صفين ، إلا أن فكرهم السياسي قد نضج وتبلور في العصر الأموي ، فكانت مواقف خطبائهم السياسية أرقى ما أنتجته قرائحهم من الفكر السياسي الحقيقي الواضح .

ويظهر لنا من مواقف خطباء هذه القبيلة أن الأمويين قد نظروا إليهم بحذر شديد في بداية أمرهم ولم يلبسوا لهم مواقفهم عليهم مع علي في صفين ، وتكاد لا تقوم ثورة أو فتنة زمن الأمويين إلا كان لها صدى في مواقف خطبائهم .

واتضح لنا من خطبائهم أيضا أن التطورات السياسية والمذهبية قد أثرت تأثيرا كبيرا في تراخي الرابطة القبلية إلى حد ما بين الثائرين منهم على الدولة وبين الموالين لها في بعض الأحيان ، فوجدنا أن أفك فرق الخوارج وأشجع قادتهم كانوا من تميم ، وكذلك وجدنا أن أشد الناس في قتالهم كانوا من بني تميم أيضا .

وتجلت صورة الصراع القبلي بين تميم وبين حلف الأزدي بكر واضحة في خطاباتهم الاجتماعية ، فبالإضافة إلى مواقفهم الخطابية في الصراع المسلح الذي كان ينشب بينهما بين الفترة والأخرى نجد لهذا الصراع صدى بارزا في المفاخرات التي كانت تقع بين خطباء الجانبين في مجالس الخلفاء والأمراء .

وظهر في بعض مواقفهم الخطابية شيء من الارتباط الاقليمي القبلي بالمواطن الجديدة ، فكان بعض خطبائهم كالأحنف بن قيس ينطق بلسان أهل مدنه كافة من تميم ومن غيرها عند الخلفاء والأمراء ، فإبراهيم بن خالد بن صفوان خطباء تميميين آخرين من الكوفة بفضائل أهل البصرة مدحه ، إلا أن هذا الانتماء لم يرق في نفوسهم إلى مرتبة الانتماء الوطني وبقي ضمن إطار اقتصادي اجتماعي محدود ، تله المصالح المشتركة بين قبائل العصر الواحد .

ونستطيع القول إن العصر الأموي كان من أغصب عصور الخطابة التيمينية لكثرة ما نبغ فيهم من الخطباء وفزاره ما وصلنا من خطبهم .

وارجو أن أكون قد أضفت حلقة جديدة لجهود من سبقوني في سبيل تحقيق نصوص التراث الخطابي العربي المتناثرة في المصادر المختلفة ، وجمعها في أسفار خاصة بها يسهل على الباحثين تناولها أسوة بدواوين الشعر ، فجمعت ما وصلنا من خطب بلخاء هذه القبيلة من مصادرها ومظانها ، وحققتها وشرحت قريبها - قدر طاقتي - وأثبتها في ملحق خاص بها مع هذه الرسالة .

وتبين لي من خلال هذا الملحق أن الجزء الأكبر من خطابتهم قد فقد ولم يصلنا منها إلا لقراءة تسمين خطيبها منهم فقط ، في حين ينوف ثلث ما وصلنا من أسمائهم عن مثلي خطيب ، أرجع أن جلتها قد روي بالمعنى ، وفي معظم الأحيان لم يصلنا لأشهر خطبائهم غير خطبة واحدة أو بعض أجزاء خطبة .

والحقت بالرسالة خريطة بينت عليها مواطن تميم قبيل الإسلام ، اعتمدت فيها على كتب البلدان واستعنت بأيامهم في تحديد مواطنهم ، كما ألحقت بها جداول خاصة بأنساب كل فرع من فروعها الرئيسة عليها تميم الباحثين على أخذ صورة واضحة سريعة عن تسلسل أنسابها وتفرعها ومعرفه أبرز رجالها حتى نهاية العصر الأموي .

المصادر والمراجع - - - *

- ١- القرآن الكريم ،
- ٢- الأتوسي ، محمود شكري
- بلوغ الأرب في مصرفة أحوال العرب ، باعتناء محمد بهجة الأثري ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د . ت .
- ٣- الأبيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (- ٨٥٠ هـ)
- المستطرف في كل فن مستظرف ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ .
- ٤- ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد (- ٦٣٠ هـ)
- الكامل في التاريخ ، باؤصادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .
- اللباب في تهذيب الأنساب ، مكتبة العشي ، بغداد ، د . ت .
- أسد الغابة في مصرفة الصحابة ، قدم له آية الله السيد شهاب الدين النجفي ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، د . ت .
- ٥- د . إحسان النص
- الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ م .
- المعصية التبليدية وأثرها في الشعر الأموي ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
- ٦- د . أحمد الربيعي :
- قمر بن ساعدة الإيادي ، حياته ، خطبه ، شعره ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٤ م .

* رُتِّبَت المصادر والمراجع ترتيباً مجائياً حسب اسم الشهرة للمؤلفين القدماء ومؤلفي المراجع المعربة ولاجنبية، وُتِّبَت الدراسات العربية الحديثة حسب الاسم الأول للمؤلف ، وينطبق هذا الترتيب على المقالات أيضاً .

- ٧- أحمد زكي صفوت
- جبهة خطب العرب ، مصطفى الباي الحلبي ،
مصر ، ١٩٣٣ م
- ٨- أحمد عادل كمال
- الطريق إلى المذائن ، دار النقاش ، بيروت ،
١٩٧٧ م .
- ٩- د . أحمد كمال زكي
- الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني
الهجري ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦١ م .
- ١٠- د . أحمد محمد الحوفي
- فن الخطابة ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٦٣ م .
- ١١- أدبي شير
- الألفاظ الفارسية المصرية ، المطبعة الذائليكية ،
بيروت ، ١٩٠٨ م .
- ١٢- أسامة بن منقذ (- ٥٨٤ هـ)
- لباب الآداب ، تح : أحمد شاكر ، المطبعة
الرحمانية ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .
- ١٣- د . أشرف محمد موسى
- الخطابة وفن الإلقاء ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،
١٩٧٨ م .
- ١٤- الأصبهاني ، الحافظ محمد بن أبي بكر
- زيادات الحافظ الأصبهاني على كتاب الأنساب
المتفقه ، مطبعة بريل ، لندن ، د . ت .
أعاد طبعه مكتبة المثنى ، بغداد ، بلاؤفست .
- ١٥- الاصطخري ، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (- ٣٤٦ هـ)
- المسالك والممالك ، تح : محمد جابر عبد المال ،
وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- ١٦- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (- ٣٥٦ هـ)
- الأغاني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٧ م .
- وابعة ساسي ، ١٩٠٥ م .

- ١٧- الأصفهاني ، لفدة الحسن بن عبدالله (- ٣١٠ هـ)
- بلاد العرب ، تح : حمد الجاسر و صالح العلي ،
دار البعثة ، الرياض ، ١٩٦٨ م .
- ١٨- ابن أعثم ، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (- ٣١٤ هـ)
- كتاب الفتوح ، وزارة المعارف الحكومية العالية
الهندية ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٨ م .
- ١٩- الأعشى ، ميمون بن قيس
- ديوان الأعشى ، تح : محمد محمد حسين ،
مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- ٢٠- إيليا حساوي
- فن الخطابة وتطوره عند العرب ، دار الثقافة
بيروت ، د . ت .
- ٢١- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (- ٢٥٦ هـ)
- التاريخ الكبير ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ،
حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٣ م .
- ٢٢- البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد أمين
- مدنية المصنفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين
طبع بمناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها
البهية ، استانبول ، ١٩٥١ م .
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الخانون ،
عن أسامي الكتب والفنون ، طبع بمناية وكالة
المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ، استانبول
١٩٤٥ م .
- ٢٣- البغدادي ، عبد القادر بن عمر (- ١٠٩٣ هـ)
- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب ، بولاق
القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .
- ٢٤- البغدادي ، أبو محمد (- ٥١٦ هـ)
- معالم التنزيل ، طبع بهامش تفسير ابن كثير ،
مطبعة المنار ، مصر ، ١٣٤٧ هـ .
- ٢٥- أبو البقاء ، هبة الله
- المناقب المزبودة في أخبار الملوك الأردنية ،
مركز الوثائق والتوثيق في الجامعة الأردنية ، مخطوط
مصور على الشريط رقم ٣٠١ .

- ٢٦- أبو بكر محمد عليم
- الدر المنثور في شرح رسالة ابن زيدون ،
المكتبة العصرية ، أم درمان ، ١٩٦٦ م .
- ٢٧- البكري ، أبو عبدالله عبدالله بن عبدالعزيز (١٤٨٧هـ) -
- معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواقع ،
تح : مصافي السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .
- سمط الآلي ، تح : عبدالعزيز العيماني ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،
١٩٣٦ م .
- التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه ،
المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- ٢٨- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ هـ)
- فتوح البلدان ، تح : دي غوبسه ، مطبعة
بريل ، لندن ، ١٩٦٨ م .
- أنساب الأشراف
- القسم الأول والقسم الثاني مخطوط استانبول
السلطانية ، (مكتبة رئيس الكتاب) رقم : ٥٦٧-٥٦٨ .
- الجزء الأول ، تح : محمد ، عميد الله ، دار المعارف ،
مصر ، ١٩٥٦ م .
- الجزء الثاني ، تح : محمد باقر المصمودي ،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧٤ م .
- الجزء الرابع ، القسم الأول والقسم الثاني ، تح :
ماكس شلوزنجر ، القدس ، القسم الأول ، ١٩٧١ ،
والقسم الثاني ، ١٩٣٨ م .
- الجزء الخامس ، تح : فوتين ، القدس ، ١٩٧٦ م .
- ٢٩- بلاشير ، ريجس-
- تاريخ الأدب العربي ، المحرر الجاهلي ،
ترجمة : إبراهيم كيلاني ، دار الفكر ، دمشق ،
١٩٥٦ م .

- ٣٠- ابن بليهد ، محمد بن عبد الله
- صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ،
راجعه محمد محيي الدين عبد الحميد ، د . ن ،
د . م ، ١٩٧٢ م .
- ٣١- بيلا ، شارل
الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ترجمة إبراهيم
الكيلاني ، دار البقعة العربية ، دمشق ، ١٩٦١ م .
- ٣٢- التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي
شرح ديوان الحماسة ، تح : محمد محيي الدين
عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ،
١٩٣٨ م .
- ٣٣- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (٢٣١ هـ)
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ،
تح : محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر
١٩٧٦ م .
- نقاش جريز والأخطل ، تح : الأب أنطون عالحاني
اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ،
دار المشرق ، بيروت ، ١٩٦٢ م .
- ٣٤- التهانوي ، الشيخ المولوي محمد أعلى بن علي
- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية ، شركة
خياط للكتب والنشر ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
- ٣٥- شعلب ، أبو المباسر أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (٢١١ هـ)
- شرح ديوان زمير بن أبي سلمى ، مطبعة دار
الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ م .
- ٣٦- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ)
- البيان والتبيين ، تح : عبد السلام هارون ،
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- البخلاء ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .
- السحيوان ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة
الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

- ٣٧- جاسر أبو صفية
- الخطابة وتداولها في عصر الخلفاء الراشدين ،
رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب بالجامعة
اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٥ م .
- ٣٨- جرجي زيسدان
- العرب قبل الإسلام ، مراجعة عيسى مؤنس ،
دار الهلال ، ط ٢ ، القاهرة ، د . ت .
- أنساب العرب القدماء ، مطبعة الهلال ، القاهرة ،
١٩٦١ م .
- تاريخ آداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال ،
ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .
- ٣٩- جمال محمد داود جوده
- العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام ،
رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب بالجامعة
الأردنية ، عمان ، ١٩٧٧ م .
- ٤٠- جواد علي
- الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم
للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد ،
١٩٦٨ - ١٩٧٣ م .
- ٤١- الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد (- ٥٤٠ هـ)
- المقرب من الكلام الأعجمي على حرف المعجم ،
تح : أحمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٢ م .
- ٤٢- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (- ٥٩٧ هـ)
- صفوة الصفوة ، مطبعة دائرة المعارف المشطانية ،
حيدرآباد الدكن ، ١٣٥٦ هـ .
- سيرة عمر بن عبد العزيز ، مطبعة الإمام ، القاهرة ،
د . ت .
- ٤٣- ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، (- ٥٢٤ هـ)
- المحبر ، تح : إيلزه ليختن شتير ، مطبعة
جمعية دائرة المعارف المشطانية ، حيدرآباد
الدكن ، ١٩٤٢ م .

- المنق في أخبار قريش، تح : خورشيد أحمد
مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد
الدكن، ١٩٦٤ م.
- ٤٤- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (١٨٥٢-١٩٠٠)
الإعابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة،
مصر، ١٩٢٨ م.
- تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية،
حيدر أباد، ١٩٢٥ م.
- ٤٥- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (١١٦٥-١٢٤٠)
شرح نهج البلاغة، تح : محمد أبو الفضل
إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،
١٩٦٣ م.
- ٤٦- ابن حزم، محمد بن علي بن حزم الأندلسي (١١٠٤-١١٨٠)
جمهرة أنساب العرب، تح : عبد السلام هارون،
دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١ م.
- ٤٧- د. حسين عطوان
الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي،
مكتبة المحتسب، عمان، ودار الجيل، بيروت
١٩٧٤ م.
- ٤٨- الحميري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (١١٦٣-١٢٤٠)
زهر الآداب وثمر الألباب، تح : علي البجاوي،
دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ٤٩- حمد الجاسر
أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع،
دار الجامعة للبحث والترجمة والنشر، الرياض،
١٩٦٨ م.
- ٥٠- الحميري، محمد بن عبد المنعم (١٢٢٧-١٣٠٠)
الروض المصطار في خبر الأقطار، تسج :
د. إحسان عباس، دار العلم للطباعة، لبنان
١٩٧٥ م.

- ٥١- ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (- ٢٤١ هـ)
- المسند ، المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣١٣ هـ .
- ٥٢- أبو عيان الأندلسي ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (- ٧٥٤ هـ)
- البحر المحيط ، مكتبة ومطابع النصر العدد يشة
الرياض ، د . ت .
- ٥٣- الغضائبي البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (- ٤٦٣ هـ)
- تاريخ بغداد ، تصحيح محمد حامد الفقي ،
دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت .
- ٥٤- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (- ٨٠٨ هـ)
- المبروديان المبتدأ والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان
الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٥٦ م .
- ٥٥- ابن خلكان ، أبو المباسر شمس الدين أحمد بن محمد (- ٦٨١ هـ)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح :
د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ٥٦- خليفة بن خياط المصفر (- ٢٤٠ هـ)
- تاريخ خليفة بن خياط ، تح : أكرم المصري ،
مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٦٧ م .
- ٥٧- خليل أبو رحمه
- حركة الشعر في قبيلة قيس في العصر الأموي ،
رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب بالجامعة
الأردنية ، عمان ، ١٩٧٦ م .
- ٥٨- الخنساء ، تماضر بنت عمرو
- ديوان الخنساء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ٥٩- خير الدين الزركلي
- الأعلام ، د . ن . ط ٣ ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ٦٠- داود إبراهيم غطاشة
- حركة الشعر في قبيلة غني حتى نهاية العصر
الأموي ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب
بالجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٦ م .

- ٦١- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (- ٣٢١ هـ)
- الاشتقاق ، تح : عبدالسلام هارون ، مؤسسة الخانجي
القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- ٦٢- الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (- ٢٨٢ هـ)
- الأخبار الطوال ، تح : عبدالحق طاهر ، دار إحياء
الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- ٦٣- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (- ٧٤٨ هـ)
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تح : علي
البحاوي ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- المبر في خبر من غير ، تح : صلاح الدين المنجد ،
مطبعة الكويت ، ١٩٦٦ م .
- سير أعلام النبلاء ، تح : صلاح الدين المنجد ، دار
المعارف ، مصر ، ١٩٦٢ م .
- تجريد أسماء الصحابة ، تصحيح : هالة شرف الدين ،
شرف الدين الكشي وأولاده بمومباي - الهند ، ١٩٦٩ م .
- ٦٤- ابن رشيقي القيرواني ، أبو علي الحسن (- ٤٥٦ هـ)
- الحمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده ، تح : محمد محي
الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦٣ م .
- ٦٥- الزبيدي ، محمد مرتضى (- ١٢٠٥ هـ)
- تاج المروس من جواهر القاموس ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ،
بنغازي ، ١٩٦٦ م .
- ٦٦- الزبير بن بكار (- ٢٥٦ هـ)
- الأخبار الموقفات ، تح : د . سامي مكي الحاني ، مطبعة
الحاني ، بغداد ، د . ت .
- ٦٧- الزبير ، مصعب بن عبد الله (- ٢٣٦ هـ)
- نسب قریش ، تح : يغازيت ليفي بروفسال ، دار
المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .
- ٦٨- د . زكي مبارك
النشر الفني في القرن الرابع ، دار الكتب المصرية ،
القاهرة ، ١٩٣٤ م .
- ٦٩- زلهام ، رودلف
الأمثال العربية القديمة ، ترجمة : د . رمضان عبدالنواب ،
دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١ م .

- ٧٠- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (- ٥٣٨ هـ)
 - الفائق في غريب الحديث ، تح : علي البجاوي
 ورفيقه ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٥ م
- ٧١- السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (- ٢٥٠ هـ)
 - المصمرون والوصايا ، تح : عبد الحليم عامر ،
 دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١ م
- ٧٢- ابن سعد ، محمد بن سعد (- ٢٣٠ هـ)
 - الطبقات الكبير ، تح : إدوارد سخبو ، مطبعة
 بريل ، لندن ، ١٣٣٨ هـ
- ٧٣- سعيد حسين منصور
 - القيم الخلقية في الخطابة العربية ، جامعة
 بنغازي ، بنغازي ، ١٩٧٠ م
- ٧٤- السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد (- ٥٦٢ هـ)
 - الأنساب ، اعتنى بنشره المستشرق : مرجليوت ،
 مطبعة بريل ، لندن ، ١٩١٢ م
- ٧٥- السويدي ، محمد أمين بن علي البغدادي
 - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، المطبعة
 المرتضوية ، النجف ، ١٣٥٤ هـ
- ٧٦- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (- ٩١١ هـ)
 - المصنف في علوم اللغة وأنواعها ، مطبعة
 محمد صبيح ، القاهرة ، د . ت .
- ٧٧- ابن شاعر الكتبي ، محمد بن شاعر ، (- ٧٦٤ هـ)
 - فوات الوفيات ، تح : إحصان عباس ، دار صادر
 بيروت ، ١٩٧٣ م
- ٧٨- الشامي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف (- ٩٤٦ هـ)
 - السيرة النبوية ، سبل الهدى والرشاد في سيرة
 خير العباد ، مركز الوثائق والتوثيق في الجامعة
 الأردنية ، مخطوطة مصورة على الكمبيوتر
 رقم : ٥٩١

- ٧٩- الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي (- ٤٣٦ هـ)
أما لي المرتضى ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ م .
- ٨٠- د . شكري فيصل - ل
المجتمعات الإسلامية في القرن الأول للهجرة ،
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- ٨١- د . شوقي ضيف
الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ،
ط٤ ، مصر ، ١٩٦٥ م .
- ٨٢- د . صالح الملهي
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ،
في القرن الأول الهجري ، دار الطليعة ، ط٢
بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ٨٣- الصفي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (- ٧٦٤ هـ)
نكت الهميان في نكت الصميان ، وقف طلي طبعة
أحمد زكي بك ، المطبعة المطامية ، مصر ، ١٩١١ م .
- تمام المحتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تح :
محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ،
القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ٨٤- الطبري ، محمد بن جرير (- ٣١٠ هـ)
تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد أبو الفضل
إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٠ م .
- ٨٥- د . طه حسين
في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، ط٤ ، مصر
١٩٢٧ م .
- ٨٦- ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (- ٢٨٠ هـ)
كتاب بلاغات النساء ، دار النهضة الحديثة ،
بيروت ، ١٩٧٢ م .
- ٨٧- الحاملي ، بهاء الدين محمد بن حسين (- ١٠٣١ هـ)
الصخلا ، دار المصرفة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

- ٨٨- الحباسي، أبو الفتح عبد الرحيم بن أحمد (- ١٦٣ هـ)
- معاهد التنصيص، المطبعة البهيمية، مصر
١٣٠٤ هـ .
- ٨٩- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (- ٤٦٣ هـ)
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح : علي البجاوي،
مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د . ت .
- الإنباه على قبائل الرواه، مطبعة السعادة،
القاهرة، ١٣٥٠ هـ .
- ٩٠- ابن عبد الحق البغدادي، عبد المؤمن (- ٧٣٩ هـ)
- مرآة الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع،
تح : علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية،
القاهرة، ١٩٥٥ م .
- ٩١- ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم (- ٤٣١ هـ)
- سيرة عمر بن عبد العزيز، تح : أحمد عبيد،
دار الفكر، ط ٣، دمشق، ١٩٦٤ م .
- ٩٢- عبد الحكيم بلبيس
- النشر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو
المصرية، مصر، ١٩٥٤ م .
- ٩٣- ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد (- ٣٢٨ هـ)
- العقد الفريد، تح : أحمد أمين ورفاقه،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،
١٩٤٠ - ١٩٤٩ م .
- ٩٤- د . عبد الرحيم محمود زلط
- الفنون الأدبية وأثرها في الحياة، فن الخطابة،
القسم الأول، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٧ م .
- ٩٥- أبو عبيدة، مكرم بن الشني (- ٢١٠ هـ)
- نقاش جرير والفرزدق، تح : بيمفان، مطبعة
بريل، لندن، ١٩٠٥ م .
- ٩٦- عدي بن زيد الصبادي
- ديوان عدي بن زيد الصبادي، تح : محمد
جابر المصبيد، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥ م .

- ٩٧- ابن الحديم ، كمال الدين عسر
- بغية الطلب في تاريخ حلب ، مخطوطات أبي عوفيا ،
رقم (٣٠٣٦) .
- ٩٨- ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله (- ٥٧١ هـ)
- تهذيب تاريخ ابن عساكر ، تصحيح الشيخ عبد
القادر بدران ، مطبعة روضة الشام ، ومطبعة
الترقي ، دمشق ، ١٣٢٩-١٣٥١ هـ
- ٩٩- المسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله (- ٣٩٥ هـ)
- جوهرة الأمثال ، طبع بهامش مجمع الأمثال
للميداني ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣١٠ هـ
- الأوائل ، طبع : محمد السيد الوكيل ، نشره
أسعد طرابزونى ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦ م .
- الصناعتين ، الكتابة والشعر ، طبع : علي البجاري
ورفيقه ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، طبع ،
مصر ، ١٩٧١ م .
- ١٠٠- العلوي ، السيد جعفر بن السيد محمد البيهقي ،
- مواسم الأدب وآثار الصبح والحرب ، دار السعادة
مصر ، ١٣٢٦ هـ .
- ١٠١- علي بن أبي طالب :
- نهج البلاغة " وهو مجموع ما اختاره الشريف
أبو الحسن محمد الرضي بن الحسين من كلام
أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب " .
شرح محمد عبده ، طبع : محمد محيي الدين
عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ،
د . ت . د .
- ١٠٢- علي الجندي
- صور البديع ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،
١٩٥١ م .
- ١٠٣- ابن الحماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (- ١٠٨٩ هـ)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،
المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ،
د . ت . د .

- ١٠٤ - عمر رضا كحالة
- معجم قبائل العرب ، القديمة والحدِيثية ،
المكتبة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٤٦ م
- ١٠٥ - غالب فاضل المطليبي
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، منشورات
وزارة الثقافة والفنون في الجمهورية العراقية ،
بغداد ، ١٩٧٨ م
- ١٠٦ - غيداء عادل كاتبي
- الردة ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب
بالجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٧ م
- ١٠٧ - أبو الفدا ، اسماعيل بن علي بن محمود (٧٣٢ -)
المختصر في أخبار البشر ، دار الكتاب اللبناني
ودار البهار ، بيروت ، ١٩٥٩ م
- ١٠٨ - ابن الفقيه الهمداني ، أحمد بن محمد (٢٩٠ هـ -)
مختصر كتاب البلدان ، تح : د. فؤاد
مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٥ م
- ١٠٩ - فلهوزن ، يوليوس
- تاريخ الدولة العربية ، من ظهور الإسلام إلى
نهاية الدولة الأموية ، ترجمة : محمد أبو ريدة
مراجعة : حسين مؤنس ، لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ م
- ١١٠ - فلوتن ، غان
- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في
عهد بني أمية ، ترجمة : حسن إبراهيم رفيفه ،
مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م
- ١١١ - الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧ هـ -)
القاموس المحيط ، المكتبة التجارية الكبرى ،
مصر ، ١٩١٣ م

- ١١٢ - القاري ، علي بن سلطان محمد (- ١٠١٤ هـ)
مرقاة المفاتيح ، شرح مشكاة المصابيح ، مكتبة
امدادية ، ملتان ، (مغربي باكستان) ،
١٣٩٠ هـ .
- ١١٣ - القالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم (- ٣٥٦ هـ)
الأمالي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ٣ ،
القاهرة ، ١٩٥٣ م .
- ذيل الأمالي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ٣ ،
القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- النوادر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ٣ ، القاهرة
١٩٥٤ م .
- ١١٤ - ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (- ٢٧٦ هـ)
المعارف ، تح : ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب
المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ،
١٩٦٣ م .
- المعاني الكبير ، دائرة المعارف الحشائية ،
حيدرآباد الدكن ، ١٩٤٩ م .
- ١١٥ - القزويني ، زكريا بن محمد (- ٦٨٢ هـ)
آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت
١٩٦٠ م .
- ١١٦ - القلقشندي ، أبو المباسر أحمد بن علي (- ٨٦١ هـ)
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح :
إبراهيم الأبياري ، الشركة المصرية للطباعة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

- ١١٧ - ابن القيسراني ، أبو الفضل محمد بن طاهر (- ٥٠٧ هـ)
- الأنساب المتفقة في الخط الحماطة في النقط
والضبط ، مطبعة بريل ، ليدن ، د . د . ت
- ١١٨ - ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء ، اسماعيل بن كثير (- ٧٧٤ هـ)
- تفسير الحافظ ابن كثير ، مائة المنار ، مصر ،
١٣٤٦ هـ
- البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، ط ١ ،
مصر ، ١٩٣٢ م .
- ١١٩ - كثير عزة ، بن عبد الرحمن الخزاعي
- ديوان كثير عزة ، جمع وتحقيق : د . إحسان
عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- ١٢٠ - كسرة ، ج
- الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية ، ترجمة
: د . يحيى الجبوري ، جامعة بغداد ،
بغداد ، ١٩٧٦ م .
- ١٢١ - الكلاعي ، نذو الوزارتين محمد بن عبد الغفور الإشبيلي
- إحكام صنعة الكلام ، تح : محمد رشيد - وان
الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
- ١٢٢ - ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (- ٢٠٦ هـ)
- جمهرة النسب ، ج ١ ، مركز الوثائق والتوثيق
في الجامعة الأردنية ، شريط رقم : ٣٨٢ ، مصر
عن مخطوط المتحف البريطاني .
- الأعيان ، تح : أحمد زكي ، الدار القومية
للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ١٢٣ - لويس ، شيخو اليسوعي
- شعراء النصرانية ، مطبعة الآباء اليسوعيين ،
بيروت ، ١٨٩٠ م .
- ١٢٤ - ماسينيون ، لوي - - -
- خطط الكوفة وشرح خريزتها ، ترجمة تقي محمد
المصحبي ، مطبعة الحرفان ، صيدا ، ١٩٤٦ م .

- * ١٢٥ - المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (- ٢٨٥ هـ)
- الكامل ، تح : محمد أبو الفتح إبراهيم
ورفيقه ، مكتبة نهضة مصر ومابحثها ، القاهرة
١٩٥٦ م .
- نسب عدنان وقحطان ، تصحيح عبد الحزيب
الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- ١٢٦ - محمد أحمد جاد المولى ، ورفاقه
أيام العرب في الجاهلية ، مطبعة عيسى البابي
الحلي ، القاهرة ، د . ت .
- ✓ ١٢٧ - محمد أبو زهرة
- الخطابة ، أصولها ، تاريخها في أزمنة
عصورها عند العرب ، مطبعة العلوم ، ط ١ ،
القاهرة ، ١٩٣٤ م .
- ١٢٨ - محمد طاهر درويش
- الخطابة في صدر الإسلام ، دار المعارف
مصر ، ١٩٦٥ م .
- ١٢٩ - محمد عبد الفني حسن
- الخطب والمواعظ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٥ م .
- ١٣٠ - محمد عبد المنعم خفاجي
- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، دار الطباعة
المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .
- ١٣١ - محمد عـــــزة دروزة
- تاريخ العرب في الإسلام ، تحت راية الخلفاء
الأمويين ، المكتبة المصرية ، صيدا ، ١٩٦٣ م .
- ١٣٢ - محمد فؤاد عبد الباقي
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،
مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ .
- ١٣٣ - محمد كرد علي
- أمراء البيان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .

- ١٣٤ - محمود شيت خطاب
- قادة فتح بلاد فارس، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤.
- ١٣٥ - المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (- ٣٨٤ هـ)
- معجم الشعراء، تح: كرنكو، مكتبة القدسي،
القاهرة، ١٣٥٤ هـ.
- ١٣٦ - المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن الاسفهباني (- ٤٢١ هـ)
الأزمنة والأمكنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف،
حيدرآباد الدكن، ١٣٣٢ هـ.
- ١٣٧ - المرصفي، سيد بن علي
- رغبة الآمل من كتاب الكامل، مطبعة النهضة،
القاهرة، ١٩٢٧ م.
- ١٣٨ - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (- ٣٤٦ هـ)
- مرقع الذهب وصفان الجواهر، تح: بارييه
دمينار، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، طهران،
١٩٧٠ م.
- ١٣٩ - ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (- ٤٢١ هـ)
- التنبيه والإشراف، تصحيح عبد الله الصاوي،
أعادت مكتبة المثنى، بغداد، طباعته بالأوفست،
١٩٣٨ م.
- ١٤٠ - المصري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله (- ٤٤٩ هـ)
- شروح سقط الزند، تح: مصطفى السقا ورفاقه،
الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،
صورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٤٥ م.

١٤١- المفضل النسي، أبو المبارز المفضل بن محمد (- ١٦٨ هـ)
- ديوان المفضليات مع شرح أبي القاسم بن محمد
الأنباري، تح: لایل، مطبعة الآباء اليسوعيين
بيروت، ١٩٢٠ م.

١٤٢- المقدسي، مطهر بن طاهر، (- ٣٥٥ هـ)
- البدء والتاريخ، باريس، ١٨٦٩ م، أمادات
مكتبة المثنى، بغداد، طباعته بالأوفست.

١٤٣- ابن مكي الصقلي، أبو حفص عمر بن خلف
- تثقيف اللسان وتلقيح البنان، تح: عبد العزيز
مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،
لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦ م.

١٤٤- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (- ٧١١ هـ)
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦ م.

١٤٥- منير المجالني
- تاريخ البلاد السعدوية، د. د. م. د. د. ت.

١٤٦- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (- ٥١٨ هـ)
- مجمع الأمثال، المطبعة البهية، القاهرة،
١٣١٠ هـ.

١٤٧- د. ناصر الدين الأسد
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية،
دار المعارف، ط٣، مصر، ١٩٦٦ م.

١٤٨- ابن ناقي البغدادي (- ٤٨٥ هـ)
- الجمان في تشبيهات القرآن، تح: أحمد
مطلوب ورفيقتة، دار الجمهورية، بغداد،
١٩٦٨ م.

١٤٩- نالينو، كارلو
- تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر
بني أمية، نشرته مريم ناليتو، وقدم له
طه حسين، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠ م.

١٥٠- ابن نباتة المصري، جمال الدين محمد بن محمد (- ٧٦٨ هـ)
- شرح الميرون في شرح رسالة ابن زيدون،
تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر
المصري، القاهرة، ١٩٦٤ م.

- ١٥١- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (- ٣٨٠ هـ)
الفهرست ، مكتبة غياث ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- ١٥٢- النرشخي ، أبو بكر محمد بن جعفر ، (- ٣٤٨ هـ)
تاريخ بخاري ، ترجمة أمين بدوي ورفيقه ،
دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥ م .
- ١٥٣- نعمان أمين طه
جرير ، حياته وشعره ، دار المعارف ، مصر ،
١٩٦٨ م .
- ١٥٤- د . نقولا فياض
الخطابة ، دار الهلال ، مصر ، ١٩٣٠ م .
- ١٥٥- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (- ٧٣٣ هـ)
نهاية الأرب في فنون الأدب ، الأجزاء من ١- ١٨ ،
طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
جزء ١٩ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،
والجزء ٢٠ تح : محمد فتح الله ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م .
- ١٥٦- النيسابوري ، الحسن بن محمد بن حبيب (- ٤٠٦ هـ)
عقلاء المجانين ، علق عليه : محمد بحر العلوم ،
المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف ، ١٩٦٨ م .
- ١٥٧- النيسابوري القمي ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين
تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان ، طبع
بها مشر . كتاب جامع البيان في تفسير القرآن
للطبري ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣٦٩ هـ .
- ١٥٨- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام الحميري (- ٢١٨ هـ)
السيرة النبوية ، تح : مصطفى السقا ورفاقه ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٣٦ م .
- ١٥٩- الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد (- ٣٣٤ هـ)
صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، امستردن ،
١٩٦٨ م .
- ١٦٠- الهمداني ، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي (- ٥٨٤ هـ)
عجالة المبتدي ، وفضالة المنتهي في النسب ،
تح : عبد الله كنون ، الهيئة العامة لشؤون
المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

- ١٦١- الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (- ٨٠٧ هـ)
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتاب العربي ،
بيروت ، ١٩٦٧ م .
- ١٦٢- واصل بن عطاء الصمغلي (- ١٣١ هـ)
كتاب خطبة واصل بن عطاء ، تح : عبد السلام
هارون ، ونشره في " نوار الخفوطات " المجلد
الأول ، المجموعة الثانية ، شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٧٣ .
- ١٦٣- الواقدي ، محمد بن عمر (- ٢٠٧ هـ)
مغازي الواقدي ، تح : مارسدن جونسن ،
مطبعة جامعة أكسفورد ، لندن : ١٩٦٦ م .
- ١٦٤- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (- ٧٤٩ هـ)
تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الوعشية ، القاهرة ،
١٣٥٣ هـ .
- ١٦٥- ولفنسون ، إسرائيل ،
تاريخ اللغات السامية ، لجنة التأليف والترجمة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٢٩ م .
- ١٦٦- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (- ٦٢٩ هـ)
معجم البلدان ، مكتبة الأسد ، طهران ، ١٩٦٥ م .
- المقتضب من كتاب جمهرة النساب ، مصر : مخطوط
الغزاة العامة الرباط ، د - ١٣١٥ .
مكتبة الجامعة الأردنية ، شريط : ٨٥ .
- ١٦٧- اليمقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (- ٢٩٢ هـ)
تاريخ اليمقوبي ، نشر المكتبة الحيدرية ومطبعها ،
النجف ، ١٩٦٤ م .
- البلدان ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٨٩١ م .

١٦٨ - د . يوسف خليل

حياة الشمر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني
الهجرة ، دار الكتب العربي للطباعة والنشر ،
القاهرة ، ١٩٦٨ م .

١٦٩ - مجموعة من المستشرقين

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ،
نشره د . أ . ي . وتسنك مطبعة بريدل ،
ليدن ، ١٩٣٦ م .

١٧٠ - مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري

الإمامة والسياسة ، تح : سعيد صالح ، رسالة
ماجستير مقدمة لكلية الآداب بالجامعة الأردنية ،
عمان ، ١٩٧٨ م .

المراجع الأجنبية :

171 Caskel, Werner

— Gamhart an-nasab, das generalogische
werk des HISHAM ibn Muhammd Al-Kalbi,
E.J.Brill, Leiden, 1966 .

172 Nicholson, Reynold . A.

— Aliterary history of the Arabs,
cambridge U.P. , London ,
1966 .

المقالات :

- ١٧٣- د. لافيديا ، ج . ليفي ،
 " تميم بن مر " دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة
 محمد ثابت ورفاقه ، المجلد الخامس ، القاهرة ،
 ١٩٣٣م ، ص : ٤٧٣ - ٤٧٨ .
- ١٧٤- د . صالح الملي
 " استيطان العرب بغراسان " مجلة كلية
 الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الأول ، ١٩٥٩م .
- ١٧٥- د . عبد الرحمن الطيب الأنصاري
 " كتابات من قرية الفاو " ، مجلة كلية الآداب ،
 جامعة الرياض ، السنة الثالثة ، ١٩٧٤م .
 ص : ٢٧ - ٧٠ .
- ١٧٦- د . عفيف عبد الرحمن
 " قيس بن عاصم سيد أهل الوبر " هدي الإسلام ،
 تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية
 المملكة الأردنية الهاشمية ، المجلد ٢٣ ، ١٩٧٩م .
 ص : ٧٢ - ٨٦ .
- ١٧٧- غالب فاضل الصلبي
 " معجم لهجة تميم " ، المهرج ، مجلة تراثية
 فصلية تصدرها وزارة الثقافة والفنون في الجمهورية
 العراقية ، المجلد السابع ، العدد الثالث
 ١٩٧٨م . ص : ١٥١ - ١٨٤ .
- ١٧٨- د . يحيى الجبوري
 " تميم ، تغربها وسياستها في العراق والخليج
 العربي في العصر الجاهلي " حولية كلية
 الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة
 قطر ، العدد الثاني ، ١٩٨٠م .
 ص : ١١٧ - ١٤٩ .

- 179 Arfat, W.
- An Interpretation of The Different
Accounts of The Visit of The Tamim
Delegation to The Prophet, A. H. 9 .
BSOAS, Vol . 17, 1955 , F;416-425.
- 180 Kister, M.J.
- AL- Hira, some Notes on Its Relation
with Arabia, Arabica, Vol.XV 1968
P: 143 - 169
- 181 Mecca And Tamim , Aspects of Their Relation,
Journal of The Economic And Social History
of The orient, Vol. VIII Jerusalem ,1965.
P: 113 - 160 .

- ٤٥٧ -

The University of Jordan
Faculty of Arts
Department of Arabic

The movement of oratory within the tribe of Tamim
until the end of the Umayyad epoch .

by The Student :
Sālem Marā'i Husain
All Hadrūsi .

The Supervisor
Dr. Hashim Yaghi

" This thesis has been submitted in partial
fulfillment of the requirements for the degree of
master of Arts, in the Arab literature, faculty of
Arts, University of Jordan."

1981

Abstract

This thesis is a study of the movement of oratory within the tribe of Tamim starting from the pre-Islamic times up to the end of the Umayyad epoch.

The tribe of Tamim has been characterized by its numerous orators and the fertility of their oratorical attitudes, so Al-djahiz noticed this phenomenon and mentioned it in his book. "Al-bayan Wal-Tabyin." This study consists of five chapters, and an oratorical appendix.

The first chapter, divided into three parts, deals with the personality of the tribe of Tamim. Part one gives a presentation of the pedigree of Tamim, its famous sections, and its prominent men. Part two displays the locative movement of Tamim, and portrays an approximative picture to clarify its vital field extending, on the eastern coast of Arabia, from Oman to Al-hudayb on the bank of Euphrates. I mentioned the effect of this locative expansion on the relationship of Tamim with the neighbouring tribes such as, Bakr bin Wa'il, the tribes of Kais and Al-Manadira. Then I pursued the movement of Tamim to Iraq and Khurasan in the movement of the Islamic conquests. Tamim forms the majority of population in Al-Basra and Khurasan where it has been competed by Bakr bin Wa'il and Al-Azd. I present in part three the role of Tamim in the incidents of the period, so I pursued its wars in the pre-Islamic time and the early period of Islam chiefly in the wars of apostasy from Islam and in the movement of conquests, its participation in the struggle ^{between} Ali bin Abi Talib and his foes in the sedition, its participation in the events of the Umayyad epoch mainly in the movement of conquests in the eastern part of the Caliphate, its participation in the revolutions and the internal wars rose against Umayyads,